السودان بين عهدين

اتفاقية ١٨٩٩ - ومعاهدة ١٩٣٦

لواضعه

سعد ميخائيل

موظف بحكومة السودان سابقاً - بالمنيا

١٩٤٠

المطبعة العصرية ومكتبتها بميدان الاس بالمنيا — تليفون ٢٨٤

السودان بين عهدين

اتفاقية ١٨٩٩ - ومعاهدة ١٩٣٦

هذا
الكتاب هو
الشاهد الخالد
على صلة القطرين
الشقيقين فقد حوى صور
الضباط العظام والموظفين
البارزين مصريين وسوريين وسودانيين
ممن ساهموا في نظم الحكم في السودان كذلك
قد حوى ابرز الحوادث بين العهدين مما كاد
يندثر في بطون الأيام، عدا ما تطرق اليه المؤلف
من عادات اهل البلاد وكرمهم ونجدتهم وحسن معشرهم الخ.

لواضعه

سعد ميخائيل

موظف بحكومة السودان سابقاً - بالمنيا

المطبعة الخيرية ومكتبتها بميدان بالاس بالمنيا — تليفون ٢٨٤



حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول



صاحب السمو الامير الجليل عمر طوسون

صديق السودان والسودانيين — وصاحب الفضل فى توثيق صلة القطرين

(انظر صفحة ٣٥)

يا صاحب السمو . . .

أن مقام سموكم الجليل لأرفع من أن أتطلع إليه ، وسمو قدركم النبيل لأعظم من أن أطمع فى المثول بين يديه ، ولئن تجرأت أن أرفع كتابى هذا إلى مقامكم السامى ، فذلك لأنه ماذكر السودان إلا وكان مقترناً باسمكم الكريم.

لقد بذلت جهوداً فى جمع شتات هذا الكتاب وضمنته صور مشهوري الرجال عسكريين وملكيين ممن ساهموا فى اصلاح نظم الحكم هناك ، وأمنيتى المفردة تأدية الواجب لمصر والسودان معاً .

كذلك قد لزمت الأمانة فى اثبات أبرز الحوادث بين عهدى الاتفاقية والمعاهدة ، ولئن جاءت مسبوكة محوطة بالامانة فى النقل ، فالفضل فى ذلك يرجع لسموكم أيضا ، إذ غذيتمونى بكثير من المؤلفات والمذكرات التي خفيت عن أهل السودان أنفسهم .

لقد عشت فى السودان نيف وربع قرن ، عرفت فيه عادات أهله ، وتفيأت شمسه وظله ، وسافرت فى وديانه ، وزاملت أدباءه ، ونعمت بعطف زعمائه ، فمن حقهم علىّ أن أتحدث مما عرفت من عاداتهم وأخلاقهم ، وما اشتهروا به من الفضل والكرم وحسن المعاشرة .

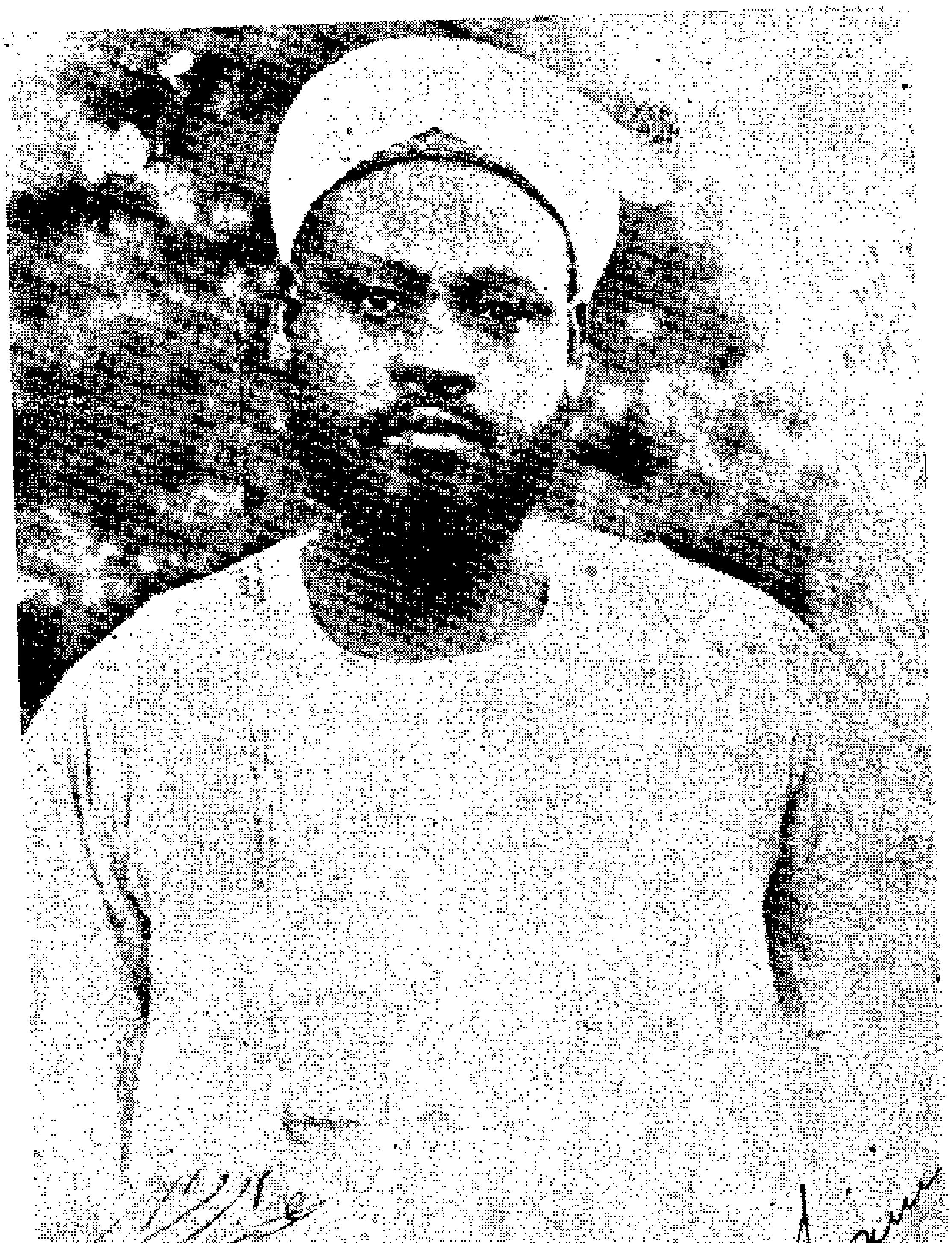
وكما أن من حق أهل السودان علىّ أن أتحدث عنهم ، كذلك من حق التاريخ نشر صورة سموكم فى صدر كل كتاب يصدر عن السودان ومن الحظ الحسن أن أحظى بهذا الشرف ، ومن المنن الّتى يجب الشكر عليها أن يؤذن لى بنشرها فهى الفأل الحسن والباعث القوى على رواج هذا الكتاب وذيوعه ، ولا زلت يامولاى عبدكم الخاضع

سعد ميخائيل



الحسيب النسيب السيد السيد على الميرغنى باشا

(انظر صفحة ١٨٦)



صاحب السيادة العظمى السير السيد عبد الرحمن المهدى باشا

(انظر صفحة ٩٥)



صاحب السيادة الشريف يوسف الهندي

(انظر صفحة ١٩٠)

سادتى الزعماء الامجاد . . .

لم أعرف بين الزعماء فى أى الأقطار من توحدت كلمتهم ، واتفقت وجهة نظرهم ، وتجمعت قلوبهم فى خدمة الله والوطن كما عرفت فيكم .

عرفتكم فرادى ، ونعمت بعطفكم جميعا ، وشملتنى عنايتكم سواء ، وهو شرف لا يناله غير القليلين ، أذكره مع الفخر فى موضع الشكر لاعلان ما ميزكم الله به من فضل وخلق كريم .

قضت الظروف علىّ أن أبارح ذلك الوطن الغالى (السودان) منذ خمسة عشر عاما ، ولكننى خلفت فيه روحى ، وركزت فيه خيالى ، ولازال حنينى إليه اليوم كيوم رحلت عنه ، وبرهانى أنى عدت إليه زائراً بعد طول الغيبة فلقيت من الحفاوة والاكرام ما يلقى العائد العزيز إلى أهله .

سادتى — على بعد آلاف من الأميال تصوركم عدسة الخيال كأنكم على مقربة منى ، ويتضح لى ما لكم من نبل ومجد وعظمة ، فتردنى إلى ذكرى المهدى ، وغوردون ، والزبير ، وجميع أبطال التاريخ الذين سجلوا الوطنية والبطولة ، والرجولة الممتازة وطبع اسمهم بطابع المجد والخلود .

سادتى — هذا كتابى أضعه بين يديكم لتتصفحوه فان صادف رضاكم ، فلا عجب فانى (وإن كنت مصريا) ابن السودان وربيبه ، والمغمور بفضله وكرم أهله ، وإذا ظهر عجزى فعذرى أنى رغبت فى وفاء ما علىّ من الدين بنية سليمة ، ولكل امرىء ما نوى ، وإنما الاعمال بالنيات

وسأكون على الدوام المخلص الأمين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سعد ميخائيل

غايتي ....



صورة المؤلف

غايتي من وضع هذا الكتاب أن أؤدي واجباً لمصر والسودان معاً . فمصر وطني الأول حيث ولدت ، والسودان وطني الثاني حيث شببت وترعرعت . أما الخدمة التي أقصدها لمصر ، فهي أن أضع صورة صحيحة للسودان أمام عيني كل مصري ، وأن أحبب له الهجرة إلى تلك البلاد ما استطعت إلى ذلك سبيلاً . وليس ذلك فحسب ، بل لكي أسجل الشاهد الخالد على نصيب المصريين في السودان . لذلك قد أثبت صور أبرز الشخصيات من ضباط عظام وموظفين بارزين ممن ساهموا في نظم الحكم هناك ، ذاكراً بقدر المستطاع ما لاقوه من عناء ، وما بذلوه من جهد ، خدمة للذكرى والتاريخ .

أما السودان فانه لاشك أحوج الاقطار للكتابة عنه والدعاية له ، لأن كثيرين لازالوا يجهلون جغرافيته وفي أذهانهم صور خاطئة عن أهله ومناخه وجوه . وإن من الناس من يتصورونه تصوراً مرعباً فيحسب أهله متوحشون من أكلة لحوم البشر ، والبعض يحسبه مستودع الثعابين والعقارب ، لا بل قد بلغ الظن ببعضهم أن الناس هناك يموتون من شدة القيظ ورداءة الجو .

مثل هذه التصورات يجب أن ينفض غبارها عن الاذهان وأن تعلن الحقيقة صحيحة سليمة خدمة للسودان وفائدة للناس .

هذا الذي اليه قصدت وفي سبيله بذلت كل مجهود ، ولم أكتف بذلك ، فتتميماً للفائدة قد تطرقت إلى عادات أهل البلاد ، فحمدت كرمهم وحسن معشرهم ووداعه أخلاقهم الخ . . . .

لقد وضعت هذا الكتاب وقلمي يستمد مادته من ضميري ، فاذا مالوحظ ما يخالف الواقع أو الذائع ، فهو ما اعتقده دون ملق أو التواء ، وعذري أني أنشر ما عرفت بالنظر القريب والدراسة الوافية والمخالطة التامة .

لقد عرفت السودان كما عرفه بنوه ولقيت من كرم أهله ما أطمعني أن أسجل اسمي ضمن خدامه بوضع هذا الكتاب . ولست أزعم أني وفقت فيه كل التوفيق ، بل الذي أزعمه وأفخر به ، اني لم أدخر جهداً يستطيع بذله أي رجل غيري .

إن للسودان في ذمتي حقاً ، وفي عنقي جميلاً ، وليس من المروءة أن أموت وعليّ دين الوفاء ، وجميل باقٍ بغير أداء . فعسى أن يكون في وضع هذا الكتاب أداء لبعض ما طوقني به السودان من جميل ودين ؟

المؤلف

سعد ميخائيل

كيف تسافر الى الخرطوم؟

وماذا ترى فى طريقك

يفخر كل مصرى بعلاقة وطنه الوثيقة بالسودان ويسميه القطر الشقيق ولكنه يخفى مبعثه الانانية وحدوده العبارات اللفظية . أما النزوح إلى ذلك القطر لزيارته ولمعرفته وللاتصال به فى النواحى العملية فانه بعيد عن الاذهان وعن الرغبات ، لم يفكر فيه أحد ، ولم ينشط اليه انسان ، ولست أدرى مع هذا الركود كيف تتوثق العلاقة بين القطرين الشقيقين ؟ !

هل قصد إلى السودان تاجر مصرى كبير للانتفاع بثروته فى مبادلة التجارة ؟؟

هل نزح إلى السودان غنى مصرى لاستثمار أراضيه الواسعة التى تدر الخير إذا وجدت المال والأيدى العاملة ؟ ؟

هل ذهب إلى السودان بعض رجال الأدب والفنون لنشر الثقافة فى الشعب الشقيق ؟؟

هل بين المصريين والسودانيين روابط حقيقية اجتماعية أو اقتصادية أو أدبية تمكن من التآلف والالتصاق ؟

إذا لم يكن شىء من هذا فى عالم الحقائق الملموسة ، فكيف إذن تكون الأخوة المرجوة وكيف يتم الاندماج ، وبماذا تثبت النعرة ذات الضجة التى تدوى فى الآذان : السودان لنا ! ؟

فى كل صيف يثب الوف من المصريين الى شتى مدن أوروبا

للاصطياف ، ينفقون عشرات الألوف في تلك البلاد الغنية للتمتع بما فيها من أنواع الملاهي والمغريات ، وإذا سألت أحد هؤلاء المترفين « كيف تسافر إلي أوروبا ؟ » حدثك حديث العارف حتى عن الزوايا والاركان .

فهل فكر واحد من هذه الألوف في السفر إلى السودان في الشتاء للسياحة أو للدراسة أو لاتمام التعارف بين الشعبين ؟ ؟ وهل يستطيع واحد منهم أن يجيبك جوابا صحيحاً إذا سألته « كيف تسافر إلى الخرطوم ؟ »

بعد هذه المقاطعة التامة أيصح أن يدعي مصري بأن وطنه والسودان شقيقان ؟

الباعث الهام الذي ينشط للنزوح إلى أوروبا ليست الرغبة في الافادة من الدراسة في أية ناحية من النواحي التي ينشط اليها السائحون ، ولكنه باعث يكشف عنه الانكباب على المغريات ، والانطراح على دور اللهو ، والانصراف إلى صنوف البذخ ، وقليلون هم المرضى الذين ينزحون للاستشفاء .

لو اشتهر السودان بالملاهي وصنوف الملذات لزحف اليه هؤلاء السادة زحفهم الى باريس ، ونيس ، ومونت كارلو ، وفيينا ، وروما ، وبخارست ، ولكن السودان لازال يعصمه عاصم من الدين والتقوى والفضيلة ، وهذه الصفات التي كانت في الماضي مفاخر الأمم وميزان النبل والشرف ، أصبحت في نظرنا دلالة على التأخر في المدنية والبقاء في زوايا الهمجية .

لكم دينكم ولي دين . . . . بقاء السودان محصن بما لاهله من الرجولة والتأدب مع حرمانه من السائحين ، أحفظ لكرامته من اجتذاب الناس اليه بالمغريات التي تتنافى مع الدين والآداب .

حدثونا عما فى اوروبا من الاستهتار نحدثكم عما فى السودان من النبل والشرف والحشمة .

صفوا لنا مايسحركم من بنات باريس ، نصف لكم مايتحلى به بنات السودان من العفة والاعتصام .

عددوا لنا أوصاف الملاهى والمغريات فى أوروبا ، نمدد لكم ما يمتاز به أهل السودان من التعصب إلى الفضيلة والتقوى .

ارسموا لنا مقابر الفضيلة فى عصر المدنية الصاخبة ، نرسم لكم من الاخلاق فى السودان صوراً شتى لمكارمها الحية فى أجلى معانيها.

اشرحوا لنا الحياة المزعجة المليئة بالتهريج فى أوروبا ، نشرح لكم الحياة الهادئة الطبيعية المليئة بمباهج الأرواح فى السودان .

أيها المصريون

لاتقضوا على مابيننا وبين السودان من صلة ، ولا تضعفوا مابيننا وبينه من روابط ، ويخطىء المصرى الذى يحسب نفسه غريباً عن السودان فان الروابط التى بيننا ليست هى ماتقضى به من الجوار ولصق الدار بالدار ، بل أن معظم قبائل العرب فى السودان تمت لنا برابطة الرحم ولها أصول عربية معروفة فى مصر .

فقبيلة دغيم المعروفة فى السودان ، تقيم أصلا فى اسنا بمديرية اسوان . كذلك قبيلة بنى سليم فى النيل الأبيض ، تقيم أصلا فى مديريتى الشرقية والفيوم ، وقبيلتى العبابدة والجمافرة يقيمون فى مديرية اسوان ، كما أن رزيقات دارفور هم أصلا أهل كوم امبو .

كل هذا وما يترتب عليه من وشائج القربى ومن بر والفة ، قليل بجانب الصلات الفكرية والافكار المتقاربة التى طالما حن إلى توثيقها أبناء السودان . فان بينهم شباباً أشد ما يكونون حرصاً على أن يقيموا الدليل على حبهم لمصر والمصريين وحنينهم لوادى النيل وأهله .

أقول ذلك وبين يدى قصائد كثيرة لشعراء من أبناء السودان . يمتدحون مصر وأهل مصر ، فهذا شاعرهم الكبير الاستاذ سعيد العباسى يقول من قصيدة .

مصر وأيام الشبا ب الغض من لى بهما
عرفت فيها فتية فاقوا الزمان هما
زين شباب حملوا مع السيوف القلما

ومن قصيدة أخرى يقول

قرابة آداب واخوان حرفة أصبت بهم من كل عارفة سهما
كرام إذا ماجئت قلت محاسن الا ورى نظمت فى سلك أخلاقهم نظما
هم القوم ان أدع استجابوا وإن أرد معيناً أعانوا إن زمانى بى همّا

وقال شاعر السودان المعروف الاستاذ عبد الله حسن كردى يودع أحد الضباط المصريين وهو يستودعه سلامه وشوقه لمصر والمصريين قال:

ياراحلاً نزجى لمصر ركابه كم فى الكنانة للنزيل جوار
سلمّ على قوم هناك أماجد لهم الفضيلة والكمال شعار

أهراماهم فوق السماء مكانة ... وهم ميامين الورى أخيار
أنى بحيد الفضل عن أوطانهم ... والفضل ليس له سواهم دار
أنى لأذكرهم بقلب واجد ... ماكر ليل أو تلاه نهار
وأحن مثل الثاكلات لقربهم ... وحنين مثلي في البعاد مزار

ومثل هذا كثير لا يقع تحت حصر نختتمه بقول شاعر السودان النابغة المرحوم التيجاني يوسف بشير حيث يتغنى بمصر فيقول .

كلما أنكروا ثقافة مصر ... كنت من صنعها يراعاً وفكرا
جئت في حدها غراراً نخيا الله ... ه مستودع الثقافة مصرا
نضر الله وجهها فهي ما تزداد ... إلا بعدا علي وعسرا
أقاسنا إلفي هوى جمعتنا ... سرحة الفكر أو أواصر كبرى؟

أيها المصريون

إن للسودان عليكم حقاً فهو جزء من بلادكم والهجرة اليه من الواجبات وزيارته بالاخص لذوي الثراء من المحتمات . فاذا شئت أن تمتع نفسك برحلة رائعة لترى بنفسك الجزء الذي لا يتجزأ من وادي النيل ، وأن تستعرض الحق في أمر بلادك ، فسافر الى الخرطوم في شهر نوفمبر وديسمبر ويناير وفبراير . هنالك ترى الحياة الهادئة ، والشمس المشرقة الدافئة ، وتتمتع بالطقس المنعش البديع.

زيارة واحدة الى الخرطوم كفيلة بأن تجعلك أحد زائريها الدائمين فتوفر على نفسك آلاف الجنيهات مما تنفقه في أوروبا على غير جدوى .

إن مجرد التفكير في السفر إلى السودان يلقي الرعب في صدور بعض

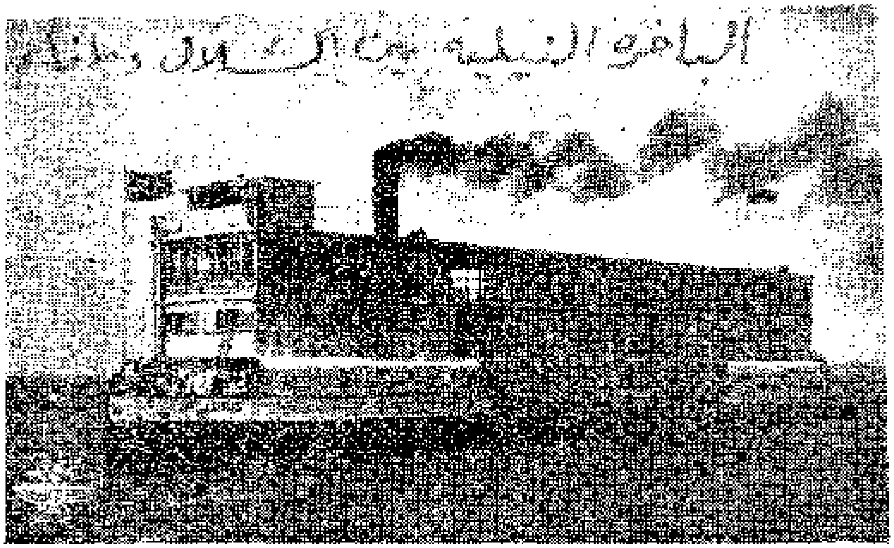
الناس والواقع أنه أبسط مما يتصوره أى أنسان . ففي ميدان توفيق نمرة ٦ فى القاهرة تجد مكتب وكالة حكومة السودان وهناك يمكنك استخراج جواز سفر الى السودان نظير دفع نصف ريال فقط .

ولكي أزيل من نفسك المتاعب التى يلاقيها صاحب الحاجة فى مكاتب أى حكومة أخرى ، أؤكد لك أن ما تلاقيه من كياسة وذوق موظفي حكومة السودان فى وكالتها وأدبهم وادراكهم أنهم انما وجدوا فى هذه المراكز ليكونوا خداما للجمهور ، يترك فى نفسك أثراً طيباً عن نظام حكومتها وهذا يرجع طبعا إلى القدوة الحسنة التى يرونها فى رؤسائهم من الانجليز . ومتى حصلت على هذا الجواز لم يبق امامك إلا أن تحدد يوم سفرك لتحجز لك حكومة السودان محلاً فى وابوراتها بين الشلال وحلفا حيث يجد كل راكب محلاً مستعداً له فلا يتزاحم الركاب كما يحدث فى قطارات السكة الحديد المصرية مثلا .

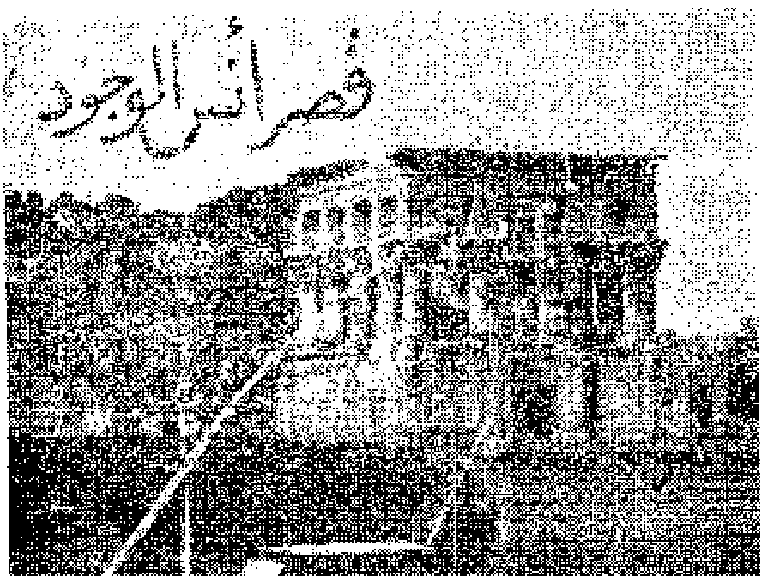
يستطيع المسافر إلى السودان أن يسافر عن طريق السويس فبورتسودان فعطبره ولكن هذا المسافر يفوته الكثير من المناظر الطبيعية البديعة بين الشلال وحلفا ، على أنه يظهر أن الراحة متوفرة عن طريق حلفا ، أكثر مما هي عن طريق السويس كما أن الطريق المألوف إلى السودان والذى يسافر به معظم الناس منذ فتح السودان هو الشلال ، لذلك تعال معى نسافر اليه فى رحلة خيالية عسى أستطيع أن أطبع فى نفسك حب الهجرة إلى السودان أو زيارته وهو ماقصدته بهذا الفصل الطويل .

ولا أحسب أن مصرياً يعوزه الارشاد كيف يسافر الى الشلال ،

إذن فلنبدأ رحلتنا منه . هناك فى الشلال تجد الباخرة النيلية فى انتظارك فيترك شكلها الجميل ونظافتها ونظامها أثراً لا يزول بالسرعة التى يزول بها أى أثر آخر .



ولا يخلو سفرك بين اسوان والشلال من فائدة فهناك ترى قصر أنس الوجود وهو هيكل جميل الصنع من بناء البطالسة والرومان أقاموه لعبادة الاله (ايسس) وكان القدماء يحترمون هذه الجزيرة ويعدونها من أقدس محلاتهم حتى انهم لم يسمحوا لأحد أن يسكنها إلا الكهنة لأنه



يقال انها احدى مدافن الاله (اوسيرس) الذى لم يجسر أحد أن يحلف باسمه باطلاً .

* * *

وقد وصف الدكتور حسين هيكل باشا الباخرة النيلية حيث قال : (الباخرة النيلية بيضاء طريقة فى مظهرها ومخبرها وما أشبه سير بواخر السودان فى مياه مركز الدر بسير سكة حديد فلسطين فى شبه جزيرة سينا) ولا يمكنني أن أصور لك ما تشعر به من الهدوء الطبيعي ، والطقس الجميل ، والباخرة تسير بك إلى الجنوب وفى هذا يقول الدكتور هيكل باشا أيضا (وكلما انحدرت الى ناحية الجنوب وجدت جواً أصح ووجدت سماءً صفواً تلمع نجومها فتضيء فى الليالى التى لا قمر فيها ، حتى لتحسبها مصابيح الكهرباء شدت إلى السماء بخيوط الأمل الساحر : وهى شديدة البريق تبعث إلى ظلمة الليل العبوس ما يزيل عبوسها ويجعل سكينتها تملأ أفئدة المحدقين بالنجم اللامع بمعانى الطرب والجذل . أما الجبال المحيطة بالنهر فهى وان كانت جرداء إلا أنها فى تجردها باسمة أبداً وكأنها تتيه بما وراءها من مخلفات الماضى المجيد بآثار الفراعنة . زاد القدم والبلى صمتها معنى يحدثك أنت ابن اليوم بما كان لحضارة العصور القديمة من آثار فى الفن تخر أمامها آثار الحضارة الحاضرة ساجدة) ولا تسل عما يجد المسافر على هذه الباخرة من الراحة التامة

حدثني أستاذ جليل سافر إلى أوروبا عدة مرات كما سافر إلى السودان قال : (إن الراحة التى يتمتع بها المسافر على الباخرة النيلية والطعام الشهى الذى تمده حكومة السودان فى مطعمها والذى يطهيه الطهاة النوبيون

والعناية التي يعنى بها قسم مرطبات السكة الحديد في القهوة والشاي وخلافه لاتقل مطلقاً عن أفخر البواخر في أوروبا لا بل تمتاز عن تلك بما ينعش نفسك من حسن معاملة القائمين بهذا العمل وأدبهم ونظافتهم إلى أبعد حد)

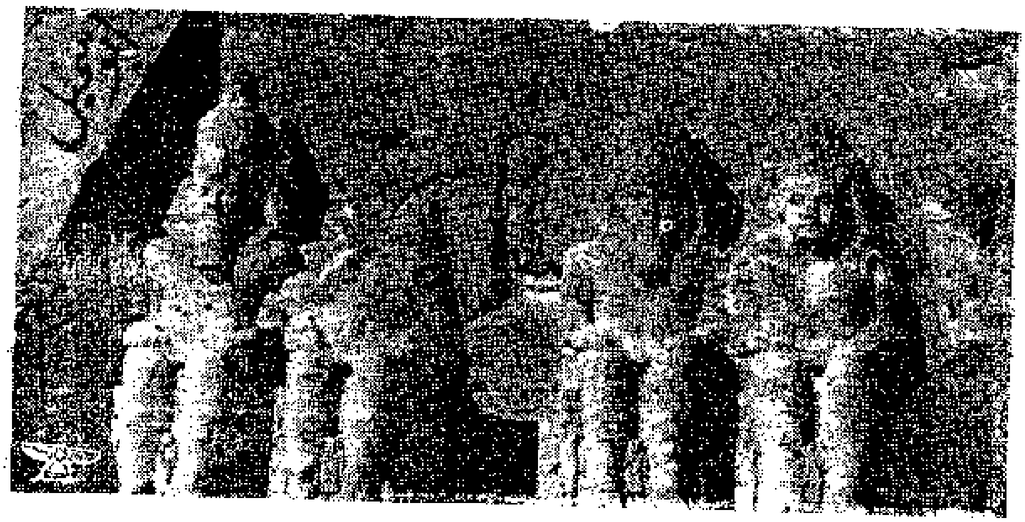
تمر الباخرة بكثير من البلاد الصغيرة التي لاتقف عليها أمثال دبود والكلابشة ، والدكه ، وكرسكو ، وغيرها وغيرها .

وأهم هذه المراكز الصغيرة مركز الدر الذي أصبح اليوم مركز (عنيبة) وهو حصن بديع ومشتى لامثيل له غير أنه يلوح للرائي أنه فقير غاية الفقر فهو جبال وصحاري غير ذات زرع يدل على نعمة القوم ورفاهيتهم .



ولا تقف الباخرة في طريقها الى حلفا إلا بضع ساعات على مركز أبو سنبل (في الشتاء فقط) ليرى السائحون العظمة الخالدة التي تتمثل في معبد أبو سنبل فهناك رمسيس الخالد الجالس على عرشه . والذي يمثل الجلال بكل معانيه ، وقد وقف أمامه تماثيل أربعة للملك العظيم تحدثك بغير فم عما كان عليه أجدادنا من الجبروت والهيبة ، وأبو سنبل على بعد ١٧٣ ميل من الشلال وفيها هيكل منحوت من الصخر في صخور يطل على النيل وهو أعظم الهياكل في بلاد النوبة وأجلها .

ولا عجب أن يتركك هذا المعبد العظيم وما يحيط به من تلال جرداء



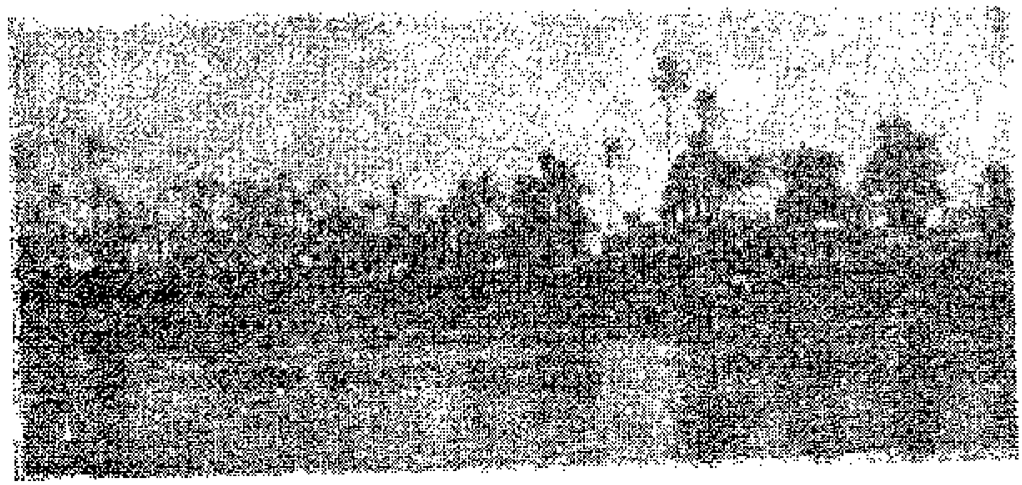
عامر النفس بمعانٍ قلما تشعر بها أو تدور بخاطرك وأنت تشهد آثار هذا الزمن الحاضر المتلىء بعلم المتعلمين ومدهشات المخترعين .

لقد اثقلت على الدكتور هيكل باشا فنقلت من كتابه الكثير فى هذا الفصل ولكن ما الحيلة والدكتور يعتبر أحد كتابنا العظام الذين لاغنى لأى كاتب مهما علا قدره إلا أن يستشهد بما يخط قلمه الساحر فهناك فى أبى سنبل يتمنى الدكتور هيكل باشا أن يجد المصريون سبيلا لقضاء فصل الشتاء فيقول :

(لو أن السبل يسرت للوصول إلى هذا المشتى البديع ، ثم أقيم فيه من وسائل الراحة والنعمة مايطمع فيه من يرغب الاستشفاء ومن يفر من قارس الشتاء لأفادت مصر مركز الدر كثيراً ولاستفاد أهل هذا المركز من مصحهم الشتوى البديع ما يغنيهم من فاقة)

بعد أن تنساب بك الباخرة من أبى سنبل إلى الجنوب لا ترى عينيك إلا شاطىء النيل أخضر تارة ، مجدب طوراً ، ولكنك تتمتع بطقس جاف

وشمس دافئة بديعة قلما تجدها فى أى مشتى من مشاتى العالم . وهكذا تسير بك الباخرة الهوينا بين النخيل المتهدل على الشواطىء والاعشاب الغزيرة ،



صورة النخيل بجوار حلفا

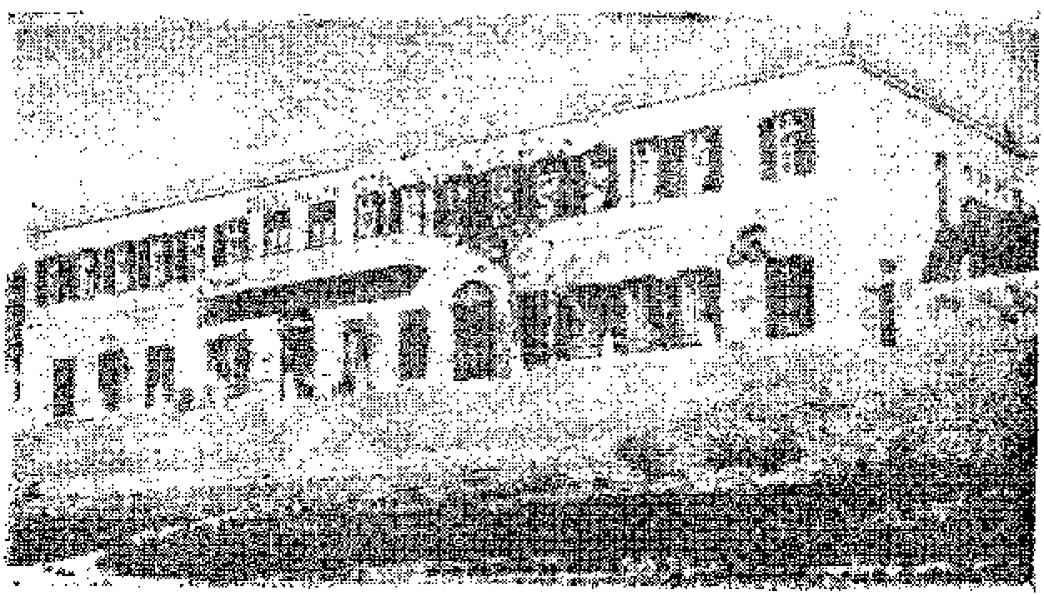
تزيدك الشمس شمس الربيع الزاهية نشاطاً وبهجة الى أن تصل الى حلفا . وحدود حكومة السودان لا يبعد عن حلفا إلا ساعتين فقط عند نقطة فرص وادندان ، وقبل رسو الباخرة على الشاطىء يفتشها طبيب مهمته أن لا تدخل



إلى السودان أوبئة منقولة من قطر آخر ، وهو أول ما يلفت نظرك إلى حرص الحكومة هناك ، وسهرها على مصالح البلاد .

وحلفا التوفيقية مدينة صغيرة جميلة أول مايقع نظرك عليه وأنت فى الباخرة جمال مبانيها ونظامها وهى تقع على بعد ٢٢٦ ميلاً من الشلال وقد سميت التوفيقية ، لأن المغفور له توفيق باشا الخديوى السابق بنى فيها جامعاً لازال قائماً إلى اليوم فسميت باسمه .

ومن أجمل مايسترعى نظرك جمال مديريتها ووضعها الساحر على شاطىء النيل فهى عنوان المدنية .



مديرية حلفا

كما أن فى حلفا فندقاً بديعاً توفرت فيه جميع أسباب الراحة ، يسحرك وقعه ونظافته ، تشرق الشمس فتمتلكه من جميع نواحيه .

جميع الخدم فيه نوبيون أما صاحبه فرومى استوطن حلفا من زمن بعيد وحاز رضاء الناس من وطنيين وأجانب . وفى الصفحة التالية ترى صورة لوكاندة وادى حلفا .



هذه هى المرحلة الأولى من الرحلة البديعة التى أرجو أن لاتفوتك فتصمم على أخذ قسطك منها لا بالخيال بل بالفعل الصحيح .

بعد ذلك تعال نركب القطار الحديدى من محطة حلفا وهى محطة جميلة قائمة على أحسن نظام . أما هذا القطار فهو قطار أبيض وخطه ضيق كما كان



الحال بين الاقصر واسوان فى الزمن السابق لكنك ما تكاد تدخل عرباته حتى يدهشك حسن نظامه ، ونظافته ، ووسائل الراحة المتوفرة فيه . نعم فان

عربات النوم فى هذا الخط الضيق أكثر رحباً واستهواءً من عربات النوم فى مصر . سررها أكثر سعة وغرفها أرحب وبها مقاعد ناعمة مريحة كما بها مروحة كهربائية ومنضدة صغيرة ودولاب لأناء الماء .

ما يكاد القطار يترك حلفا حتى ينطلق بك فى عطمور ابوحمد . وهو رمال لا نهاية لها تمتد أمام نظرك على الجانبين .

يسير بك القطار فى هذه الرمال ما يزيد عن ثلاثمائة كيلو ، لا ترى فيها الا محطات صغيرة تبدأ من نمرة ١ الى نمرة ١٠ . وقد يحسب المسافر انه من المستحيل الحياة فى هذه المحطات لانها لا تحوى سوى بيت الناظر ومساكن صغيرة للعمال القائمين باعمال المحطة . وقد تعجب لاسماء هذه المحطات فهي نمر لا أسماء ، ولا عجب ، فجميع البلاد قد سميت بحسب الوقائع أو الاسماء التى تمت اليها بصلة مما يبقى تاريخاً لمظهر من مظاهر الحياة . ولما لم يكن لهذه المحطات اسماء تتصل بأى تاريخ ، رأت الحكومة ان لا وسيلة لتسميتها الا بهذه النمر . وقد يتعجب القارىء من هذا العطمور الطويل ، ويحسب له الف حساب ، وتخالج نفسه اسئلة غريبة كيف يقضى هذا الوقت الطويل ؟ والجواب على ذلك ان الوسائل كثيرة ، منها تمضية الوقت بالمطالعة زد على ذلك أنك لتجد فى جميع درجات القطار من ابناء البلاد من تروقك مسامرته وتدهشك معلوماته وسعة اطلاعه . ففى الدرجة الأولى تجد منهم الضباط العظام ، والقضاة ، والتجار ، وكل ذى مرتبة كبيرة ، ومكان بارز ، كذلك تجد فى الدرجة الثانية الموظفون والتجار المتوسطون .

لا تكاد تبدأ بمحادثة الشاب السودانى حتى تدهشك طلاقة لسانه ،

وادبه الجم ، وعلمه الغزير ، وتواضعه ، وكرمه ، وخفة روحه ، فما هي الا برهة حتى تشعر فى دخيلة نفسك انك تجالس شخصا تعرفه قبل سنوات مضت ولا تغادر القطار الا وانت آسف لفراقه .

حدثني احد الزملاء من موظفي التلغراف بالمنيا قال (جمعتني الصدفة أثناء سفرى بين مصر والمنيا بشاب سودانى عائد الى السودان وفى شيء من الصراحه لم أأبه له فى أول الامر ، فلما غادر القطار محطة الواسطى شعرت بالضجر والملل ، ولم أر بدا من محادثة هذا الشاب عسى أن يمر الوقت فلم اصل محطة المنيا الا وارتسمت صورة مجسمة فى مخيلتى عن السودان والسودانيين . نعم فقد لقيت من ادب هـــذا الشاب وعلمه ما حبب الىّ السودان . ولم اغادر القطار الا وقد توثقت عرى الصداقة بيني وبينه ووعدته ووعدني بالمراسلة . هذا الشاب هو الشاعر الاديب (محمود افندى انيس) الذي فتح عينيّ لمعرفة السودان على صورته الصحيحة .

على أنه مهما بلغت بك الوحشة من طول الطريق فانك واجد فى محطة أبى حمد تغييراً حيث ترى محطة عامرة بالاهلين وبالبائعين ، والبائعات ، ممن يبيعون (التمر) (والبروش) للركاب ، وهى كثيرة الشبه من محطة الواسطى فى البلاد المصرية ، إذ يتفرع منها الخط الحديدى الى كريمه ودنقلا كما يتفرع خط الفيوم من الواسطى .

وفى الصحف التالية عدة صور مما تراه أو ترى أمثاله فى المحطات بين ابو حمد والخرطوم .










أطفال سودانيين

وهم كما نري قوم على الفطرة من اظهر صفاتهم الايمان بالله والكرم والشجاعة والامانة الي ابعد حدودها .

والآن — وقبل أن أصل بك الى الخرطوم ، دعني أحدثك عن « عطبره » ، وهي أعظم مدينة تقابلك في منتصف الطريق بين حلفا والعاصمة . فمن عطبره يتفرع خط سكة حديد (بورتسودان ـ كسلا)

ولعل اكبر عدد من الموظفين المصريين بالسودان هم المقيمون بعطبره وذلك لوجود ورشة كاملة لوابورات السكة الحديد هناك .

وفي عطبره (نهر العطبره) الذي يفيض ماؤه في بعض شهور العام وعليه أقيم كوبري وهو الذي يمر عليه القطار الذي يسافر الى الخرطوم .

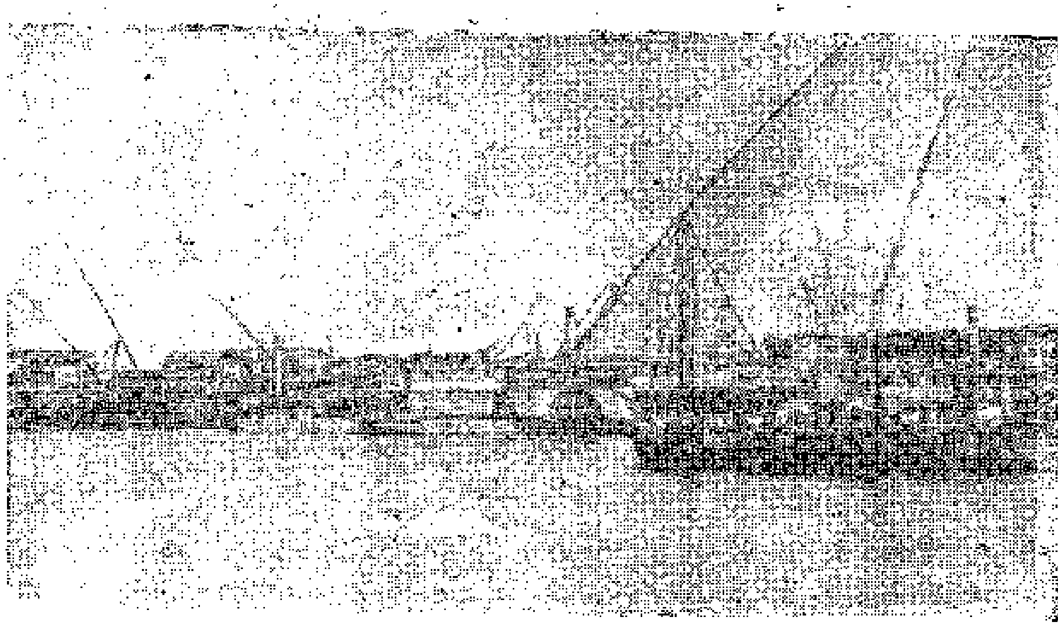
وفي الزمن الماضي ، أي قبل سنة ١٩٢٤ كانت مقر أورطة السكة الحديد المصرية وبعض رجالنا الذين ساهموا في نظم الحكم هناك امثال اللواء محمد باشا فاضل ، واللواء على باشا شوقي ، وحسين بك الفلاح وغيرهم من الضباط المصريين . ولا زال حتي اليوم يمثل مصر فيها نخبة من الموظفين المصريين ممن نري صورهم وترجمة حياتهم في الفصول المقبلة .

وللمصريين هناك نادٍ يجتمعون فيه ويقيمون فيه حفلاتهم كلما سنحت الفرص . نسير بعد ذلك من عطبره بالقطار حيث تقابلنا الدامر فشندي وهما منطقتان من أهم مناطق السودان . فالأولى مديرية عامرة بالسكان وتستطيع في محطتها أن تشترى ما تشاء مما يعرضه البائعين والبائعات .

وفي هذه المنطقة (الدامر — شندى) يزرع القطن . وهو كالقطن المصرى يروى من ماء النيل الرئيسى ، فما كان من زراعة الاهالى فترويه

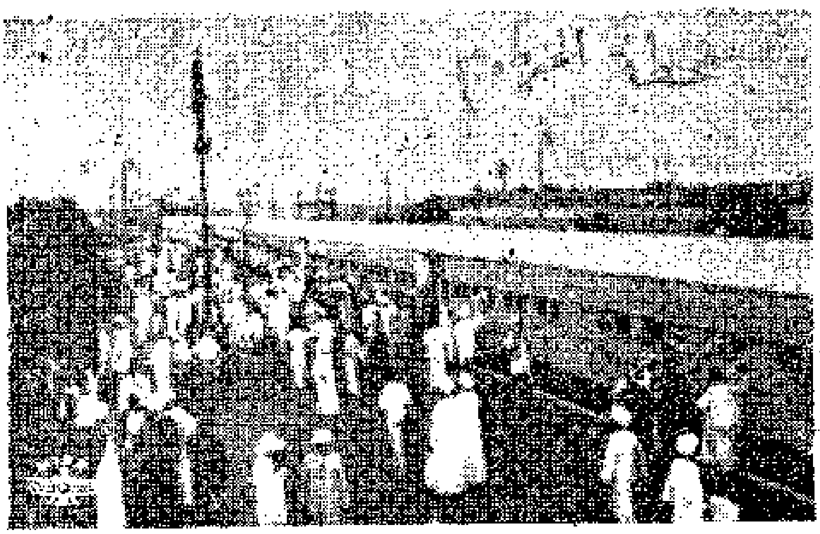
بالسواق ، وما كان من زراعة الشركات فتروية الآلات .

يمر بك القطار على كوبرى الخرطوم بحرى وهو كوبرى عريض



الخرطوم بحرى

يتسع للقطار وللترام والراكبين والراجلين ثم يلتوى القطار بعد ذلك ماراً بين كلية غوردون (من الخلف) ومدارس الخرطوم المختلفة عن اليمين ، ومعسكرات الجيش البريطانى عن الشمال ، ويتابع التواءه حتى يصل محطة الخرطوم



محطة الخرطوم

وما تصل محطة الخرطوم حتى يقع بصرك على كلية كتشنر الطبية ثم معمل ستاك التذكارى وبعض المبانى الفاخرة التى تقضى على الوحشة التى تكون قد تملكت نفسك بعد هذا السفر الطويل .

وأول ما يملأ نفسك بهجة وسروراً وانت تمر من محطة الخرطوم الى المدينة ، مرورك بنادى خريجى المدارس والنادى المصرى فهما عنوان الفضل والمجد هنالك .

تدخل الخرطوم وهذه الصورة تملأ نفسك فما تزال أن تزداد برؤيا الحدائق الظريفة المنسقة ، فى شوارع متسعة ، تزيد بعضها عن الخمسين متراً ولا ينقص واحد منها عن الثلاثين . مبانيها منتظمة تمام الانتظام تزينها نور الكهرباء والمياه جارية فى كل منازلها والترام يشق المدينة .



مدينة الخرطوم

وقد اشتق اسم الخرطوم من صورة النيل الازرق الملتوى التواء

خرطوم الفيل . تجمع الخرطوم من وسائل النعمة ما لا يجتمع في غيرها من المدن ولا عجب ، فقد توفرت فيها الحدائق الغناء ، وأماكن النزهة والرياضة وفيها المجتمعات الزاهية الزاهرة ، وكل ما يجلو صدأ النفس ويطرد هموم القلب فهي على العموم بسّامة جذّابة .

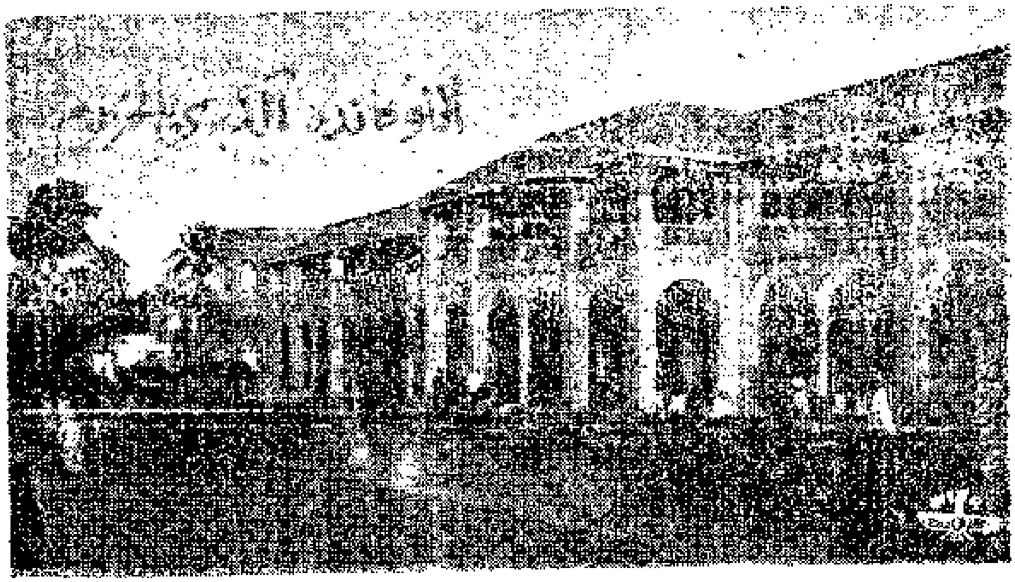


وهذا شارع البحر ، ما تمر به إلا وتمتلىء نفسك بهجة بهذه الاشجار الكثيفة التي تعنى بها الحكومة كل العناية . تمر على جنينة الحيوانات أولاً



ثم تقع عينك على أفخر المباني التي أعدت للموظفين الانجليز تحيط بها

الحدائق الجميلة ، ثم بالكنيسة القبطية ، ثم ترى اللوكاندة الكبرى وهى تعتبر

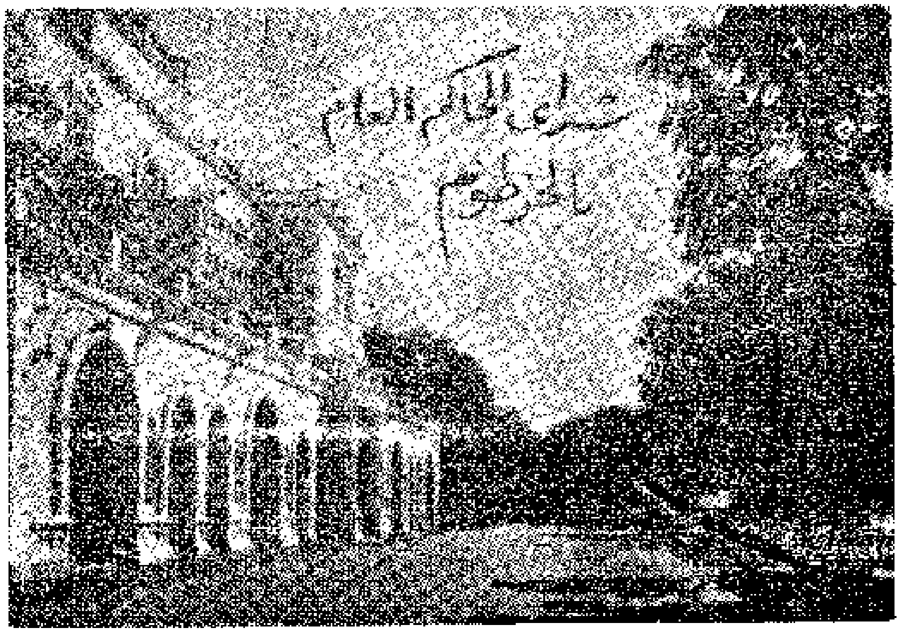


فى طليعة اللوكاندات الجميلة التى يؤمها السائحون فى فصل الشتاء ، ثم قصر السير السيد على الميرغنى باشا البديع ، وما تتمشى إلى الجهة الشرقية وانت تتنقل بين تلك المبانى حتى ترى عينك البناء الذى أعد لادارة القوات المصرية بعد عودتها إلى السودان ، وقد كان قبل خمسة عشر عاماً مركزاً عاماً لادارة البوستة والتلغرافات السودانية . وعلى قيد مئتى مترا أو نزيد ، ترى البناء الشامخ المعد للادارة المالية وادارة الأمن العام وغيرها من ادارات الحكومة



يتقدمه تمثال كتشنر كما ترى فى الصورة .

وما تتقدم سائراً إلى الجهة الشرقية أيضاً ، حتى ترى سراى الحاكم العام



وهى كما ترى على طراز أوربى محض، جمعت بين معانى التنسيق والجمال مايتفق مع مركز الحاكم هناك . يحرسها جنود بريطانيون ويحيط بها حديقة تزيد مساحتها عن الثلاثين فداناً ، تشبه فى تنسيقها الفنادق الكبرى فى مصر أمثال Winter Palace فى الاقصر وأمثالها . ثم تمال بعد ذلك نسير فى المدينة لترى السودان الصحيح ، ففى الشارع العمومى الذى يمر به الترام من وإلى المحطة الوسطى أعظم المبانى الجديدة التى تزين المدينة ؛ والفنادق الفاخرة ، والقهاوى الافرنجية العامرة . وفى ميدان الجامع ترى القهاوى البلدية وترى فيها المئات من أبناء السودان (وهم من طبقة الخدم والعمال) . ترى المئات منهم فى زى واحد ، عمامة بيضاء ، وجلباب أبيض ، وحذاء ، وهم فى غاية النظافة والهندام ، حتى ليدهشك هذا المنظر المتناسب المتناسق . والسودانى ميال إلى النظافة بطبيعته ، فأحقر الخدم لايبارح منزله إلا وقد

اكتمل هندامه، وراق منظره ومظهره، تأخذ ملابسه وهى لا تتعدى القميص والسروال والعمامة نصيبها من الكى والتطهير، وحذاءه من التلميع التام. لا يقع نظرك عليه وهو فى هذا المنظر الرائع، إلا ويدفعك دافع لاحترامه والاعجاب به ثم تمر بميدان الجامع بالكثير مما يأخذ باللب، فسوق الخضار واللحوم، والفاكهة ثم الجامع الكبير وما تتعدى هذا الميدان حتى ترى سوق المدينة الوطني وكان فى الماضى اسمه (سوق القش) وهو حوانيت الصناع والباعة وترى جماعة السودانيين جلوسا وأمامهم صناعاتهم من المنجريات والاحذية والجلود وغيرها من الصناعات الوطنية التى تستلفت نظرك وتسترعى لبك.

ولا بد لى من أن اختصر لئلا ينال هذا الفصل أكثر من المقرر له. فللخرطوم جمالاً، وللحياة بها روعة، ولعل الانجليز أول من عرف كيف يجعل الحياة فى الخرطوم مليئة بكل معانى النعمة والرفاهية، فقد جعلوا فى حدائق منازلهم ملعباً للتنس، واقفاصاً للطيور والحيوانات الاليفة كالغزال والببغاء، ولم يكفهم ذلك، فقد أقاموا لكرة القدم ملاعبا كما اقاموا ميدانا للسباق بخارج المدينة، والخرطوم كما تعلم مدينة جديدة لا تزيد عمرها عن الاربعين عاماً. هذا الذى يجعل النازل فيها لا يشعر بمعنى الحياة الوطنية بكل معنى الشعور.

فاذا شئت أن تعرف شيئا من ذلك فتعال معى إلى (الديم) حيث المبانى هناك عبارة عن (تكلات) مبنية من الطين بشكل اسطوانى، وسقوفها من القش المضفور، والديم يبعد عن الخرطوم مدى غير قليل. يعيد الى ذاكرتك العزب والضواحى التى يقطنها أهل الريف فى مصر، والناس هناك فى مظهرهم أقرب الى الفاقة منهم إلى النعمة، ومع ذلك فلا تفوتهم اقامة حفلات

الطرب والغناء فى ملاهى المريسة (١) والانديات (٢) وانت تراهم مع هذا الفقر ، دائمى الانشراح يملأ نفوسهم الاغتباط الدائم .

ولست أستطيع أن أقفل هذا الفصل قبل أن أذهب بك إلى أم درمان لترى عاصمة السودان الثانية وهى بلد سودانية بحته . تعال نركب الترام اليها ، فما أكبر الفارق بينها وبين الخرطوم !

يمر بنا الترام فى طريقنا من محطة الخرطوم الوسطى ، بالحقانية وكنيسة الاقباط ، وحديقة الحيوانات ، الى أن يصل إلى المقرن فيعبر الكوبرى إلى



أم درمان ، ولا تصل اليها حتى تدرك إنك فى بلد سودانية حقاً . ان ما فى أم درمان من منازل ومتاجر يزيد عن الخرطوم بكثير ، ولكن ما أبعد الفرق بين المدينتين ؟ الأولى انجليزية بحتة ، والأخرى وطنية بحتة.

ومع أن المسافة بين البلدين لا تزيد عن النصف ساعة ، فانك ترى تغييراً ينسيك أنك على مقربة من الخرطوم .

---

(١) المريسة هى نوع من الخمر السودانى يعمل من الاذرة المخمرة تماثل البوظة فى مصر وهي كثيرة الشيوع هناك إلى أبعد حد . (٢) الأنداية هي الحانة التى تعمل فيها المريسة وتكون فى الغالب صاحبتها امرأة عجوز وهذه الحانة يرخص لها من السلطة الحاكمة .

ترى الناس فى أم درمان ، وترى المبانى فى أم درمان ، فتدرك أنهم لازالوا يعيشون عيش البداوة كما كانوا فى عهد المهدية ، فاذا مررت فى سوقها الوطنية ، رأيت البائعات فى أجمل صور الوداعة .



بائعات فى أم درمان

وترى بائعات الفخار يبعنه بأثمان دون ثمن التراب فمن (برمة) بنصف قرش أو (كنتوش) بقرش واحد . ثم ترى من الصناعات الوطنية بين



دبغ الجلود ، وصناعة العاج ، وسن الفيل ، والروائح العطرية ، ماتعرف منه الفارق بين البلدين ، ومع كل هذا فان لأم درمان حياة المدنية فى بعض النواحى ،



ففيها مسجد عظيم على طراز حديث . وفيها نور الكهرباء ، والترام ، يشق المدينة ثم السينما التى أنشأها أخيراً الاستاذ قديس عبد السيد لذى كان مأموراً لبريد السودان وأحيل إلى المعاش . إلى جانب كل هذا فانك ترى مظاهر نشاط السودانيين أنفسهم ؛ فالسودانيون فى هذه المدينة السودانية ليسو كأمثالهم فى الخرطوم ، ولعل ذلك يرجع إلى أن هؤلاء يلتئمون مع جو بلادهم فليس بينهم وبين الهيئة ؛ الحاكمة أى رباط كما يرتبط السودانيون القاطنون فى الخرطوم . وهم دائمو البهجة والاغتباط لشعورهم بهذه الحرية . كرام فى منازلهم وخارجها ، يشعر اصحابها أنهم فى بلدهم ، وأن الغريب بينهم نازل عندهم منزل الصديق العزيز وأنه فى حمايتهم .

*
* *

الآن وقد وصلنا إلى عاصمتى السودان ، وجلنا فيهما هذه الجولة ، ألا يدركك الحنين أن تزور بلادك بنفسك لترى بعينيك هذه الربوع الجميلة ، ولكى يحق لك أن تقول بملء فمك (السودان لنا) ؟؟

آراء الأمراء والعظماء

عن السودان

سمو الأمير عمر طوسون : في هذا الميدان لا يجارى سمو الأمير عمر طوسون مجار ، فهو بحق صديق السودان والسودانيين والعامل الأول على توثيق صلة القطرين الشقيقين . فطالما دبج قلمه المقالات والمذكرات بشأن السودان ، وطالما أرسل النداءات في صدد العلاقات القديمة والحاضرة بين مصر والسودان ، كما أن سموه لن يتردد في بذل المعونة المادية لكل ما هو خاص بالسودان ، ففي جهات البر والعلم له أعظم يد ، وفي المعابد والمساجد له أبرز أثر ، كما أن لسموه مكتباً خاصاً من أبرز واجباته التنقيب لكشف ما خفي من تاريخ السودان ورجاله وعلاقاته بمصر . وأهم ما يهم سموه أن يعيش السودان سعيداً ويحيا السودانيون حياة غبطة ورفاهية ، فلا عجب إذن إذا قدر السودانيون بره بهم وحبه لهم، فأحلوه من نفوسهم المكان الأول، ودعوا له ، ولهجوا باسمه وذكره ، وقدروا كرمه وسخاءه حتى إذا أرادوا نعت رجل بالكرم قالوا (هو طوسون السودان)



سمو الأمير عمر طوسون

وكما بذل سموه المعونة للجمعيات الخيرية والأندية والمساجد ، كذلك قد عضد الأدباء والشعراء وآزر المؤلفين بالأخص فيما يختص بالسودان وفي ذلك يقول سموه (فعلينا أن نرحب بكل جديد من التآليف التاريخية وأن نشكر مؤلفيها ونثني عليهم) . أما وجهة نظر سموه وآراءه الخاصة بخصوص السودان، فعلى الدوام توثيق عرى الصداقة بين القطرين، والاحتجاج على كل يشتم منه رائحة فصله عن مصر . مستيقظ لكل صغيرة وكبيرة لا تفوته حركة من حركات الاستعمار إلا عارضها ونبه القائمين بالحكم عنها.

من ذلك ، ما كتبه سموه في خطابه بتاريخ ٣ مايو سنة ١٩٢٣ لصاحب الدولة المغفور له حسين رشدي باشا رئيس لجنة الدستور يومئذ يوجه نظر دولته الى أن السودان يجب أن يكون ضمن حدود البلاد . قال بعد العنوان.

(أن لجنة الدستور التي ترأسونها دولتكم يجب أن يكون عملها مطابقاً لرغبات الامة ، ومسألة السودان من أمهات المسائل الشاغلة للرأى العام المصرى ، وكان الواجب على الوزارة الحاضرة أن تحصل على الاعتراف ببطلان اتفاقية السودان سنة ١٨٩٩ وأن تجعل حل هذه المسألة من الشروط الاساسية التي لا يمكن تشكيل الوزارة قبل البت فيها . فاذا كان هذا قد فات الوزارة مع مزيد الاسف ، فلا يصح أن يفوت دولتكم وحضرات اخوانكم أعضاء لجنة الدستور . لذلك جئت بخطابي هذا مذكراً دولتكم بوجوب اعتبار السودان ضمن حدود البلاد كما كان قبل الاحتلال ، ووجوب تشكيل مجلس نوابنا من المصريين والسودانيين على حد سواء حتى يجلس نواب اخواننا سكان السودان المصرى مع زملائهم سكان الوجهين البحرى والقبلى

ويعمل الجميع للمصلحة المشتركة التي لا انفصام لها واقبلوا فائق احترامي) .

ألم تر أنه خطاباً تاريخياً يجب أن يحفظه المصريون والسودانيون على ظهر قلوبهم ؟ ؟ ومثل هذا كثير يربو عن العد أو الحصر فقد أرسل سموه خطاباً تاريخيا الى جريدة التيمس نشر في جرائد مصر في ٢ سبتمبر سنة ١٩٢٧ وفي هذا الخطاب بين سموه بغاية الصراحة حق مصر في السودان وملكيتها له بغير منازع مؤكداً بالبرهان أن مصر فتحت السودان وحدها سنة ١٨٢٠ حيث حفظت نفوذها وسلطانها عليه اثنين وستين سنة .

كذلك كتب خطابا لرفعة محمد محمود باشا بتاريخ ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٨ على أثر خطبة رفعته في المنصورة التي قال فيها أن منطقة السدود يقع بعضها في السودان وبعضها في الاملاك البريطانية ؛ فنبه سمو الأمير الي صحة ذلك حيث قال (أن منطقة السدود المذكورة جميعها داخل ضمن حدود السودان المصرى القديم حسب ما كان عليه قبل الثورة المهدية) لذلك لا يسع أى انسان إلا الاعتراف لسموه بشدة اليقظة في كل أمر يتعلق بالسودان .

كذلك كان لآراء سمو القدح المعلى في مقترحات هندرسون سنة ١٩٢٩ وما يتعلق باتفاقية ١٨٩٩ إذ قال ما معناه :

(فلو أن انجلترا كانت صادقة النية في احترام اتفاقية ١٨٩٩ لكانت أرجعت السودان المصرى إلى ما كان عليه قبل الثورة المهدية واجازت تعيين وكيل مصرى للحاكم العام يتبادل الحكم مع الحاكم لمدة خمسة سنوات ، ولأعطت للمصريين حق المناصفة في الوظائف مع البريطانيين ثم ساوت

عدد جنود مصر بالانجليز . ولو شئت أن أكتب كل ما أعرف عن مواقف سموه الخاصة بالسودان لضاق نطاق هذا الكتاب .

لهذا أكتفي ذاكراً بالفخر أن سموه قد أذن بنشر صورته الكريمة في صدر هذا الكتاب ، وقد أمر سموه بأمناء دائرته فأرسل الى طرداً من مؤلفات سموه وقد قرأتها كلها بامعان تام ولقيت فيها من الابحاث القيمة ما يقف القارىء أمامه متعجباً أدام الله سمو الأمير ذخراً للبلاد .

* * *



الزعيم سعد زغلول باشا

دور سعد زغلول باشا :

من أنصع الصفحات وأبقاها في حياة المغفور له زعيم مصر الخالد سعد زغلول باشا صفحة القومية بل لعلها الصفحة التي خط عليها كتاب مجده .

ولا يجهل أي مصري ما كان لدولته من المواقف الوطنية الجريئة فقد وضع مسألة السودان في المحل الاول وطالما بحثها بحثاً يدل على رجاحة عقله ووطنيته المتأججة ، فقد كان أول مفاوض مصري جعل استقلال مصر والسودان نصب عينيه في سياسته ، ومفاوضاته ، فمنذ

تزعمه للحركة الوطنية ونحن نراه فى منفاه ، وفى زعامته للثورة ، وفى رياسته للحكومة ، عاملا على ارجاع الحالة إلى ما كانت عليه قبل اتفاقية سنة ١٨٩٩ .

كان على رأس أول وفد ، ولا زالت المذكرة التى أرسلها لانجلترا والدول حين كان فى باريس يرن صداها فى الآذان حيث قال (إذا كان المصريون يطلبون ارجاع السودان اليهم فليسو مدفوعين لذلك بحب التوسع والاستعمار ، وانما هم يطلبون باسم الحق ، واحتفاظاً بكيانهم الوطنى ، فقد كان السودان منذ الازمنة الغابرة جزءاً متمماً لمصر . وإذا كان قد فصل عنها فى وقت من الاوقات ، فان مصر وهى مستقلة استقلالا اداريا ، جعلت فى مقدمة واجباتها وأعمالهـا اعادته إلى حظيرة الوطن الاكبر . على أن المسألة ليست مسألة قانون أو مسألة تاريخية فقط ، بل أن مصالح مصر والسودان مرتبطة بحكم الطبيعة ارتباطا يجعل البلدين كلا منهما متمماً للآخر وكلا منهما فى حاجة إلى الثانى ليستطيع الحياة والتقدم والرقى . فاذا تسلطت دولة أجنبية على السودان كانت مصر التى لا تعيش الا من النيل عرضة لافدح الاخطار .)

وفى محل آخر من المذكرة المذكورة يقول دولته (على أن سكان السودان من جهة أخرى ينتفعون كثيراً من اتصالهم بالمدنية المصرية التى لا يوافقهم سواها . فهم يعتبرون مصر بمثابة اختهم الكبرى التى يتكلمون لغتها ويرتاحون لنظمها وأخلاقها .)

وتكفى زعامة سعد وحدها لتقرير موافقة المشرفه ووطنيته البارزة . وكما كان سعد مخلصاً فى رياسة الوفد وزعامته ، كذلك كان مخلصاً اشد الاخلاص فى رياسة الحكومة التى من خصومه فى البرلمان المصرى احراجا

لا يحتمله ولا يواجهه غير سعد ، كما لقى من الخصوم الانجليز بتصريحات رجالهم المسؤولين أشد الاحراج لتمسكهم بالسودان كأنه جزء من الامبراطورية البريطانية . فلما صرح اللورد بارمور باسم حكومته أن الحكومة البريطانية لن تترك السودان باى حال كان ، أجاب سعد فى البرلمان المصرى اجابة تردد صداها فى كل الاقطار . أجاب اجابة الزعيم الذى يرى الحق فى جانبه فلا يغمض عينه عنه . وقد كان جوابه أقوى واصدق من تصريح اللورد إذ قال بكل شجاعة (انى بالنيابة عن الشعب المصرى جميعه وفى حضرتكم الموقرة أصرح بأن الأمة المصرية لن تتنازل عن السودان ما حييت وما عاشت . ان حقوق الأمم لا تضيع بمجرد أن يقول الغاصب انى اريد أن اغتنم بها دون اصحابها . نعم أيها السادة لا يمكننا مطلقاً أن نتنازل عن السودان لا لأنه مستعمرة ، بل لأنه جزء من كياننا ، بل لأنه منبع حياتنا ، بل لأنه لا يمكن لمصر أن تعيش بدون السودان .

وفى خطبته المعروفة خطبة ١٣ يناير سنة ١٩١٩ قال (مصر والسودان كلٌ لا يقبل التجزئة . السودان ومصر اخوان يشربان الماء من نهر واحد ويتكلمان لغة واحدة ، ويدينان بدين واحد ، وانه لمن المستحيل على مصر أن تحيا بدون السودان) .

ولم يقلل وجود سعد باشا فى الحكم من حدة وطنيته مع علمه أن ذلك لا يرضى الانجليز وهذا هو تصريحه فى مجلس النواب بسبب حوادث السودان سنة ١٩٢٤ اذ كان رئيساً للوزارة حيث قال (تحركت مسألة السودان اليوم ولم تكن الحكومة مستعدة لأن تقول رأيها فيها ، ولكني مع ذلك يمكنني

أن أصرح لحضراتكم بأن الحكومة تشاركم كل المشاركة فى شعوركم بالنسبة للسودان (استحسان وتصفيق طويل) بل تنظر بعين المقت لكل عمل من شأنه أن يفصل السودان عن مصر)

واذا لم يكن لسعد سوى موقفه ازاء الانذار البريطانى حيث استقال من الحكم ، لكفاه ، وهكذا ظل سعد طول عمره يقرع الحجة بالحجة على أن السودان هو مصر ومصر هى السودان الى أن قضي وهو يؤمن بذلك رحمه الله رحمة واسعة .

* * *

رفعة مصطفى النحاس باشا : كان مرافقاً لسعد باشا فى كل أدوار القضية المصرية ، ولا عجب أن يكون خليفته فى زعامة الأمة ورئاسة الوفد .



كان السودان هو الصخرة الوحيدة التى طالما ارتطمت بها سفينة المفاوضات بينه وبين الانجليز . حتى لقد قال يوم فشلت مفاوضاته أنه يفضل أن تقطع يده قبل أن يتقدم لامضاء مثل هذه المعاهدة، وقد وقف موقفاً يذكره التاريخ بالفخر لمصر ولأبنائها ، وهو أشرف موقف عرفه له تاريخ مصر الحديث

ومن الكلمات المأثورة التى قالها رفعته صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا (لن أرضى أن أبيع السودان بالمنح التى عرضوها علينا فى مصر) وهكذا ظل

النحاس باشا يدأب فى كل ما هو خاص بالسودان . ومما يذكر بالفخر لرفعته أنه حين تبوأ كرسى الوزارة سعى لرجوع الضباط السودانيين الذين ابوا أن يحلفوا يمين الطاعة لغير جلالة الملك مصر على أثر خروج الجيش المصرى من السودان . فردلهم أقدميتهم ورتبهم وأعادهم الى خدمة الداخلية مرفوعي الرؤوس موفورى الكرامة يشهد لهم التاريخ بالبطولة والاخلاص لمليك البلاد كما يشهد لرفعة النحاس باشا بتقدير الرجال ووزنهم بميزان اخلاصهم وتفانيهم فى الوطنية .

كذلك وفق رفعته إلى استصدار عفو شامل عن الضابط السودانى الباسل السيد فرح وكان محكوماً عليه بالاعدام من حكومة السودان أثر حوادث الخرطوم المشؤومة عام ١٩٢٤.

كذلك استطاع أن يرغم حكومة السودان على ارسال الزعيم الباسل على عبداللطيف لمعالجته فى مصر بعد أن كانت حكومة السودان عاقدة النية على أن يحيا ويموت فى سجنه .

وهو صاحب اتفاقية قصر الزعفران سنة ١٩٣٦ وهى اتفاقية الصداقة بين مصر وانجلترا . التى انهت برجوع الجيش المصرى الى السودان ، والتى حققت النظرية المصرية الى ابعد حد فى امر استقرارها . فانك لتلمس فى هذه الاتفاقية الكثير من المزايا الي غابت عن المصريين ردحاً من الزمن أهمها تسهيل الهجرة الى السودان ، وانشاء المدارس على غرار مدارس مصر ، وتعيين مصريين فى أهم الوظائف الرئيسية كمفتش عام الرى ، والخبير الاقتصادى ، ومساعد السكرتير القضائى وغيرهم وغيرهم . كما سعى للتساهل

فى أمر الهجرة فاصبح النزوح إلى السودان ميسوراً بعد أن كان مستحيلا . ولا يسع المؤرخ الصادق الا أن يقرر أن النتيجة الباهرة التى وصل اليها رفعته فى معاهدة الزعفران هى أفضل ما يمكن أن يصل اليه مفاوض مصرى مع ما هو معروف من تمسك انجلترا بالسودان .

رفعة على ماهر باشا : ان من الفأل الحسن ان يطبع هذا الكتاب ورفعته يتنقل فى ربوع السودان بين مظاهر الحفاوة والاكرام . حقا ان على ماهر باشا شخصية الجيل ورجل الساعة ، وما حياته إلا كتابا يقرأ . ففى كل صفحة من صفحاته مجد ماثل ، وامثولة بالغة ، فلا عجب أن يسمى رفعته (رسول الامتزاج والوحدة)



صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا

هو رجل عملى : يدرس موضوعه ثم يقدم على تنفيذ ما رسمه فى خاطره إقدام الحاسم البات النهاز للفرص ، وإقدام المسئول عن كل مخاطات الدولة ، فلا يهيب أن يعالجها كلها ، وأن يصفيها كلها ، وكأنه

يربأ بواجبه أن يخلف وراءه تركة معلقة يحمل عبئها من يأتي بعده .

زار السودان شخصياً وتجشم السفر الى تلك الربوع النائية ؛ وفى هذا ما فيه من تقريب وجهة النظر بين القطرين ، وتوثيق الروابط بين الشقيقين ، ولا عجب فالذين يعرفون رفعته ، يعرفون أنه رجل عمل لا قول ، فهو لا يفاجيء بغير نتائج عملية ملموسة . ولا شك أنه انتهز الفرصة فى هذه الزيارة المباركة لتسوية بعض الامور التى ظلت معلقة طوال السنين الماضية .

لقد زار السودان فأعطى باليمين وبالشمال ففرج عن الفقراء ، وأعان المنشئات ، ووهب للمساجد ودور العلم . حتى بلغ ما تبرع به فى سبيل الخير لرفاهية السودان حوالى اربعين الفاً من الجنيهات .

لقد احتفى السودان من أقصاه إلى أقصاه بوزير مصر الأكبر ، فبرهن على حبه لمصر والمصريين ، وبرهن على أن آية النيل من أقوى البراهين على صلة القطرين وأن القلب الذى يخفق فى مصر ، يخفق أزاءه قلب فى السودان .

هتف السودانيون باسم ملك مصر والسودان من أعماق قلوبهم ، وأقاموا شعائر الاخلاص لعرش مصر المفدّى وملك مصر العظيم فى شخص كبير وزرائه ، فلا عجب اذن أن يخاطبه الشاعر السودانى حيث يقول :

قضت السياسة ياعلىّ كما قضى ذو العرش انك فى الحقيقة ماهر
فاجعل من القطرين شعباً واحداً من فوقه علم المودة ظاهر

كان يرافق رفعته وزيرى الدفاع والأشغال ولا أدرى هل هى الصدفة أم حسن الاختيار التى جمعت بين الثلاث أقطاب فى هذه الزيارة ؟؟ فالأول

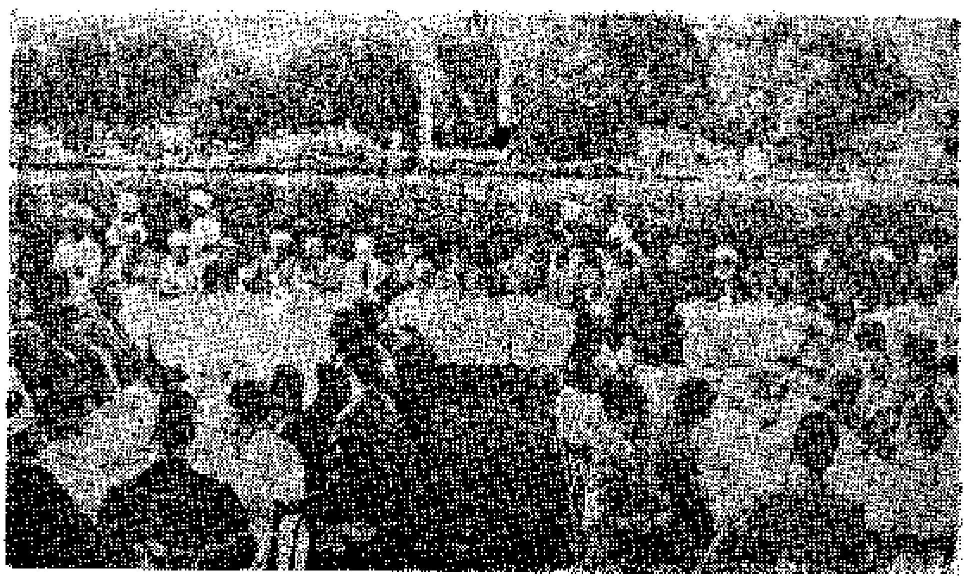
وهو الرئيس نجل المغفور له محمد ماهر باشا مدير كوردفان ودارفور سابقاً وهو من أبرز رجال مصر الذين خدموا السودان والذين برزوا من فجر حياتهم، والثاني وهو معالى اللوا صالح حرب باشا ينتمى الى السودان والى شعبه الكريم منذ نشأته أما الثالث وهو معالى عبد القوى باشا فقد أقام هناك سبع سنوات كان مفتشا عاماً لرى السودان وكان أصلح سفير لمصر هناك.

لقد أتم على ماهر باشا بزيارته للسودان كل عجز لم يستطع اتمامه من سبقوه فى الحكم. نعم فان رئيس الحكومة المصرية هو المشرف على القطر من ثغره الى سودانه، وما الحاكم العام الا موظف مصرى للحكومة البريطانية قسط فى انتخابه وتعيينه. امتاز رفعته بانه أول وزير مصرى يدير دفة الدولة بهذا النشاط السياسى. وليست هذه الروح التى يسعى لبثها على ماهر باشا حديثة، كلا. فقد بدأ اهتمامه بالسودان من زمن بعيد. فمن عطف رفعته على السودان، وتقريبه الى السدة الملكية تعيين القائمقام عبد الله بك النجومى ضمن ياوران صاحب الجلالة مولانا الملك (والنجومى بك كما هو معروف ابن الزعيم السودانى «ود النجومى» المعروف فى تاريخ السودان) — وليس ذلك فحسب. فقد تفضل جلالة الملك فاصدر امره الكريم بتوجيه الدعوة فى تشريفات عيد الاضحى الى

لفيف من السودانيين المقيمين فى مصر من كبار التجار والعلماء ، وطائفة من الشباب المثقف ، وخمسة وثلاثين ضابطا سودانيا . وهذه فاتحة خير وبادرة لم نألفها فى غير حكومة على ماهر باشا .

ولست اشك وأنا أكتب هذه القطعة ان زيارة رفعته الى السودان ستحدث تغييراً محسوساً فى العلاقات بين القطرين ، وان المصريين عموما والسودانيين خصوصاً سيذكرون هذه الرحلة المباركة ذاكرين بالخير وزير مصر الاكبر ، داعين لجلالة الملك فاروق والملكة فريدة فقد منح رفعته الجوائز باسم جلالتهما فى معاهد العلم للبنين والبنات .

وقبل أن أختتم هذا الفصل عاد رفعته من السودان ولكي ادلل على مبلغ الاحتفالات الرائعة والحفاوة المنقطعة النظير التى لقيها رفعته هناك اكتفى باثبات هذه الصورة التى تمثل رفعته فى حفل رائع من علية القوم



رفعة على ماهر باشا فى النادى المصرى بالخرطوم

أجانب ووطنيين فى النادى المصرى بالخرطوم ، وهى خير من الف

مقال ومقال . وليس أروع ولا اعظم من اختتام هذه الكلمة بتصريح رفعته الذي ذيع عقب وصوله من السودان . ففيه من البيان ما يجعله فصل الخطاب . قال رفعته حفظه الله

« انى اشعر بانى وزميليّ قد أدينا بزيارتنا للسودان واجبا وطنيا كنت أود أن أؤديه منذ زمن بعيد ، فقد اتاحت لى هذه الزيارة معرفة أشياء كثيرة : والاطلاع على مسائل عديدة — عن كثب — فاستطعت أن أكوّن عن السودان فكرة صحيحة لم تكن لتتاح لى لولا هذه الزيارة التى هيأ أسبابها معالى سير ستيوارت سايمز حاكم السودان العام ، ومهد سبلها بما ابداه هو ومعاونوه من كبار الحكومة من معونة مشكورة .

« وانى لارجو أن تكون زيارتنا هذه فاتحة زيارات أخرى تزيد روابط الاخلاص والمودة بين القطرين الشقيقين تواضعا واحكاما .

« ذلك الى انى قصدت من هذه الزيارة أيضا أن أتفقد المؤسسات المصرية فى السودان ، وخاصة ما يتعلق بالرى والجيش فاطمأنيت الى ان هذه المؤسسات تؤدى رسالتها على خير ما أرجوه .

« وانى لأعود اليوم الى مصر وفى قلبي أجمل الذكريات للسودان وأهله ، ولكن اعمق هذه الذكريات جميعاً وابلغها أثراً فى نفسى هو ما لمسته من تعلق أهل السودان بمقام حضرة صاحب الجلالة الملك . وما ابدوه من مظاهر الاخلاص العميق وشعائر الولاء المكين نحو عرش جلالته المجيد »

هذه هى الوطنية الصحيحة . الا فليحى جلالة الملك ، ووزيره الاكبر ،،

رفعة محمد محمود باشا : لا ينسى التاريخ موقف صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا في صيف عام ١٩٢٩ ورفضه مقترحات هندرسون وما جاء في هذا المقترحات خاصاً بالسودان وليس أدل على اهتمام رفعته بالسودان من تصميمه على زيارة السودان عام ١٩٤٠ . يعرف جميع الناس حتى غير المشتغلين بالسياسة أن رفعته كان تواقاً أثناء حكمه أن يحل مشكلة السودان كلها أو بعضها فأوفد أحد كبار موظفي الدولة ليمهد الطريق في لندن ولكن أفلتت منه الفرص فرأى أن ينتهزها من طريق آخر فعقد النية أن يقوم بواجب الزيارة لاصدقائه واخوانه السودانيين غير أن صحته لم تسعفه لاتمام هذه الرحلة المباركة فبقيت هذه الزيارة معلقة في ذمة رفعته وفي ذمة التاريخ وها نحن نسأل الله مخلصين أن يمتعه بالصحة والعافية ليتمم برنامج سياسته .

*
* *

اسماعيل صدقي باشا : — اسماعيل صدقي باشا هو رئيس لجنة السودان اليوم ، يسعى بكل جهده لخيره ومنفعته . وليس اهتمام دولته بالسودان حديثاً بل لازلت أذكر تصريح دولته في مجلس النواب عام ١٩٣٤ يوم أثيرت مسألة الاعانة لجيش الدفاع في السودان وهو تصريح خطير برهن به من الوجهتين الوطنية والمادية على أن دولته زعيم لاتفوته ملاحظة في أمر السودان . أدلى بهذا التصريح بعد أن شرح مقدار الضيق الذي يعانيه السودان حيث قال . . . (ومصر باعتبارها الشقيق الأكبر للسودان ، والتي عطفت دائماً على السودان ومرافقة لاتقبل أن تقوم باجراء كهذا في وقت محنته) وقد أيدت الأمة هذا الرأي كما أيده سمو الامير عمر طوسن إلى



صاحب الرفعة محمد محمود باشا



صاحب الدولة المغفور له عدلي يكن باشا



صاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا



صاحب المعالي الاستاذ مكرم عبيد باشا

هذه الصور وصلت متأخرة فآثرنا وضعها على هذا النظام .

حد ما وسموه حجة فى كل مايتعلق بالسودان . وقد أفضى أخيراً بحديث لأحد محررى الصحف برأى يعتبر رأياً سياسياً له مكانته قال : — (إن السودان أقرب الاقطار الينا وأحبها الى نفوسنا فمن الواجب أن نضاعف عنايتنا به وأن يكون لشعور اهله صدى عند اخوانهم المصريين . ولقد فتحت لنا فى السنوات القليلة الأخيرة آفاق جديدة فى الاتصال بالسودان ، لنقلع عن أغفالنا الأول له، ولنوثق علاقتنا التجارية والثقافية به وبأهله ، لأنه أولى باهتمامنا وبجهودنا . ولقد دلتنا الحرب الحالية ، على أن توثيق هذه العلاقات بين مصر والسودان أمر ضرورى لفائدة القطرين ،وعلى أن واجب المصريين أن يعرفوا اخوانهم السودانيين معرفة صدق وتجربة وأن تزداد صلتهم بهم وهى صلة ستعود بالخير الجزيل فى المستقبل إن شاء الله)

* * *

<u>الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى</u> : — يحتل مولانا الاستاذ الأكبر من هذا الكتاب أكثر من محل واحد ، فبين الأمراء والعظماء له محل ، وفى تنظيم القضاء الشرعى فى السودان وما آلت اليه المحاكم من الرقى هناك ، له محل آخر ، ولا عجب ، ففضيلته هو القائل (مصر والسودان جسد وروح ، كل منهما لاغنى له عن الآخر) . اهتم فضيلته بالمشيخة العلمية فى أم درمان فنالت من عطفه ورعايته الشيء الكثير .

كان فضيلته قاضياً لقضاة السودان ، وهو أكبر منصب تبوأه مصرى هناك بعد أن تقلب فى عدة مناصب ، فقد كان قاضياً للمحكمة الشرعية بمديرية دنقلا عام ١٩٠٤ ، ثم محكمة الخرطوم عام ١٩٠٦ ،

ثم رئيساً لمفتشى الدروس الدينية بوزارة الاوقاف ، ثم عين قاضياً لقضاة السودان عام ١٩٠٨ ، وظل يشغل هذا المنصب الكبير حتى عام ١٩١٩ حيث نقل رئيساً لتفتيش القضاة الشرعي فى وزارة الحقانية ، ثم رئيساً لمحكمة مصر الشرعية ، إلى أن ولىّ مشيخة الازهر منصبه الحالى الخطير ، وفضيلته لا يغفل عن السودان وامداده بالآراء السامية والعطف المتناهي .



الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى

ومولانا الاستاذ الأكبر يمت إلى أعرق الأسر فى مدينة المراغه ، من بيت علم اشتهر بالاصلاح والتقوى وقد كان والده من كبار علماء الصعيد أما المجهود الذى بذله فى تنظيم المحاكم فى السودان ، فلا أجد ما يكتب فيه ، خير مما قال الاستاذ الجليل خليل الخورى القاضى بالمحاكم السودانية سابقاً ، فقد كتب إلىّ خطاباً من بيروت بعد احالته على المعاش قال : —

(كلما ذكرت السودان ، يتمثل امام ذهنى فئة قليلة من الرجال الذين اضطلعوا باعباء المصلحة القضائية ، وجعلوا منها فى بضع سنين أرقى مصلحة

قضائية فى الشرق الأدنى ، والرجلان الوحيدان اللذان يمثلان دائماً وأبداً فى الذهن بريطانى ، ومصرى، فالبريطانى ، هو طيب الذكر الرجل الفاضل المكمل السر ادجار بونهام كارتر الذى أنشأ فى السودان محاكم بلغت فى عهده الاوج الأعلى من الرقى .

أما الرجل المصرى العظيم الذى كان نداً للسر ادجار بونهام كارتر ، فهو العالم الكبير مولانا الشيخ محمد مصطفى المراغى الذى شغل فى عهدنا منصب قاضى القضاة فى السودان حوالى احدى عشر سنة . ان هذا الرجل العظيم كان له منزلة سامية فى نفس السر ادجار بونهام كارتر وكلما زاره الشيخ لمباحثته فى مسألة من المسائل ، زادت مكانته فى نفسه . وفى عهد الاستاذ الأكبر نظمت المحاكم الشرعية تنظيماً متقناً جعلها فى نظامها تفضل اخواتها المحاكم الشرعية فى مصر وغيرها من الشرق الأدنى ، وما ذلك إلا بفضل العبقرية التى تميز بها الشيخ المراغى الذى كان يتمهد المحاكم على الدوام ، ويشرف عليها ، ويسن لها اللوائح لاستيفاء نظامها واتقانه ، ويبذل الجهود للبحث عن المعاونين الاكفاء ، وقد توفق الى نخبة من الفضلاء العلماء الذين عاونوه فى عمله الكبير .)

هذا ماقاله الاستاذ القاضى خليل الخورى . وان أنس لا أنسى الحفل الرائع الذى أقامه المصريون فى الخرطوم يوم مغادرته السودان عام ١٩١٩ فقد كان لمؤلف هذا الكتاب شرف القاء قصيدة فيه قال فى مطلعها : —

لو كنت تعلم ما أسر وأكتم   وتظل تعذلني فانك تظلم

إلى أن قال فى وصف الشيخ :

غالطت عيني يوم شمت جلاله   أمتوج ؟ أم بالسماح معمم ؟

وقال مقتضباً :

(لاتنتهي نوب الزمان لأمة   الله فيها والنبي وأنتم)

ومما أذكره فى هذا الحفل الرائع أن أحد القضاة قد خطب فيه حيث قال (مادخلت على الشيخ يوما مالأستنير برأيه فى مسألة من المسائل وسمعت نبرات صوته ورصانة عباراته وبلاغتها إلا ذكرت زعيم مصر الأكبر سعد زغلول باشا) فدوى المكان بالتصفيق والهتاف بضع دقائق .

لقد أحب السودانيون الشيخ المراغي ، وسيظل اسمه فى السودان بارزاً ما كر الزمن وتوالت السنون . فحيا الله مولانا الاستاذ الاكبر ، الذى وهبه الله بصيرة نيرة ، وخلقاً حميداً ، وشخصية بارزة .

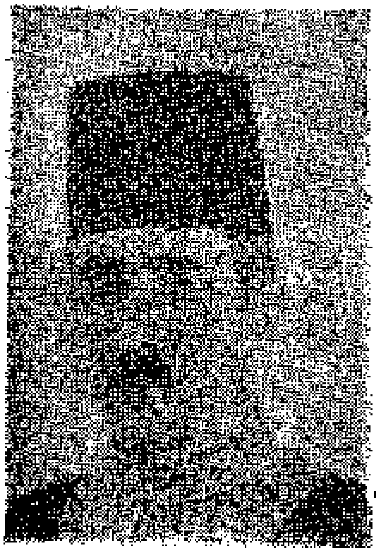
معالى الاستاذ مكرم عبيد باشا : وإذ ذكر المهتمون بأمر السودان والتفكير فى مصيره ، برز اسم معالى مكرم عبيد باشا وزير الماليه سابقاً فلن ينسى التاريخ المساهمة الفعلية والمجهود المضنى الذى بذله يوم رافق صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا فى المفاوضات فقد ترجم جميع مذكراتها وأبدى رأيه فيهـــــا ومعاليه يقول فيما يختص بالسودان ، يوم ارتطمت سفينة المفاوضات بالسودان (أن الاقتراح البريطانى يمكن تفسيره بايجاز أنهم يريدون منا أن نتخلى عن السودان ، وأن نوقع بيدنا التنازل عنه ولن نوافق على هذا ، وهانحن نعود إلي بلادنا بضمير مستريح ولا نأسف على ماحدث) يقول الاستاذ عبد الله حسين فى كتابه (السودان) (لما اشترطت الحكومة البريطانية أن تعرض مقترحات هندرسون على برلمان مصرى

منتخب انتخابا حراً ، ابتهجت البلاد لهذه النتيجة ، وكان حضرة الاستاذ الكبير مكرم عبيد سكرتير الوفد المصرى فى لندن ، وقد ناضل عن نظرية تأليف وزارة محايدة تجرى انتخاب حر فى ظل دستور سنة ١٩٢٣ وقانون الانتخاب المباشر ، فاستطاع من اقناع رجال الحكومة البريطانية وفى مقدمتهم هندرسون ، والدكتور دالتون الوكيل البرلمانى لوزارة الخارجيه بهذه النظرية) ويقول الاستاذ عبد الله حسين أيضا (وبعد سفر الاستاذ مكرم عبيد من لندن وصلت اليها ، وقابلت الكثيرين من رجال السياسة والصحافة والمصريين البارزين ، وتأكدت أنه لو لم يسافر الاستاذ مكرم إلى لندن ، ويبذل هذه المجهود الكبيرة ، لما تحققت النظرية ، لذلك بادرت بتلقيب الاستاذ بالمجاهد الكبير ودعوت زملاءه المحامين إلى حفلة شاى فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢٩ تكريما للاستاذ مكرم وتسجيلا لهذا اللقب .)

* * *

المغفور له صاحب الدولة عدلى يكن باشا : أما عدلى باشا فقد كان مبرزاً فى مفاوضاته ، يوم رأس الوفد المصرى ، وكان يقظا فيما يختص بالسودان يشهد لدولته خطابه التاريخى الذى كتبه ردا على مشروعات اتفاق كرزن عام ١٩٢١ حيث قال « أما مسألة السودان التى لم يكن قد تناولها البحث فلا بد لنا فيها من توجيه النظر الى أن النصوص الخاصة بها ، لا يمكن التسليم بها من جانبنا فان هذه النصوص لا تكفل لمصر التمتع بما لها على تلك البلاد من حق السيادة الذى لا نزاع فيه وحق السيطرة على مياه النيل » وهو كتاب تاريخى يترحم على وطنية دولته البارزة ويذكره له ، ماذكر أمر الملاقات بين مصر وبريطانيا الخاصة بالسودان .

معالى حسين هيكل باشا : الدكتور حسين هيكل باشا هو وزير المعارف سابقاً ، والكاتب الكبير المعروف ، زار السودان عام ١٩٢٦ ووضع فيه مؤلفاً جليلاً (عشرة أيام فى السودان) أبدى فيه من الآراء القيمة عن السودان مالا ينساه له السودان . وقد كتب سعادته فأيد الروابط الاجتماعية والسياسية الوثيقة بين البلدين ودلل على ذلك بالبرهان الساطع القوى . قال . . (لست أريد أن ادلل على أن مصر والسودان مرتبطان تاريخيا بروابط قديمة تجعل من حق مصر أن تطالب بالسودان كما كانت فرنسا تطالب بالالزاس واللورين ، ولست أريد كذلك أن أقيم الحجة على ما أنفقته مصر فى السودان من مهج وأموال ، أو أن أرجع إلى التاريخ



معالى حسين هيكل باشا

لأى سبب من الاسباب ، فالتدليل التاريخى فى مسألة علاقة مصر بالسودان أشبه الاشياء بالمرافعات التى تحتاج إلى قاض للفصل فيها . ومن نافلة القول ذكر الرابطة الطبيعية بين مصر والسودان وما توجبه هذه الرابطة من ضرورة توثيق الصلات بين هذين الجزئين من أجزاء وادى النيل . وحاجة مصر إلى توثيق هذه الصلات وتوكيد تلك الروابط أوضح . فليس كمصر بلاد معلقة حياتها بنهر واحد .) وفى موضع آخر يقول (على أنه إذا كانت حاجة مصر إلى توكيد الروابط بينها وبين السودان أوضح من حاجة السودان إلى مثل هذا التوكيد لموقع السودان عند منابع نهر النيل ، فليس ذلك معناه

أن السودان أقل من حاجة مصر لتوثيق الصلات بينهما . ولئن كان السودان منبع الحياة المادية التى تفيض على مصر مع فيضان النيل ، فمصر هى منبع الحياة المعنوية التى تفيض على السودان بالحضارة والعمران) كذلك تقول فى موضع آخر (واعتقد اعتقاداً اكيداً أن مصر تستطيع أن تعاون السودان معاونة جدية إذا وجد من المصريين ذوى المكانة والقدرة من يتطوعون من غير أى فكرة سياسية بل بدافع التضامن بين الشعبين وتحت تأثير الفكرة الانسانية السامية وحدها .

هذه بعض أراء سعادة الدكتور هيكل باشا وهى آراء سديدة لها قيمتها فى نظر الساسة لما يتمتع به سعادته من شخصية بارزة ومكان محترم فى عالم السياسة والادب والاجتماع .

معالى اللوا صالح حرب باشا : لا يجهل مصرى ما لمعالى صالح حرب باشا من الوطنية الصادقة ومن صفحة القومية الناصعة وان من دواعى فخرى واغتباطى أن أكون من مديرية اسوان حيث ينتسب معاليه لها . إذن أستطيع أن أتحدث عن معاليه أكثر مما يستطيع سواى . أن معاليه كما اعتقد أصلح رجل لتولى وزارة الدفاع لأنه ضابط باسل شجاع يعرف كيف يسوس هذه الوزارة بما تتطلبه من الاساليب العسكرية رافق صاحب المقام الرفيع الى السودان وتفقد القوات المصرية وخطب فى الجنود هناك خطاباً يصح أن يبقى تاجاً على مفرق التاريخ . نعم قد خطبهم قائلاً :

« ان مياه النيل أغلى من دمائكم فدافعوا حتى آخر نقطة من هذه الدماء » وفى موضع آخر يقول معاليه « لقد دافع آباؤكم عن النيل دفاع الابطال فكونوا خير خلف لخير سلف »



معالى اللوا محمد صالح حرب باشا

وبعد عودة معاليه من السودان خطب فى الضباط السودانيين فى حفلة توزيع الاوسمة التى أنعم بها جلالة الملك عليهم حيث قال « إن الطبيعة قد ربطت بين أجزاء وادى النيل جميعاً من منبعه الى مصبه ، وان الوحدة بين مصر والسودان قد تحققت منذ خلق الله النيل ، لأنه نيل واحد فى بلد واحد »

وقال أيضا : « إن السودانيين الكرام هم أولى بالثناء منا والحمد على الحفاوة البالغة ، والشعور المتدفق الفياض ، الذى أحاطونا به فقد شعرت بالزهو والفخار لأنى أنتسب لذلك الوطن الكريم وسررت بنواحى النشاط والحيويه التى اكتشفتها فى شباب السودان الناهض ، والواقع أنه لافارق هناك بين مصر والسودان ، فهما قطر واحد ، ونيل واحد ، وشعور واحد

معالى عبد القوى بك احمد : إذا تكلم معالي عبد القوى بك احمد وزير الاشغال عن السودان ، فهو أجدر من نستمع له ، ذلك لأنه قضى فى السودان سبع سنوات ، كان مهندساً فى خزان جبل الأولياء ثم مفتشاً عاماً لرى السودان ، وكان أصلح سفير لمصر فى القطر الشقيق وليس ذلك فحسب بل هاهو يرافق صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء فى رحلته إلى السودان .



معالى عبد القوى بك احمد

استحق معاليه بجدارة واستحقـــاق حب السودانين ، وذلك لما أبداه من الكفاءة والنزاهة فى انشاء خزان جبل الاولياء . تلك الثقة والمحبة اللتان دفعتا جميع

السودانيين الى إحلاله المحل اللائق به ، والتحدث عنه ، واللتان دفعتا ذوى الشأن فى السودان ، للالحاح على حكومتنا المصرية والرجاء لعودته الى السودان . فحققت الحكومة رغبة السودان حيث اعادته . فقضا عاماً لوى السودان . وكأنما أرادت حكومة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا أن لا تكون أقل كرما من غيرها فاستصحبه رفقته معه فى رحلته الاخيرة .

لقد أحب الناس هناك معالى عبد القوى بك ، لأنهم وجدوا فيه الرجل الذى لا تسبق عاطفته عقله ، ووجدوا فيه المثل الأعلى للعلاقة بين المصرى والسودانى ، ثم وثقوا به لأنه موفور الكرامة كبير القلب والعقل ، حريص على حقه وحق غيره ، نبيل فى آماله ، يسعى لتحقيقها من سبيل الشرف .

حدثنى الاستاذ الجليل صاحب الفضيلة الشيخ محمد نعمان الجارم قاضى قضاة السودان قال — ما أسف السودانيون لفراق مصرى كما أسفوا لفراق عبد القوى بك ، ذلك لأنه الرجل الوحيد الذى عرف كيف يسوى العلاقات بيننا وبين السودانيين ، وهو الرجل الوحيد الذى ينظر الى مصلحة البلاد قبل مصلحته . ما طرق بابه سودانى وعاد بخفى حنين ، كذلك كان يضع مصالح المصريين فى الصف الأول من مواضع عنايته . رأى النادى المصرى الحالى فى الخرطوم لا يليق بكرامة المصريين فسعى لبناء آخر يتفق مع كرامتهم ومكانتهم ، وسعى لدى الحكومة المصرية فمنحت هذا النادى ألفى جنيه لاتمام بنائه وأثاثه .

وبعد عودته من السودان أخيراً أفضى معاليه بحديث يعتبر حجة عن السودان نثبته كما هو قال : —

كنت فى السودان موظفاً أقوم ببناء خزان جبل الأولياء، ومفتشاً عاماً للرى، ومكثت نحو سبع سنوات، وفى أثناء ذلك لم يفكر أحد من رجال الحكم فى زيارة السودان سوى معالى حسين سرى باشا، كوكيل لوزارة الاشغال وكانت زياراته المتكررة تحمل طابعها الرسمي.

وكان ألم أصدقائى واخوانى السودانيين، لاغفال كبار المصريين السودان، وخاصة رجال الحكم لا يقل عن ألمى؛ وقد اغتبطت أيما اغتباط بأن عدت الى السودان برفقة صاحب المقام الرفيع على باشا ماهر حتى يمكننى أن أقول أن هذا النقص الماضى قد ذهبت هذه الزيارة بأثره.

ولو رأيت معنا كم كان سرور السودانيين بهذه الزيارة لرأيت أن رفقة الرئيس قد أدى واجباً وطنياً ذا أثر بالغ وبعيد المدى فى أحكام الصلات بين القطرين الشقيقين.

وليس غريبا أن أقرر أن هتافات السودانيين باسم مليك النيل لا تقل فى روعتها ولا فى اخلاصها عن هتاف اخوانهم المصريين، وقد كان هذا المظهر أكثر المظاهر التى مست قلوبنا من اخواننا السودانيين.

ويهمنى أن يعلم المصريون، وعلى الاخص اخوانى رجال الجيش الذين قاموا بدور كبير فى ادارة السودان وحكمه قبل عام ١٩٢٤، ان السودان وان كان فى نظر أهله وفى نظر المصريين كلاً لا يقبل التجزئة ولا فرق بين شماله وجنوبه.. أريد أن يعلم الجميع أنه بالرغم من هذه الوحدة فان هنالك فوارق استلزمتها الطبيعة واختلاف الجنس والدم والعقلية.

فاذا قيل «السودانى» وجب التفريق بين رجل الشمال، ورجل الجنوب،

فالأول عريق فى عروبته ، كريم ، وفى هذين يسبق أخاه المصرى فى بعض نواحى الخلق الكريم ، وأما رجل الجنوب من القبائل المتعددة ، وأهمها الشيلوك والنوير والدنجا فهؤلاء العرايا والمتأخرون فى كل نواحى الحياة ، هم الذين ينطبق عليهم ماقاله بعض رجال الجيش الذين أقاموا فى السودان سنين عدة من حيث ايمانهم بالسحر ، وبضرورة اخضاع نزول الامطار لرغبة الرئيس والى غير ذلك من الخرافات التى يأنف العربى فى الشمال وهو ذو الإيمان العميق أن يدين بها أو يسلم بها عقله .

ومن هذا ترى أن اطلاق كلمة السودانى بجانب كلمات السحر والساحرين خطأ يجب أن تتنزه عنه الافلام والا . . حققت كلمة صديقنا الدكتور محي الدين سكرتير نادى الخريجين بواد مدنى حيث قال :

ان كثيراً من المصريين يجهلون السودان وأهله .

ولئن صح صدور مثل هذه العبارات من رجل لم يزر السودان ، ولم يتولى فيه عملاً فهى غير مقبولة ممن يدعون انهم أقاموا به زمنا مكنهم من دراسة أحواله واختلاف أجناسه وتعدد الطباع والمشارب .

وبعد ، فقد كانت رحلة رفعة الرئيس دراسية ويمكننى أن أؤكد أنه أول رئيس للحكومة استطاع أن يكوّن لنفسه وللحكومة رأيا سليما مبنيا على المشاهدة والخبرة المستمدة من هذه الزيارة .

وقد استرعت نظر رفعة ماهر باشا وصديق صالح حرب باشا نظافة القرية السودانية ، ونظافة رجل الشارع السودانى ، بالقياس الى زميله المصرى مما يدلك على أن الفقر وحده ليس هو العامل الأول فى أن يكون المرء نظيفاً فى

ملبسه . نظيفاً فى مأكله . نظيفاً فى مسكنه .ولو أتيح لرفعة الرئيس ولمعالى صالح حرب باشا ما اتيح لى مدة مقامى فى السودان من الاطلاع على الحياة المنزلية للطبقات الدنيا لـكانت دهشتهما أكبر عندما يعلمان أن ما ينسب الى السودانى النظيف ينسب كذلك على ولده وبنته وزوجته .

ربما كان للكبرياء والانفة المعروفة عن السودانى ،دخل فى هذا الوضع، فليس الفارق كبيراً بينهما من حيث النظافة العامة فقط، بل هو كبير جداً من حيث عدم قبول الضيم والاهانة ، حتى فى أصغر صورها وربما وصل بالسوداني الامر فى هذه الخلة الى حد المبالغة .

أما مصدر ذلك ، فهو الشهامة والأنفة ، فانى أحسب أن المبالغة فى الاحتفاظ بالكرامة بين أصغر الطبقات خير الف مرة من التهاون فيها .

وأما عن لغة السودانيين ،فافضل ماأقوله بهذا الصدد، كلمة عبر بها رفعة الرئيس عن حقيقة ساطعة ، وهى أن رفعته كان يصغى جيداً الى أحاديث اخواننا السودانيين فى نواح مختلفة من ربوعه ، وكان يتفهم اللهجات السودانية بسهولة، أكثر مما كان يتفهم بها بعض اللهجات فى بعض بلاد الصعيد.

وأخيراً يهمنى بهذه المناسبة أن أقرر أن على كل مصرى مقيم فى السودان، أن يحسب نفسه فى محيطه وفى عمله مهما كان صغيراً . والمصرى الذى يتهاون فى كرامته وكرامة بلاده، خير لمصر أن تسترده من هناك لأنه يكون شر دعاية لنا بين اخواننا فى السودان . والمصرى الذى لا يحقق ذلك الشعار الذى اتخذناه لانفسنا فى النادى المصرى بالخرطوم وهو « الله والملك والوطن» غير جدير بأن يبقى فى السودان أكثر مما يقتضيه الوقت لعودته .

دولة حسين رشدى باشا : كان رحمه الله وطنياً بكل معنى الوطنية، ترأس الوزارة المصرية فى وقت كان مرجل السياسة يغلى إلى أقصى حدود الغليان . وذلك يوم اعتقلت السلطة العسكرية سعداً مع زملائه الكرام، وثارت البلاد من أقصاها إلى أقصاها . كان رشدى باشا وهو فى كرسى الوزارة يسعى جهده لفك اعتقال سعد وصحبه . فوفق الى ذلك كل التوفيق، ولم يترك الحكم إلا بعد أن اطمأن على سفر الوفد الى باريس فاستقال فى ٢١ ابريل سنة ١٩١٩ أى بعد سفر الوفد بعشرة أيام .



المغفور له حسين رشدى باشا

كان لدولته آراء قيمة فى علاقة السودان بمصر، وله سلسلة مقالات عنوانها (السودان حياة مصر) نشرت سنة ١٩٢٢ نقتطف منها فقرات تدل على مبلغ حماس دولته لاثبات العلائق بين القطرين والبرهان أنهما جزء لا يتجزأ . قال (إنما السودان لهو الحياة لمصر لأنه منبع النيل . وحيث أن النيل هو السودان، فلا جدال فى أن العلاقات والروابط التى تربط مصر بالسودان، لا يمكن أن تقبل أى انفصال، وما مثلها فى هذا التماسك، الا كمثل العلاقة التى تربط الروح بالجسد.)

وفى مكان آخر يقول دولته (وفضلا عن أن النيل هو رباط الحياة بين القطرين ، فإن هناك اعتبارات اقتصادية كثيرة تربط السودان بمصر)

هذا بعض ماقاله رحمه الله وهو قليل من كثير ، ولكنه يدلك دلالة واضحة على مبلغ اهتمامه بالسودان .

كان رحمه الله فى حياته الخصوصية انموذجاً للرجل الكامل ، كما كان فى حياته الرسمية درساً ماثلاً لجميع الذين يعملون تحت ادارته . فى كل حركة من حركاته يلقنهم درساً عملياً دون ايعاز منه . حدثنى المرحوم سليم سركيس قال :

دعى حضرة صاحب الدولة حسين رشدى باشا رئيس وزراء مصر الى المحكمة للشهادة فى قضية اتهام حسين محرم باشا فأدى الشهادة وأدى معها درساً شريفاً . شهد قبل رشدى باشا باشوات ، كان القاضى يأذن لهم فى الكلام جلوساً . وكانوا يجلسون ، ويشهدون ، وينصرفون ، فلما جاء رشدى باشا رأى أنه شاهد فى محكمة ، أمام قاض يمثل ولى الأمر ، لا رئيس حكومة ولا باشا ، فتنحى عن الكرسي الذى أعد له ، وسمى نفسه وذكر منصبه وأقسم أن يصدق . وشهد واقفاً على قدميه . ثم حي القاضى تحية الرجل منا لجلالة الملك . رافعا يده الى جبينه عند مؤخر العين . منحنياً . على أتم ما يستتمه المتأدبون فى جلال ووقار . رشدى باشا رئيس الوزارة . التي منها وزارة الحقانية ، التى من قضاتها رئيس محكمة الاستئناف . الذى هو رئيس القضاة . الذين منهم قاضى المحكمة . ولكن رشدى باشا لم يفكر فى هذا . وكل ماكان يفهمه أنه « حسين رشدى الشاهد بين يدى القاضى النائب

عن جلالة الملك » وانه رجل من الناس بين يدى ولى الأمر الشرعى فى ذات نائبه القاضى ، فهو لا يخاطبه جالساً ولا يخرج من بين يديه إلا متأدباً هذا هو دولة رشدى باشا الوطنى الغيور رحمه الله رحمة واسعة .

دولة عبد الخالق ثروت باشا : من ضمن عظماء مصر الذين عالجوا مسألة السودان ووقفوا فيها موقفا مشرفا صاحب الدولة المغفور له عبد الخالق ثروت باشا فقد سافر إلى لندن عام ١٩٢٧ وجرت مباحثات تفصيليه بين دولته وبين سير أوستن تشمبرلين. وبالرغم عن أن الحكومة الانجليزية هيمنت على السودان بعد حادث السردار عام ١٩٢٤ فان دولته استطاع أن يضطر انجلترا للاعتراف باستمرار السيادة المشتركة فى السودان وأن يستمر حضرة صاحب الجلالة ملك مصر نظراً لاهتمامه بحفظ السلام فى ربوع السودان وعلى حدود مصر الجنوبية فى دفع حصته فى نفقات الادارة فى السودان .



المغفور له عبد الخالق ثروت باشا

وقد اتفق مع الحكومة الانجليزية على رجوع حالة السودان إلى ما كانت عليه قبل سنة ١٩٢٤ . فلما عرضت اقتراحاته على هيئتى الوفد والاحرار الدستوريين ولحظ دولته عدم قبولها استقال فوراً . وكانت هذه آخر مرحلة من مراحل حياته

رفعة توفيق نسيم باشا : لم يكن دولة سعد زغلول باشا وحده الذى
استقال من الوزارة بسبب السودان وخروج الجيش المصرى منه و حوادث
سنة ١٩٢٤ ، بل جاراه فى ذلك صاحب المقام الرفيع المغفور له توفيق نسيم
باشا . تألفت وزارة رفعته وكان مشروع لجنة الدستور على وشك الصدور ،
فلما علم المندوب السامى بما جاء فى المادتين ٢٩ و ١٤٥ وهما تنصان أولاً على
أن جلالة ملك مصر يلقب بملك مصر والسودان ،وثانيا أن تجرى أحكام
هذا الدستور على المملكة المصرية جميعها عدا السودان،فمع أنه جزء منها يقرر
نظام الحكم فيه بنظام خاص . فلما علم المندوب السامى اللورد اللنبى بذلك ،
وجهت الحكومة البريطانية بلاغاً تهديديا ،ورفعته الى جلالة الملك فلم يقبل
نسيم باشا ذلك واضطر الى الاستقالة . وقد بيّن فى استقالته الاسباب التى
اضطرته الى ذلك ، وهى عدم الاستقرار فى أمر السودان كما أبت عليه
وطنيته و كرامته أن يبقى فى الحكم مع وجود هذا التهديد وهو موقف يذكر
لرفعته بالفخر .

هذا الذى دفع المغفور له سعد زغلول باشا زعيم مصر الخالدأن يحييه فى
خطبته المعروفة بقوله « ألا فليحيي نسيم فى وزارته » رحمهما الله رحمةواسعة

هذه بعض آراء الأمراء والعظماء الخاصة بالسودان ، وليس معنى هذا
أن هذه الشخصيات هي وحدها التى عنيت بأمر السودان ، بل أن كثيرين
من أبرز القوم وقادة الرأى فى مصر أبدوا ملاحظاتهم ولدىّ من ذلك
ما يزيد عن حجم هذا الكتاب ، وهو دليل قاطع على أن معظم المصريين
مشغولين بأمر السودان وقد تحققت آمالهم بزيارة رفعةعلى ماهر باشا الأخيرة .

الهجرة الى السودان

بعض مشاهدات

لصاحب العزة الاستاذ الجليل عبد الله فكرى اباظه بك
الخبير الاقتصادى لحكومة السودان



الاستاذ عبد الله فكرى اباظه بك

الاستاذ عبد الله فكرى اباظه بك ، هو الخبير الاقتصادى لحكومة السودان . وهى الوظيفة التى نصت عليها الفقرة الثانية عشر من المادة ١١ من المعاهدة المصرية الانجليزية ، التى بمقتضاها أصبح لمصر نصيب عملى فى الاشتراك فى ادارة السودان . وهو شاب بادى العزيمة ، واسع الاطلاع فى ميدان الاقتصاد . وقد انصفت حكومتنا فى انتدابه لهذا المركز الخطير ، فهو دائب الجد لمصلحة القطرين معاً ، وحلقة الاتصال بين مصر والسودان ، يعمل لتوثيق العلاقات الاقتصادية

بين القطرين بما يحقق مصلحة كل منهما على السواء ، وليس ذلك فحسب ،
فهو حركة عمل دائمة ، لا يشغله شاغل عن النظر فيما يؤول الى خير
البلدين . يتقدم كل يوم الى ولاة الأمور باقتراح جديد ، فما هو البرنامج
العملي لتنظيم الثقافة المصرية فى السودان ، وتشجيع السياحة الى السودان و
تخفيض أجور السفر الى السودان ، وقبول الطلبة السودانيين فى المدارس
المصرية ، كل ذلك نتيجة تفكيره وجهوده ، ومن هذا يتضح ان الاستاذ
عبد الله بك يمثل جميع الوزارات المصرية هناك ، وان تبعيته لوزارة التجارة
والصناعة لم تكن الا تبعية اقتضاها النظام الادارى فقط . وبينما كنت
أكتب فصلا عن (الهجرة الى السودان) اذاع عزته فى ١٤ أغسطس
سنة ١٩٣٩ بالراديو محاضرة قيمة فى هذا المعنى رأيت أن أنشرها باذن من
عزته فان ما جاء فيها من روعة الاسلوب ، وسلامة الذوق ، يقف دونه
أى كاتب (ولا يغنى ومالك فى المدينة) قال عزته . . . . .

سيداتى . آنساتى . سادتى

إننى لسعيد الحظ بالتحدث اليكم الآن عن السودان لأول مرة فى تاريخ الاذاعة المصرية ، إذ لم يكن السودان موضوع أية إذاعة سابقة بالرغم من أن العلاقات القائمة بين شطرى وادى النيل ، كانت داعية لأن تجعل من السودان موضوع إذاعات متعددة .

ولكم كان بودى أن يستطيع أخواننا السودانيون سماع كلمتى هذه ليطمئنوا الى مبلغ إهتمامنا بشئونهم وتعلقنا بهم . ولكن الأسف يملأ نفسى حين اقرر بأن الاذاعة المصرية لا يمكن أن تسمع بوضوح فى أنحاء السودان ، بينما يهتم أهلوه بسماع الاذاعات العربية المختلفة ويتلقون أخبار مصر بلهفة خاصة من شتى المحطات الاوربية على ما فى الكثير منها من خطأ وغرض .

على انى أرجو أن لا يطول مدى أسفى بأذن الله . إذ كادت تحقق أمنية إيصال الاذاعة المصرية للسودان . وأرجو أن لا يحين شهر أكتوبر المقبل حتى ينقل الأثير صوتى الضعيف ضمن أصوات مصر إلى أسماع الاخوان الاعزاء .

السودان ، ياحفيظ إيش ودانا السودان أعوذ بالله دا بعيد خالص . يامغيث من الحر فيه والوحوش والعقارب ، تلك هى الكلمات التى تنطلق بها ألسنة معظم سيداتنا اللواتى يكون من واجب أزواجهن العمل فى السودان ، وتلك هى الكلمة التى ينطق بها فم الآنسة التى يتقدم لخطبتها شاب يكون من حظه العمل فى السودان .

بل وتلك هى الالفاظ التى تحرك بها شفتا الكثيرين من شبابنا الذين يختارون للخدمة فى السودان ، إنه مرض إجتماعى خطير أصبنا به ويجب أن نعترف بوجوده . وأن نعمل للتخلص منه جادين جاهدين — إنه عيب فشى فى أوساطنا جعلنا نقف جامدين ونترك الميدان للسابقين المجاهدين .

أو ليس من العيب الشائن أن نتوانى عما يقبل عليه غيرنا ممن تفصل بينهم وبين السودان أضعاف الشقة التى بيننا وبينه ؟ ومن هم فى الواقع أقل تحملاً منا لاحواله الجوية التى تكاد لا تختلف كثيراً عن أحوالنا ؟ أليس من القصور المعيب أن يسبقنا إلى السودان ـ الانجليز واليونان والسوريون والأرمن والايطاليون وغيرهم ؟؟

وبينما يوفد الانجليز إلى تلك البلاد فئة مختارة من أبنائهم ، وطائفة من أرقى الأسر وأحسنهم ثقافة ، يكون العرف عندنا تأفف من العمل فى البلد

الشقيق والجار الملاصق . رغبة عن الغربة . بل رغبة فى الاستكانة والقناعة بالعيش المتواضع دون عناء .

حدث عندما أخذت فى اختيار الموظفين الذين يعملون معي فى الخرطوم بعد عودتى من سفرى أول مرة . أن وقع إختيارى على شاب كفء فى وزارة أخرى قبل مسروراً أن يسافر معى وبينما أعد العدة لنقله جاءنى ذات يوم فقا تحى فى خجل وتردد مبديا أسفه الشديد لعدم إستطاعته السفر ، وبعد أخذ ورد معه تكشف لى أن زوجته غير راغبة فى مفارقة أهلها . تهيبة المعيشة فى السودان . فأخذت أقنعه بشتى الحجج فيقتنع . ثم لا يلبث أن يعود بعد يوم أو يومين فيكرر الاعتذار حتى فض بى منه . ولكنى شددت عليه فى القول وطلبت منه أن يبلغ نصا تحى بحروفها إلى زوجته ففعل — وأخيراً وبعد تردد طويل نزل على رأيى فحمدت الله على نجاحى فى إقناعه وعلى أخذه بقاعدة (إن الرجال قوّامون على النساء)

بل لماذا أذهب بعيداً ؟ ولا أقول الحق ولو على نفسى ، فانى عندما فوتحت فى أمر تعيينى كخبير إقتصادى لمصر والسودان تقبلت الخبر لأول وهلة بشيء من الوجوم وعدم الارتياح ، وطلبت مهلة للتفكير وكثيراً ما ترددت خلالها مأخوذاً بعوامل التهويل التي طبع عليها بعض الناس ، فقد سمعت من أفواه الكثيرين عن جو السودان وحرّه وصعوبة المعيشة به واختفاء معظم طيبات الحياة منه . فمن قائل بأن الحشرات تسبح فى الطرقات (وإن الوحوش تسرح فى المدن كما تسرح فى الغابات) ومن قائل بأن الفاكهة معدومة والخضروات نادرة ، واللحم ردىء ، والحياة الاجتماعية كاسدة مظلمة

حتى كدت أصدق فاعتذر — ولكن عوامل الخير ودوافع الرغبة فى خدمة بلادى ومليكى كان لها الغلبة فى النهاية فتوكلت على الله وقبلت وسافرت = فماذا وجدت ؟

وجدت أن العلة فى كل ماسمعت وسمعه غيرى وتأثر به الرأى العام عندنا صحة قول المثل (أن من جهل شيئاً عاداه) وان جهلنا بالسودان وأحواله ، هو الباعث الحقيقى على هذا التخبط الذى يسود المجتمع عندنا ويضل الرأى عن السبيل القويم .

وجدت أننا مقصرين إلى حد كبير فى تعرف وادى النيل الجنوبى . فالسودان لمصر بمثابة القصبة الهوائية فى جسم الانسان لا سبيل بغيرها للهواء الذى يبعث فى الجسم الحركة والحياة . كما لا سبيل لمصر غير السودان طريقاً للماء الذى يبعث البركة والخير والحياة فى ربوع الوادى السعيد .

وهل السودان غير الشطر الاكبر من وادى النيل ، ربطته بمصر روابط العنصر والدم واللغة والدين والمصالح والجوار ، وانفقت مصر فيه عشرات الملايين من الجنيهات ودم عشرات الالوف من الرجال ؟

وهل السودان غير المنفذ الطبيعى الصالح لزيادة الانتاج الصناعي المصرى فى المستقبل القريب ؟ والميدان الفسيح للنشاط الاقتصادى المثمر لصالح القطرين الشقيقين ؟ أو ليس السودان هو الصخرة التى ارتطمت بها المفاوضات المصرية الانجليزية عدة مرات ، لأن وجهة النظر المصرية كانت ولم تزل وستظل على الدوام أن (لا حياة لمصر بغير السودان) كما يسرنى أن

أقرر بأن أولى الرأى من أخواننا السودانيين يرون كذلك أن لا (رفاهية للسودان ولا عروة له إلا بتوثيق إتصاله بمصر)

وجدت فى السودان بلاد جميلة بطبيعتها الفطرية — بكرية المرافق موثبة للنهوض متى تعهدتها يد التعمير والاصلاح .

وجدت فى السودان الذى تبلغ مساحته أكثر من ثلاثة أضعاف القطر المصرى ، ويبلغ تعداده أكثر من ستة ملايين — إن أكثر من ثلثيه هم سكان النصف الشمالى — عرب مسلمون ترجع أنساب معظمهم إلى بيوتات عربية مازالت مقيمة ومعروفة فى مصر وكثيراً منهم ترجع أصولهم إلى قبائل نزحت من الحجاز — وهم شديدو التمسك بتقاليدهم ، والاعتزاز بأصولهم ، حتى أنهم ليرغبون عن مصاهرة المسلمين غير العرب .

ولا يكاد الانسان يجد فرقاً بين مظاهر الحياة عندهم وعند أهل الريف المصرى — والصعيد بنوع خاص — مع الفارق فى ملبسهم الذى يتكون على الغالب من عمامة بيضاء ، وجلباب أبيض ، وحذاء من صنع البلاد ، أو من الاحذية اليابانية الرخيصة — هذا لباس عامة الناس الذى يبدو على الدوام نظيفاً ناصع البياض . وأما الخاصة فيلبسون العمامة البيضاء والجبب والقفاطين من أقمشة حريرية أو تيل أبيض ناصع فى بعض الاحيان . وأما طبقة الموظفين فيلبسون إما الملابس الافرنجية المعروفة ، وإما الجلاليب البيضاء والعمامات فلبسها مباح داخل دواوين الحكومة ، كما أن جميع الطلبة السودانيين حتى فى كلية غردون ، يلبسون العمم والجلاليب البيضاء مراعاة لاحوالهم الجوية والاجتماعية على ما يقال .

وأما النساء فى المدن فمحجبات يخرجن فى الطرقات مؤتزرات بملايات خفيفة من مختلف الالوان ولكن الغالبية بيضاء — وأما مايقال عن العرى فقاصر على أهل الجنوب من الزنوج ، بل وهؤلاء يتدرجون بمحاولات من الحكومة نحو الا كتساء .

ولا شك أن السودانيين الأعراب شديدو التمسك بالدين الاسلامي الحنيف ، حريصو على تقاليده وقواعده وشعائره . ولكم شاهدت فى صلاة الجمعة أطفالاً لايتجاوزون الثامنة والتاسعة يدخلون المسجد وحدهم ويؤدون الفريضة إلى جانب الرجال فى خشوع واطمئنان . بل ورأيت كثيرات من النساء يصلين وراء الرجال فى المساجد فى مكان منعزل ، ولست أنسى يوم عيد الأضحى المبارك ، وقد دعيت فى الريف ، انى حين كنت اجتاز القرى فى السيارة كنت أرى أهل كل قرية أو كل (حلة) كما يسمونها بملابسهم البيضاء النظيفه الناصعة — مصطفين خارج الحلة يؤدون صلاة العيد فى الهواء الطلق وامامهم خطيبهم وإمامهم — وعلى بعد بضعة أمتار من خلفهم اصطفت النساء يؤدين الفريضة مؤتمات برجالهن فى إقامة شعائر الله .

وبالخرطوم مسجد واحد بنته مصلحة الأشغال العسكريه المصرية ، وافتتحه سمو الخديو عباس الثانى ، وبالرغم من اتساعه ،فانه يضيق بالمصلين ، فيصلى الكثيرون خارج المسجد مفترشين الغبراء ، وأما فى أم درمان فيوجد عدد كبير من المساجد ومنها ما شيدته مصلحة الاشغال العسكرية المصرية كذلك ، ومن أظهر صفاتهم الكرم الذى يصل الى حد الاسراف ، لا فرق فى ذلك بين غنى وفقير كلٌ فى حدوده — ففى ضيافتهم العادية

يقدمون للضيف المشروبات والشاى والقهوة المعروفة (بالجبنة) . وفى موائد الموسرين منهم ، بل والمتوسطين ، يقدمون للضيوف الوان الاطعمة المدينة على النظام المصرى الافرنجى ، ثم يردفونها بالوان الاطعمة الوطنية الشهية واخصها (الكسرة والملاح) وهى الاكلة المتداولة المشهورة عندهم — ولهذا يستنكفون من تقديمها لضيوفهم من غير السودانيين — الا بطلب خاص — ظناً منهم أنها أقل مما يصح إكرام الضيف العزيز به — ولكنها فى الواقع لذيذة جداً تفضل كل الوان الاطعمة الافرنجية التى يؤثرونها فى ولائمهم . ويتبارون فى تعددها مبالغة فى الاكرام وحباً فى المظاهر التى يعنون بها الى حد كبير . حتى أنه مما يؤخذ عليهم تقديم كثير من الاصناف الافرنجية التى تستورد من الخارج باثمان غالية كالزبدة والجبن والزيتون والتوابل والمحفوظات — بينما لديهم من نظائرها الوطنية ما يمكن أن يحل محلها فيوفر كثيراً مما يخرج من ثروتهم الاهلية ولكنهم كما قلت يعنون بالمظاهر والمجاراة أكثر مما يعنون بالتغيير والادخار .

والسودانيون أهل شجاعة غريزية وراثية — وللرجل الشجاع قيمته فى المجتمع — ولهم فى تربية روح الشجاعة فى الافراد ، اساليب فطرية لم تزل شائعة فى أهل الريف بنوع خاص وهم الذين لم تدمغهم مدنية العواصم بطابع الرفاهية والنعومة : وإذا تقدم عدة خطاب لطلب يد عروس كان لعنصر الشجاعة أكبر مقام فى المفاضلة بين المتقدمين من الشبان .

ومن أبرز صفاتهم الإباء وعلو النفس فهم لا يقبلون الضيم والعنف والاذلال بل قد تفعل فيهم كلمة طيبة فعل السحر كما يأسرهم المعروف، ولهذا تحرص الحكومة هناك على أن تضع من الحكام من يستطيع تنفيذ سياستها وقوانينها باللين والمرونة والكياسة — اقتناعاً منها بأن اساليب الشدة هناك سياسة مفلولة السلاح .

وجدت في السودان أمناً شاملا يدعو للدهشة والاعجاب ، فهيهات ان يسمع بوقوع جرائم قتل أو سرقة أو إعتداء — ولا يمكن أن يكون ذلك الأمن كله راجعاً لقوة الحكومة أو رقابتها على هذه المساحات الشاسعة - ولكن المرجع الغالب هو نزوع الناس الى ناحية الخير والسلامة والتمسك بأوامر الدين الحنيف ونواهيه ولعل بعدهم عن خبائث المدنية وبقائهم على الفطرة هو الذى طهرهم من أرجاس الشرور التى تولد الجرائم وتفسد نفوس بنى الانسان .

أما الحالة الصحية فى السودان فباعثة على الرضى ، ولا شك أن الحكومة تبذل جهداً مشكوراً فى هذا السبيل فتنشىء المستشفيات فى كل مكان وتكثر من عدد الاطباء عاما بعد عام وتنفق على شؤون الصحة مبلغ ٢٨٦٦١٢ جنيهاً أى بنسبة ٦٫١٠ ٪ من مجموع المصروفات ، وذلك على أساس ميزانية سنة ١٩٣٨ .

ومع أنه لا وجود للمجارى فى مدن السودان حتى ولا فى الخرطوم أو أم درمان، فان الرقابة الصحية الدقيقة، والنظافة التامة، تحولان دون شعور السكان باى عيب من عيوب غيبة المجارى ولا تجعلان أى سبب للشكوى .

أما جو السودان فيتلخص فى أن أجمل الشهور به تبدأ من نوفمبر حتى منتصف أبريل ، وفى هذه الفترة من السنة قد يكون جو السودان من ابدع اجواء العالم اعتدالاً بين البرد والحر وجفاف محبب للنفس ، باعث على النشاط ثم يبدأ فصل الحر من منتصف أبريل الى نهاية يونية وهى الفترة التى لا تطيب خلالها الاقامة هناك للغرباء إذ تتراوح الحرارة حين ذاك ما بين ٤٢ ، ٤٧ درجة وتهب بين حين وحين عواصف رملية معروفة (بالهبوب) تسد الافق وتنفذ الى داخل المبانى من أحكم المنافذ . ولكنها لا تؤذى العيون ولا مسالك الهواء فى الانسان — ثم لا تلبث أن يعقبها مطر يصفو بعده الجو ويتجه للبرودة المستحبة فى ذلك الأوان.

أما خلال شهرى يوليو واغسطس فان الجو يتحسن بالسودان الى حد كبير بفعل الامطار التى يتوالى نزولها فيكسب الجو برودة حتى تصل درجة الحرارة ٢٣ الى ٣٥ كما نطالع بالصحف .

فاذا ما جاء شهر سبتمبر وانقطعت الامطار بدأ جو مشبع بالرطوبة والحرارة وكثر فى الهواء بعض الحشرات الطيارة التى لا تضر ولكنها تضايق الانسان على كل حال . وتدوم هذه الحالة خلال سبتمبر ومعظم اكتوبر ثم يتحسن الجو حتى يطيب تماماً ابتداء من نوفمبر كما اسلفت .

من ذلك ترون حضراتكم أن جو السودان خلال ثمانى شهور فى العام يكون من أجمل ما يتمنى الانسان : والاربعة تقضى فى الاجازات كما هى الحال فى معظم بلاد العالم فضلا عن أن للسودان مصايف شاهقة الارتفاع فى (اركويت) (وسنكات) وغيرها ، يلجأ اليها الكثيرون من كبار الموظفين

والاعيان ، فيقضون بها الصيف فى جو بارد قد يلبسون له المعاطف فى بعض الاحيان . فكل ادعاء بعد هذا الشرح على جو السودان بعدم ملائمته للاقامة مبالغات لا تستند إلى اساس .

أما أسباب المعيشة فى السودان فمتوفرة ، ميسرة للغنى والفقير ، كل فى حدود استطاعته ، ولكنها فى المتوسط قد تزيد عن مستوى المعيشة فى مصر بنحو ٢٠ ٪ — وليس هناك أرخص من اللحوم والطيور والاسماك وأما الخضراوات فيكاد يوجد منها كل ما يوجد فى مصر مع ارتفاع قليل فى اثمان بعضها .

وأما الفواكه فيوجد منها مع الكثرة والرخص الموز ، والجوافة ، والبطيخ ، والشمام ، والليمون الهندى ، والباباى ، والمانجو — وهذه كلها من الانتاج المحلى كما يوجد البرتقال ، واليوسفى ، ومعظمه من مصر والتفاح والكمثرى والعنب وتستورد من الخارج ولهذا فأسعارها غالية .

إن أراضي السودان المزرعة على قلتها بالنسبة للمساحة العامة ، إذ تبلغ ٢٩٠٢٨٥٥ فدانا من الجودة بحيث تعطي . بغير سماد . غلة قد لا تصل اليها الاراضى الجيدة فى مصر ، فان فدان القطن يعطى أربعة قناطير ونصف فى المتوسط ، وفدان الذرة يعطى سبعة أرادب فى المتوسط ، وفدان القمح يعطى خمسة أرادب فى المتوسط ، وكذلك يجود الفول والحمص واللوبيا والسمسم والفول السودانى . وأما حجم الفواكه التى تنتج هناك فيدل على مبلغ قوة الارض وصلاحيتها للاستثمار ، إذا وجدت الايدى العاملة والمال ، بالرغم من رخصها الكثرتها ، فالفدان يتراوح ثمنه بين عشرة قروش ومائة قرش .

أما الحياة الاجتماعيه فى السودان فجامعة بين المدنية الغربية فى العواصم التى يكثر سكانها من الافرنج كالخرطوم مثلا ، وبين المدنية الشرقية فى المدن التى معظم سكانها من الوطنيين كأم درمان ، وبين الفطرة العربية كما هى الحال فى ريف الجنوب بين الزنوج .

ومدينة الخرطوم التى يبلغ تعدادها ٤٦،٧٧٦ وتشبه مدينة الاسماعيلية او المعادى فى مبانيها وحدائقها وشوارعها فان بها مزيج الانجليز والسوريين واليونان والأرمن والطليان والسودانيين والمصريين ولكل جالية ناديها ومدارسها وحفلاتها ومجتمعاتها . وقد لا تخلو ليلة من حفلة راقصة ، أودعوة شاى ، أو وليمه عشاء ، أو محاضرة ، تتبادل فيها الدعوات والزيارات فلا يجد الانسان سبيلاً للملالة . وفيها داران للسينما وكثيراً من القهاوى والفنادق ، وملهى ليلى تؤمه الفرق الافرنجية من أنحاء العالم ويقبل عليه الافرنج بنوع خاص فيقضون به سمرهم ولهوهم .

وفى مدينة أم ادرمان وهى العاصمة الوطنية ويبلغ تعدادها ١١٠٩٥٩ وتقع على الضفة الغربية للنيل تجاه الخرطوم ويفصلها عنها كوبرى يسير عليه الترام بين المدينتين . توجد دار للسينما يملكها مصرى ، ويشتد عليها الاقبال كلما عرض فيها فلم مصرى — ويقضى الخاصة من سكان المدينة سهراتهم فى تبادل الزيارات بالمنازل جرياً على التقاليد القديمة التى كانت قائمة فى مصر الى عهد ليس ببعيد .

وبالخرطوم أزمة فى المساكن شديدة لأن معظم البيوت تملكها الحكومة ويسكنها موظفوها .

ولهذا فقد أخذ الكثيرون من الاهالى والمقاولين فى إنشاء منازل جديدة فى العام الاخير لتفى بحاجة الراغبين — ومما زاد فى حركة البناء بالمدن اخيراً ، أن الحكومة خصصت مبلغا فى ميزانيتها لتسليف الموظفين مرتب سنتين بفائدة ٥ ٪ ليبنى الموظف لنفسه بيتا ، ويقسط المبلغ عليه على عشرة سنوات إبتداء من يوم اعداد المنزل للسكن ويظل رهنا للحكومة حتى تستوفى دينها .

ولعلكم تحبون معرفة ما عليه المصريون فى السودان فى الوقت الحاضر . فالمصريون فى العاصمة يبلغ عددهم الف بين ذكور وأناث وأطفال ، ويبلغ عدد المصريين الموظفين فى حكومة السودان فى جميع الجهات نحو الخمسماية ومعظمهم من صغار الموظفين الذين استمروا فى خدمة الحكومة بعد حوادث سنة ١٩٢٤ . وأما فى التجارة فيوجد القليلون وأغلبهم من أهل الصعيد ، وبعضهم قد استولد فى السودان منذ عشرات السنين — ويجىء المصريون على كل حال فى مؤخرة الجاليات الاخرى من حيث العدد والمال والمركز التجارى ومع أنه كان لحوادث سنة ١٩٢٤ أثرها فى هذه الحال التى لا توجب الرضى والارتياح ، إلا أن الواقع أننا توانينا كثيراً عن غيرنا واهملنا طويلاً فى حق انفسنا . فهل آن لنا أن نصلح ما فات ؟ أن ذلك الامل والهدف الذى أرجوه وأتمناه .

أتعرفون من الذى يملك فى عاصمة السودان أكبر متجر؟ . أنه رجل من أفاضل أخواننا السوريين كان صيدليا فى الجيش المصرى مرتبه اثنى

عشر جنيها [1] ترك خدمة الجيش بعد أن جمع رأس مال لا يزيد عن خمسمائة جنيه ، وافتتح صيدلية ثم محلا لبيع المأكولات ـ وعمل وثابر حتى أصبح متجره يقدر بعشرات الالوف من الجنيهات ويعتبر بحق رمزا لشرف المعاملة والنظافة والنظام ، ويوجد غيره كثيرون من التجار الناجحين البارزين من السوريين واليونانيين وعدد قليل من المصريين المولدين .

سيداتى . آنساتى . سادتى .

لعل فى كلمتى هذه ما يحفزكم الى تعويض بعض مافاتنا فتقبلون على زيارة هذه البلاد لتروا ما فيها وتعرفوا ما طالما جهلتموه وتصلوا بينكم وبين أخوانكم الاقربين — انهم يفرحون بكم غاية الفرح ويتلقون المصريين بترحاب منطو على وحدة الميول والعواطف . ولا أدل على ذلك من الاستقبال الرائع الذى استقبلت به البعثة المصرية الاولى فى محطة الخرطوم سنة ١٩٣٤ وقد كان استقبالا حماسيا فاق حدود التعبير والوصف . ولعلكم سمعتم كيف أقبل الكثيرون من أعيانهم وتجارهم على زيارة مصر فى هذا الصيف ، فكانوا موضع كل تبجيل واكرام . فيا حبذا لو قام سراتنا وتجارنا وطلبتنا بالنزوح الى السودان فى فصل الشتاء . ويسرنى أن أقرر بأننا غير وانين عن عمل مختلف التسهيلات لتشجيع هذه الزيارات توثيقا للعلاقات .

ان اخواننا السودانيين يعلقون علينا كثيراً من الآمال ، ويرجون منا مضاعفة الاهتمام بشئونهم العامة حتى يشتد ازرهم ويقوى ساعدهم فى سبيل الاتصال الوثيق الذى نرتجيه .

---

(١) الاستاذ جورج مرهج

وانه لمن دواعى الاغتباط ان يشاهد فى العهد الاخير تطور ملحوظ نحو تنمية العلاقات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والادبية بين القطرين المتلازمين .

ومن أراد الوقوف على مدى ارتياح أهل السودان الى توثيق الصلة بمصر ، فليقرأ صحفهم حين نبئت اشاعة اعتزام جلالة مولانا المليك المفدى زيارة السودان فى الشتاء المقبل ، وكيف فاضت اقلام كتابهم بزف تلك البشرى السعيدة والتعليق عليها باعذب الالفاظ وأحلى الآمال .

ومما يضاعف ثقتى فى مستقبل سعيد باسم ، مبلغ اهتمام جلالة المليك المحبوب بشئون السودان ورفاهية أهله وعطفه الكريم على كل ما يقرب بين الشقيقين .

سيداتى . آنساتى . سادتى

تلك كلمة عامة أدليت بها توجيها لأنظاركم وتذكيراً لكم بما طالما انطلقت به حناجركم من أن (مصر والسودان لا يفترقان) وان (وادى النيل لا يتجزأ) وما يهتف به نوابكم فى بدء كل دورة (يعيش ملك مصر والسودان) لتردفوا القول بالعمل . ولتسيروا على الدرب . ومن سار على الدرب وصل .

أقطاب السياسة

من الثورة المهدية الى استرجاع السودان

هذا الفصل يستلزم أن يفرد له كتابا خاصا لا بل مجلدا ضخما لأن أقطاب السياسة كثيرون وقد ذكرهم التاريخ وذكر جهادهم ، وبالرغم من اعتراف بالعجز عن الالمام بهذا الفصل من جميع نواحيه اجترىء بان أدون رموزهم وفى هذا المضمار يبرز فى رأس القائمة اسم بطل نهضة السودان موقد نار الثورة المهدية : الامام محمد احمد المهدى :

<u>الثورة المهدية وأسبابها</u> : أما أسبابها فكثيرة أهمها شعور أهل السودان بالظلم فى حكم الاتراك . نعم فقد رزىء السودان بامثال حسن بك سلامه ، والدفتردار ، وخلافهما من الحكام فكانوا سببا فى اندلاع الثورة التى وجدت هذه الاستجابة السريعة . وهو مايفرض علينا احترام الشعب السودانى ، ولا عجب فكل شعب يثور لكرامته ولاحساسه بالظلم لا شك شعب موفور الكرامة دقيق الاحساس يجب على المؤرخ الصادق انصافه وتقديره . ولقد أصاب المهدى فى ثورته فقد أقام الدين فى البلاد وحكمها بالشرع واسس ملكا عماده العدل والرحمة ولقد كان من العوامل التى لا يجب اغفالها فى سبب اندلاع نار الثورة امتزاجها بالفكرة الدينية وميل الاهلين إلى كل مايشتم منه رائحة الدين أو التحيز اليه ، فلما نادى المهدى إلى الله لم يتردد الناس فى الاتجاه اليه

والالتفاف تحت ، لوائه ولا يسع المؤرخ المنصف إلا أن يقرر أن المهدى لم يكن رجلا عاديا بل كان ممتازا فى شخصيته وثقافته واتساع ذهنه وتدبيره وقدرته على العمل فقد تصوف فى بدء شبابه وأكب على درس الدين وانقطع له فاقبل عليه الناس واصبح له اتباع ومريدون كثيرون . لم يتردد المهدى أن نظر إلى ما حوله وأحس ظلم ولاة الاتراك وقد أوعزت اليه ثقته بنفسه وإيمانه بالله أن يناوئهم فيخلص الشعب من شرهم ولعل هذا الاحساس هو من أظهر طبائع النفوس الحرة الزكية فيشعرها بحقها ويدفعها إلى رفض الظلم وانكاره مهما كلفها من التضحية فى سبيل ذلك

من هو المهدى ؟

أسعدنى الحظ فلقيت الحسيب النسيب السيد على المهدى (نجل المهدى) فى يوليو الماضى فزودنى بنسب المهدى فى قصيدة شعرية من نظم الشاعر الكبير الشيخ محمد الامين القرشى ولم يشأ السيد أن يملى على شيئا من تاريخ المهدية ، ولعله امتنع تأدبا حتى لا يقال أنه تاريخ مأخوذ عن ابنائه فيتهم بالغرض أو التحيز التاريخى وهو منتهى ما وصل اليه الشمم والادب .

الامام محمد احمد المهدى هو محمد بن عبدالله بن فحل بن عبدالولى بن عبدالله بن محمد بن حاج شريف بن على بن احمد بن على بن حسب النبى بن صبر بن نصر بن عبدالكريم بن حسين بن عون الله بن نجم الدين بن عثمان بن موسى ابن ابى العباس بن يونس بن عثمان بن يعقوب بن عبدالقادر بن حسن العسكرى بن علوان بن عبدالباقى بن يعقوب بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله

ولد في جزيرة ضرار من أعمال مديرية دنقلا سنة ١٢٥٨ ﻫ ١٨٤٣م من نسل حاج شريف الذي اشتهر هناك بالتقوى والصلاح وكان أبوه



محمد احمد المهدى

نجاراً ماهراً في بناء المراكب فرحل به الى الخرطوم وهو إذ ذاك طفل ، فظل مشتغلا بصناعته إلى أن مات ودفن في كررى وقد خلف بنتا تسمى نورالشام ، واربعة ذكور ، وهم محمد (ومحمد احمد الذى نحن بصدده) وحامد وعبدالله الذى تركه حملا في بطن أمه .

قلنا في مقدمة هذا الفصل أن محمد احمد المهدى قد نشأ نشأة دينية بحتة ومال بفطرته الى التقوى فدرس القرآن في مدرستى كررى والخرطوم ثم اشتغل بدرس العلوم الفقهية فاخذ العلم عن الشيخ الامين الصويلح في مسجد ودعيسى بالجزيرة ثم الشيخ محمد الخير ببربر في النحو والتوحيد والفقه واشتهر بالورع والتقوى . وبعد أن أتم دروسه على هذه الصفة مالت نفسه الى التصوف فاندمج ضمن تلاميذ الشيخ محمد الشريف حفيد الشيخ الطيب صاحب الطريقة السمانية فانقطع إلى الصلاة والعبادة ومالبث أن أظهر من التقشف والزهد ماميزه عن سائر التلاميذ . فمال اليه شيخه من كل قلبه واعطاه رايه وأذن له في الذهاب أين شاء .

وفى سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٧١م رحل الى جزيرة (ابا) وهو إذ ذاك في الثامنة والعشرين من عمره فبنى هناك جامعاً للصلاة وخلوة للتدريس فلم يمر وقت طويل حتي التف حوله سكان تلك الجزيرة وهم دغيم وكنانة وغيرهم من عرب البادية واخذوا العهد عليه ودخل معظمهم في تلمذته فاشتهر صيته وكثر اتباعه وانصاره ومن أبرز هؤلاء الانصار على ودحلو الذى جعله خليفته الثانى فيما بعد .

وكان من عادته أن يخرج سائحا مع بعض خواصه منذرا وداعيا لله وقد جال في بعض البلاد من دنقله إلى سنار شمالا وجنوبا ومن النيل الازرق إلى كردفان شرقا وغربا وشعر بتذمر الناس من الحكومة وشدة رغبتهم في التخلص منها وأدرك الظلم الواقع على الأهلين فعقد النية على تأدية واجبه للقيام برسالة المهدية ففعل .

وقد وفد عليه عبد الله التعايشى الذى لعب دورا خطيرا فى المهدية وكان ساعد المهدى الايمن حتى اخلف المهدى بعد وفاته فدعى (خليفة المهدى) فبايع المهدى التعايشى وقربه واكبر منزلته.

وفى مارس سنة ١٨٨١ شرع فى اظهار رسالته فصرح بها فى جمع من خواصه وعلى رأسهم عبد الله التعايشى ثم خرج بهم سائحا الى دار الغرب ثم الابيض وقفل راجعا الى جزيرة (ابا) ومر فى طريقه على جبال تقلى والنوبة.

ولما عاد الى جزيرة (ابا) فى يونيو سنة ١٨٨١ شرع فى دعوة الناس اليه نخاطب الفقهاء والاعيان ومشايخ الطرق والقبائل وحثهم على القيام معه لنصرة الدين والانضمام اليه ومبايعته على الجهاد فى سبيل الله.

وكانت قد اتسعت شقة الخلاف بين المهدى وبين استاذه محمد شريف فابلغ هذا حكمدار الخرطوم رؤوف باشا، بان المهدى كاد أن ينتزع منه الحكم ويسيطر على البلاد فلم يأبه رؤوف باشا الى ذلك أولا حتى وقع فى يده منشورات مما كان يذيعها المهدى فكتب اليه رؤوف باشا يستفسر صحة هذه المنشورات فاجابه المهدى بكل شجاعة أنه هو الذى كتبها وأمر باذاعتها وأن ما بها صحيحا لا يقبل الجدل ولا الالتواء. وكانت منشورات المهدى قوية اللهجة شديدة العبارة فى صيغة أدبية مما يدعو الى الاعتقاد أن المهدى كان ملما باساليب الكتابة وتأثيرها على النفوس

فجمع رؤوف باشا العلماء واطلعهم على كتاب المهدى ومنشوراته وسألهم رأيهم فاتهمه بعضهم بالشعوذة من شدة انعكافه على الزهد والعبادة

ومع ذلك فقد قر رأيهم بالأجماع على القبض عليه للعمل على كبت هذه الدعوة قبل اتساعها. فامر رؤوف باشا أحد معاونيه وهو (محمد بك أبو السعود) أن يسافر الى جزيرة (ابا) لهذا الغرض فصدع بالامر ووصل اليها فى ٧ اغسطس سنة ١٨٨١ فوجد المهدى فى غاره وحوله جمهور من تلاميذه فسلم عليه وأبلغه أمر رؤوف باشا قائلا (أن حكمدار السودان بلغه أمر الدعوة التى قمت بها وأرسلنى لآتى بك الى مدينة الخرطوم وهو ولى الامر الذى تجب طاعته) فاجابه المهدى بغير تردد (أما الوصول معك الي الخرطوم وهو ما لا سبيل اليه. وأنا ولى الأمر الذى تجب طاعته على جميع الامة المحمدية) فناقشه ابو السعود بك واغلظ له المناقشة حتى قال مخاطبا المهدى (أرجع عن هذه الدعوة فانك لا تطيق محاربة الحكومة وليس معك من يقاتلها) فاجابه المهدى وهو يبتسم (أنى أقاتلكم بهؤلاء مشيرا الى اصحابه. ثم التفت الى تلاميذه وسألهم (أأنتم راضون بالموت فى سبيل الله ؟؟) فاجابوا فى صوت واحد نعم راضون وباذلون أرواحنا فى رضى الله ورسوله ومهديه. فالتفت الى ابو السعود بك وقال عد الى ولى أمرك وبلغه ما رأيت وسمعت. فعاد وابلغ رؤوف باشا ما رأى من صدق عزم المهدى واخلاص أعوانه وأنصاره. بعد ذلك وقعت بين المهدى والحكومة عدة مواقع كان النصر فيها كلها حليف المهدى فقد انتصر فى واقعة ابا فى ١٢ أغسطس سنة ١٨٨١ انتصاراً باهراً رغم اصابته برصاصة استقبلها بكل شجاعة، فجرح جرحا بليغا فى كتفه الايمن حتى اختضب جسده بالدم.

ثم انتصر فى واقعة المختار فى جبل الجراده فى ٩ اكتوبر سنة ١٨٨١ .
وجبل الجراده هذا ، جبل حصين يسكنه أخلاط من العرب والنوبة
وعليه ملك يسمى المختار تصدى للمهدى وهو فى طريقه الى جبل قدير
فتغلب عليه المهدى وقتله .

وانتصر فى واقعة راشد بك مدير فاشوده فى ٩ ديسمبر سنة ١٨٨١
حيث جرد على المهدى جيشا عرمرما يربو على ١٤٠٠ مقاتل رغم ممانعة
رؤوف باشا (حكمدار الخرطوم يومئذ) وقد تكتم سيره بقصد مباغتة
المهدى لولا امرأة كنانية تدعى (رابحه) رأته فأسرعت بالخبر الى المهدى
فجمع المهدى رجاله وكانوا قد بلغوا بعد واقعة (ابا) ثمانية الاف رجل ،
فحملوا على راشد بك حملة رجل واحد ، فتلقوهم هؤلاء بالرصاص فصبر
اصحاب المهدى على نارهم ثم هاجموهم بعزم وصدق فشتتوا شملهم وقتلوهم
شر قتلة .

ثم انتصر فى واقعة الشلالى باشا فى ٢٩ مايو سنة ١٨٨٢ وقد سار الى
محاربة المهدى على رأس ثلاثة عشر بلوكا من العساكر النظامية و ١٥٠٠
رجل من الباشبوزق والخطرية وسافر بجيشه من الكوه قاصداً جبل قدير
حيث يقيم المهدى . وقد ارسل يوسف باشا الشلالى كتابا الى المهدى
يدعوه الى التسليم وحقن الدماء فلم يتردد المهدى أن كتب اليه رداً
صارخا كل حرف منه يشهد شهادة حق على عظمة المهدى وثقته بنفسه
ورجاله . وقد جاء فى الكتاب المذكور بعض فقرات يفخر بها التاريخ
حيث قال : (فسارعوا الى محاربتنا ان كنتم كما زعمتم رجالا ابطالا ،

وان كنتم أهل دراية بالحرب فليس بيننا وبينكم إلا السيف) وقد قتل في هذه الواقعة الشلالى باشا نفسه كما قتل السيد حامد اخو المهدى .

بعدئذ انتشرت الثورة المهدية فى دارفور وبحر الغزال وفى ٥ يناير سنة ١٨٨٣ استولى المهدى على بارا واضطرت الأبيض فى ١٩ منه الى التسليم اتقاء شر الجوع فدخلت كردفان تحت حوزته وأصبح المهدى الحاكم المسيطر على كردفان .

وبالرغم عن أن البلاد قد دانت إلى المهدى فقد أدرك أن الحكومة ستحمل عليه بكل قوتها لانتزاع كردفان من بين يديه . وقد كان ، فقد أعدت الحكومة حملة . بلغ عدد جنودها إحدى عشر الف رجل وكان معهم ٥٥٠٠ جمل و ٥٠٠ فارس واربعة مدافع كروب وعشرة مدافع جبلية وستة مدافع من نوع آخر .

فلما وصلت هذه الحملة إلى شيكان هجم عليهم أنصار المهدى من كل جهة فقتل قائدها هكس باشا وكل قواده وجنده إلا القليل .

بعد ذلك عاد المهدى إلى الأبيض بالمدافع والذخيرة والاسلاب وكان دخوله اليها دخول الفاتح باحتفال شائق لم تر الأبيض مثله . بذلك ، قويت شوكة المهدى ، واعتز جانبه ، وبرز مكانه وكان سلاطين باشا وقتئذ مديراً على دارفور فلما علم بفشل حملة هكس لم ير بدا من التسليم فبعث إلي المهدى راجياً ارسال من يشاء لاستلام البلاد ، فبعث اليه بالأمير محمد خالد وأوصاه بسلاطين باشا خيراً .

فجاء سلاطين مخفوراً فلما تمثل بين يدى المهدى بايعه وأظهر الأسلام وسمى (عبدالقادر صلاح الدين)

وتكاثر دعاة المهدى بعد انتصاره على هكس وتقاطر الناس اليه قبائل وجماعات قياماً بنصرته . ومن أشهر الذين وفدوا على المهدى بعد حادثة الأبيض (عثمان دقنه) الذى اتاه من سواكن فسماه أميراً على جميع البجة فى السودان الشرقى فكان من أعظم أنصار المهدية وأشد أياديها .

هذا النصر العظيم والفوز المتتابع الذى أحرزه المهدى قد رفع من شأنه وكرامته ، فهاجر اليه الناس من كل فج وحدب ، وبايعوه والتف حوله أهل السودان قاطبة بالأخص لأنه أقام العدل بينهم فرفع عنهم الضرائب التى كانوا يئنون منها وأطلق لهم الحرية فى البيع والشراء .

وقد جعل المهدى جل غايته وأولى رغباته اعادة الاسلام إلى ما كان عليه فى اول أمره وذلك تشبهاً بالنبى (صلعم) فنظم حكومته على ما تقتضيه هذه الغاية فى الجيش والمال والقضاء .

حكومة المهدى

ذهب المهدى فى نظام جيشه مذهب الخلفاء الراشدين فعين خلفاء أربعة يتولون الأمر بعده . أولهم عبد الله التعايشي الذى عقد له على جميع قبائل السودان الغربى كالتعايشة والزريقات والحمر وخصه بالراية الزرقاء وقد ميزه المهدى (بالامباية) وهى التى يبوق فيها لجمع الجيش وجعله رئيساً عاماً على الادارة والجند وقدمه على غيره لأنه كان مقداماً قادراً على ادارة

الجند ذكيا واعيا . حدثني من اثق بروايته أن عبد الله التعايشي كان من خلصاء المهدي المسموع الكلمة في شوراه وصاحب الفضل في كل انتصاراته وغزواته .

والثاني علي ودحلو الذي عقد له على عرب دغيم وكنانه وخصه بالراية الخضراء وكان هذا أيضا من أنصار المهدي البارزين الذين يشهد لهم التاريخ بالكفاءة والمقدرة التامة .

والثالث محمد السنوسي الذي خصه المهدي بكرسي الخلافة فرفضه فظل شاغراً وكان من عزم المهدي أن يخصه بالراية الصفراء ليجمع بذلك أقطاب الرايات الاربعة .

والرابع محمد شريف ابن عم المهدي وقد عقد له على أنصار السودان الاوسط وهم أهل دنقله وبربر والخرطوم وسنار وخصه بالراية الحمراء .

أما المال فقد أنشأ له ادارة سماها (بيت المال) وحفظ فيها أموال الجند والعشور والزكاة والغنائم والغرامات وعهد به الى صديق اسمه (احمدودسليمان) وهو من أعز أنصاره ومن أوثق الناس الى نفسه .

وقد أسند ادارة القضاء الى الشيخ (احمد ود جباره) من علماء الازهر الشريف الذين صحبوه في جزيرة (ابا) ولقبه بقاضي الاسلام وجعل دونه قضاة ونوابا كثيرون .

وبعد أن استقر الأمر بالمهدي كان يعسكر برجاله وخيله حول الأبيض فقلت المياه هنالك وخشي المهدي أن يصيبهم العطش فاشار بالانتقال الى

الزهد حيث الماء غزيراً فانتقلوا اليها في أواسط ابريل سنة ١٨٨٤ وأقاموا
فيها والمهدي يقضي نهاره في الوعظ وليله في الصلاة .

ثم بلغ المهدي خروج الجنود المصرية من الخرطوم على أهل الجزيرة
فبعث محمد أبا قرجه أميراً عليها في عدد عظيم من الرجال وذلك لمحاصرة
الخرطوم فحصلت بينه وبين جنود الخرطوم وقائع كان النصر فيها
لرجال المهدي بعد أن أبلى الجنود المصريون بلاء حسنا وأظهروا من البطولة
ما لا ينساه التاريخ .

بعد ذلك أرسل المهدي (محمد الخير) أميراً على بربر فسار اليها
وحاصرها وفتحها وأرسل مديرها (حسين باشا خليفه) أسيراً الى معسكر
المهدي في كردفان .

وخلاصة الأمر أن أحجار السودان ورماله كادت تنطق بصوت واحد
(صدق محمد احمد) . فلما انقضى رمضان ذلك العام ، قرر المهدي أن ينزل
لمحاصرة الخرطوم فزحف برجاله ضاربين نقاراتهم حتى أشرفوا على الخرطوم
وسلاطين معهم فعسكروا هنالك تحت راية عبدالله التعايشي . ثم أمر المهدي
أن يحدق جنده بالخرطوم ويشددوا الحصار عليها وأمر قواد جيشه أن
يحاصروها من البر الشرقي للنيل الابيض عند مكان اسمه (الكلا كلا)
وأن يحاصروا طابية أم درمان على البر الغربي .

ومازالو محاصرين تلك الطابية حتى فتحوها في ١٥ يناير سنة ١٨٨٥
ويؤخذ من تقرير كتبه الشيخ (العضوى احمد) أحد قواد المهدية
أن المهدي قد شدد الحصار على الخرطوم حتى تسلم من الجوع كما قبل

بالابيض من قبل . فلم يمر وقت طويل حتى بلغه أن الحملة الانجليزية قادمة لانقاذ الخرطوم وغردون باشا .

فبعث اليها جنداً لاقاها فى أبى طليح تحت قيادة موسى ودالحلو وأبى صافيه فعادت خاسرة فارسل جنداً آخرين الى المتمة بقيادة (نور عنقره) فانكسر أيضا .

فلما بلغ المهدى خبر انكسار رجاله جمع أمراءه وخلفاءه فى جلسة سرية للتشاور فاشار عليه بعضهم بالاستمرار فى حصار الخرطوم ومهاجمتها وعدم الالتفات الى الجيش الانجليزى القادم .

وفى ٢٥ يناير سنة ١٨٨٥ بلغه قيام الحملة من المتمة فلقرر على مهاجمة الخرطوم صباح اليوم التالى (الاثنين ٢٦ يناير) .

وفى مساء ذلك اليوم عبر المهدى النيل الابيض إلى أم درمان وتفقد المعسكر فى (الكلاكلا) وخطب هناك خطابا استثار فيه نفوس المجاهدين وحثهم على الجهاد وأوصاهم أن لا يقتلوا غوردون باشا . ولما اتم خطابته عاد مع رجاله إلى أم درمان .

وفى الصباح التالى فى الساعة الاولى بعد منتصف الليل زحف رجال المهدى من (الكلاكلا) بقيادة (ود النجومي) لتهاجم سور المدينة من جهة باب المسلمية ثم من ناحية برى من جهة أخرى .

أما غوردون باشا فقد يئس من قدوم الحملة وبات ليلته يراقب أسوار المدينة لا يغمض له جفن فرأى العرب قد دخلوا السور وسمع اطلاق النار فادرك انه لم يعد فى يده حيلة فلبس ثيابه وتقلد سلاحه وهم بالنزول فلاقاه

ثلاثة من رجال المهدى فى أعلى السلم ، فسألهم (أين محمد احمد ؟؟) فاجابوه بطعنة قاضية نخر قتيلا ولم يبد دفاعا . وقطعوا رأسه وحملوها إلى المهدى فى أم درمان .

ويقال أن المهدى اذ علم بقتل غوردون باشا ساءه ذلك كثيراً .

هكذا سقطت الخرطوم عاصمة السودان فى يد المهدى . ولكنه لم يقم فيها بل أقام فى أم درمان حيث جعلها عاصمة ملكه .

أما الحملة الانجليزية فانها انسحبت من المتمة الى كورتى ثم عادت الى دنقلا فمصر وأصبح السودان مملكة (الأمام محمد احمد المهدى) غير منازع.

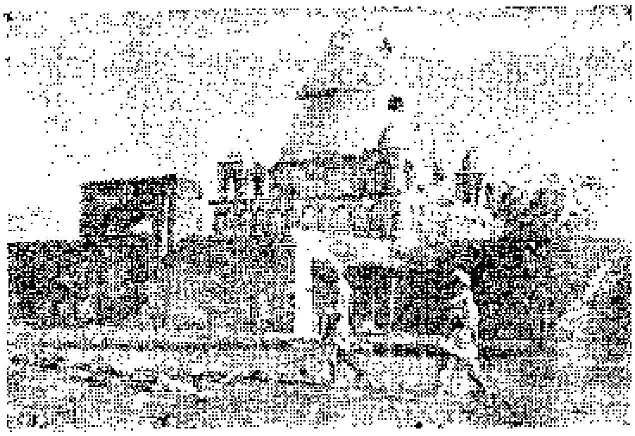
فلما فتحت الخرطوم وعادت الحملة الانجليزية إلى مصر ازداد الناس وثوقاً بالمهدى لما شاهدوه من توفيقه ، فانه ما شهد موقعة إلا انتصر فيها ولا حاصر مدينة إلا فتحها . وإذا عرفت ما لاقته الحملة الانجليزية القادمة لانقاذ غوردون من العراقيل والعوائق عجبت لما اتفق للمهدى من غرائب التوفيق الذى لازمه طول حياته إلى أن وافاه القدر المحتوم فى ٢١ يونيو سنة ١٨٨٥ على أثر اصابته بالحمى اصابة شديدة لم تنجح فيها حيلة . ففارق هذا العالم بعد أن أرضى ربه وشعبه وحوله خلفاؤه الثلاثة . وقبل أن يلفظ النفس الأخير قال لمن حوله بصوت منخفض (ان الخليفة عبدالله هو خليفتى وهو منى وأنا منه فاطيعوه ما اطعتمونى) ثم استغفر الله وتلا الشهادتين وجعل يديه متقاطعتين على صدره وأسلم الروح .

ولم يكد يسلم الروح حتى تقدم الحضور فبايعوا عبدالله التعايشى وسموه

(خليفة المهدى) وكان فى جملة من حضر موت المهدى زوجته عائشة ويدعونها (أم المؤمنين).

وكان الناس قد تجمهروا مئات وآلافا حول المنزل ينتظرون الخبر عن سيدهم فلما علموا بموته ضجوا وصاحوا مولولين. فلفوا الجثة بالاكفان ودفنوها ثم بنى عليها قبة حيث سموها (قبة المهدى).

وبعد دفن المهدى سار (خليفة المهدى) إلى الجامع وخطب فى الناس وأنبأهم بوفاة المهدى فبكى وبكى الناس معه فاوصاهم بالطاعة والاتحاد وبعد الخطبة تقدم الناس لمبايعته وأصبح بذلك الحاكم المطاع.

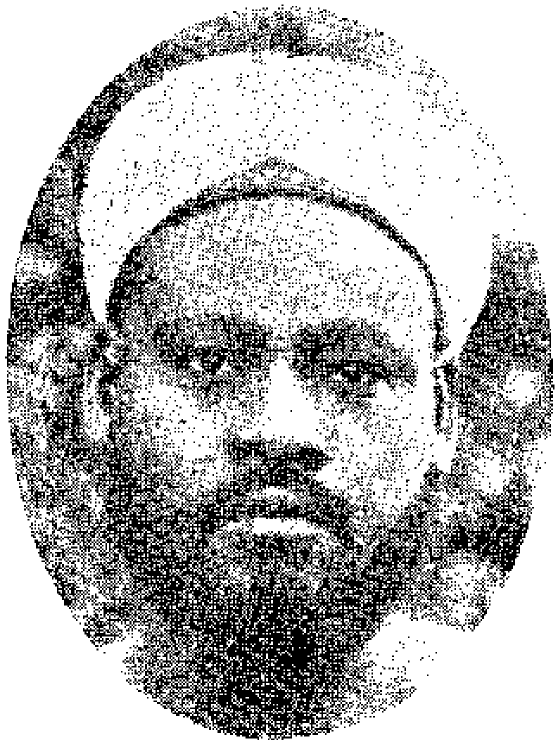


قبة المهدى

هذا مختصر تاريخ الثورة المهدية ومختصر تاريخ بطلها ومنشئها وموقد نارها (الامام محمد احمد المهدى). وهو كما ترى تاريخ ناصع مجيد لن يغيب اسم صاحبه عن صفحات التاريخ بل يسجل له السؤدد والعظمة ويطبعهما بطابع الخلود.

هذا منتهى ايجاز تاريخ المهدية واليوم يتمتع السودان بخليفته المعظم السير السيد عبد الرحمن المهدى باشا. الذى قدر جلالة مولانا الملك فاروق زعامته، فخلع على سيادته رتبة الباشوية الرفيعة الشأن. وهو أيضا حامل نيشان القديسين ميخائيل وجورج مع لقب Sir سير من الحكومة الانجليزية.

وقد يُرهَق من يظن نفسه قادراً أن يحصى حسنات هذا السيد العظيم فقد خلق ليكون زعيما . لا يغمض له جفن ولا يحصر تفكيره إلا فى فائدة



السيد السيد عبد الرحمن المهدى باشا

بلده وأبناء شعبها ، فما بنيت مدرسة ، ولا اشيد جامعا إلا و كان هو المساهم الاول وواضع حجر الاساس . هو صاحب مهرجان الزواج الذى يقام كل عام على حسابه الخاص فيتزاوج فيه ابناء الامة ببناتها وهو مشروع يدل على ما للسيد من عميق التفكير فى مصلحة البلاد وفائدتها .

والسيد مع هذه العظمة سهل الحجاب اذا أنت زرت سرايه فى الخرطوم أو فى أم درمان ، رأيت العجب ، رأيت مئات الناس كلٌّ بدوره ينتظر المثول بين يديه ، كلٌّ بحاجته ، فهذا طالب رأى ومشورة . وذاك

طالب رفد واحسان ، وغيره طالب بركة ودعاء ، وترى الناس يخرجون من لدنه وكلهم باسم الثغر مستبشر .

السير السيد عبدالرحمن فى العقد السادس من عمره طويل القامة ، مهيب الطلعة ، حسن البزة ، حلو الحديث ، إذا حادثته تشعر بالعظمة تتجلى فى حديثه ولا عجب فهو من دهاقنة السياسة . حسن استماع واصغاء ، وسلامة عبارة ومضاء . مدحه الادباء ، وتغنى بمدحه الشعراء ، وهذا الاستاذ الكبير والشاعر الفحل احمد افندى محمد صالح يستقبله عند عودته من لندن فيقول:

أمام الهدى قرت بمرآك أعين ... وطابت نفوس حين عدت واعقل
غنتك إلى الخيرات اعراق هاشم ... فانت لهذا القطر ركن وموئل
وأقسم ما قاسوك بالبدر مبسما ... وشمس الضحى الا ووجهك أجمل
ابوك أقام الدين والفسق ضارب ... باطنابه والناس للحق تجهل
الا الفخر (بالمهدىّ) يفخر نسله ... ويفتخر السودان والدين يجمل

وقد كانت زيارته الاخيرة لمصر وأوروبا عام ١٩٣٧ ، برهانا قاطعا على مكانته السامية . فقد احتفت به الحكومة المصرية ودعاه الى مائدته سمو الأمير الجليل عمر طوسن . أما فى أوروبا فقد قوبل بما لا يقل عن ذلك ، فكان أول من تفضل جلالة الملك جورج فدعاه الى مقصورته الخاصة حيث تناولا الشاى معاً .

وإلى جانب مايتمتع به سيادته من نفوذ دينىّ عظيم ، وما يتحلى به من مكارم الاخلاق والكرم الحاتمي ، فانه قد اقتحم الميدان الاقتصادى فبرز فيه اماما وللعاملين زعيما ومثالا يقتدى به .

وهذه مشروعات الزراعة والرى بالآلات الحديثة فى جزيرة أبا تنطق بما للسيد من ذكاء وقريحة نقادة وسعة صدر . أما كرم السيد فقد أصبح مضرب المثل فهو كعبة يحجها أصحاب الحاجات .

حدثنى صديق أن السيد لشدة كرمه ولشدة الشبه بينه وبين سمو الأمير الجليل عمر طوسن فى الجود وتشجيع الناشئين وتنشيط المخلصين دعوه الناس (طوسن السودان)

وللسيد أنصار يعدون بالملايين إذا ذكر اسمه أمامهم انحنوا اجلالا واحتراما له . ومن أبرز أنصاره شقيقه الحسيب النسيب السيد على المهدى الذى يعتبر بحق فى طليعة رجال العصر الحاضر علماً وأدباً وذوقاً واخلاصاً .



الحسيب النسيب السيد على المهدى

زرته فى مكتبه فى أم درمان فرأيت ما شاء الله أن أرى . حسن

وفادة وطلاوة حديث ودقة فهم واتزان يشهد حقا انه (ابن المهدى)

ولا شك أن المؤرخ ليذهب تعبه سدى إذا حاول أن يجمع أنصار المهدى فى كتاب كهذا غير أن مالا يدرك جله لايترك كله فنكتفى أن نذكر البارزين الذين لن يغيب اسمهم عن الذاكرة والذين هم فى الواقع من أبرز أنصار السيد عبد الرحمن المهدى باشا

فالأول السيد عبد الله الفاضل حفيد الأمام محمد احمد المهدى وهو شريف من أشراف الحسينية فى دنقلا . يتمتع بشخصية من أبرز الشخصيات وأكثرها احتراما ويتمتع بثقة السيد عبد الرحمن بنوع خاص



السيد عبد الله الفاضل



السيد يعقوب الخليفة على الحلو

لذلك قد جعله وكيلا عاماً لدائرته وناظراً على جميع مزارعه . ميال بفطرته

إلى الخير . محب لمساعدة الناس على جميع مذاهبهم لذلك قد نال محبتهم ولا شك أن من أحبه الله أحبه الناس.

أما الثانى فهو السيد يعقوب بن الخليفه على ودحلو . كان أبوه الخليفة الثانى من خلفاء الأمام المهدى (انظر حكومة المهدى) . ساهم فى أكثر حروب المهدية وكان ينوب عن السيد عبد الله التعايشى فى الأمامة .

غامر فى وقائع المهدية وقام بقسط وافر فيها حتى جرح فى واقعة كررى جرحاً بليغاً . سار مع خليفة المهدى وأخلص اليه حتى النفس الأخير حيث قتل فى واقعة جديد بعد أن سجل على صفحات التاريخ بطولته . وكما كان الخليفة على مخلصاً للمهدية وخلافتها كذلك قام ابنه السيد يعقوب على وتيرته مخلصاً للسيد عبد الرحمن المهدى باشا الذى قربه اليه فأصبح من أهل بيته .

وان انس لا انسى سكرتير السيد الخاص الاستاذ (زين العابدين ابراهيم) فهو حركة عمل دائمة لا تكل ولا تمل . تراه فى مكتبه بذلك اللباس العربى الرائع البديع ومع كثرة عمله ومسؤولية يدهشك بنشاطه ، فبينما تراه يحرر خطاباً ، إذ تراه يحادث آخر فى آلة التيلفون . وبينا هو يوزع أوامر السيد . إذ ترى السيد وقد أرسل فى طلبه لامر آخر .

وهو فوق هذا وذاك يقابل الوفود بذوقه الممتاز وكياسته التى لا مثيل لها . هو الزم للسيد من ظله فان صلى فى أم درمان فهو فى ركابه ، وان

سافر للجزيرة فهو عند بابه ، ولا عجب فهو سكرتير خاص يعرف تقاليد وآداب الملوك .

هذه كلمة مختصرة عن السير السيد عبدالرحمن المهدى باشا وبعض خواصه وانصاره البارزين أمانيها الاخلاص والحق فليتقبلها التاريخ .

* * *

الخليفة عبد الله التعايشي : — إذا برز اسم المهدى فى رأس قائمة أقطاب السياسة فلا يبرز بجانبه أو فى صفه سوى اسم خليفته عبد الله التعايشي الذى يعتبر متمماً للثورة المهدية لا بل هو جزء لايتجزأ منها .

ولما كنت فى السودان زائراً فى يوليو سنة ١٩٣٩ جمعنى مجلس بشيخ من الشيوخ الثقاة الذين عاصروا المهدى وعاصروا الخليفة عبد الله ، فطلبت اليه أن يحدثنى عن الخليفة عبد الله بعد أن أفهمته انى انا أجمع المعلومات عن كتاب يكون حجة فى تاريخ السودان . فسكت الشيخ برهة ثم قال بلهجة الجد . أتعدنى أن تنشر ما أمليه عليك ؟؟ قلت نعم أن كنت تعدنى أن تمليني الحق ، قال إذن سأحدثك حديث العارف ، حديث يرضى الله قبل أن يرضى الناس كما يرضى التاريخ لأنه الصدق لا التواء فيه ، واقسم بشرفى واشهد الله اني موافيك باصدق الانباء عن الخليفة كما عرفته وكما رأيته قلت إذن قل ، فقال .

يرجع للخليفة عبد الله كثير من الفضل فى بروز جانب الثورة المهدية ونجاحها فقد كان موضع ثقة الأمام المهدى وكان محل سره ، وموضع

مشورته ، ولا عجب ، فقد كان رجلا ً فذاً ، باسلا ً ، ممتازاً فى رأيه ، شجاعاً صريحاً ، لاهوادة عنده فى الحق . ولقد أصاب الأمام المهدي إذ قربه اليه ، وجعل له الصوت الأول بين مشيريه، والمكان الأسمى بين قواده ومناصريه.

لم يكد يلفظ المهدى النفس الاخير حتى تقدم الجمهور فبايعوه وسموه خليفة المهدى ، وبعد دفن المهدى سار الخليفة وتبعه جيوش من الناس الى الجامع فخطب فيهم خطبة رائعة لازلت أذكر بعض الفاظها وكان الخليفة فى ذلك اليوم خطيبا بارعاً على عليه وجدانه ماكان يقول . ولا زلت أذكره والدمع يترقرق فى عينيه ، فأنبأ الناس بوفاة المهدى وأمرهم بالطاعة والاتحاد وبعد أن بكى وبكى الناس معه ، تقدم جمهور الناس لمبايعته والاعتراف به (خليفة للمهدى) . وهكذا ظل الخليفة عبد الله يقيم العدل فى الناس ، وكان حاكماً عادلاً كما امتاز بحسن الادارة والتدبير وكان غيوراً على الدين ، مهاباً ، مطاعا ، لايجسر أحد على مخالفة أمره أو اشارته .

ومما يؤخذ على الخليفة عبد الله أنه كان يستعمل القسوة فى بعض الاحايين وكان سريع الغضب شديد النقمة وقد اتهمه بعض المقربين اليه أنه كان يصغي الى النميمة على أن بعض الحوادث قد دلت على عكس ذلك .

ومن المزايا التى كان يتحلى بها الخليفة عبد الله ، انه كان شديد الايمان بربه ، له من الثقة والاعتماد على نفسه ، ما كان له الفضل الأول فى القيام باعباء ملكه . وكان أيضا متدينا يلازم الصلوات الخمس فى مواعيدها ، وكان ينحى باللائمة على امرائه اذا هم تخلفوا عن الصلاة ، كما كان يصلى الفجر حاضراً .

كان لعبد الله التعايشي صفات الملك بكل معانيها وكانت تلوح في أسارير وجهه علامات التفكير المتوالي . فاذا جلس في مجلسه وأراد أحد الدخول عليه استأذن أولا فاذا أذن له تجرد من سلاحه ووضع يديه على صدرة ودخل مطاطئاً إلى أن يقترب من مجلس الخليفة فيقف ويسلم سلام الخلافة (السلام عليك يا خليفه المهدى) فيجيبه وعليك السلام فاذا أشار اليه بالجلوس تقدم فأخذ يده وقبلها وهو جاث ثم ينهض ويرجع القهقرى حيث يجلس بعيدا عن مجلس الخليفة ببضع خطوات جاثياً على ركبتيه واضعاً يديه عليهما ولا يبدأ الحديث إلا إذا أذن له كذلك لا ينصرف من حضرته الا باذن منه فاذا أراد الانصراف رجع القهقرى ووجهه صوب الخليفة وظهره صوب الباب حتى يخرج من لدنه .

كان الخليفة عبد الله أسمر اللون (١) عربي الملامح جذاب البشرة وقورا خفيف اللحية مستديرها فاذا تكلم برزت أسنانه بيضاء فيبدو لك كأنه يبتسم وهو ليس كذلك . أما لباسه ، فقد كان على ما كان عليه المهدى من الزى ، جبة فوق السراويل ، وعمامة فوق المكاويه . أما حذاؤه فكان الخف الاصفر في الحذاء فاذا مشى تبعه الغلمان وهو يحمل سيفه وكان يفضل ركوب الخيل على العربات ولعل هذا مظهر من مظاهر شجاعته وفروسيته .

---

(١) لقد راجعت هذا الوصف في كتاب السيف والنار تأليف سلاطين باشا فوجدته ينطبق على الواقع وهو دليل على أن الراوى قد عرف الخليفة عبد الله معرفة صحيحة كما عرفه سلاطين باشا الذى عاش في معسكر الخليفة زهاء الاثني عشر سنه ملازماً لبابه لا يبرحه ليلا ولا نهاراً .

من أظهر صفات الشجاعة فيه أنه كان يحتقر الموت وليس أدل على ذلك من أنه بعد واقعة الاتبرة التى أسر فيها الأمير محمود جمع ذوى شوراه للتفكير معهم فأشار عليه بعضهم بالهجرة فغضب الخليفة لهذا الرأى الذى يتنافى مع الشجاعة وأمر بعقابه قائلا (انى احارب حتى أقتل) وهو أقصى ما بلغ اليه الاعتماد على النفس والايمان بالله .

قرن الخليفة القول بالعمل حين لاقى جنود الحكومة ببسالة منقطعة النظير فى شهر سبتمبر سنة ١٨٩٨ وان كان لم يكتب له النصر واضطر إلى مغادرة أم درمان . فان من حق التاريخ أن لا ينكره الرجولة والإقدام اللذان أبداهما . ولا تنس أن الخليفة عبدالله من صميم العرب المجاهدين ،

وقد كان لمقام والده السيد محمد وذريته ومكانته نصيب وافر فى استجابة دعوة المهدية فلا عجب أن يصبح الخليفة عبدالله (خليفة للمهدى) فقد كان ذلك بطبيعة مركزه وشخصيته . ولقد أشاع بعض المغرضين عنه (بعد وفاة المهدى) ما لا يتفق مع الواقع كما أشاعوا عن المهدى من قبله والواقع الذى لاريب فيه أنهم قصدوا تشويه سمعة القائم بالأمر بعد المهدى . والناس مفطورون على تصديق كل ما يقال دون تريث أو بحث .

ومن دواعى ثقة الخليفة بنفسه أن أرسل كتباً إلى عظماء الملوك يصارحهم بمكانته ويطلب اليهم التسليم والاذعان إلى المهدية فقد أرسل إلى مصر ثلاث كتب يحفظها التاريخ أولها إلى المليكة فكتوريا ملكة الانجليز (وقتئذ) ثم إلى سمو الخديوى توفيق باشا وآخر إلى جلالة السلطان عبد الحميد سلطان تركيا . وقد جرت مفاوضات بينه وبين منيليك ملك

الحبشه أدت إلي معاهدة شريفة تدخلت الكنيسة فى مصر إلى انهيارها كذلك قد كتب إلى أهل الحجاز والمدينة داعياً إلى الجهاد تحت لوائه . .

وقد بنى الخليفة جامعاً فى أم درمان وهو المعروف اليوم فى وسط مدينة أم درمان بجامع الخليفة . وهنا اعتمد الشيخ رأسه بين يديه كمن يستعيد ذاكرته ، أو يستعرض أمراً له فى دخيلة نفسه صلة . وظل هكذا برهة تزيد عن الدقيقتين حتى كأنه قد نسيني أو نسي موقفه مني . فرفع الشيخ رأسه وعلى وجهه أثر ذلك التفكير وقال . حسبك أن تذكر هذا الجامع حتى يمتلىء هذا الفضاء الواسع بالصور والمعانى فترى بصيرتك بعين الخيال جيلا يتحرك أمامك . ترى الخليفة عبد الله وقد خر ساجداً لله ومن ورائه عشرات الألوف وفى نفس كل منهم ايمان الله ورسوله ومهديه وخليفته ، ولا يزال السودانيون إذ يمرون بهذا الفضاء يذكرون صاحبه وتاريخه فتمتلىء نفوسهم اكباراً واجلالا .

هذا الذى عرفته عن الخليفة عبد الله فى حياته الشخصية . أما وقائعه الحربية فان من ينصف الخليفة عبد الله فى ذلك فليضع كتابا خاصاً به فان التلميح عنها أو الاقتضاب فيها احجاف للرجل وللتاريخ نفسه فقد برهن الخليفة عبد الله أنه قلعة عسكرية وداهية حربية لا يعرف معنى الجبن ولا التقهقر

ويكفيه فخراً أنه لما عجز عن الوصول عن الجيش فى نوفمبر سنة ١٨٩٩ نزل عن جواده وأمر أمراءه فترجلوا عن خيولهم ثم افترش فروته وجلس عليها وحوله الأمراء ينتظرون الموت بجنان ثابت وعزيمة يلين الحجر الصلد أمامها . ويقول نعوم شقير فى تاريخ السودان أن ونستن بك أول من رأى

الخليفة مقتولا فنزع عنه سيفه وجبته . أما السيف فهو سيف أثرى مكتوب على إحدى صفحتيه اسم الشيخ ناصر ابن الوزير المرحوم الشيخ محمد السلطان وعلى صفحته الأخرى كتب (يارب بهم وبآلهم عجل بالنصر وبالفرج) وقد شهد المؤرخ نفسه ببسالة الخليفة عبد الله حيث قال (ولا يسع الانسان إلا الاعجاب بالشهامة وثبات الجأش الذين لاقى بهما منيته) .

وللخليفة عبد الله ابناء من خيرة الابناء سادة اشراف يتبؤون مناصبا لا بأس بها فى حكومة السودان يتزعمهم الزعيم النبيل الصاغ السيد عمر الخليفة عبد الله وهو ضابط عظيم فى قوة الدفاع بالسودان . وهو فى الحلقة الخامسة من عمره تلقى العلم فى مدارس مصر والسودان ولم يلبث أن تعين ضابطا حيث بذ اقرانه ولاعجب فهو حفيد السيد محمد المعروف بالتقوى والصلاح والذى تخرج عليه كثيرون من حفاظ القرآن الكريم ولا زال قبره كعبة للزوار فى أبى ركبة من أعمال مديرية النيل الابيض أما والدته فهى السيدة نفيسة بنت الفقيه بابكر بن الفقيه البشير من عيون أعيان قبيلة القواسمة الرفاعية . وللسيد عمر اخان من موظفى حكومة السودان احدهما وهو السيد داوود [1] والآخر السيد سليمان وهو ضابط فى قوة الدفاع أيضا

إلى هنا انتهت رواية الشيخ فدونتها كما قالها . ولما كنت أعرف أن بين الاستاذ بباوى غالى (أحد كبار موظفى حكومة السودان سابقا) وبين

---

(١) انظر صورته فى باب (الأمن في السودان) فهو مأمور الخرطوم وبحكم وظيفته أحد المنوط بهم المحافظة على الأمن .

السيد عمر صلة وثيقة طلبت اليه أن يكتب كلمة عن صديقه السيد عمر ، والاستاذ بياوى كاتب معروف[1] له مؤلفات قيمة فتفضل حضرته فقال —

يربطني بالسيد عمر الخليفه رباط متين هو الشغف بالادب في كل اشكاله.

هو من عشاق الافكار الحديثة التى تحل روح المفكر من كل قيود الاصطلاح والاجتماع ، وله اتجاهات تنافى الوضع والعرف ولكن مركزه الاجتماعى يحول بينه وبين ترجمة افكاره .



يعرف حق المعرفه كيف يسيطر على افكاره وجوارحه ، وكيف يعقلها فى ساحة قلبه بعقال يقيم الحجة الواضحة على جبروت عقله ، وعلى سلطان نفسه الوثابة ، ويقيم الحجه الدامغه على أنه ابن الخليفة عبد الله الذى ساس السودان مدة أربعة عشر سنه — نعم أنه ابن الخليفه عبدالله الذى يلوح لمن يتأمل فى الشخصيات العظيمة التى لعبت دورا هاما فى مأساة السودان المثيرة أنه أقاها تعقيداً. فمن كان هو ؟ كان مجرد جندى ناجح فى أول الأمر ، وانقلب فى آخر حياته إلى ديكتاتور ساس شعباً صعب المراس واحتفظ بسلطانه عليه ردحاً من الزمن

الصاغ السيد عمر الخليفه عبد الله

---

(١) أنظر صورته فى فصل (الموظفون فى السودان)

ففى حياة المهدى كان اليد القويه لهذه الثورة الدينيه ومنظم جيشها والداعى لنصرتها. لقد كان المهدى دفاع وقلب هذا الجهاد الذى تمكن من قهر ربع افريقيا فى وقت وجيز، والخليفة مجرد الذراع اليمنى — الوكيل الاول مأمور التنفيذ، لا بل هو الكل فى الكل. ومن أفضل صفات الخليفة التى تذكر له بالاعجاب مهارته وحذقه فى تقدير الرجال.

انى أحب السيد عمر واحترمه ولكنى أحب الحقيقة واحترمها أكثر منه، هو نفسه لا يريدنى أن أشوه الحقيقه، ولا يريدنى أن أكذب على التاريخ لانه من عشاق الصدق. يميل السيد عمر أن يكون اليوم فى مستوى أعلى من مستوى محيطه كما كان والده، انما عن طريق الكمال الادبى، وسمو الاخلاق ورفع نفسه عما يعاب والابتعاد عن مواقف الخطل.

يعد السيد عمر من أفراد الطبقة المتنورة وله أراء يعدها المحافظون على القديم تطرفا ولكنها فى الواقع مستنيره جزيلة النفع. ولا يسمح لى المجال بعرضها على بساط البحث أو النقد.

هو عنوان الكمال فى الأدب يجامل أصدقاءه إلى أقصي حد، ومخلص فى خدمة الحكومة فى أجل وأصدق مجالى الاخلاص، وأمين لها كل الامانة يعترف بفضلها فى السر وفى الجهر، وفى هذا الميدان يجاريه أخوه السيد سليمان الخليفة وهو مثلة ضابط فى قوة دفاع السودان وقد كان يوما ما ياورا لحضرة صاحب المعالى حاكم السودان فى عهد السر جون مافى كما كان البارون فون سلاطين باشا ياورا لوالده الخليفه عبد الله.

تشارلس جورج غوردون : ولد غوردون سنة ١٨٣٣ وانتظم فى سلك الجندية سنة ١٨٥٢ وقد اشترك مع الجيش الانجليزى فى حصار (سيبستبول) سنة ١٨٥٥ وفى سنة ١٨٦٥ رقى الى رتبة كولونل وعين مديراً لمديرية خط الاستواء عام ١٨٧٤ خلفاً للسير صموئيل باكر باشا . وبقى غوردون حتى سنة ١٨٧٦ فاستقال من منصبه وعاد الى مصر ومنها الى انجلترا تاركاً اركان حربه الكولونل بروت وكيلا على خط الاستواء . ثم مالبث أن عينه اسماعيل باشا بتوصية الحكومة الانجليزية حكمداراً عاماً للسودان عام ١٨٧٧ حيث أعطى أمراً عالياً بالولاية على جميع بلاد السودان مع دارفور وخط

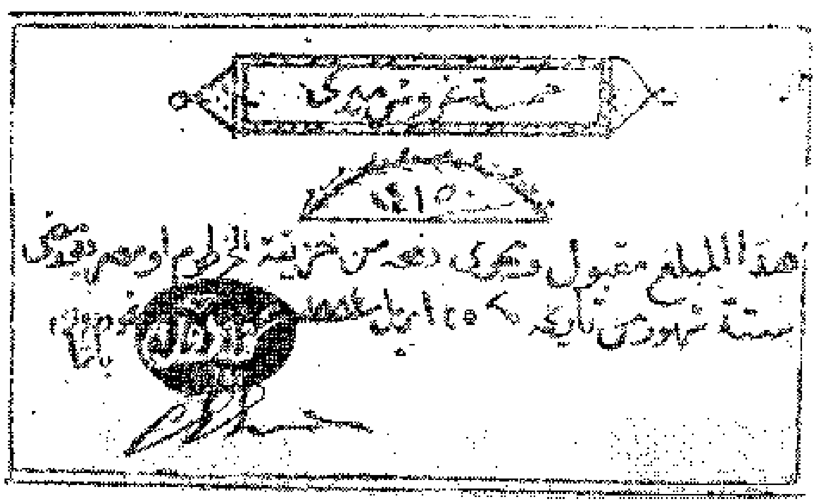


تشارلس جورج غوردون باشا

الاستواء وسواحل البحر الاحمر ومع منحه أيضا السلطة العسكرية والمدنية ، واعطائه سلطة القتل والعفو وغيره وقد استعان غوردون فى ادارة السودان بالكثيرين وأبرز هؤلاء ابراهيم باشا فوزى الذى عينه مديراً لخط الاستواء ، ثم رودلف سلاطين باشا الذى عينه مفتشا للمالية وقد استقال غوردون من منصبه لثانى مرة فى فى أواخر ١٨٧٩ . وكان أهم ما اشتغل به فى هذه المدة اخماد ثورة الامير هارون فى دارفور . وحركة صباحى فى كردفان ، وسليمان الزبير فى بحر الغزال ،

ومنع تجارة الرقيق والنظر فى مد سكة حديد واصلاح ذات البين بين الحبشة وكردفان . وفى سنة ١٨٨٤ عين حاكما عاماً للسودان ، فسار الى الخرطوم فوصلها فى ١٨ فبراير سنة ١٨٨٤ . وفى هذا اليوم أمر بجمعت دفاتر الضرائب على الاطيان فى ساحة عمومية ووضعت فوقها السياط وآلات التعذيب التى كان يستعملها الحكمداريون السابقون واضرم فيها النار ثم زار السجون فافرج عن جميع المسجونين ماعدا القتله .

ولما بدأ حصار الخرطوم كانت الخزانة الاميرية خالية من النقود ، فاصدر غوردون أوراق بون من مئة قرش واحد الى الف قرش كما ترى فى الصورة .



وصرفت مرتبات الحاميه والمستخدمين من هذه الاوراق ، ولكن التجار لم يقبلوا التعامل بها فرفعوا أسعار الحاجيات الى درجة سقطت معها قيمة هذه الاوراق ، فاصبحت الورقة ذات المئة قرش ، تساوى عشرين قرشا .

فتذمر الجنود من هذا الهبوط . لذلك أخذ غوردون يطلب من الاعيان نقوداً على سبيل القرض فبلغ ما اقترضه فى يوم واحد عشرة آلاف

جنيهاً حرر بها كمبيالات حرة على شخصه لاعلى الحكومة وجعل مواعيدها وصول الحملة الانجليزية الى الخرطوم .

لقد مات غوردون فى ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥ موت الابطال ، بعد أن بذل أقصى ماءكن بذله من جهد . فقد طعنه محمد نوباوى طعنة قاضية وقبل أن تقبض روحه أمسكوه من رجليه وجروه الى آخر السلم ثم قطعوا رأسه وحملوها الى المهدى .

لقد مات غوردون تاركا طعام الافطار على مائدته بعد أن ناضل نضال الابطال فلما خرج الأمر من يده تقدم الى السلم ليستقبل الموت بكل شجاعة وثبات . أن سيره الجنرال غوردون يصح أن تكون درساً يتلقنه تلاميذ المدارس ليتعلموا منها الشهامة وانكار النفس وحب الانسانية .

يقول وليم ستيد — « ان الجنرال غوردون علم الناس أنه فى امكانك أن تكون فاضلاً تقياً وصالحاً محباً من غير تصنع . ان هذه هى احدى الحقائق التى يحتم اعلانها لكل جيل مقبل بالبرهان العملى المستمد من حياة غوردون التى كانت رمزا للشهامة وسمو الاخلاق .

كذلك قال غلادستون من مقعده فى مجلس النواب « أن أمثال حياة غوردون ستثمر فى المستقبل ولى ملء الرجاء أنه من التأمل فى تلك الاخلاق الكريمة وفى هاتيك الاعمال النبيلة سينمو رجال آخرون فى المستقبل يحتذون مثاله النبيل وقدوته الصالحة .

أما السير ستفورد نورث كوت الذى صار فيما بعد لورداً وزعيم معارضة المحافظين فى مجلس النواب فى وقت موت غوردون فقد قال : —

كان غوردون بطلا ، لا بل كان أكثر من ذلك. فلو أخذت هذا الرجل ودرست حياته الشخصية لوجدته منزها عن العيب ولو فحصت قلبه وعقله لوجدتهما خاليين من الطموح الى الثروة أو السلطان والسيادة .

لم يكن غوردون رجلا صالحا تقيا وحسب، بل كان أيضا جنديا باسلا مخلصا لا يتردد أن يبذل روحه فى سبيل الشرف العسكرى . وهذا تمثاله العظيم يتوسط المدينة فى الخرطوم .



تمثال غوردون

ليكلم الناس بغير فم عما كان عليه غوردون من المكانة وعما بذل من جهد ، ولا عجب فقد بذل دمه . وجاد بحياته فى سبيل القيام بواجبه ، وقد قدرت الحكومة الانجليزية هذه التضحية ، فسمت أول كلية فى البلاد باسمه ابقاءا لسيرته وتخليداً لذكره وهى كلية غوردون (١) التى يتخرج منها اليوم الشباب الراقى من أبناء البلاد والتى أصبحت فى مصاف أعظم الكليات . هذه هى سيرة غوردون التى يجب أن تكتب بماء الذهب .

---

(١) انظر كلية غردون فى باب التعليم فى السودان

الزبير باشا رحمت العباسي

في سنة ١٩١٠ قرأت سيرته في تاريخ السودان لنعوم باشا شقير فاشتهت نفسي أن اتعرف اليه . وذات يوم من أيام شهر نوفمبر سنة ١٩١٢ علمت أنه وصل الخرطوم ، وأنه في ضيافة المغفور له طه بك أبو زيد كبير صراف مالية السودان وكانت معرفتي بطه بك سطحية جداً فأخذتني الحيرة كيف أصل إلى داره ، وماذا أقول مخافة أن يحسبني متطفلا . فسعيت إلى داره وانا أحسب لهذه الزيارة الف حساب . أجل فانه مشغول بضيافة أكبر رجل برز اسمه في السودان ، فلما قرعت الباب خرج أحد الخدم وبعده جاء طه بك بنفسه لاستقبالي رحب بي ودعاني للدخول بكل حرارة ، فادخلني إلى غرفة الاستقبال فاذا المكان حافل بعلية القوم وأعيان المدينة وإذا الزبير باشا يتصدر المكان تلوح على مخائله العظمة وترتاح النفس لرؤيته، فسلمت عليه ، وجلست ، وأنا أغبط نفسي على هذه الفرصة التي اتاحت لي رؤيا ملك بحر الغزال نعم رأيت الزبير ، وعرفته شخصيا ، ونعمت بعطفه ، والتحدث اليه ، عرفته وهو في الحادية والثمانين من عمره فاذا به رجل



الزبير باشا

طويل القامة ، عربي الملامح ، جذاب الطلعة ، خفيف الشاربين واللحية ، حديد الصوت ، فصيح اللهجة تدهشك ملاحظاته ودقة تعبيره وهو عدا ذلك عالي الهمة ، كريم الطبع ، تبدو عليه قوة الارادة وشدة العزيمة محب للعلم والمتعلمين غيور على الاسلام والمسلمين .

فلما استقر بي الجلوس وأدرك صاحب الدار غرضي من الزيارة قربني اليه وعرفني به فأزال من نفسي كل وحشة . فهو حلو الحديث حاضر النكتة . ولما عرف ميلي الى الشعر والأدب طلب الي أن أنشده شيئا من محفوظي فطفقت أنشد وهو يترنح طربا ويطلب الاعادة ، الى أن كانت الساعة الواحدة ظهرا فاستأذنت للذهاب حتى لاحين وقت الغداء وأنا هناك . وحاولت أن أنصرف فأبى طه بك وأقسم الا أن أتناول الغداء معهم وقد اشترك معه الزبير باشا نفسه في هذا الطلب وهكذا تناولت طعام الغداء بجانبه وأنا لا أصدق انني في حضرة أعظم رجل أنجبه السودان .

وبعد أن تناولنا الغداء دارت علينا (الجبنة) الفاخرة (١) وأنا أطلب الى الله أن لا ينتهي هذا المجلس التاريخي . فلما زادت الألفة وزالت الكلفة طلبت اليه أن يحدثني عن تاريخه الحافل فابتسم وقال (أعوذ بالله من قوله أنا) فلما الحفت السؤال قال : —

ان تاريخي يتلخص في أربعة كلمات فقط . قلت وكيف ذلك ؟

قال — سافرت تاجراً وعدت ملكاً .

قلت ذلك لا يكفيني .

---

(١) الجبنة هي القهوة السودانية انظر وصفها في عادات أهل السودان

قال الزمان والمكان لا يسمحان باكثر من ذلك ، فان شئت فوافني في بلدتي (الجيلي) (١) لاحدثك عما تريد .

في ذلك الوقت أي قبل سبعة وعشرين سنة لم تكن فكرة وضع هذا الكتاب طبعا لها أثر عندي . ولكني مع ذلك أغرمت أن أسمع سيرة الزبير منه شخصياً وأصبحت أحلم بالفرصة التي أستطيع أن أوافيه فيها إلى الجيلي كأمره . وذات يوم سافرت من الخرطوم بقطار الصباح بعد أن أعلمته بحضوري فلما وصلت محطة الجيلي وجدت ابنه الاكبر المرحوم (ميسره) في استقبالي ومعه مايزيد عن الثلاثين رجلا كلهم من علية القوم وشيوخهم .

وبالرغم عن أن المسافة بين المحطة وسراى الزبير باشا لاتزيد عن الميل ونصف وهي مسافة يرتاح أي انسان لقطعها مشياً على الاقدام ، فقد وجدت جواداً مجهزاً لركوبي فاعتذرت عن ركوبه ومشينا جميعا قاصدين قصر الزبير .

لا أكذب القارىء ، فاني وأنا في ذلك السن ، سن الشباب قد أخذني الزهو وكبرت في عينيْ نفسي وقد زادتني مقابلة الزبير باشا نفسه لنا قبل وصولنا السراى بما يزيد عن مئتي متراً أو يزيد زهواً . فقد قابلنا مستبشراً وهو يقول (أهلا أهلا بالأديب الشاعر)

كانت الساعة اذ ذاك حوالى العاشرة صباحا ولا أدري كيف أستطيع أن أصف كرم الزبير وحفاوته بي ، فقد أنساني حاتم ولا عجب فقد رأيت

---

(١) الجيلي مسيرة ساعة بقطار الاكسبريس من الخرطوم تبعد عنها ٢٨ ميلا وهي تقع على شاطىء النيل الايمن

هذا عيانا وسمعت عن ذالك سماعا ، فالزبير أولى وأجدر أن يحمل اسم حاتم .

وبعد أن شربنا الجبنة ثم الشاى ثم الأبريه [١] التفت الىّ الزبير قائلا ألا زلت تريد أن تسمع شيئا منى ؟ قلت حبذا ذلك .

قال اسمع ياولدى . أن الملك المريض الذى سمعت عنه لم يأتنى اعتباطا فقد دفعت ثمنه من دمى ومجهودى فاقتنيته بسيفى وبمعونة الله ، وهكذا ظل الزبير يروى لى وقائعه فينتقل من معركة إلى معركة ويصف ما قاسى من الاهوال فى بحر الغزال وأنا اتطلع اليه ذاهلا معلقا انفاسى مخافة أن تفوتني نبرة من نبرات صوته أو ملاحظة من ملاحظاته . خاض غمار مئة وعشرين معركة حربية كان النصر حليفه فيها كلها . فكنت اسمعه وكأنى أسمع بعض حكايات الف ليلة وليلة أو قصص الجان التى يرويها الاطفال والعجائز الى أن قال : —

لقد عزلت السلاطين ونصبت غيرهم وأخضعت بحر الغزال إلى دارفور حتى دانت لسلطانى جميع تلك المناطق ومع ذلك ، فاشهد الله أنى ما داخلني الغرور يوما ما ، ولا حدت عن الولاء لافندينا سمو الخديوى المعظم الذى تشرفت بمقابلته فى سراى الجيزه فى آخر أيام حكمى . حيث أمرنى سموه أن أظل فى مصر فاطعته مكرها .

وفى سنة ١٨٧٧ انتدبت مع البعثة العسكرية التى سافرت للاشتراك فى حرب الدولة العلية ضد الروسيا برئاسة سمو الامير حسن باشا نجل ساكن الجنان الخديوى اسماعيل باشا وقد أبليت بحمد الله بلاء حسناً كان من نتيجته أن أنعم علىّ افندينا برتبة فريق .

---

(١) الأبريه نوع من الخبز الرقيق من دقيق الاذرة ينقع فى الماء المذوب بالسكر

وكانت الحكومة بعد قيامى من بحر الغزال أساءت إلى ابى سليمان فشق عصا الطاعة عليها فظن غوردون باشا أن ذلك بناء على تحريض منى فأمر بمصادرة أموالى وقتل ابني .

وفى سنة ١٨٨٤ قابلت غوردون باشا فى مصر وسألته أمام اللورد كرومر ونوبار باشا رئيس النظار (يومئذ) عن قتل ابنى ومصادرة أموالى فأكد لى وثوقه بانى كتبت لابى سليمان أحرضه على الثورة فأكدت له بطلان هذا الظن وبرهنت على فساده وزدت على ذلك بانى أقدم نفسى للقتل إذا ظهر هذا الخطاب أو ما يشبهه . ولما وصل غوردون إلى السودان لم يلبث أن استدعانى بواسطة الحكومة لاساعده على اخلاء البلاد ولكن قيل أن حكومة لندن قد عارضت فى ذلك . وبعد هذا بقليل عاد المفسدون فوشوا بى زاعمين أن بينى وبين المهدى مفاوضات سرية وقد ترتب على ذلك أن هاجم دارى البوليس وفتشه عسى أن يجدوا ما يدل ولو من باب الشبهة ما يؤيد هذه الوشاية فلم يجدوا شيئا ولكنهم مع ذلك القوا القبض علىّ ونفونى إلى جبل طارق حيث أقمت هناك ثلاثين شهراً فلما تأكدوا براءتى أطلقوا سراحى وأعادونى لمصر وأخيرا سمحوا لى بالعودة إلى الجيلى كما ترى.

وقد أرهقته بالاسئلة الكثيرة التى لا أذكرها كلها الآن . ومما أذكره انى سألته هل كان مسرورا من وجوده فى مصر ؟؟

فأجاب لقـد توفرت لى كل اسباب الراحة هناك فقد انزلنى سمو الخديوى المعظم فى احدى سرايات العباسية ورتب لى كل ما احتاج اليه



صورة تاريخية للمغفور له اللواء الزبير رحمت باشا فاتح اقليم بحر الغزال وسلطنة دارفور ،
التقطت هذه الصورة في سراي الجيزة حينما تشرف بمقابلة الجناب العالي الخديوي المغفور له ساكن الجنان
اسمعيل باشا لأول مرة في يونيو سنة ١٨٧٥ ميلادية . هدية من البكباشي سعد الدين الزبير الى حضرة الاستاذ الفاضل
سعد ميخائيل

وربطت لى الحكومة المصرية ٣٠٠ جنيه معاشا شهريا ومع ذلك فقد كنت أحن إلى بلادى وأرى نفسى مع هذا النعيم مسجونا .

*
* *

ويقول نعوم شقير باشا وهو مطابق لما سمعته شخصيا من الزبير :—
ينتمى الزبير الى قبيلة الجميعاب نسبة إلى جميع بن جموع بن غانم العباسى وهو جده الثامن . ولد فى ٨ يوليو سنة ١٨٣١ ولما بلغ السابعة من عمره دخل كتاب الخرطوم فتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن وتفقه على مذهب الامام مالك ولما بلغ الخامسة والعشرين تزوج ابنة عمه واشتغل بالتجارة . وكان للزبير ابن عم اسمه محمد عبد القادر سافر خاسة إلى بحر الغزال مع الشيخ على أبو عمورى التاجر . فلما بلغ الزبير ذلك أخذته الشفقة عليه لبعد الشقة وكثرة الاخطار فلحق به قصد ارجاعه فادركه فى حلة ودشامى مسيرة يوم قبلى الخرطوم . فحاول الزبير أن يثنى عزم ابن عمه عن هذا السفر فأبى بتاتا . فلما اعيته الحيلة حلف بالطلاق أن هو لم يرجع إلى الخرطوم سافر معه إلى بحر الغزال . وقد عظّم الزبير باشا القسم ظنا منه أن ذلك يثنيه عن عزمه ولكنه أصر ، وهكذا سافر معه الزبير إلى بحر الغزال براً بالقسم وفى هذا يقول الزبير باشا (فسافرت معه إلى بحر الغزال فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٥٦ وأنا استعيذ بالله من ذلك السفر الذى لم أكن اتوقع منه إلا الشر ، ولكنه جاء باحسن مما كنت اتمنى بل كان سبب نجاحى وشهرتى ورفع منزلتى الى مقام لم يناله احد فى السودان قبلى ، وهيهات أن يناله أحد فيه بعدى ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم)

وهكذا أقام الزبير باشا مساعداً مع على أبو عموري فى تجارته وهى الخرز على اختلاف أنواعه والودع والقصدير وكله مما يتزين به الاهلين رجالا ونساء ويفضلونه عن الذهب والفضة فيأخذونه من التجار مقايضة بسن الفيل والخرتيت وريش النعام . وبينما هو كذلك إذ هاج أهل البلاد على التجار طمعاً فى أموالهم وهاجموا زرايبهم وهاجموا أيضا الزبير وصاحبه . فقام الزبير فى رأس رجاله وأشعل فيهم النار وهزمهم بعد أن قتل منهم خلقا كثيرا . فلما بلغ التجار أمر انتصاره جاؤوا اليه والتفوا حوله وهابه الناس وانتشر اسمه فى البلاد فأنشأ محلا تجاريا باسمه خاصة وسافر إلى الخرطوم وعاد ثانية ومعه بضائع كثيرة وهو عازم أن يطرق بلاداً جديدة .

وهكذا سار ومعه بضائعه الى أن وصل إلى بلاد (قولو) وكان على تلك البلاد ملك اسمه (كواكى) فرحب به وأكرم مثواه . وهكذا ظل يتجر فى هذه البلاد حتى اجتمع عنده من ريش النعام وسن الفيل وغيرهما من خيرات البلاد الشيء الكثير ، ولم يقف عند ذلك فقد عقد النية أن يطوف جميع تلك البلاد فجمع بضائعه وسار بها الى بلاد النمانم الواقعة فى الجنوب الغربى من بلاد (قولو) وهى بلاد واسعة كثيرة الجواميس والافيال ولا قيمة لسن الفيل فيها فوصلها بعد خمسة وعشرين يوما فتقدم لسلطان تلك البلاد بهدية فاخرة واستأذنه فى الاتجار هناك فأذن له . ومن أطرف ماروى أن النمانم لايعرفون الحمير فى بلادهم وكان عند الزبير حماراً فأهداه الى سلطانهم فاستغرب هيئته وظنه رجلا ممسوخا فرفض قبوله

وكان لهذا السلطان ٤٠٠ امرأة و ٤٠٠ ولد من صبيان وبنات فزوج الزبير كبرى بناته المدعوة (رانبوه) فعلا مقامه بهذه المصاهرة وراجت تجارته الى أبعد حد . فعزم على الرجوع مرة أخرى إلى الخرطوم فبنى مركبين ووسق بضائعه ورجاله فيهما وكان عدد رجاله ٢١٤ وساروا قاصدين مشرع الرق ومعهم من الزاد مايكفيهم شهرين . وبعد أن ساروا ثلاثة عشر يوما بلياليها اتسع مجرى النهر وتاهوا وخفى عليهم المجرى الاصلى وظلوا هكذا تائهين خمسة وسبعين يوما لايرون إلا السماء والماء فنفذ زادهم وأكلوا مامعهم من الجلود وبينما هم فى هذا الكرب اذ لاح لهم دخان من بعيد، فاختار الزبير تسعة من رجاله ونزلوا فى قارب صغير قاصدين جهة الدخان . فلما بعدوا عن المركبين اختفى الدخان كما غاب عنهم المركبان وصاروا يسيرون على غير هدى ينهش امعاءهم الجوع الى أن أشرفوا على الهلاك . ثم حانت منهم التفاته فرأوا شجرة قائمة على تل فى وسط الماء ووجدوا تحتها تمساحاً كبيرا فاصطادوه بالرصاص وتزودوا به فعاد لهم بعض نشاطهم وساروا يبحثون عن المركبين حتى التقوا بهما بعد غيبة أربعة أيام فوجدوا ان ثمانية عشر رجلا قد ماتوا جوعاً وقد أكدوا لهم أنهم كانوا يرون الدخان كل يوم فى آخر النهار .

فأيقن الزبير بوجود بر قريب فانتقى اثنى عشر رجلا من أقوى رجاله وعاد مرة أخرى فلم تمر بضع ساعات حتى أشرفوا على جزيرة واسعة مأهولة بالسكان . وكان يسكن تلك الجزيرة قوم من النوير وعليهم ملك اسمه (كَنْيَم) فلما دخلوا هذه الجزيرة اجتمع حولهم أهلها وهم

يتعجبون من زيهم وملابسهم فسألوهم عن مقصدهم وهم ينوون الغدر بهم. وكان مع الزبير مترجم يحسن لغة القوم فقال لهم أنهم يرغبون فى مقابلة ملكهم (كريم) وكان الزبير فى هذه الفتره قد ذبح ثمانى بقرات وأرسلها قطعا للمركبين ومن فيهما فجدوا السير حتى وصلوا الى الزبير .

أما الزبير فقد ذهب لمقابلة الملك وبعد أن حياه سأله عما أتى به فى هذه البلاد فأجابه عن كل ما سأل .

ولما انتشر خبرهم فى الجزيرة أخذ كبارها يفدون على الملك طالبين قتل الزبير هو ورجاله والاستيلاء على أموالهم فأذن لهم فى ذلك . ولكن الزبير قد أدرك غايتهم وتشاور هو ورجاله فقر رأيهم على أن يحرسوا أنفسهم بالمناوبة .

وجاءت نوبة الزبير فى الهجيع الأول من الليل فشاهد أسدا مقبلا من بعيد فرماه بالرصاص فخر قتيلا فاستيقظ الملك (كريم) على صوت الرصاص ظنا منه أن قومه قد هاجموا الزبير وأصحابه . وهكذا استيقظ جميع أهل الجزيرة فلما رأوا الأسد مقتولا فرحوا فرحا شديدا لأن ذلك الأسد كان متسلطا عليهم يفترس كل من يصادفه منهم حتى لم يعد يجسر أحد من الخروج من منزله ليلا .

أما الملك فقد عظم سروره ومن فرط أعجابه بالزبير عقد له على احدى بناته ورغبه فى الاقامة فى جزيرته فأقام الزبير عنده شهرا كاملا حتى اشترى جميع مايلزمه من المؤونة ثم سافر من تلك الجزيرة بالمركبين أيضا ولكن ماكادت الجزيرة تغيب عن أبصارهم حتى تاهوا مرة أخرى فى

عرض البحيرة ، وظلوا تائهين الى أن فرغ زادهم ومات كل من كان معهم فلم يبق الا الزبير وستة رجال فقط . واذ أشرفوا على الهلاك لاح لهم مركب من بعيد فأطلقوا لها عياراً ناريا فأقبلت عليهم واذا فيها تجار من بحر الغزال فلما رأوا الزبير وأصحابه على تلك الحال بكوا وقدموا لهم زادا وكسوة . وهكذا سافروا قاصدين الخرطوم فوصلوها فى ١١ سبتمبر سنة ١٨٦٣ ومكث الزبير بالخرطوم بضعة أشهر ريثما اشترى تجارته وزاد عدد رجاله وعاد قافلا إلى بلاد النمانم . فبرح الخرطوم فى ٢٩ ابريل سنة ١٨٦٤ ووصل بلاد النمانم فى ٢٥ يوليو سنة ١٨٦٤ أيضا . فقدم الزبير هدايا للملك فسر بها . كذلك أولم الملك وليمة فاخرة للزبير ذبح فيها عددا وافرا من الوحوش ومئة كلب من أسمن الكلاب المعدة لأكله خاصة .

وذهب الزبير الى منزل زوجته (رانبوه) وشرع فى بيع بضائعه وقد جرت العاده فى تلك البلاد أن يبيعوا فى الاسواق أصحاب الجنايات كالسارق والزانى ويذبحونهم كالغنم ويبيعون لحومهم طعاما . فافتدى الزبير من هؤلاء من رآه أهلا لحمل السلاح حتى اجتمع عنده ٥٠٠ رجل فسلحهم بالاسلحة النارية وعلمهم حملها واستعمالها .

فلما اجتمع للزبير هذا الجيش أوجس الملك منه خيفة على ملكه واستشار كهانه فاقروا على قتله ، فعلمت بذلك (رانبوه) زوجة الزبير وأخبرته به سراً ونصحته أن يرحل من بلاد أبيها . فتذلف الزبير الى الملك أن يسمح له بالرحيل من البلاد فأذن له ظاهرا وأوعز الى جيشه سرا أن يكمنوا له فى الطريق ويقتلوه هو ورجاله ، فما خرج من البلاد حتى اعترضه الذين

فى الكمين ، فأصلاهم الزبير ناراً حامية لم يطيقوها فانهزموا أمامه فبسط نفوذه على تلك البلاد ودخلت جميعها فى طاعته ثم توغل الى بلاد (قولو) وكان عليها الملك عدوه شكو الذى أبى أن يسمح للزبير بالبقاء فى بلاده ، فاستمهله الزبير بضع شهور إلى أن تنتهى الامطار وتجف الاراضى فأبى بتاتاً فناجزه الزبير الحرب وجرى بينهما عدة وقائع دموية حتى قتل فخلفه أبنه فتغلب الزبير عليه وأخذه أسيرا وامتلك بلاده وجميع البلاد المجاورة لها الى بحر العرب واتخذ تلك المنطقة عاصمة لملكه وهى التى دعيت بعد ذلك (ديم زبير) فصار فيها ملكا فجمع جيشاً قوياً وحكم البلاد بالسنة وشرع فى تمدينها وعمارتها .



الزبير باشا فى دولته

وهكذا انتقل الزبير من تاجر الى ملك وظل يحارب الى أن أخضع

جميع بحر الغزال ودارفور فكان ما كان مما قرأت فى أول هذا الفصل

* * *

أظهر صفات الزبير باشا الكرم والنجدة وحب الفخر والسلطة فطالما قصده الكثيرون من أهل البيوتات فى السودان الذين أخنى عليهم الدهر فكان جابر عثرات الكرام اذ أزال كربهم وفرج همهم.

مدحه الشعراء وتغنى بشمائله النساء وأثنى عليه أقطاب السياسة. فمن ذلك ماقاله غوردون يصف الزبير باشا إذقال ـ (هو أقدر رجل فى السودان فهو قائد عظيم وله اقتدار فى الحكم يفوق اقتدار كل عظيم آخر فى السودان.

لن اعجابى الشخصى بالزبير لعظيم جدا لأنه رجل وكل الرجل، وأعظم بكثير من أولئك الذين كانوا حكاماً فى السودان ولكنى أسائل نفسى هل يصفح عني من أجل موت ابنه سليمان ؟ ان هذا السؤال كان محور تفكيرى فى كل ماله علاقة به لأنه قد قيل لى أنه حاقد عليّ من أجل ذلك ولا غرابة فى ذلك فهو والد)

كذلك قد وصفه بعض كتاب الافرنج بأنه رجل (تجارى سياسى حربى) وقال آخر (انه خلق ليحكم الناس).

* * *

توفى الى رحمة مولاه فى سنة ١٩١٣ فبكاه السودان من أقصاه الى أقصاه وقد رثاه الشعراء وفى طليعتهم شيخ شعراء السودان الشيخ عبد الله محمد عمر البنا حيث قال من قصيدة طويلة عامرة —

عجبٌ ومن عجب الزمان بلاء ‍ ‍ ‍ ‍ شمس النهار تكنها الغبراء

يا قبر كيف ضممت بحراً زاخراً　　عجبا ! أما أربى عليك الماء ؟

ثم رثاه مؤلف هذا الكتاب بقصيدة لا بأس بها قال منها : —

الله أكبر مالت كعبة الكرم　　وبات حزن الندى والحزم فى عمم
الله أكبر ولىّ من تدين له　　هام الرجال وهام الخيل فى اللجم

ثم أبدع كل الابداع الشاعر الوطنى الاستاذ حامد البدوى حيث قال فأجاد : —

انخسف القمر فى كافة البلدان　　ونار الجيلى (١) ماتت للبعيد والدان
ودعناك الله ياباشة السودان
يوم موتك ياالزبير ما شفته غير الآن　　بسمع بيه (٢) سيره فى الصحابة زمان
يا الحر الأصيل ياود عظام عرمان　　يا الفارس العنيد ياالدارس القرآن
كم كسيت عرايا كم شبع جيعان　　كم جبيت خيول كم هديت مردان (٣)
دا حكم الاله الواحد الديان

*
* *

يا الزبير القبايل كلها بتبكيك　　والسودان وراك اليوم بشوفه ركيك ٤
يابيت الكرم وين ال بيجى يزابيك (٥)　　تمشى بمهل والناس وراك تحكيك ٦
يا بيت الأسد بعد الزبير مين فيك　　جاك الدمار والبوم يكورك فيك (٧)

---

(١) الجيلى هى بلدة الزبير كما شرحناها فى صفحة ١١٤ (٢) بيه أى به
(٣) جبيت أى أعطيت ومردان أى عبيد (٤) ركيك أى هزيل (٥) «وين ال بيجي يزابيك» أى من ذا الذى يباريك (٦) تحكيك أى تقلدك (٧) «يكورك» أى يصيح

الطالب عطاك يصابحك ويماسيك   بعدك وين[1] يروح طال الفراق يا الكيك[2]
يا دار تعيش حد العمر ما يطول   بتقبل عليك الدنيا دار الهول
يا الفارس النشيط الماك إضينه[3] كسول   [4]دراج للعطول وقت الدرب ما يطول
إيدك طايله من مصر لاسطامبول   [5]والسودان جميع لى عِن بنى شنقول

*
* *

صيحتك يا الزبير ما تشبه الصيحات   [6]قبالك تقول ماشفنا زولاً مات
ودرحمت الزبير يا الدخري للحومات   يا أبو اليتامى وكاشف الغمات
قبالك نبينا الدنيا سابه وفات   مدخورلك هناك قبرك ملان حسنات
بالصلاة والصوم يا تالى الآيات   [7]يا صاحب السعاده البركه فى الجنيات

---

(١) «وين يروح» أى إلى أين يذهب
(٢) «الكيك» الفارس الشجاع
(٣) «الماك اضينه» أى الذى لست كسولا وكلمة ماك كثيرة الشيوع فيقول الرجل للآخر أنت «ماك نصيح» أى أنت لست بعاقل؟ واضينه معناها ضعيف الرأى أو بمعنى اصح يساق برغبة غيره
(٤) دراج للعطول أى يعين الذى يعييه طول الطريق اذا نفذ زاده أو تعبت راحلته
(٥) لى عن أصلها الى عند أو لغاية والمعنى «وجميع السودان لغاية بنى شنقول» وبنى شنقول هى البلاد الواقعة جنوبى سنار
(٦) قبالك أى قبلك والزول هو الانسان
(٧) الجنيات أى الأولاد والمعنى ظاهر

ان اسم الزبير الذى طبع بطابع المجد وكان له من الخلود ما كان ، لا ولن يمحى من جبهة التاريخ بالاخص لأنه أنجب أشبالاً متأسلون أباهم فى خلقه وأخلاقه يتزعمهم الضابط الباسل البكباشى سعد الدين الزبير مفتش هجانة بوليس مصر الذى تكرم فاهدانى صورة المغفور له والده وهى هدية تاريخية تحمل كل معانى البطولة والرجولة الممتازة . ولا عجب أن يكون البكباشى سعد الدين كل صفات الكرم والاخلاص والشجاعة ومكارم الاخلاق فهو ابن الزبير رحمت العباسى وكفى .



البكباشى سعد الدين الزبير

* * *

رودلف سلاطين باشا : مات البارون فون سلاطين باشا فى ٤ اكتوبر سنة ١٩٣٢ فمات بموته آخر رجل من الشخصيات البارزة التى لعبت أهم الادوار فى تاريخ السودان. إذ ظل اثنى عشر عاماً أسيراً فى معسكرها وتظاهر باعتناق الاسلام وسمى نفسه (عبد القادر صلاح الدين) ولسلاطين باشا تاريخ حافل بالمدهشات فى الاسر وهو أكثر من أن تسعه هذه اللمحة التاريخية فان شئت أن تقف على تفصيل ذلك فكتاب (السيف والنار) فيه

بغيتك . هرب سلاطين باشا من معسكر الخليفة وعاد الى السودان بعد استرجاعه فعين مفتشا عاما حتى عام ١٩١٤ ، وبسبب الحرب الكبرى ، ترك منصبه ولم يعد اليه لكنه زار السودان سائحا بعد الحرب .

إن وظيفة مفتش عام التى أوجدت خصيصاً للبارون السير رودلف سلاطين باشا وإن كانت إستشارية وليست إدارية فقد أثبت بعد النظر فائدتها التى تفوق كل وصف فى تنفيذ إصلاحات السودان ، لم يكن فى الامكان إيجاد من يشغل هذا المنصب أفضل وأعظم من سلاطين باشا الذى ساعدته خبرته المنقطعة النظير بالبلاد ومعرفته لسكانها على القيام بخدمات ممتازة لا يقدر مداها فى تكوين السودان ورقيه غير الذين عرفوه حق المعرفة ولا يعرف قيمتها إلا الذين كانوا على اتصال مستديم بالسودان .



رودلف سلاطين باشا

لقد استطاع سلاطين باشا أن يقدم أجل الخدمات وأعظمها لجيش كتشنر عام ١٨٩٥ بعد هربه من معسكر الخليفة لأنه كان على علم تام بأسرار الخليفة وخفايا البلاد . يرجع اليه كثير من الفضل فى استرجاع السودان وما يتخلله من مظاهر التقدم والرقى . لقد رأى سلاطين بعينى رأسه السودان فى حالته الجديدة ورأى الخزانات العظيمة وآلات معالجة القطن ورأى السيارات تسير فى طرقاته والطيارات تسبح فى جوه فهل يوم رأى رأس غوردون المارقة فى دمها كان يحلم ان العناية قد انتدبته للاشتراك فى تهذيب السودان ورفع شأنه ؟؟

بدأت خدمة سلاطين للسودان أن عينه غوردون مفتشا لمالية السودان عام ١٨٧٩ ثم عينه مديراً على داره الى كان ماكان من أمر أسره وهكذا اشترك سلاطين فى رقى السودان قديماً وحديثاً ولا زال له فى السودان أصدقاء ممن عاصروا المهدى والخليفة يذكرونه ويذكرون شدة يقظته ودهائه وهو واحد من الاشخاص القلائل الذين لا ينساهم التاريخ مادام السودان سوداناً .

هكس باشا

هكس باشا هو أحد الضباط البريطانيين النابغين . انتظم فى الجيش الهندى عام ١٨٤٩ وشهد عدة وقائع حربية فى الهند والحبشة وفى سنة ١٨٨٢



هكس باشا

قدم إلى مصر فسمى رئيس أركان حرب الجيش المصرى ولما الغى جيش عرابى وصدر الامر بارساله مدداً إلى السودان سمى رئيساً لاركان حرب السودان فبارح مصر فى ٧ فبراير سنة ١٨٨٣ ووصل الخرطوم فى ٧ مارس وكان معه أربعة ضباط مصريين عظام وهم الميرالاى سليم بك عونى والمير الاى حسين بك مظهر والميرالاى ابراهيم حيدر والمير الاى رجب بك صديق كل منهم قومنداناً على آلاي أى ثلاث أورط وأول وقائع هكس باشا واقعة المرابيع جنوبى (ابا) حيث التحم جيشه بجيش ود برجوب فامطرهم سحابة من الرصاص برحت بهم تبريحاً فصاحوا بهم بقلوب لا تهاب الموت فكنت ترى الفارس مجرداً سيفه ومطلقا عنان جواده حتى يصرعه الرصاص فيقع فيضمد جرحه بيده ثم يعود الى الميدان ثانياً حتى يصرعه الرصاص ، إلى أن ملئت الارض من قتلى الدراويش . وفى شهر أغسطس سنة ١٨٨٣

أخذ يعد المدة للحملة على المهدى فى كردفان وذلك بناء على أمر الحكومة المصرية فاشترى ٤٠٠٠ جمل علاوة على ١٥٠٠ كانت عنده وشرع فى ارسال الجند تباعاً الى الخرطوم وأم درمان وفى ٩ سبتمبر سار هو وبقية الجيش الى الدويم فوصلها فى ٢٠ من الشهر المذكور وكان جيشه مؤلفا من أربعة ضباط مصريين عظام خلاف سناجق الباشبوزق و٧٠٠٠ من عساكر المشاة المنظمة و٥٠٠ فارس منظمة و٥٠٠ باشبوزق ماعدا ٢٠٠٠ من الاتباع و٥٥٠٠ جمل و٣٠٠٠ بغل و١٠٠٠٠ حمار و٥٠٠٠ فرس.

أما من الافرنج فقد تبعه كثيرون ، كذلك صحبه مكاتبو التيمس والديلى نيوز والغرافيك وكلهم من الانجليز هذا عدا الخبراء الوطنيين. وعند وصوله الدويم عقد مجلسا استشاريا تحت رئاسته وعلاء الدين باشا فقر الرأى أن تسافر الحملة عن طريق شات لأن ماءها أغزر وهكذا سارت الحملة من الدويم فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٨٣ . وكان سير الجيش بصفة مربع عظيم يتأهب للقاء العدو فى كل لحظة ولما علم المهدى بخبر قيام حملة هكس من الدويم انتدب أربعة من كبار قواده فأمرهم بتعقب حركات الحملة وأن لا يحاربوها بل يمنعوا التفاف الاهلين بها . فصدعوا بالأمر ووافوا الحملة بالقرب من العقيلة فلازموها وضيقوا الخناق عليها إذ طمروا الآبار فى طريقها ، فاذا سارت ساروا معها وإذا وقفت وقفوا بالقرب منها ، يناوشوها القتال ، وما تطرق واحد منها إلا قتلوه ، فجاعت الجمال وأكلت قش رحالها وخارت قواها ، فمات كثير منها وبدأ الجزع يدب فى قلوب الجند فايقنوا بالفشل وما زالوا كذلك حتى وصلوا الى نهل الرهد فى ٢٠

أكتوبر ١٨٨٣ فأقام هكس فى الرهد ستة أيام بعد أن أرسل خبيراً ومعه عبداً إلى الأبيض للاستعلام عن قوة المهدى فعاد العبد ووافى هكس باشا فى نهل علوبه ومعه ١٥٠٠ نسخة من منشور اذاعه المهدى موجها الى هكس باشا وجنوده يحضهم النصيح أن يسلموا ويأمنوا على أرواحهم . فلما أطلع هكس عليه مزق جميع نسخه وسأل العبد عن الخبير ، فقال أن المهدى أمر بقتله وهو يستعد لمقابلة الجيش بطريق البركه . وفى نفس هذا اليوم خرج المهدى بنفسه على رأس خمسين الف مقاتل قاصداً البركة فاحتلها قبل جنود هكس ولما علم هكس بذلك عدل عن هذا الطريق وسلك طريق الملبس . فسافر من نهل علوبه فى ٣ نوفمبر ولم يسر غير عشرة أميال حتى ضرب خيامه وزرّب زريبة متينة . وفى صباح اليوم الثانى (الأحد) استطرد السير نحو منهل شيكان وهو لا يدرى أن المهدى قد سبقه فاحتله بجيوشه ، فما سار ساعة حتى خرج بعض أنصار المهدى بمن معهم من الفرسان وحملوا حملة صادقة قاصدين مهمات الجيش وذخائره فاختلطوا بالعساكر فدارت العساكر عليهم وهزمتهم . فلما كان يوم الاثنين خرج هكس بجيشه وسار هو واركانحربه فى مقدمة الجيش وما سار الجيش نصف ساعة حتى دخل وادياً شائكاً وعلى جانبيه غابات كثيفة وكان المهدى قد جعل معظم جيشه فى تينك الغابتين وجعل الباقى فى وسط الوادى وعليهم (ود النجومي) وكان أبو قرجه ومن معه من أنصار المهدى متتبعين الجيش من الوراء فأصبحت حملة هكس محاطة بأعدائها من جميع الجهات ، فدخل جيش المهديين وحمل على هكس ورجاله حملة واحدة فاخترقوا صفوفه وقاتلوا العساكر طعنا

بالرماح وضرباً بالسيوف ولم تمض ساعة واحدة حتى أبيد الجيش كله وكان ضمن القتلى هكس واركان حربه وعلاء الدين باشا وجميع الضباط المصريين والافرنج وقد تراكمت جثث القتلى فاصبحت كالتلال .

وعند نهاية الواقعة قطعوا رأس هكس وحملوه الى المهدى .

ولقد قاتل هكس ومن معه من الأعوان وأظهروا من البسالة والاقدام والصبر فى ميادين القتال حتى ماتوا أبطالا .

اللواء صالح باشا الملك

استخلصه غوردون فكان صاحب الرأى الاول عنده ولاعجب فقد اشتهر صالح الملك بسداد الرأى والاخلاص المتناهى . فنال مانال من تقدير الحكومه وتقدير التاريخ أيضاً .

ولد بدار الشايقيه عام ١٢٤٣ هـ بقصر جده الارباب على عدينة مروى عاصمة ملك العندلاب وحفظ القرآن بخلوة ود الشريف بالبركل وانخرط فى سلك الحكومة برتبة بلك باشا وما هى الا مدة وجيزه حتى أظهر من الكفاءة ما ظفر به إلى رتبة بكباشى مكافأة له على ذلك . قبض على عصابتى أبا مسيكه وولدقابوس الشهيرين بعدأن اتعبا الحكومة والناس بالمهاجمة المضطردة ، ثم رقى إلي رتبة سنجق . وفى تلك الاثناء شق (جبل رملة بالجزيرة) عصا الطاعة فلم تجد الحكومة خيرمن صالح باشا ليؤدبهم فكان لها ذلك . فلما هبت الثورة المهدية



اللواء صالح باشا الملك

سار ليلتحق بالجيش الذى كان يرأسه يوسف الشلالى باشا . فلما وصل الكوه أمر تلغرافيا بالسفر إلى سنار لانها سقطت فى أيدى المهديين وهكذا سار اليها فبطش بالاعداء وقتل قائدهم ود الكاشفي وأصيب ابن

صالح باشا (محمد) باثنى عشر اصابة ما بين طعنة رمح وضربة سيف واعاد خطوط التلغراف التى كان قد قطعها الاعداء إلى ما كانت عليه ، فلما بلغت هذه الشجاعة حكمدار السودان العام أمر بترقيته تلغرافياً إلى رتبة سر سوارى وما زال بالجزيرة يعمل على نصرة الحكومة يحمل كل يوم على الذين تحدثهم نفسهم على محاربتها إلى أن تحرك الشيخ الطيب ود حمدون ومعه جيش كبير فقاتله صالح باشا وشتت شمله وشمل أنصاره ، فاعاد بذلك الامن فى انحاء الجزيرة.

وتقلد بعد ذلك قومندانية الجنود بالخرطوم وبينما هو فى طريقه إليها اعترضه الأمير الطيب ود حمدون الجعلى فحاربه وهزمه شر هزيمة وقتل ود حمدون نفسه. فنتج من ذلك أن هاجت البلاد فى أنحاء الجزيرة ففضل الاقامة بها إلى أن تهدأ البلاد فتحصن على الشاطىء فى (فداسى) وكان معهم عدة سناجق من السابقين ، منهم محمد بك الملك ونصر بك شريف وحمدون الملك وكثيرون غيرهم. فاستمر الحرب بينه وبين القبائل المختلفة هناك سنة كاملة. فلما أدرك غوردون مقدار المجهود الذى بذله صالح باشا أرسل له براءة رتبة الباشوية مع رتبة اللوا داخل عكاز مجوف مربوط بالجلد. طلب بعد ذلك من غوردون أن يمده بالجبه خانة ولم يستطع غوردون ذلك لأن البحر كان غائضاً والوابورات لا تستطيع حراكاً. فظل صالح باشا يناضل إلى أن فرغت منه الذخيرة ، ولما علم غوردون بذلك كتب لصالح باشا يشكره على شجاعته وثباته ونصحه أن يسلم الحاميه إلى حكومة المهدية لانه لا يرى من الصواب أن يموتوا جوعاً ففعل ، حيث سلم الحاميه إلى الأمير

(أبو قرجه) الذى أرسل صالح باشا إلى المهدى تحت حراسة خاصة بعد أن وضع السناجق تحت الحفظ إلى أن يصل صالح باشا .

وقد وشى به الواشون أن بينه وبين غوردون رسائل فأمر المهدى بسجنه . ولكنه عفى عنه أخيراً فأمر أن تفك أغلاله على أن يبقى تحت الحفظ وقد أمر باعطائه مساحة كبيرة لسكنه وسكنى اتباعه من الشايقية وهى المعروفه الآن (بديم صالح) ثم سكنوا خورشمبات بعد ذلك . وبعد وفاة المهدى رغب صالح الملك أن يؤذن له بالمرور فى انحاء السودان لجمع شتات الشايقية فكان له ما أراد ، وجاءت الوفود من دار الشايقية تطلب ذهاب صالح باشا معهم فأبى الخليفة عبدالله وتقديراً لعطفه عليهم وهو الآن يهم بعنايته خصصوا ارضاً واسعة باسمه بعد أن زرعوها واسكنوا فيها الشايقية على أن يستمر ريعها له ولابنائه من بعده . ثم طاف فى انحاء السودان وجمع ابناء جلدته من الشايقية وبينما هو عائد من المناقل وافاه الاجل المحتوم وكان معه بشير بك كمبال (١) الذى تولى دفنه بغاية الاجلال والاكرام فلما بلغ خليفة المهدى أمر وفاته أمر أن يقام مأتمه على حسابه الخاص وأرسل أخيه الامير يعقوب للعزاء نيابة عنه وقد صرح بضرب النحاس بصفة خاصة (وقد كان ممنوعا) وذلك اعترافا من الخليفة أن صالح باشا كان رجلا عظيما ممتازاً يستحق هذا الاستثناء .

هذا تاريخ صالح الملك باشا وهو كما ترى تاريخ يرفع صاحبه إلى

---

(١) أنظر صورته وسيرته فى هذا الفصل « أقطاب السياسه »

درجة البطولة ويطبع اسمه بطابع المجد والخلود . لقد ذكر اسم صالح باشا الملك في جميع المؤلفات التي تناولت تاريخ السودان ففي كتاب (شاهد الشرق) له صفحات تشهد كلها بمكانته ، وفي تاريخ السودان لنعوم شقير كما في تاريخ السودان لابراهيم باشا فوزى ، له المدح المعلى من مكانة الفرسان وقد سمى باسمه شارعاً من أهم شوارع العاصمة بالخرطوم . مدحه شعراء السودان الوطنيون وقد عثرت على مدحة طويلة لشاعر (وطنى) من دار الشايقية قال في مطلعها : —

صالح ود الملك ياتلب(١) دلّ قصره الفوق الدّربْ
باجيمان انقلب انقلب صالح الشال جهة الغرِبْ

* * *

أما أبناؤه فقد قتل منهما اثنان في سقوط الخرطوم وهما محمد وحامد وقد كانا مثال الشجاعة والاقدام . كان الأول بكباشى ياوراً لغوردون باشا والثاني وكيلاً لدائرة والده وكان جواداً كريما فقد أقرض غوردون خمسة آلاف جنيها . وله أيضا أربعة أبناء على قيد الحياة وهم محمد صالح(٢) وحامد صالح(٣) ودياب صالح (٤) والعوض صالح (٥) يتزعمهم القائمقام حامد بك صالح الملك الذى لايقل تاريخه عن تاريخ والده العظيم . فهو كبير الضباط السودانيين اليوم وزعيم قبيلة الشايقية . ولد في أم درمان بديم صالح باشا

---

١ » ياتلب أى ياأسد. والفوق أى الذى فوق . وفوق الدرب . أى على الطريق .
٢ » يوزباشى بالمعاش ٣ » قائمقام قومندان المنطقة الشمالية ٤ » مفتش بالسكة الحديد السودانية ٥ » مأموراً بحكومة السودان .

الملك عام ٣٠٨ هـ وتخرج من كلية غردون عام ١٩٠٩ حيث التحق بالمدرسة الحربية . منذ ذلك الحين بدأت حياته العملية تبرز وشخصيته الفذه تنال


القائمقام حامد بك صالح

المكان اللائق بها . تدرج فى الرقى إلى أن نال رتبة القائمقام بجدارة واستحقاق ، فكان وهو ملازم ثانى المثل الأعلى للضابط الباسل النشيط . له من نفسه نزوع إلى العلى ورغبة كامنة فى دمه أن يكون عظيماً ، وانك لتلمس ذلك إذا علمت أنه صديق سمو البرنس اسماعيل داوود الذى تنازل فدعاه عام ١٩٢١ للنزول فى سرايه فى مصر وعرفه بالكثيرين من أفراد البيت المالك ، كذلك فى السودان تجد اصدقائه من أشرف البيوتات وأعزهم جانبا .

أما خدماته للحكومة فكثيرة نذكر منها بالايجاز اشتراكه فى داورية تاجوى عام ١٩١٠ . ثم انتخابه ليكون حرسا لجلالة ملك انجلترا عند زيارته للسودان عام ١٩١٢ ، واشتراكه فى تأديب الانواك ، واشتراكه فى فتح دارفور عام ١٩١٦ وقد منح نيشان النيل تقديراً لخدماته فى هذه الداورية ، ثم انتخب

عام ١٩١٧ ليلحق بالسلطان على دينار وقد أظهر من الكفاءة والمقدرة الشيء الكثير . وفى عام ١٩١٨ أنتخب ليكون تعليمجي بمدرسة ضرب النار ، وفى سنة ١٩١٩ أنتخب لتكوين فرق الهرب فى دارفور ، ثم أعيد إلى السوارى ١٩٢٠ فلما قوى مركزه ، وبرز جانبه ، بدأ يفكر فى خدمة قبيلته وابناء وطنه من الناحية الاجتماعية ، فانشأ الصندوق الشايقى عام ١٩٢٠ . وهكذا استمر يسعى بحكمته ومقدرته حتى حوادث سنة ١٩٢٤ حيث عهد اليه بالمحافظة على سوق المدينة وكان يخطب فى العساكر فيحثهم على الاخلاص للحكومة ويأمرهم بالامانة والاخلاص الى أن اجتاز ذلك الظرف المصيب ومرت الكارثة دون أن يحدث أى مكدر

وقد أوفدته الحكومة مع وفد النبلاء إلى لندن عام ١٩١٩ ، وهناك فى تلك البلاد النائية لم ينس بلاده ، فقد نشر فى الجرائد السيارة تاريخ الشايقية فى السودان وضحاياهم واخلاصهم للحكومة قديماً وحديثاً . وبعد عودته رقى إلى رتبة الصاغ ثم إلى رتبة القائمقام عام ١٩٢٧ وعين قومندانا للمنطقة الشمالية حيث هو الآن .

ولما كان فى مصر عام ١٩٣٩ تشرف بالمثول بين يدى جلالة الملك فاروق الأول ملك مصر ، فتلقى من عطفه السامى ما أطلق ألسنة السودان والسودانيين بالدعاء لجلالته .

هذا هو حامد بك صالح الملك نجل صالح باشا الملك من سلالة ملوك الشايقية .

عبد القادر حلمى باشا :

لقد حل عبد القادر باشا حلمى حكمداراً للسودان فى ١١ مايو سنة ١٨٨٢ خلفاً لرؤوف باشا ، فبرهن على كفاءة ممتازة ، ومقدرة منقطعة النظير ، ولا عجب فقد كان ضابطاً كفؤاً حازماً شجاعاً ، وقد قبض على ناصية الحال فاستتب الأمن واطمأن الناس بعد أن كانوا فى عهد رؤوف باشا لا يفارقهم الجزع والخوف وقد أمن الخرطوم والجزيرة بعد أن أوشكتا على السقوط .



عبد القادر حلمى باشا

ولى حكمدارية السودان سنة ١٨٨٢ الى ١٨٨٣ حيث أقيل من منصبه ، لأنه طلب والح على الحكومة المصرية أن ترسل اليه ١٥٠٠٠ جندى فاتهم بالجنوح الى الاستقلال .

قال عبد القادر باشا حلمى : (عند وصولى الخرطوم وجدت عدداً قليلا من العساكر مخيمين فى ظاهرها بلا متاريس ولا حصون فشرعت فى الحال فى حفر خندق يصل بين النيلين الأبيض والازرق . وخشيت أن أنا قلت للاهلين الحقيقة أن يستضعفونى فقلت لهم انى أحفر ترعة للوصل بين النيلين وتسهيل الملاحة . ولما تم الخندق شرعت فى تجنيد العساكر المتطوعة

جمعت ٩٠٠٠ رجل وسلحتهم بخمسة آلاف بندقية رمنتون ، وقد وجدت في الخزينة ١٢٠٠٠ الف جنيه استعنت بها على تجنيد العساكر وتحصين المدنية ومقاومة الثورة سنة كاملة) لقد برهن عبد القادر باشا حلمي على كفاءة المصرى واستعداده للقيام بعبء أخطر المسؤليات فى أحرج الاوقات وهو عنوان الضابط الباسل الذى لايهاب الموت .

اللوا ابراهيم فوزى باشا

هو أحد الضباط المصريين الذين قاسوا أشد عذاب الاسر فى السودان ، له تاريخ حافل يشهد له بالبطولة والبراعة العسكرية ، وله أيضاً مؤلف كبير عن السودان عنوانه (السودان بين يدى غوردون وكتشنر) شرح فيه أنواع المآسى التى لاقاها وصنوف الشقاء الذى عاناه هناك ، إلى أن أنقذه اللورد كتشنر فى سبتمبر عام ١٨٩٨ .

ولد فى القاهرة ، ودخل المدرسة الحربية فى عهد الخديوى اسماعيل ، وبعد تخرجه الحق بحكمدارية السودان فى عهد اسماعيل باشا أيوب ، ولما طلب غوردون من الحكمدارية انتخاب بعض الضباط لمعاونته فى خط الاستواء تطوع ابراهيم فوزى لذلك ، رغم رفض جميع الضباط خوفا من بعد الشقة وصعوبة السفر ومكافحة الاقوام المتوحشة ، فادرك غوردون أن الضابط ابراهيم فوزى هو الضابط الباسل الذى يستطيع معاونته فشكره . أبلى بلاء حسنا فى مقاومة الزنوج وتجار الرقيق إلى أن تم لغوردون بسط النفوذ المصرى على جميع خط الاستواء ، فكافأه بأن عينه مديراً لبحر الغزال.

وبسبب وشاية صادفت هوى فى نفس غوردون فصله من وظيفته. ولكنه عاد فالتمس من الخديوى اسماعيل اعادته الى الخدمة لأنه تحقق كذب هذه الوشايه . وقد حوكم لموالاته عرابى ، فحكم عليه بالتجريد من رتبه والقابه ونياشينه التى بذل فى الحصول عليها حياته ، وقاسى لاجلها أصعب المتـــاعب والمشاق واقتحام الاهوال .



اللوا ابراهيم فوزى باشا

ولما ندب غوردون لاخلاء السودان طلب من سردار الجيش المصرى تلغرافيـاً أن يرافقه الضابط ابراهيم فوزى فى مهمته، ولما وصل القاهرة التمس من الخديوى العفو عنه، فردت اليه رتبه ونياشينه ، وهكذا صحب غوردون الى الخرطوم وتولى قيادة حاميتها، وانتصر فى وقائع كثيرة أهمها واقعة الحلفاية التى جرح فيها جرحا بليغا وظل مع غوردون إلى سقوط الخرطوم سنة ١٨٨٥ فأسره الدراويش وظل أربعة عشر عاما أسيراً.

تزوج فى الاسر وظل فيه إلى أن أنقذه كتشنر عام ١٨٩٨ كما قلنا .

عبد الرحمن النجومى :

كان النجومى بطلا من أبطال المهدية وأميراً بارزاً من أمرائها فهو الذى هزم الدار سنة ١٨٨٤ وهو الذى سيره المهدى أميراً عاماً على جميع المحاصرين فخرج من الرهد فى ٢٥ يونيو سنة ١٨٨٤ وكان الشيخ العبيد لما علم بقدوم النجومى لحصار الخرطوم ، حشد جيوشه وتقدم لحصرها من الشرق ، فأسرع غوردون وأخرج عساكره من الحلفاية وهدم منازل قبة الشيخ خوجلى ، وقبة الشيخ حمد ، ولكنه أبقى على القبتين ، وعلى محل السادة الميرغنية فى حلة الشيخ خوجلى .وأرسل النجومى الى الشيخ العبيد ، عبد الله ودجباره وأبو بكر ولد عامر ليساعداه على الحصار ، وهكذا تم حصار الخرطوم من الشرق والجزيرة . فكتب النجومى خطاباً تاريخياً الى غوردون باشا يطلب منه أنه يسلم فرد عليه غوردون بأنه غير مبال به ولا بالمهدى .

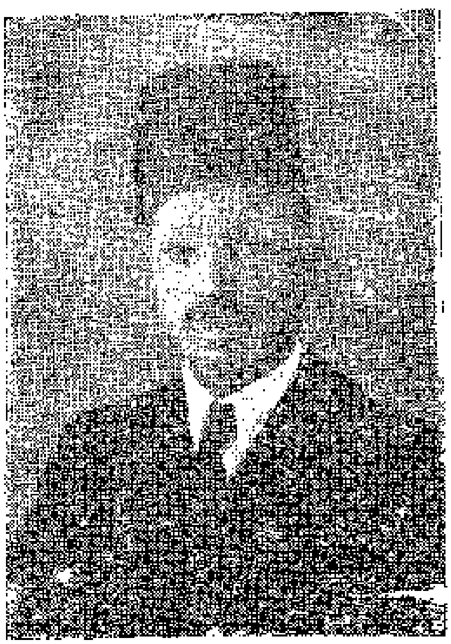
وكان النجومى قد كتب إلى أهل الخرطوم كتاباً يدعوهم إلى التسليم .

وليس ذلك فقط هو تاريخ النجومى ، فهو من الذين لهم فى كل صفحة من صفحاته مأثرة عظيمة وهو الذى بعثه المهدى الى المتمة ، ثم الى سنار ، واقامه عاملا على دنقلا وأخيراً هو المبرز فى واقعة طوشكي وصاحب الكتاب التاريخى الذى وجهه الى السردار غرنفيل .

نهض النجومى بجيشه فى واقعة طوشكى يوم السبت ٣ أغسطس سنه ١٨٨٩ ودخل سهل طوشكى فخرج له السردار بالكاحربه والاسلحة الراكبة حتى أصبح مسيرة ١٥٠٠ ياردة منه ، فحمل النجومى عليهم بجيشه حملة واحدة ولم يكن السردار قادراً على صده .

مات النجومي فى هذه الواقعه بعد أن كتب بدمه صفحة الفخار التى لاتمحى فقد أظهر من البسالة والشجاعة والدربة العسكرية مايعجز عنه أساطين الجيوش المحاربة .

مات النجومى ، لكنه لم يمت فقد أنجب ابنه العظيم الاميرالاى عبد الله بك النجومى الذى نال من جلالة الملك ومن عطفه السامى ما يعتبر عطفاً على كل سودانى ، فقد أمر جلالته بتعيينه ضمن ياوران السراى الملكية ، وهى مأثرة تجعل أهل السودان عموماً يشعرون أن لهم من يمثلهم فى السراى وعلى مقربة من مليك البلاد ، وتحت بصره وعنايته .



الأميرالاى عبدالله بك النجومي

كان مأموراً فى حكومة السودان فلما كانت حوادث سنة ١٩٢٤ ، وقف موقف الشرف والبطولة فأبى أن ينضم إلى قوة دفاع السودان وأن يكون فى جيش غير الجيش المصرى . ولما رأى مارأى من تعنت حكومة السودان فضّل اعتزال الخدمة والاحالة على المعاش ، فكان له ما أراد ، وهكذا — إلى أن أعيد الى الخدمة ، وها هو اليوم يمثل السودان أعز وأرفع مكان فى مصر

بشير بك كمبال :

أينما قلبت صحف التاريخ قديما وحديثا ، وجدت مفخرة من المفاخر التي خلفها الاميرالاى بشير بك كمبال ، ففي جميع الحكومات التي تولت السودان ، له اليد الطولى والمكان الاسمى . لم تفتر همته حتى بعد بلوغه سن المشيب ، فقد ظل مجاهداً إلى آخر نسمة من حياته ، حيث توفاه الله سنة ١٩١٩ عن أربعة وسبعين عاما قضاها في خدمة أمته وارضاء ربه ، تفيأ ظلال السياسة ورضع ألبانها وعاشر أقطابها وأركانها ، فقام بأكثر من



بشير بك كمبال

قسطه ، وذهب مبكيا عليه من أهل السودان قاطبة . كان والده قائداً للجيوش بمديرية كردفان ، فنشأ ولده (بشير) محبا للجهاد ميالا بفطرته للحياة العسكرية . هذا الذي دفعه أن ينخرط في سلك الجندية قبل نهاية العقد الثاني من عمره وقد أظهر من الحذق والمهارة ما ظفر به إلى رتبة (سنجك) أي ما يعادل رتبة القائمقام في الجيش النظامي . رافق الجنرال غوردون لمحاربة المقدوم سعد عرجون ، ولما هبت عاصفة الثورة المهدية دعي إلى كسلا لتعزيز حاميتها . ولما هرب

سلاطين وشىَ به أن له ضلعا فى تسهيل هروبه فأمر خليفة المهدى بسجنه ، وظل هكذا مكبلا بالحديد حتى عام ١٨٩٨ حيث سقطت الخرطوم . عندئذ أفرج عنه والحق بالقسم السياسى وكلف بمرافقة اللوا ماهون باشا إلى كوردفان . فلما كانت سنة ١٩٠٠ واستتب الأمن فى ربوع البلاد ، تعين مفتشا لقبائل عرب كوردفان مع منحه رتبة القائمقام ثم منح رتبة الاميرالاى عام ١٩١٥ . اشترك فى عدة داوريات حربيه أهمها جبل الدار وتالودى ومنح مدالياتها تقديراً لخداماته الجليله . ثم منح النيشان المجيدى الرابع والنيشان العثمانى الرابع ، وهو أحد الافراد القلائل الذين قدمتهم حكومة السودان فنالوا شرف المثول بين يدى جلالة ملك بريطانيا العظمى فى بورتسودان عام ١٩١٢ فمنحه جلالته نيشان فكتوريا العظيم الشأن . وفى سنة ١٩١٦ عند ما عزمت حكومة السودان على فتح دارفور رأت أن تستفيد بخبرته وكفاءته فكلفته بإنشاء النقط العسكرية بين كوردفان ودارفور فقام بها خير قيام ، وأظهر السير رجنلد ونجت باشا رضاه التام عنه ومنحه نيشان الامتياز لأجل ذلك



البكباشى على افندى بشير

كان رحمه الله باراً باهله سيداً مطاعا فى عشيرته أوقف حياته على خدمة وطنه ومواطنيه ، وقد كان لى حظ التعارف إلى أحد ابنائه وهو البكباشى على

افندي بشير فرأيت العظمة التي ورثها عن ابيه تتجلى فيه ، وقد علمت أنه ممن حازو تقدير جلالة ملك بريطانيا حيث وضع اسمه في مذكرة الشجعان نظير اشتراكه في ثلاثة دوريات حربية متواليه من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩١٦ بجبال النوبة ودارفور وقد حصل على هذا التقدير وهو ملازم ثاني كما تقرأ في الذكر الحسن المطبوع باللغتين على الزنكوغراف هنا . ولا عجب أن ينال البكباشي علي بشير ، هذا التقدير فهو نجل الاميرالاى بشير بك كمبال من سلالة ملوك الشايقية المعروفة بالبسالة والاقدام .

سنة ١٩١٤ — ١٩١٦

السودان

الجيش المصري

قد وضع اسم الملازم ثاني علي افندي بشير من فرقة الهجانة في مذكرة الشجعان للجنرال السير ف . ر . ونجت حامل نيشان الحمام ونيشان فكتوريا ونيشان القديسين ميخائيل وجورج من درجة فارس ونيشان الامتياز بتاريخ ٨ اغسطس سنة ١٩١٦ وذلك لبسالته وخدماته الجليلة في الميدان

ولقد امرني جلالة الملك بان اعرب عن تقدير جلالته هذه الخدامات حق قدرها ؟

تشرشل

سكرتير الحربية البريطانية

ديوان الحربية

هوايت هول اول مارس سنة ١٩١٩

SUDAN, 1914-16.

EGYPTIAN ARMY.

El Mulazim Tani ALI EFFENDI BESHIR, Camel Corps.

WAS MENTIONED IN A DESPATCH FROM

GENERAL SIR F. R. WINGATE, G.C.B., G.C.V.O., K.C.M.G., D.S.O.,

DATED 8th AUGUST, 1916,

FOR GALLANT AND DISTINGUISHED SERVICES IN THE FIELD.

I HAVE IT IN COMMAND FROM THE KING TO RECORD HIS MAJESTY'S HIGH APPRECIATION OF THE SERVICES RENDERED.

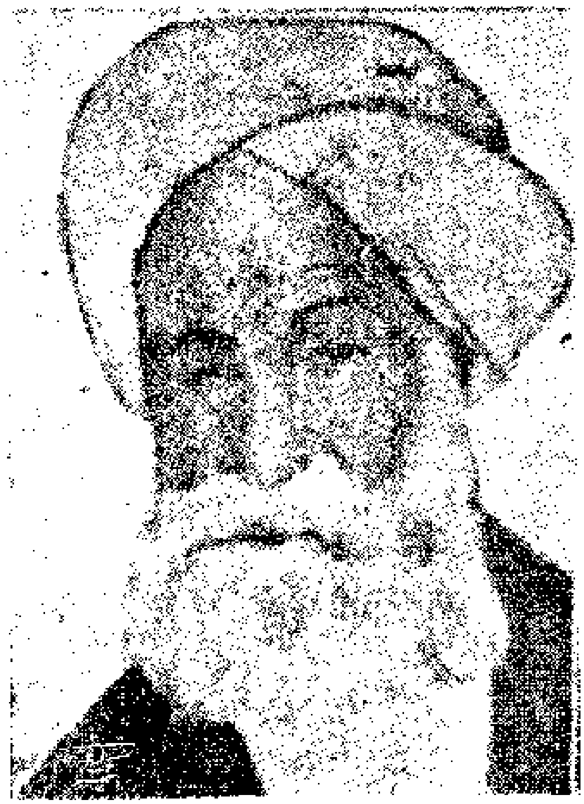
Winston S. Churchill

Secretary of State for War

War Office,
Whitehall, S.W.1.
1st March, 1919.

عثمان دقنه :

هو أمير من أبرز أمراء المهدية وهو ابن أبي بكر دقنة نسبة الى قبيلة (الدقنى) . وكان فى بادىء أمره تاجراً يتردد على مصر . وتزوج بابنة عبد الغفار الضوى أحد كبار تجار المصريين فى بربر الذى أعطاه عشرة آلاف ريالا ليتجر بها . وهو أصلا من الاكراد الذين وفدوا على سواكن مع السلطان سليم الفاتح . ولد فى سواكن ونشأ بها ولما هبت الثورة المهدية انخرط فى سلكها فبرز فيها .



عثمان دقنه

كان عثمان دقنه منذ حداثته ميالا الى العبادة ومواظبة الصلاة وملازمة أوراد الطريقة ومع ذلك فقد كان اسمه يلقى الرعب فى القلوب لأن كثيرا من الناس كانوا يصفونه بالقسوة . كان محل ثقة المهدى لأنه كان من أنشط امرائه ، لا يعرف للتعب معنى ، وقد منحه سلطة واسعة النطاق استخدمها فى جرأة تدعوا إلى الدهشة . وقد كبرت منزلته وامتد سلطانه بعد انتصاره انتصارا باهراً على بيكر باشا فى معركة التب بقرب طوكر فى فبراير عام ١٨٨٤ .وقد ظل يضايق جنود الحملة النيلية الأخيرة عدة شهور قبل معركة عطبره التى

حدثت فى ٨ ابريل سنة ١٨٩٨ . وقد أسرته حكومة السودان فى ١٨ يناير سنة ١٩٠٠ وظل ستة وعشرين سنة فى الأسر الى أن توفاه الله فى ديسمبر ١٩٢٦ . وقد اعتقلته حكومة السودان فى حلفا وعاملته معاملة حسنة باعتباره أسيراً سياسياً . أما هو فقد لزم الصمت التام الممزوج بالكآبة الدائمة ورفض أن يحدث إلى أى أنسان . وكأنما وهو فى هذه الحالة يتذكر ما كان له من عز وسلطان فلا يفرض للناس وجوداً وهو لذلك لا يتكلم مطلقاً . ولقد حاولت حكومة السودان أن يطلب منها طلباً أو مساعدة فأبى ، فلما فتح فمه ليتكلم ، طلب ارساله إلى الحج فأرسلته الحكومة على حسابها ذهابا وايابا . هذا هو عثمان دقنه بغاية الايجاز .

خشم الموسى باشا[1]

هو اللوا محمد خشم الموسى باشا حفيد الملك صبير الشايقى الذى حارب



سمو الأمير اسماعيل باشا ابن الأمير محمد على باشا الكبير عام ١٨٢٠ هـ شهد الحملة المصرية الى الحبشة عام ١٢٩٤هـ وحرب دارفور عام ١٢٩٤هـ وغيرهما وأبلى فى الدفاع عن الخرطوم بلاء حسناً

(١) الصورة والتاريخ نقلا عن كتاب العروبة فى السودان للاستاذ البحاثة محمد عبد الرحيم

الشيخ صالح جبريل :

ومن أبناء السودان البارزين ، الاستاذ الجليل الشيخ صالح جبريل الذى كان موظفاً بقلم مخابرات السودان وهو من مواليد دنقلا نجباء ، وقد نال تقدير الحكومة بكل معنى التقدير وهو الذى أنقذ الموقف فى واقعة أمبقول عام ١٩٠٣ . نال من الحكومة عدة وسامات كما أنجب أبناء من سادة القوم لهم تاريخ مجيد ، أكبرهم المغفور له الشهم البكباشى صالح جبريل . كان رحمه الله غيوراً على بلاده من الوجهة القومية حتى كانت الحكومة تحذره فى كثير من



الشيخ صالح جبريل

المواقف ، وذلك لأنها تعرف مقدار وطنيته ومقدار نفوذه واحترامه لدى مواطنيه ، وقد توفى عام ١٩٣٨ فرثاه الشعراء وحزن عليه السودان عن بكرة أبيه وقد رثاه الاستاذ الجليل ابراهيم بدرى إذقال من قصيدة كبرى

ما مات سرّى ان سرىّ خالد — بفعاله وبقوله المأثور
أملى على التاريخ قصة مجده — فاستكتب التاريخ صفحة نور
هذا سجل الخالدين ولن ترى — فيما حواه صحيفة من زور

وللشيخ صالح نجل آخر هو الاستاذ الكبير والشاعر المبدع توفيق صالح جبريل مأمور كسلا الذى تقرأ شعره فتحسب نفسك امام شاعر من المتقدمين زد على ماورثه من أبيه من الكرم والنجدة ومكارم الاخلاق ، وقد حاولت أن أحصل على صورته لاثباتها هنا فاخفقت .


البكباشي محمد صالح جبريل

وليس معنى هذا أن من ذكرناهم هم كل السودان ومن فيه من الشخصيات البارزة بل هؤلاء هم كل الذين أمكنني بعد البحث المشور على صورهم وترجمة حياتهم ترجمة صحيحة . فالسودان قبل الحكم الانجليزى كان يتمتع رجاله بأرقى المناصب نذكر منهم على سبيل المثال : —

سليمان بك الزبير وادريس بك ابتر ويوسف باشا الشلالى مديرين على التوالى لبحر الغزال .

ثم كان — الشلالى باشا وبعده بساطى بك مديرين لسنار ، والياس باشا أم برير مديراً لكردفان ، وحسين باشا خليفة مديراً لبربر ، والطيب بك عبد الله مديراً لفاشوده ، ومحمد بك خالد زقل مديراً لفاشوده ، ومحمد بك خالد زقل مديراً لداره ، والنوره بك عنقره مديراً لكبكبيه ، والسعيد بك حسين وآدم بك عامر مديرين بمديريات دارفور ، واحمد باشا أبو سن ومحمود بك احمدانى واحمد بك جلاب ، مديرين بالعاقب للخرطوم ،

ومحمد بك الجزولي وكيلا لمديرية الخرطوم ، واحمد بك مكوار وكيلا لمديرية سنار ، وعمر بك العمرابي وكيلا لمديرية بربر ، وكان علي بك عمارة أبو سن مديراً للجمارك ، وحمد بك التلب رئيسا لمجلس الاستئناف ، ومحمد بك خوجلي قاضياً للخرطوم ، وعثمان بك حاج حامد قاضياً لخط الاستواء ، والفكي (الفقية) الشيخ الأمين الضرير شيخاً للاسلام ، والبكوات : أبو بكر الجركوك والخليفة ود أرباب ومحمد عبد الرحمن ، ود البشير وادريس النور وعبد الرحمن بان النقا ، والفضل ابراهيم وغيرهم أعضاء بمجلس الاستئناف ، وبساطي بك المحسي باشكاتباً لمديرية الخرطوم ، والعوضي بك المرضي باشكاتباً لمديرية كسلا ، وحسن افندى الشريف معاوناً لمديرية بربر ، ومحمد افندى النصري معاوناً لمديرية بحر الغزال .. الخ

وكان من بين القواد العظام : —

ألماظ باشا ، وآدم باشا ، وفرج الله باشا ، وفرج الزيني باشا ، ويوسف الشلالي باشا ، والسعيد حسين باشا ، وحسن ابراهيم باشا ، ومحمد علي حسين باشا ، والنور بك محمد ، وسرور بك بهجت ، وبخيت بك بطراكي ومحمد بك السيد ، وسليم بك مطر ، والنور بك عنقرة ، وفرج بك عزازي وعشرات سواهم .

وكان جميع عمد القبائل ونظار الاقسام وخاصة أهل البلاد وكبار الموظفين المدنيين يحملون الرتب والنياشين أسوة بالمصريين نذكر منهم :

بشير بك ود عقيد عميد الجمليين . وعبد القادر باشا ود الزين شيخ مشايخ الخرطوم وسنار وأول معاون سوداني للحكمدارية .

وادريس بك ود عدلان زعيم الفونج ، واحمد بك أبو جن عمدة قبيلة الجمدة ، وعلى بك البخيت ناظر بنى عامر ، وعبد القادر بك ايله عمدة الخلانقة ، ومحمد بك موسى زعيم الهدندوة ، واحمد بك دفع الله عين أعيان كردفان ، ومحمد بك ياسين ناظر قسم كردفان ، واحمد باشا أبو سن عمدة الشكرية ، وابنه عوض الكريم باشا ، وحفيده علي بك ، وعلى بك سالم عمدة الكبابيش ، وحسن بك أم كادوك عمدة البرنو ، وصالح بك شنقة ناظر القلابات ، ومحمود بك زايد عمدة الضباينة ، ويشارى بك بكير عمدة عمدة بنى هلبة ، والارباب بك ود دفع الله ، وعلى بك الخبير ، وابراهيم بك البرديني ، ومحمد باشا أبو زيد ، ومحمد بك البلالى ، وصالح بك خليفه ، ومحمد باشا امام الشهير بالخبير وغيرهم ممن يعدون بالمئات .

فتح السودان واتفاقية ١٨٩٩

وحكام السودان الحديث

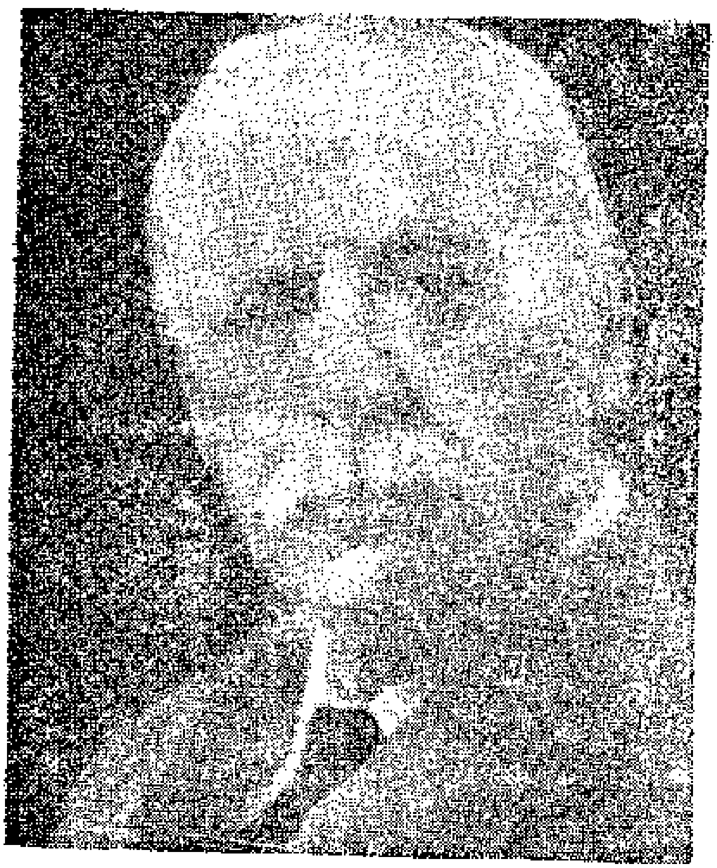
كتشنر — ونجت — ستاك — ارشر — مافى — سايمز

زحف الجيش المصرى بقيادة السردار كتشنر، فالتقى بالسودانيين فى (عكاشة) فى أول مايو سنة ١٨٩٦، وفى ٧ يونيو استولى على فركه وهى على بعد ٤٥٠ ميلاً من حلفا، وفى ٢٥ أغسطس وصل الى كوشة، وفى ٢٢ سبتمبر وصل الى دنقله، وفى ٢٨ أغسطس سنة ١٨٩٧ استؤنف الزحف، ودخلت الجنود أبو حمد، وفى ٧سبتمبر استولت السفن على بربر وفى ٢٥ اكتوبر وصلت السفن إلى المتمة، ووصل الخبر بأن الفرنساويين يحتلون فاشوده، فأسرع السردار بالزحف، فوصلت طلائعه وسفنه إلى شندى، وفى ٢٦ مارس وفى ٨ أبريل أبيدت قوة الأمير محمود، وقررت الحكومة الانجليزية أن تتنازل لحكومة مصر عن المال، وقدره ٧٩٨٨٠٢ ج. م لأن ثلث هذا المال أنفق على الخط الحديدى، الذى مُدّ مع الجيش واحتل كتشنر أم درمان.

وفى ١٩ سبتمبر وصل السردار كتشنر إلى فاشوده، حيث التقى بالمارشال وفى تلك الساعة حان وقت حل المسألة بين فرنسا وانجلترا.

وفى ٢٠ سبتمبر رفع العلم المصرى هناك وترك لحراسته نصف أورطه.

وفى ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ أبرمت الحكومة الانجليزية مع الحكومة المصرية اتفاقاً يقضى باشتراك الحكومتين فى الحكم الثنائى فوقع اللورد كرومر عن الأولى وبطرس غالى باشا عن الثانية وهذا الاتفاق هو المعروف باتفاقية سنة ١٨٩٩ جاء فيه ما يأتى : —



اللورد كرومر

حيث أن بعض أقاليم السودان ، التى خرجت عن طاعة الحضرة الفخيمة الخديوية قد صار افتتاحها بالوسائل الحربية والمالية ، التى بذلتها بالاتحاد ، حكومتا جلالة ملك الانجليز والجناب العالى الخديوى .

وحيث قد أصبح من الضرورى ، وضع نظام مخصوص لأجل إدارة الأقاليم المفتتحة المذكورة ، وسن القوانين اللازمة لها بمراعاة ما هو عليه الجانب العظيم من تلك الاقاليم ، من التأخر وعدم الاستقرار على حال إلى الآن ، وما تستلزمه حالة كل جهة من الحاجات المتنوعة — وحيث أنه من المقتضى التصريح بمطالب الحكومة

الانجليزية ، المرتبة على مالها من حق الفتح ، وذلك بالاشتراك فى وضع النظام الادارى والقانون الآنف ذكره ، وفى إجراء تنفيذ مفعوله وتوسيع نطاقه فى المستقبل .

وحيث أنه تراءى من جملة وجوه أصولية ، الحاق وادى حلفا وسواكن إدارياً بالاقاليم المفتتحة المجاورة لها .


بطرس باشا غالى

فلذلك قد صار الاتفاق والاقرار فيما بين الموقعين على هذا ، بما لهما من التفويض اللازم لهذا الشأن على ما يأتى :

«المادة الأولى» تطلق لفظة السودان فى هذا الوفاق على جميع الأراضى الكائنة إلى جنوبى الدرجة الثانية والعشرين من خطوط العرض وهى :

أولاً : الأراضى التى لم تخلها قط الجنود المصرية منذ سنة ١٨٨٢

ثانياً : الأراضي التى كانت تحت إدارة الحكومة المصرية قبل ثورة السودان الاخيرة وفقدت منها وقتياً ثم افتتحتها الآن حكومة جلالة الملكة والحكومة المصرية بالاتحاد

ثالثاً : الأراضى التى قد تفتحها بالاتحاد الحكومتان المذكورتان من الآن فصاعداً .

« المادة الثانية » يستعمل العلم البريطانى والعلم المصرى معاً فى البرّ والبحر بجميع أنحاء السودان ما عدا مدينة سواكن فلا يستعمل فيها الا العلم المصرى فقط .

« المادة الثالثة » تفوّض الرئاسة العليا العسكرية والمدنية فى السودان الى موظف واحد يلقب «حاكم عموم السودان» ويكون تعيينه بأمر عالى خديوى بناء على طلب حكومة جلالة الملكة ولا يفصل عن وظيفته إلا بأمر عالى خديوى يصدر برضاء الحكومة البريطانية .

« المادة الرابعة » القوانين وكافة الأوامر واللوائح التى يكون لها قوة القانون المعمول به والتى من شأنها تحسين ادارة حكومة السودان أو تقرير حقوق الملكية فيه بجميع أنواعها وكيفية أيلولتها والتصرف فيها يجوز سنها أو تحويرها أو نسخها من وقت إلى آخر بمنشور من الحاكم العام وهذه القوانين والأوامر واللوائح يجوز أن يسرى مفعولها على جميع أنحاء السودان أو على جزء معلوم منه ، ويجوز أن يترتب عليها صراحة أو ضمناً تحوير أو نسخ أى قانون أو أية لائحة من القوانين أو اللوائح الموجودة .

وعلى الحاكم العام أن يبلغ على الفور جميع المنشورات التى يصدرها من هذا القبيل الى وكيل وقنصل جنرال الحكومة البريطانية بالقاهرة وإلى رئيس مجلس نظار الجناب العالى الخديوى .

« المادة الخامسة » لا يسرى على السودان أو على جزء منه شىء ما من القوانين أو الأوامر العالية أو القرارات الوزارية المصرية التى تصدر من

الآن فصاعداً إلا مايصدر باجرائه منها منشور من الحاكم العام بالكيفية السالف بيانها .

« المادة السادسة » المنشور الذى يصدر من حاكم عموم السودان ببيان الشروط التى بموجبها يصرح للاوروبيين من أية جنسية كانت بحرية المتاجرة أو السكنى بالسودان أو تملك ملك كائن ضمن حدوده لايشمل امتيازات خصوصية لرعايا أية دولة أو دول .

« المادة السابعة » لاتدفع رسوم الواردات على البضائع الآتية من الأراضى المصرية حين دخولها إلى السودان ولكنه يجوز مع ذلك تحصيل الرسوم المذكورة على البضائع القادمة من غير الأراضى المصرية إلا أنه فى حالة ما اذا كانت تلك البضائع آتية إلى السودان عن طريق سواكن أو أية مينا أخرى من موانى ساحل البحر الأحمر لايجوز أن تزيد الرسوم التى تحصل عليها من القيمة الجارى تحصيلها حينئذ على مثلها من البضائع الواردة الى البلاد المصرية من الخارج . ويجوز أن تقرر عوائد على البضائع التى تخرج من السودان بحسب مايقدره الحاكم العام من وقت الى آخر بالمنشورات التى يصدرها بهذا الشأن.

« المادة الثامنة » فيما عدا مدينة سواكن لاتمتد سلطة المحاكم المختلطة على أية جهة من الجهات السودانية، ولا يعترف بها فيه بوجه من الوجوه.

«المادة التاسعة» يعتبر السودان بجمعه ماعدا مدينة سواكن تحت الاحكام العرفية ويبقى كذلك الى أن يتقرر خلاف ذلك بمنشور من الحاكم العام.

«المادة العاشرة» لا يجوز تعيين القناصل أو وكلاء قناصل أو مأموري قنصلاتات بالسودان ولا يصرح لهم بالاقامة قبل المصادقة على ذلك من الحكومة البريطانية .

« المادة الحادية عشرة » ممنوع منعاً مطلقاً ادخال الرقيق الى السودان أو تصديره منه وسيصدر منشور بالاجراءات اللازم اتخاذها للتنفيذ بهذا الشأن

« المادة الثانية عشرة » قد حصل الاتفاق بين الحكومتين على وجوب المحافظة منهما على تنفيذ مفعول معاهدة بروكسل المبرمة بتاريخ ٢ يوليه سنة ١٨٩٠ فيما يتعلق بادخال الاسلحة النارية والذخائر الحربية والاشربة المقطرة أو الروحية وبيعها أو تشغيلها . تحريراً بالقاهرة فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٩

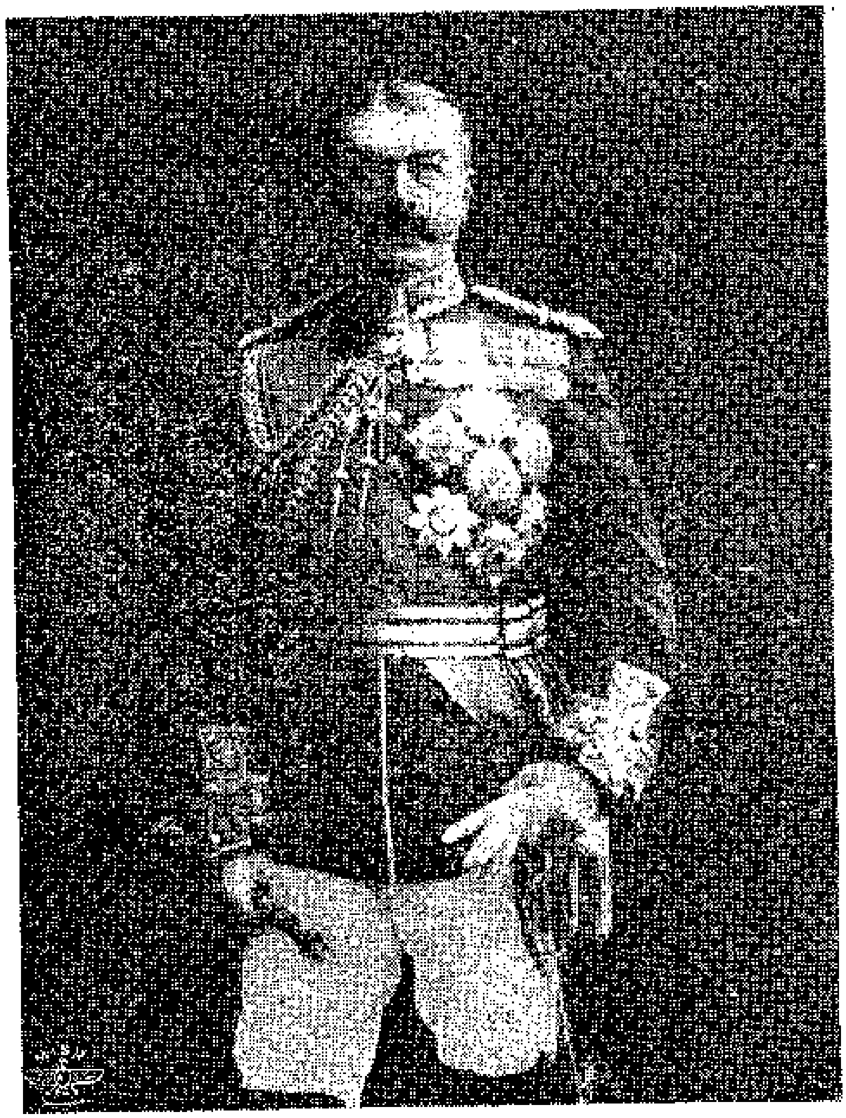
الامضاءات

«كرومر» «بطرس غالى»

وفى هذا التاريخ عين اللورد كتشنر أوف خرطوم سردار الجيش المصرى حاكماً عاماً للسودان مع بقاء وظيفة السردارية فى يده واعلن فتح السودان

اللورد كتشنر .

فى تكوين السودان المصرى الانجليزى تبرز لنا بأحرف بارزة بعض



اللورد كتشنر

أسماء مشاهير الانجليز وكان من حظ السودان أن يتمتع بخدماتهم فقد بلغوا أوج العظمة وارتفعت منزلتهم فى العيون وفى مقدمة هؤلاء يأتى اسم

هربرت كتشنر الذى صار بارونا وفيكونتا وارلا وفارس ربطة الساق ثم فيلد مرشال فى الجيش البريطانى عام ١٩٠٩

فى عام ١٨٨٤ تطوع الماجور كتشنر ليتحقق من بعض أمور تختص بالمهديين وبحركاتهم ولكى ينجح فى مهمته عاش عدة أسابيع متنكراً فى زى العربان وكان تنكره بالغاً حد الاتقان حتى كان يصعب على أذكى الناس أن يميزه من الأهالى فعرض حياته لخطر عظيم. بعد ذلك، حين أصبح كتشنر محافظاً لسواكن وشرق السودان، أدرك فرصته الأولى لاظهار مواهبه، وما وهبته الطبيعة عن سخاء من حزم وعزم فى تصريف الامور وفى سياسة الرجال ومعاملتهم. وأدرك (عثمان دقنه) الذى كان عدو كتشنر الالدود يومئذ أنه ينازل رجلا لايقل عنه خصوبة فى استنباط الوسيلة وابتداع الحيلة لكنه يبذه ويفوقه فى الطريقة.

وأدرك كتشنر أن الاستيلاء على السودان لايعوزه زيادة عدد الجيش المصرى وحسب، بل الى تحسين قوته المعنوية.

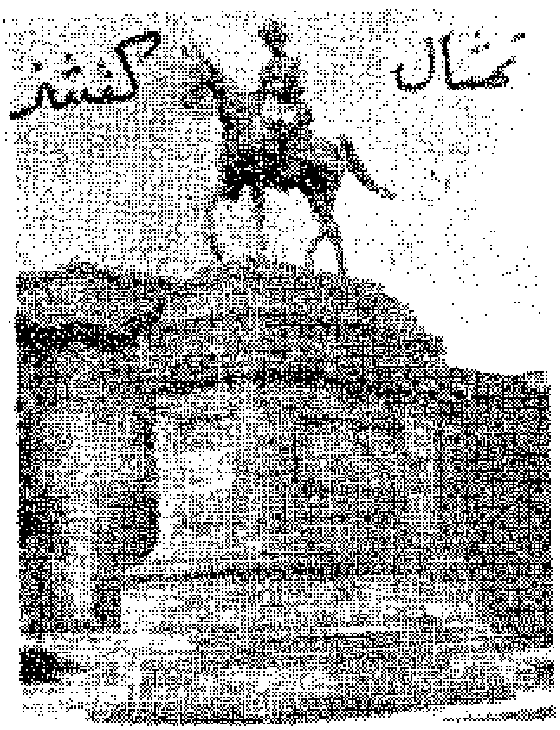
قال غوردون باشا (أن كتشنر هو أحد الضباط القلائل الذين يشغلون عن حق المرتبة الأولى فى الجيش البريطانى)

ظل اللورد كتشنر شديد الاهتمام بالسودان وتقدمه حتى بعد انتقاله مندوبا ساميا فى مصر، فقد كان السودان شغله الشاغل وهو أول حاكم افتتح كلية غردون فكانت أول ثمرة عملية وضع أساسها

وهكذا ظل يواليه بعطفه إلى آخر حياته التى انتهت بغرق الباخرة

هامشير فى يونيو سنة ١٩١٦ وهو حينذاك وزير حربية بريطانيا العظمى فى الحرب العظمى .

كان شغوفاً بالسودان فقد زاره عام ١٩١٣ ورحل منه من غير تجيل أو تكريم يدعو الي المباهاة والفخر . اذن فكتشنر مثل من أمثال عظمة بريطانيا ، وواحد من رجالها الذين يجب أن تفخر باسمه ، وهاهو تمثال كتشنر فى الخرطوم منصوباً بجوار سراى الحاكم العام من الجهة الغربية ، يكاد ينطق بما لكتشنر من الفضل على تلك الاراضى . ولا عجب فقد قرن اسمه باسم الخرطوم إذ أصبح اسمه الرسمى Kitchener of Khartum ثم بأكبر كاية هناك



كنت فى سنار عام ١٩١٣ يوم جاء كتشنر زائراً . وما أن وطئت قدمه افريز محطة سنار ، حتى سأل (أين فرج أبو زيد) وفرج بك أبو زيد المعروف ، ضابط سودانى كان يرافق كتشنر فى حملة فتح السودان وهو يومئذ ملازم أول ، فتقدم اليه فرج بك وما وقع نظر كتشنر عليه ، حتى عانقه عناق الاحباب بعد الغياب وأخـذه من يده ووضع ذراعه تحت أبطه ووقفا بعيداً عن الناس يتحدثان حتى نسى كتشنر الوف الناس التي كانت فى انتظاره ومعهم سعادة مدير وادمدنى . وأدرك سعادة المدير

أنه لو ترك أمر بروجرام الزيارة لرغائب اللورد لتسيه امام الفرصة التى اغتنمها ليتحدث الى صديقه القديم فرج أبو زيد ، فنبهه الى ذلك فى ذوق وأدب .

هذا نوع من أنواع اخلاق الانجليز الديموقراطية التى كانت يتحلى بها كتشنر والتى كانت أساس نجاحه ورقيه .

ونجت باشا :

ان الشريك المباشر لكتشنر ، والذى يشاطره فضل فتح السودان هو الجنرال السير فرنسيس ونجت باشا . لقد فعل ونجت باشا أكثر مما فعل كتشنر فى بعض النواحى ؛ ولا عجب فهو صاحب الموقعة الفاصلة التى حولت السودان من حكم التعايشى الى الحكم الاشتراكى بين مصر وبريطانيا . حكم السودان زهاء الثمانية عشر عاماً كان فى خلالها حاكماً عسكرياً ووالداً عطوفاً لكل من أسعده الحظ أن يشتغل تحت ادارته ، ولو شئت أن أعدد لك مآثر ونجت باشا على السودان لأعجزنى ذلك فهو الذى حول السودان من خراب ودمار ، بعد أن دمرته المدافع الى جنات زاهية زاهرة ، وهو الذى سن قوانين الحكومة ونظم تشريعها ، وهو الذى مد أسلاك التلغراف وعممها فى كل أنحاء السودان ، وهو الذى أنشأ نظام البريد . وهو الذى عنى عناية خاصة بالأمن فاستتب حتى أصبح يضرب به المثل . وهو الذى كان ينتخب نخبة البريطانيين المخلصين لمعاونته حتى أصبح البريطانى المثل الاعلى فى الصدق والاخلاص لدى أهل البلاد . كان ونجت باشا لا يأبه للابهة



السير فرنسنس رجنلد ونجت

تنازل ونجت باشا فأرسل الى مع صورته الخطاب الرقيق الذى تراه

منشوراً بالزنكوغراف. وهو صورة صحيحة من أدب الانجليزى وديموقراطيته

6th December 1938

Dear Saad Effendi,

In reply to your letter of the 13th November requesting my consent to the publication of a portrait of myself in the large and comprehensive book you have written regarding the Sudan from 1889 to 1937, may I say that since my retirement I have not concerned myself in political matters dealing with the two countries with which I have been so long connected. As I have not had the pleasure of seeing your book but have only understood from your letter the nature of its contents, I desire to say that if you publish my portrait, I would like it to be understood that, not having perused the book I am in no way responsible for the views and opinions expressed therein. It is always pleasant to hear from an old Sudan Government official, especially one like yourself who has done long and valuable service in that country and I trust that your book will have all the success it deserves. It appears from the prospectus that it contains much valuable information and I hope that you will eventually arrange for a translation of it to be published in England.

With kind remembrances,

Believe me,

Yours very truly,

Reginald Wingate

الكاذبة ولا الظهور الذى يتوق اليه الحاكم ، بل كان كل تفكيره محصوراً فى اسعاد البلاد . يسهر الليالى ليوفر لهم أسباب الراحة . كان سهل الحجاب يسره أن يتلقى أية شكاية ليفحصها ويعطى رأياً فيها قبل تحويلها الى المختص بها ، كما كان يتفقد حال الشعب بنفسه فيخرج متمشياً على قدميه بغير حرس .

رأيته بعيني رأس عام ١٩٠٧ واقفاً تحت شجرة يتحدث الى رجل حافى القدمين عارى الرأس . وليس هذا موضع العجب ، فقد وقف معه ما يزيد عن الساعة رأيت الرجل يتبسط معه ويضحك ضحكاً عالياً مما يدلك على أن الرجل لا يدرك أنه فى حضرة حاكم البلاد .

يحب السودانيون الانجليز لانهم أقاموا العدل فى بلادهم وهذبوا أبناءهم وبوؤهم أرقى المناصب ، ويرجع الفضل الاول فى ذلك الى السير رجنلد ونجت باشا . حكم السودان من سنة ١٨٩٩ الى ١٩١٦ (حيث انتدب ليكون مندوباً سامياً فى مصر) فهو إذن أكثر الحكام مدة فى الحكم .

ومهما مضى من الزمن ومهما كرت السنون فلن يزول اسم ونجت باشا من أذهان أهل السودان . وها هو شارع ونجت من أهم شوارع العاصمة فى الخرطوم يتحدث بفضله ومجهوده .

فوق كل هذا ، كان ونجت باشا يتمتع باحترام الناس من أكبر موظف بريطانى الى أصغر رجل من عامة الناس ، وهى ميزة لا ينالها الكثيرين من الحكام فى كل الاقطار ؛ ساهم فى عمل الخير مساهمة دلت على أريحية الكرم فيه ، ودلت على أنه مطبوعا عليها يفعل الخير حباً فى الخير نفسه .

قال لى أحد الذين سألتهم رأيهم فى ونجت باشا أنه كان شديداً ، وهذا صحيح ، فقد كان شديداً فى الحق لا يقبل فيه هوادة ، وصارماً اذا لحظ على أحد ضباطه اخلالا بنظام أو استهتاراً بقانون .

لم يكن ونجت باشا جندياً باسلاً ورجلاً عسكرياً وحسب ، بل كان أيضا كاتبا كبيراً له مذكرات قيمة ومؤلفات عن السودان متداولة معروفة .

بدأ اتصال السر رجنلد ونجت بالجيش البريطانى عام ١٨٨١ حين ذهب الى الهند كضابط بسيط برتبة الملازم . وفى عام ١٨٨٣ انضم الى الجيش المصرى قومندانا لمستشفى الكوادا فظهرت مواهبه فى التنظيم ، فانعم عليه بالعثمانى من الدرجة الرابعة . بعد ذلك بدأت علاقة ونجت الشاب بالسير افلن وود اذ تعين ياوراً له وكاتما لاسرار الحربية عام ١٨٨٤ — ١٨٨٥ فارتقي الى رتبة كابتن فماجور .

امتاز الماجور ونجت بنوع أخص أظهر نبوغه وهو مساعد ادجوتانت جنرال فى قسم المخابرات فقد شهد له كل ثقة حربية عرفه فى هذا المنصب الخطير بمقدرته الخارقة للعادة وقدرته على الابتداع والاستنباط .

كذلك قد اشترك اشتراكا فعليا لمدة ستة عشر عاما مع اللورد كتشنر فى تهيئة المشروعات والاستعداد لفتح السودان .

كانت ادارة المخابرات فى خلال حملة كتشنر عام ١٨٩٧ — ١٨٩٨ تحت سيطرة ونجت التامة وتحت اشرافه الكامل ، فكان ساعد كتشنر الايمن ، وكان يساعده فى ذلك رودلف سلاطين باشا ، فكانت جواسيسهما منتشرة انتشار الجراد فى كل مكان .

لقد قال ج . و . ستيفنس فى سياق حديث له يصف ونجت باشا أنه (عرف كل شيء وجبت معرفته فهو المثل الاعلى للجندى الباسل المتعلم ، ومثاله قليل فى الجيش البريطانى ، ولو لم يقع عليه الاختيار ليكون مديراً لادارة المخابرات بالجيش المصرى ، فربما كان استاذ اللغات الشرقية فى اكسفورد ففى امكانه أن يتعلم أى لغة فى ظرف ثلاثة شهور . وهو الموجز العقلى كما أن كتشنر الموجز العملى للمعاملات البريطانية مع السودان فان العمليات السائرة الآن فى السودان والبعيدة عن كل غموض هو النظام الذى شيده هذا الجندى الباسل صاحب العقلية الجبارة) .

هذا بعض ماقاله ستيفنس عن ونجب باشا وهو قليل من كثير .

وفى عام ١٨٨٩ ذكر اسم ونجت باشا فى التقارير الخصوصية وأنعم عليه بنيشان الامتياز والمشبك وتعين مديراً لمديرية البحر الاحمر وقومندانا للجنود فى سواكن

ومن أشهر المعارك التى اشترك فيها الكولونل ونجت ، حملة دنقله عام ١٨٩٦ التى أنعم عليه لاجلها بنيشان الحمام من درجة رفيق ، ثم معركة الاتبرا عام ١٨٩٨ ومعركة أم درمان ومعركة فشوده .

شكر البرلمان الانجليزى فى مجلسيه الكولونل ونجت لاجل الخدمات العظيمة التى تمثلت فيها الشجاعة والبسالة ، فمنحته الملكة شرف نيشان الحمام من درجة فارس ، وفى سنة ١٩٠٣ صار ماجور جنرال ، وفى عام ١٩٠٨ لفتننت جنرال ، وفى عام ١٩١٢ جنرالا . ولاجل خدماته

الجليلة فى السودان كحاكم عام وفى مصر كمندوب سامي انعم عليه بشرف رتبة البارون فى عام ١٩٢٠ .

هذا هو تاريخ السير رجنلد ونجت باشا الذى يرجع اليه الفضل فى الاعمال ذات الاثر البعيد فى رقى السودان وفى تهذيب أخلاق ساكنيه ورفع شأنهم الى علو يبشر بمستقبل عظيم .

ستاك

كان السير لى ستاك باشا سكرتيراً ادارياً لحكومة السودان عند ما أخلف السير فرنسيس ونجت باشا الذى رقى الى منصب المندوب السامي فى مصر عام ١٩١٦ .



سير لى ستاك

دخل الجيش عام ١٨٨٨ وصار ماجور عام ١٩٠٩ لما اعتزل خدمة الجيش البريطانى وشغل منصب مدير مخابرات فبرهن على كفاءة وجدارة جديرين بكل اعجاب .

حاز مدالية والنيشان العثماني من الدرجة الرابعة جزاء اشتراكه فى عمليات قوة ميدان شامبي ، وظل السودان يرتقى فى عهده ويجتاز خطوات واسعة دلت على أنه لم يكن فى الامكان ايجاد أفضل وأجدر منه ليخلف الجنرال ونجت . عين أولا حاكم عام بالنيابة ، فباشر واجباته المتنوعة بحذق ومهارة ، بل بذكاء يدل على عقلية جبارة لا يفوقها فى استرعاء الانظار سوى انسانيته التى لم تعرف حدوداً ولا فروقاً فى

معاملة الذين أسعدهم الحظ بالخدمة معه ، الا فروق الكفاءة والاخلاق .

ان حملة دارفور التى بدأت فى عهد سلفه انتهت فى عهده فأضيف الى حكمه مديرية جديدة كبيرة تبلغ مساحتها ١٤٠ الف ميل مربع .

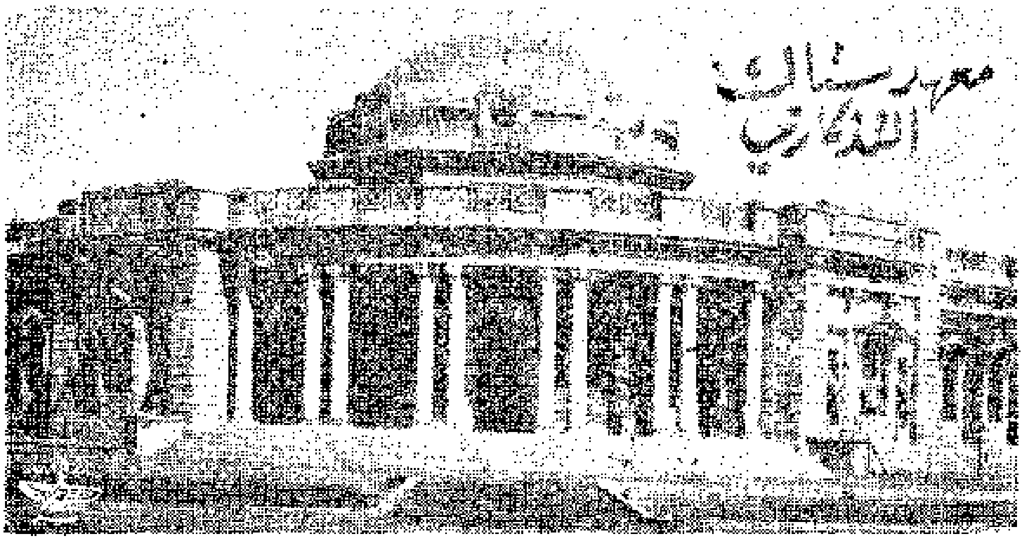
لقد كان المثل الأعلى فى القيام بواجبه محباً للجميع ، يعطف على الجميع على السواء ، تحلى فيه الانسانية الراقية ، فقد كان ضميرها الحساس ووجدانها الحى . لم يكن السيرلى ستاك باشا حاكماً عاماً فحسب ، بل كان يرعى السودانيون بعين لاتنام ، ويبذل الجهود الجبارة فى سبيل اسعادهم وتثقيفهم . لقد كان يشعر بغبطة داخلية إذا هو قام بمساعدة لأى انسان فى السودان والحق مرشده والاستحقاق موضع عنايته واهتمامه .

ان جميع المشروعات التى بدأ بانشائها أو التفكير فيها سلفه ونجت باشا ، قد جاء ستاك باشا فثبت بعضها وأبرز مالم يكن بارزاً منها ، فهو شريك ونجت باشا ونجت باشا شريكه فى كل ماتراه عينيك من رقى فى السودان .

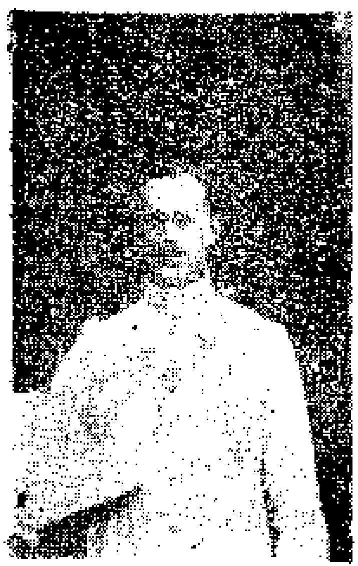
كان ستاك باشا رجلاً هادئاً يعمل ولا يتكلم . فعّال لاقوّال يعمل فى هدوء صامت لاتشعر بوجوده فى العاصمة إلا من الجرائد السيارة .

هذا هو ملخص تاريخ السير لى ستاك باشا الذى مات بيد أثيم فى نوفمبر عام ١٩٢٤ ، فذهب مبكيا عليه من المصريين والسودانين معا ، ولاعجب أن تغضب حكومته تلك الغضبة التى دخل أثرها كل بيت ، فطردت الجيش المصرى من سودانه ، واستبعدت مئات من الموظفين المصريين بغير جريرة سوى انهم مصريون . وقد أقامت حكومة السودان باسمه معملا يذكر اسم ستاك ومآثر ستاك وشمائله الحسان ومبراته الكثيرة .

لقد خلدت حكومة السودان ذكراه فى كثير من النواحى ، فهذا المعمل كان عملا انسانيا محضا ، يتكلم عما كان لستاك باشا من حبه للانسانية ،



فهو نصيرها ورافع لوائها . كما انشأت شارعا عظيما باسمه فى عاصمة السودان ، ولا عجب فان معظم الرقى الذى أصاب الخرطوم من عمل يديه ومن تفكيره ، ولا أقل من أن يناله شارع من مدينة كبيرة أنشأها بنفسه وتولى رعايتها بعطفه .



سير جوفرى ارشر :

حكم السودان من سنة ١٩٢٤ الى سنة ١٩٢٦ فقط ، وترك منصبه باسباب صحية ، تقلد الحكم فى السودان فى أحرج الاوقات اذ كان السودان ثائراً على أثر حوادث سنة ١٩٢٤ وما كان من طرد الجيش المصرى والموظفين المصريين . كان سهل الحجاب لا يأبه للتقاليد الرسمية فى شىء ما . سير جوفرى ارشر لقيته فى كوستى فى يناير سنة ١٩٢٥ عقب صدور الامر باستبعادى

من السودان فشكوت له الظلم الذى يقع على الموظف باستبعاده بفجأة وبدون سابق انذار على الصورة التى أجرتها حكومة السودان ، فأظهر منتهى الألم والشعور السامى من هذه الشكوى وسألنى بعض الاسئلة التى تدل على رجاحة عقله وحبه للانصاف واستنكاره للظلم . وقد أدعم هذا الشعور بأن كتب تلغرافاً مستعجلا يأمر بوضع جميع ملفات المستبعدين أمامه لفحصها مرة أخرى . ومهما يكن من عدم وصوله الى نتيجة اذ كان حديثا فى منصبه ، فانه استطاع أن يأمر بصرف مرتب شهرين لكل مستبعد ليستعين بها إلى أن يجد عملا ، وهى عاطفة شريفة وشعور يدل على أن الرجل جدير بتقلد هذا المنصب الخطير . كان فى كل نظامه وعمله يختلف عن السابقين من حكام السودان وان كانت الغاية واحده ، فقد كان قليل الخروج من قصره ولعل هذا يرجع الى حالته الصحية التى ترك السودان بسببها . طالما صرح أن السودان فى حاجة إلى المصرى فهو من أسباب رغده وضرورياته .

كانت مدة حكمه قصيرة ، ولكنه استطاع أن يتمم أعمالا كثيرة .

دخل فى خدمة حكومة شرقى افريقيا سنة ١٩٠٢ ورقى الى قومندان الحدود الشمالية سنة ١٩١١ ، ثم نقل لادارة السومال عام ١٩١٣ ، ورقى الى وظيفة حاكم وقائد عام سنة ١٩١٤ ، وفى سنة ١٩١٥ انتدبته الحكومة البريطانية لحضور تتويج الامبراطورة زوديتو فى الحبشة ، ولم تلبث أن عينته حاكما عاما فى يوغندا سنة ١٩٢٢ ، وظل بها الى عام ١٩٢٤ حيث تعين حاكما عاما للسودان وظل بها الى عام ١٩٢٦ فقط .

يحمل عدة اوسمة انجيزية ومصرية وحبشية ، وهو مثل من أمثلة العدل ومكارم الاخلاق .

سير جون ماف :


سير جون ما فى

حكم السودان ثمانى سنوات من سنة ١٩٢٦ الى سنه ١٩٣٣ . كان أهم ما يهمه أن يحيا السودان حياة سعيدة فذلل فى عهده كل العقبات التى تقف فى سبيل ذلك .

ولد عام ١٨٧٧ وتلقى دروسه فى جامعة اكسفورد ، ثم التحق بالسلك السياسى عام ١٩٠٥ ، وانتدبته الحكومة البريطانية لتأديب بعض قبائل العصاة فى الهند عام ١٩٠٨ ، فاظهر كفاءة تدل على مقدار بسالته واستعداده الحربى وظل يتقلب فى مناصب سياسية سامية حتى عام ١٩١٩ .

أدركت الحكومة الانجليزية مقدار مايتحلى به السير جون ما فى من الاخلاق ومقدار مايمتاز به من الكفاءة ، فمنحته أرقى الاوسمة وعينته سكرتيراً خاصا لنائب الملك فى الهند وهناك نال أيضا أرفع الاوسمة بجدارة واستحقاق . وفى سنة ١٩٢١ عين حاكما لشمال غربى الهند ونال أيضا أوسمة عديدة هناك . وفى سنة ١٩٢٦ عين حاكما عاما للسودان وظل به حتى أحيل على المعاش عام ١٩٣٧ .

فلما أحيل على المعاش انتهزت شركة الطيران الامبراطورية هذه الفرصة فعينته مديراً لها ولا زال بها حتى اليوم .

سير جورج ستيوارت سايمز

سير جورج ستيوارت سايمز هو حاكم السودان الحالى . وهو رجل



سير جورج ستيوارت سايمز

عظيم تدلك كل حركة من حركاته ، وكل تصرف من تصرفاته ، على مقدار ما يحمل من خلق كريم .

ذات زيارته الأخيرة لجميع الوزارات المصرية التى لها اختصاص بالسودان بعد عودته من لندن والتفاهم مع وزرائها أنه رجل يريد أن يفهم الحقائق الصحيحة عن طريق عقله وقلبه دون الولوج من أبواب السياسة أولا .

كذلك قد سجل معاليه بالتسهيلات والحفاوة البالغة التى لقيها صاحب المقام الرفيع رئيس الوزارة المصرية وزميليه عند زيارتهم للسودان فى شهر مارس الماضى مقدار اعتداله ورزانته وذوقه السليم وحسن تقديره واحترامه للمصريين واعترافه أنهم العنصر الذى لا غنى للسودان عنه .

ولد فى ٢٩ يوليو سنة ١٨٨٢ وانخرط فى سلك الجيش البريطانى عام ١٩٠٠ وحارب فى جنوب أفريقيا عام ١٩٠٢ كذلك حارب فى عدن عام ١٩٠٣ و ١٩٠٤

وقد أبلى بلاء حسنا وقضى على حركة (عبدالقادر ود حبوبه) عام ١٩٠٨، ثم عين بعد ذلك مساعدا لمدير المخابرات السودانية بالخرطوم من سنة ١٩٠٥ إلى عام ١٩١٣ ثم سكرتيراً خاصا لحاكم السودان العام من سنة ١٩١٣ الى سنة ١٩١٦ ، ولما انتدب السير رجنالد ونجت باشا مندوبا ساميا لمصر ورأى حاجته لرجل كفؤ يكون ساعده الأيمن فى عمله ، وقع اختياره عليه فكان له ما أراد ، وظل يشغل هذا المنصب بكل كفاءة حتى عام ١٩١٩ حيث رقى حاكما عاما للمقاطعة الشمالية فى فلسطين ، وفى عام ١٩٢٨ عين حاكما وقائداً عاما لمقاطعة تانقانيكا Tanganyka فى شرق أفريقيا ، وظل يشغل هذا

المنصب الخطير الى عام ١٩٣٣ حيث عين حاكما عاما للسودان ولا زال به حتى اليوم .

ولا شك أن وجود السير سايمز حاكما عاما للسودان نعمة من نعم الله على السودانيين فهو حاكم عادل منصف لا تسبق عاطفته عقله

جعل نصب عينيه رفاهية السودان وأهله ، وها نحن نسأل الله مخلصين أن يديمه على أهل السودان فهو مثال الحاكم الذى تطمئن اليه النفوس وترتاح اليه القلوب .

حدود السودان

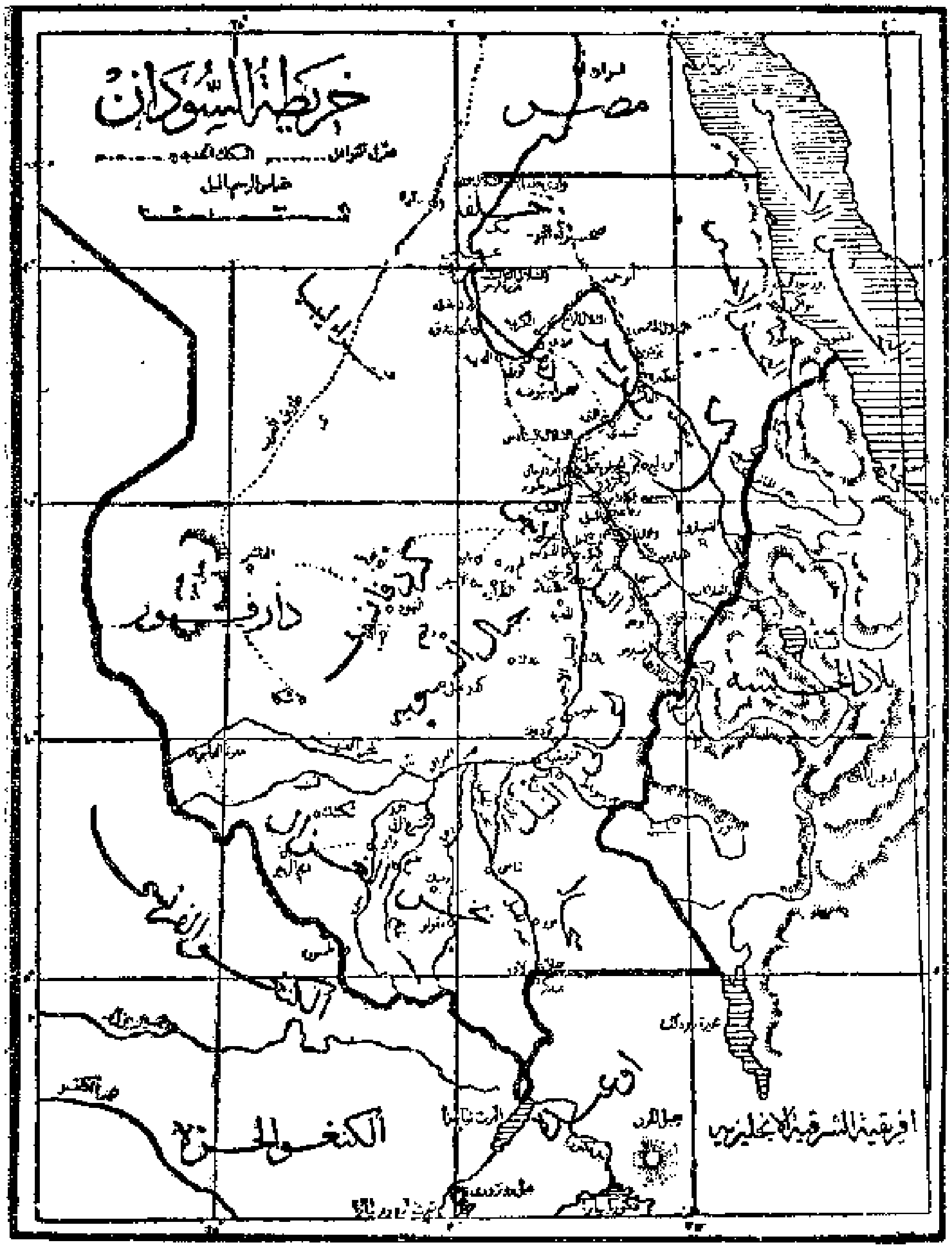
وعدد سكانه ومديرياته

يقع السودان بين الدرجة ٤ شمالا والدرجة ٢٢ شمالا من خطوط العرض ويشمل مساحة قدرها مليون ميلا مربعاً على وجه التقريب. صحراء في الشمال وغابات استوائية في الجنوب.

أما عدد سكانه فلا يمكن عمل احصاء صادق له، فالسودان بلاد واسعة لا نهاية لها وأهلها على قلتهم مشتتون. ولا شك أن عدد السودان اليوم أقل بكثير مما كان بعد فتح محمد على إلى الثورة المهدية وذلك بسبب ما لاقته البلاد من الحروب حتى لقد بولغ في عدده حينئذ فقيل أنه كان يتراوح بين اثنى عشر مليونا وخمسة عشر. أما بعد الثورة المهدية فقد هبط هذا العدد حتى قيل أنه لا يبلغ غير ثلاثة ملايين.

أما اليوم، فانه زاد حتى أصبح حوالى سبعة ملايين أو يزيد. وفي بعض مديريات السودان أمثال بحر الغزال أو بحر الزراف فان هذا الاحصاء مستحيلا لأن القرى هناك مشتتة حتى أنك لتجد بعضها في وسط غابة شائكة لا يخطر لك ببال أن بها احياء من خلق الله. إذن فكل احصاء عن عدد سكان السودان لا يمكن إلا أن يسبق بكلمة نحو، أو حوالى، وإلا كان خطأ.

أما مديريات السودان فهي اليوم غير ما كانت عليه عند فتح السودان



هذه خريطة السودان الانجليزى المصرى ، وهو يحد بوادى حلفا شمالا وباوغندا جنوباً ومن الشرق بالبحر الأحمر والارتيريا والحبشة، ومن الغرب والجنوب الغربى بالصحراء الكبرى وبلاد وداى والجبال المتوسطة بين الكونغو وبحر الغزال ، ويبلغ طوله من الشمال الى الجنوب ١٢٠٠ ميل وعرضه من الشمال الى الغرب ١٠٠٠ ميل .

فقد رؤى أخيراً ادماج بعض المديريات فى بعضها . فبعد أن كانت مديريات السودان فى الماضى كالآتى : —

حلفا . دنقلا . بربر . الخرطوم . البحر الاحمر . النيل الابيض . النيل الازرق . الفونج . كسلا . أعالى النيل . كردفان . جبال النوبة . دارفور . بحر الغزال . منجلا .

أصبحت اليوم كالآتى : — المديرية الشمالية وهى (حلفا وبربر ودنقلا) وعاصمتها الدامر . والنيل الازرق وهى (النيل الازرق والفونج) وعاصمتها وادمدنى . وكسلا وهى (البحر الأحمر وكسلا) وعاصمتها كسلا . وملاكال وهى (النيل الابيض وأعالى النيل وملاكال) وعاصمتها ملاكال . ومديرية خط الاستواء وهى (بحر الغزال ومنجلا) وعاصمتها جوبا :

لغة أهل السودان

فى سنة ١٩٢١ كنت موظفاً بحكومة السودان وقد جئت مصر بالاجازة لطبع كتابى (آداب العصر فى شعراء الشام والعراق ومصر) فتوفقت لمطبعة العمران لصاحبها الاستاذ عبد المسيح الانطاكى ، وكنت اجاذبه أطراف الحديث فاذا الرجل عالم عظيم وشاعر كبير . وإذ علم أنى أحد موظفى السودان سألنى كثير من الاسئلة فأجبته عنها بكل اسهاب .

وذات يوم سألنى سؤالا أدركت منه أن الرجل لا يعرف شيئاً عن السودان . نعم ، فقد سألني (هل يتكلمون العربية فى السودان ؟) قلت نعم قال (ما أظنش) . قلت لماذا ؟ وكيف تكون دهشتك إذا أكدت لك أن فى السودان شعراء يجلسون فى صف شوقى وحافظ ؟؟ فضحك الرجل حتى استلقى على قفاه وقال لعلهم الذين يطوفون فى الطرقات فيغنون على الربابة (سرير يابرير ود أمى ياصباح الخير) فغضبت لهذا التعبير وانتصرت للسودان والسودانين انتصاراً أكبرنى فى عينيه . وكان يحضرنى قصيدة الشيخ البنا شيخ شعراء السودان التى مطلعها : —

يا ذا الهلال عن الدنيا أو الدين   حدث فان حديثاً منك يشفيني

فالقيتها عليه من الفها الى يائها ، والرجل مأخوذ لا يصدق ما يسمع .

وما انتهيت من القائها ، إلا وعانقنى الرجل وهو يقول (لازم تروح وياى عند شوقى بك ليسمع هذه الدرة اليتيمة) قلت حبذا ذلك ، وأؤكد

لك أن هذه واحدة لا اختيار فيها فأمثالها كثير . قال كفى كفى . ومال الرجل على آلة التليفون وطلب أن يحدث الى شوقي بك أمير الشعراء وبدأ يحادثه بقوله « لقد عثرت لك على فتح جديد فى الشعر والأدب . وبعد أن أفهمه الأمر ضرب له موعداً لكي أقابله فيه معه .

قلت فى مقدمة هذا الكتاب ان للسودان علىّ حقا ، وفى عنقى جميلا ، وليس أدل على ذلك من أنه عرفنى بشوقى بك أمير الشعراء وهى واحدة من آلاف الأيدى التى أسداها الىّ السودان .

ففى صباح اليوم التالى ركبت واياه عربته الخاصة قاصدين (كرمة ابن هانى) فى المطرية[1] فوصلناها وإذا بأمير الشعراء فى انتظارنا فى حديقته فسلمنا عليه وجلسنا فدارت علينا أكواب المرطبات وهو يقول (أنا سمعت أن أبناء السودان ينظمون الشعر ولكنى لم أصدق ، فاذا بالافندى (وأشار علىّ) جاء ليؤكد لنا ذلك . وهو خير سفير للسودان إذا صح ذلك قل كدا أسمعنى .

فطفقت أنشد قصيدة الشيخ البنا وأنا أحسب روحه تطل من عينيه لشدة دهشته وذهوله فلما جئت إلى قول الشيخ البنا

عاصرت نوحا ولم تركب سفينته   وأنت أنت فتى فى عصر زبلين

وقف من مكانه وقال (هذا البيت ثانى) فلما أعدته قال ما شاء الله ، هذا الرجل خلق شاعراً فالمعنى مع متانته وروعته لم يطرقه شاعر قبله . وهكذا كنت أنشد وهو يطلب الاستعادة ، إلى أن أتممت انشادها . فسألنى

(١) كان شوقى بك يدعو منزله « كرمة ابن هانى »

بعد ذلك ، عن نوع الكتاب الذى أطبعه عند الاستاذ الانطاكى ، فقلت هو (مجموعة لشعراء الشام والعراق ومصر) فقال إنك مسكين ، مالك وشعراء الشام والعراق ما دام عندك من أمثال الشيخ البنا ؟؟ انك تخرج للناس كتابا فريداً فى نوعه ، إذا أنت طبعت (شعراء السودان) . فقمت من مجلسه ، وقد اختمرت فى رأسى هذه الفكرة وقد نفذتها فعلا ، وها هو كتاب (شعراء السودان) تزخر به المكاتب والمنازل فى السودان .

* * *

هذا هو نوع مما يفهمه الناس فى مصر عن السودان وعن لغتهم ، فلنعد الى جوهر الفصل . فلغة أهل السودان الغالبة هى العربية ، وهم يتكلمونها بلهجة فصحى تختلف قليلا عن لهجة أهل صعيد مصر . ولكل قبيلة لهجة خاصة ، غير أنه يوجد بعض كلمات غير مألوفة وبعضها عربى بحت ، على أنه مهما يكن من أمر هذا الاختلاف فان لغتهم سهلة الفهم محببة الى النفس ، لا يستعصى فهمها حتى على الغرباء الذين لم يألفوها مثال ذلك « أنت ماشى وين » أى « أنت رايح فين » ولكى لا يفوتنا القصد الحقيقى من هذا الفصل نذكر بعض الكلمات أو الجمل الغير مألوفة الا فى السودان . من ذلك (الكديس) أى الهر (الدُغش) أى الفجر .

وإذا أراد رجل أن يصف امرأة بالجمال قال هي « سمحه » وهذه الكلمة كما ترى عربية فأصلها سمحاء .

وإذا أراد أن يقول (جميلة جداً) ، قال « سمحة بالحيل »

وإذا قال واحد لآخر (انتظرنى) قال له « أرجانى »

وإذا قال واحد لآخر (اجلس) قال له « قنّب » .

وإذا ودع رجل الآخر قال له (ودعناك الله) فيجيبه الآخر « قبلنا وداعة الله » . وكلمة نصيح أى عاقل ، فيقول الواحد للثانى « انت مالك نصيح » أى أنت لست بعاقل .

وإذا سأل أحدهم الآخر مستفسراً عنه قال « كيفنك » أى كيف حالك ، وأصلها « كيف انك » فيجيبه الآخر « الحمد لله ما فى عوجه » أى الحمد لله لا يوجد ما يكدر .

وإذا أراد رجل أن يقول (بمجرد رجوعى أفعل كيت وكيت) قال « رجعتى القاسيه أسوى كيت وكيت »

وإذا قال (هذا الشيء بطال) قال « هذا الشيء كعَبْ » أو « شين » والاخيرة كلمة عربية فصحى .

وكلمة (العوين) معناها النساء . وإذا هلّ واحد على الآخر يقول الثانى مرحباً (حبابك عشره) .

والرجال فى السودان يكتسبون النساء بالشجاعة ، فيقول الواحد منهم ، (أنا أخو البنات) وإذا اتهم أحدهم بالجبن ، وأراد أن يبرىء نفسه فيقول (يَحْرِدَنْ) والقصد أنه إذا كان جبانا فالنساء يحردن منه . وهو ما يتحاشاه كل رجل .

وتقول نساء مصر فى موضع الشفقة والحنان (يا ضناى) أما فى السودان فيقلن (ياعشاى) ولعلها ياحشاى محرفت .

ويقولون على (الزبدة) « الفرصة » والطماطم الأحمر « البندوره » والبطاطة « البانبي »

ولا احسبني أستطيع أن أجمع جميع الكلمات والجمل غير المألوفة هنا ، ولكني أكتفي بما أستطيع . فجهة الشمال يسمونها « السافل » والجنوب « الصعيد » والشرق « الصباح » .

والشهور العربية يسمونها كما يأتي بحسب ترتيبها

الضحيه ـ الوحيد ـ الكرامه الأولانيه ـ الكرامه التانيه ـ الكرامه التالته . سابق الكرامات ـ رجب ـ قصيّر ـ رمضان ـ الفطر الأول الفطر التاني ـ الضحيه الاولانيه .

وإذا قالوا فلانا تزوج قالوا (فلان عرّس)

***

هذا ما نعنيه من اللغة الدارجة التي يتفاهم بها الناس ، أما لغة الكتابة والشعر والصحف فهي اللغة الفصحى التي يعرفها الناس في مصر والشام على نمط واحد لا اختلاف فيه .

وفي السودان الجنوبي لغات مختلفة كالدنكا والشلوك والنوير وهي لغة لاصلة لها باللغة العربية وهي لاتكتب ولا تقرأ .

***

وللسودانيين أمثال وأحاجي ظريفة منها في الامثال قولهم .

اخد التار ينفي العار

ومن أظرف أمثالهم (اللى تقوم دقنه قبل شواربه شاور المره ولا تشاوره)

ومن الحكمة قولهم (اللى ما يبلع ريق على ريق ما يمسك رفيق) ومعناها الذى لا يتغاضى عن هفوات أصحابه لا يقتنى منهم صديقاً .

ومنها قولهم « ارقد دافى تقوم متعافى » وأيضا قولهم (خصام الذكر ولا صحبة الإضنيه) ومعناها خصام الشهم خير من صحبة الجبان .

وقولهم (صاحبك إن ابالك قال عليه الحوم ، وباطنك ان وجعك كتر عليه الصوم) .

نكتفى بذلك فى هذا الفصل وان كان هو فى الواقع أقل من القليل .

الاديان فى السودان

الاسلام

يدين جميع أهل السودان بالاسلام وهم شديدو التمسك بالدين الحنيف. وهم شيع لكل شيعة طريقة خاصة وأهم هذه الطرق (الطريقة الميرغنية) التى دخلت السودان على يد السيد محمد عثمان الميرغنى ويتزعمها اليوم الحسيب النسيب سليل بيت المجد والشرف السير السيد على الميرغني باشا وهى ، أوسع الطرق انتشاراً وأنصارها يعدون بالملايين ويبذلون فى سبيل نصرتها حياتهم . وهى بلا ريب أوسع الطرق الصوفية انتشاراً وأرفعها مقاماً تمتاز فى نظمها وسائر



السير السيد على الميرغنى باشا

مظاهرها وتقاليدها بخلوها من البدع التى تتنافى مع الدين. أما زعيمها الكبير (السير السيد على باشا) فهو أشهر من نار على علم . زعيم نبيل يتمتع بنفوذ عظيم فى معظم بلاد السودان بالأخص فى كسلا ودنقلا والشايقية والكبابيش والبشارين والعبابدة. وهو من الزعامة بحيث يشمرك بزعامته دون قصد منه .

قصير القامة ، أقرب الى النحف منه الى البدانة ، نشيط الحركات في رزانة تامة ، له وجه وسيم القسمات وعينان واسعتان ينبعث الذكاء من خلال بريقهما ، وتبدو السيادة من خلال نظراتهما ، له ابتسامة خاصة تجمل محياه الجذاب دائم الاشراق . وإذا مانظرت الى طلعته وهو دونك في الطول تحسبه مشرفاً عليك من أعلى . توفرت فيه الزعامة كما توفر فيه الصلاح يتمتع بنصيب وافر من احترام طبقات الناس . وقد وصفه سعادة الدكتور حسين هيكل باشا في كتابه (عشرة أيام في السودان) ضمن وصف حفلة تتويج الملك في السودان إذ قال : —

(وفيما نحن جلوس أقبل السير السيد على الميرغني فقام الجمع تحية له واجلالا ، وأقبل كل من الحاضرين عليه يقبل يده . وجلس الى جانبي في وقار وهيبة . وفيما هو جالس كان أعيان السودان يقبلون عليه وينحنون على يده يقبلونها ظاهرها وباطنها ويرجونه الرضى عنهم وحسن الدعاء لهم . وكانوا كذلك يقبلون يد أخيه السيد احمد . لكني أشهد أني مارأيت ايماناً كهذا الذي رأيته مرتسما على وجوه هؤلاء الناس بادياً في نظراتهم متجلياً في كل حركاتهم حين اقبالهم مسرعين في خشوع واجلال يقبلون يد السيد على وينظرون من طرف كسير نظرة كلها الايمان والاجلال ، ورجاء الرضى وحسن الدعاء . ومن هؤلاء الاعيان شبان تلوح عليهم مظاهر القوة والاعتداد بالنفس ، ومنهم شيوخ وكهول على عوارضهم من الشيب بياضاً في سواد ، ولكل من هؤلاء الشبان والشيوخ سلطان على من يدينون له من القبائل والعشائر . لكنه يتقدم بهذا السلطان أمام السيد على وهو

مؤمن أن كلمة الرضى من لدنه أقوى من كل سلطان . وللسيد على احترام خاص ، ويزيد فى هذا الاحترام ماله من صفات تملى على من يتصل به اكباره وحسن تقديره .)

هذا ماقاله الدكتور حسين هيكل باشا وليس عندى ما أزيده على ذلك الا معرفتى الشخصية بسيادته . نعم عرفته ونعمت بعطفه فعرفت فيه حبه للأدب والأدباء والرغبة فى تعضيدهم وقد مدحه الشعراء وأمعنوا فى مدحه . أذكر من ذلك ماقاله الاستاذ فؤاد الخطيب (مستشار المملكة العربية اليوم يهنئة بعيد الاضحى المبارك قال : —

لك فى قلوب الناس أكرم منزل ... إذ جاء حبك فى الكتاب المنزل
تتدفق الأنوار منك مهابة ... فتغض طرف الناظر المتأمل
ايان تسعى فالنواطر خشع ... والناس بين مكبر ومهلل
وأكابر العلماء حولك لم تزل ... تهديك آيات الثناء الأجزل
يابن النبىّ المجد مدّ سريره ... لك فاقتعده فلا فتى إلا (على)
أجد اليراع إذا مدحتك طيعا ... طربا وعهد يدى به كالمغزل
أضحى بك الاضحى يتيه لأن فى ... برديك أنفاس النبىّ المرسل

يحمل أرفع الاوسمة البريطانية مع لقب Sir . وفى سنة ١٩٣٩ قدر جلالة مولانا الملك فاروق زعامته فمنحه رتبة الباشوية فصادف هذا العطف محلا فى قلوب الوطنيين بالاخص الذين ينظرون الى الملاقات المصرية السودانية بعين الارتياح والاحترام .

وللمرغنية فى كسلا سيادة تامة كانت تحت رئاسة المغفور له الحسيب

النسيب السيد احمد الميرغنى الذى اشتهر بالصلاح والتقوى والذى كان له محلاً ممتازاً بين السادة الميرغنية . وهو شقيق السيد على الميرغنى . كان



السيد احمد الميرغنى



السيد محمد عثمان الميرغنى

رحمه الله باراً تقياً عطوفاً على الناس له احترام تام لدى الحكومة ولدى الاهلين . أما اليوم فان كسلا يرعاها الشاب الصالح العظيم السيد محمد عثمان الميرغنى . وهو مثل من أمثال الشاب السودانى المهذب : اناقة تامة وذكاء مفرط ، وصلاح يتدفق من جبهته . له عينان واسعتان تمليان عليك بمجرد النظر اليهما انه سليل بيت مجد وشرف . سيد ابن سيد عريق فى السيادة الى أبعد حد . مثقف ، له من أدبه وعلمه مايجلسه فى الصف

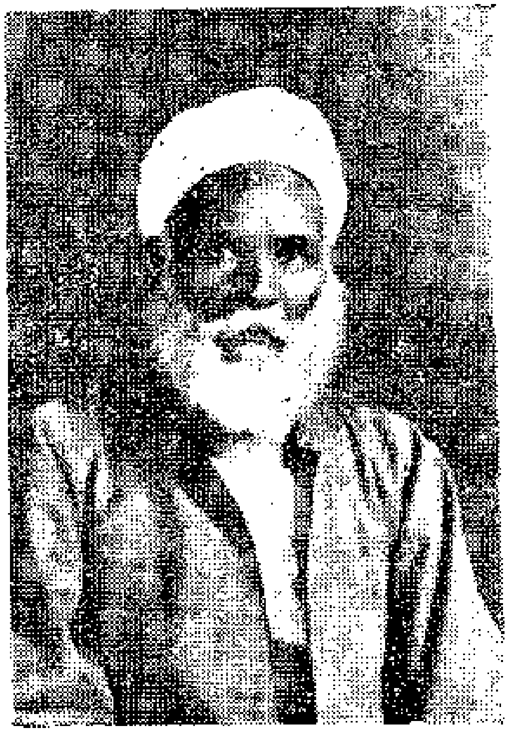
الأول من العلماء . له فى قلوب أهل كسلا وفى كثير من بلاد السودان أكرم منزل وأعظم محل .

وإذا ذكر الزعماء فى السودان تجد اسم صاحب السيادة الشريف يوسف الهندى فى المرتبة الثانية من زعماء السودان الاجلاء. زرته فى برى الشريف فى يوليو سنة ١٩٣٩، فقابلنى نجله الأكبر الشريف محمد الأمين فرأيت زين الشباب، وزين الأدب الجم، والكرم الحاتمى . فادخلنى على والده (الشريف يوسف) وكنت أعرفه من قبل ، فاذا به قد تقدم فى السن لكنه لازال فى صحة جيدة فسلم علىّ بكل حرارة وشوق . صرفت فى حضرته زهاء الساعة وبارحت مجلسه ولا زال حديثه العذب يرن فى اذنى فانه والحق يقال ، خزانة علم غزير وأدب ناضج . ولد فى ١٥ شعبان سنة ١٢٨٨ ببلدة الشريف يعقوب ، أماموطنه فمكة وقد هاجر أسلافه إلى السودان فى القرن الثامن عشر للهجرة . بايع الامام المهدى قبل فتح الخرطوم بقليل وحضر حصار سنار ، ثم ذهب الى طوكر مع الأمير عثمان دقنه . وقد نال عدة أوسمة منها نيشان فكتوريا من درجة رفيق ثم نيشان الامبراطورية البريطانية من درجة عضو والنيشان المجيدى الثالث .



الشريف يوسف الهندى

هذا هو تاريخ الشريف يوسف الهندى بغاية الايجاز وهو كما ترى تاريخ شريف حقاً . وما دمنا فى سياق الحديث عن الاديان وزعمائه وأبنائه الابرار فيجب الاعتراف أن الالمام بهم جميعاً أمر لا يتفق مع ضيق المقام فى هذا الكتاب، ولكننا لا ننسى أن نذكر مع الفخر صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ احمد أبو دقن مفتى السودان سابقاً الذى تسبق مكرماته لسانه، وهو لا يفتأ مع هذا السن الكبير يعمل للدين ولتثبيت أركانه ووضع أساس مساجد الله يوضع اسمه فى الصف الأول من كبار علماء السودان وقد اشتهر بالصراحة والحزم . وضع تحت عنايته المعهد العلمى فازدهر فى عهده ، حتى أصبح يضارع أرقى المعاهد العلمية وأصبحت مكتبته تحتوى على نحو ٤٠٠٠ مجلداً فى مختلف المباحث والعلوم . وبالرغم من احالته الى المعاش فلا زال هو هو ، لا يغفل عن العمل لمصلحة الاسلام والمسلمين .



الشيخ احمد أبو دقن

الكاتدرائية الانجليزية

هذا عن الدين الاسلامى الذى يدين به معظم السودانيون وللطائفة البريطانية فى السودان أيضا كنيسة عظمى فى الخرطوم وهى الكاتدرائية الانجليزية التى يحوطها المطران العظيم (جوين) **Bishop Gwynne** فهو




الاسقف جوين

رجل عظيم حقاً . له من الورع والصلاح وحب اصلاح الكنيسة ما يضعه فى الصف الأول من الآباء الروحانيين . على جانب عظيم من التقوى والعلم له مكان من الاحترام يضارع حكام البلاد . وله نفوذ دينى وأدبى لا يتمتع بهما سواه ، وهو اليوم اسقف الطائفة الانجليكانية فى مصر

والسودان، يترك مصر كلما سنحت الفرص ليرى كاتدرائية السودان التى كان له الفضل الأول فى ازدهارها . والاسقف جوين آراء سديدة فى السياسة . وهو أيضا شديد العطف بالسودانيين يحبهم كابنائه ويسعى لمصلحتهم وترقية شؤونهم . والانجليز فى السودان يؤدون الفرائض الدينية فى كنيستهم بكل ورع واخلاص .

الكنيسة القبطية

أما الاقباط فى السودان فلهم فى كل مدينة كنيسة يسعى أبناؤها القلائل فى رعايتها واستجلاب أحسن الرعاة لها . ففى عطبره مثلاً لهم كنيسة فى صف الكنائس الراقية يؤمها أبناء الطائفة بحرارة وبغير انقطاع ويبذلون كل مايستطيعون بذله لنموها ورفع شأنها . حدثنى الشيخ نبي افندى بطرس كبير موظفى السكة الحديد فى عطبره قال — ان المجهود الذى يقوم به الاقباط فى عطبرة لتحسين الكنيسة مع قلة الموظفين يجب أن يفخر به الاقباط فى جميع البلاد ، فهو مجهود جبار يمكن القول أن القوة فيه مكتسبة من الله فهو ولاشك أكثر من مجهود هذه الفئة القليلة ، كذلك قد أنشأوا مدرسة جمعت أبناء الموظفين وهى مدرسة عامرة لها من نظمها مايجعلها فى صف المدارس الكبرى . أما فى الخرطوم مركز الرئاسة العام للاقباط فى السودان، فحدث عنه ما شاء لك الحديث وقبل أن نقول كلمة عنه ، نترحم على الطيب الذكر الرجل الصالح الانبا صرابامون مطران الخرطوم الذى توفاه

الله فى مصر ، بعد أن أقام فى السودان مايزيد عن ربع قرن رحمه الله رحمة واسعة . ومطرانية الخرطوم اليوم تتمتع ، برئاسة الاب الورع والعالم الكبير



الأب القمص يوحنا سلامه الذى رفع رأس الاقباط وشرف موقفهم حتى أصبحوا موضع احترام جميع الطوائف .

ذهب الى السودان والكنيسة يحوطها الشقاق والانقسام من جهاتها الاربعة فما نفض عنه غبار السفر ، حتى سعى بحزم وعزم وجمع كلمة أبنائها . كانوا فرادى فجمعهم فاصبحوا شعباً له كلمة مسموعة وصوت مرتفع ومكان محترم . جمع المتنيح الانبا صرابامون مطران الخرطوم أبناء الكنيسة فى صعيد واحد فوعظهم وقد أدخل السحر الى نفوسهم ، والتأثير الى قلوبهم ، فخرجوا من لدنه وهم يهتفون «فليحيي الاتحاد» ولا عجب فللأب يوحنا سلامه مقدرة على الوعظ والارشاد تأخذ بمجامع القلوب ، وتخلب الالباب ، وتسترعى الاسماع . تسمعه ساعة وساعتين وأكثر فلا يدركك الملل لطلاوة عبارته وروعة اسلوبه .

وهو أحد الذين رشحتهم الأمة ليكون بطريركا للكرازة المرقسية فى مصر . لا تغفل عينه عن مصلحة الطائفة ، يسهر الليل فى سبيل نموها ورقيها ،

ففى سنة ١٩٢٣ إذ شعر بحاجة أبناء الطائفة إلى مدرسة ، شمر عن ساعد الجد وجمع أبناء الجمعية القبطية وعرف كيف يبث الفكرة فى رؤوسهم من



باب عقولهم وقلوبهم ، فما هى إلا أيام ، حتى نضجت الفكرة وأعدوا المدة لتنفيذها . وها هى كلية الاقباط فى الخرطوم بنين و بنات تفخر وزارة المعارف بنتيجة امتحاناتها وهى غرس يدى الأب الموقر يوحنا سلامه . وقد أدركت

وزارة المعارف المصرية مقدار ما تقوم به هذه المدارس من مجهود فأثنت على القائمين بشؤونها ، وقررت لها اعانة مادية . ومما يؤثر عن هذه المدارس العامرة أنها تضم بين جدرانها التلاميذ على اختلاف مذاهبهم ونحلهم فان حوالى ٣٨٪ من تلاميذها مسلمون . ولم يكتف الاب يوحنا سلامه بذلك . فقد أنشأ مدارس للبنات أيضا وهاهى تسير فى طريقها والنجاح حليفها بفضل الاخلاص والادارة الحازمة التى يتولاها بهما مديرها المظيم .

وهو عدا ذلك ، يتولى جميع الكنائس فى جميع مدن السودان بنشاطه وحسن سياسته ، فهو هناك بالنسبة للطائفة ، كنسبة الملح إلى الطعام أو القصبة الهوائية لجسم الانسان . هذا عدا ما يتحلى به شخصيا من ورع وتقوى وخلق كريم متصل بالله ظاهراً وباطناً ولاشك أن ذلك هو السبب الاول فى توفيقه ونجاحه .

هذا هو الاب يوحنا سلامه الذى يعتبر وجوده فى السودان نعمة من نعم الله على الطائفة القبطية هناك .

أخلاق عرب السودان
وعاداتهم

تطورت عادات أهل السودان تطوراً محسوساً مع مرور الزمن ومعاشرة النازحين الى السودان من مصريين وافرنج ، فالفتاة السودانية



فتاة السودان اليوم



مثلا ، كانت فى الماضى لاتلبس إلا الرهط[١] ولا تعرف من صنوف الخدمة إلا ماهو من ضروريات الحياة ، أما اليوم فانها تذهب الى المدرسة وتجيد

(١) الرهط أنظر الكلام عنه فى أفراح أهل السودان

القراءة والكتابة وتتقن خياطة الملابس ، وكماليات المنازل . صحيح ان هذا لازال قليلاً بالنسبة للبلاد ، ولكن هذا القليل لم يكن موجوداً الى ما قبل ثلاثين عاماً مضت .

وإذا تكلمنا عن عاداتهم وأخلاقهم ، فانما نتكلم عن أصل عاداتهم لا المكتسب منها ، وهى التى عرفها السودانيون ، والتى لازالت باقية فى كثير من البيوتات .

ويحسب الناس فى مصر وفى غيرها من الاقطار البعيدة ، أن كلمة « سودانى » معناها أسود وأن كل أسود سودانى ، والواقع يختلف عن ذلك ، فبين أهل السودان من تترجح بشرته بين السواد والسمرة كأهل مديرية قنا واسوان ، ومنهم من هو قمحى اللون وخمريه كالمصريين تماماً ، ومنهم البيض إلى حد بعيد كأنهم الافرنج . وهؤلاء هم المولدون .

طوال القامة عراض المنكبين معتدلوا القوام وهم مزيج من الاجناس والطباع ففيهم شهامة السودانى وشجاعته ، ومروءة العربى وكرمه ، يميلون الى الزواج المبكر حباً فى كثرة النسل ورغبة فى تقوية الاسرة ، كما يميلون الى اكتساب قلوب النساء بكل الوسائل ودعامة هذه الوسائل ، الشجاعة ، والمروءة ، والشهامة ، والكرم . يحترمون المرأة إلى أبعد حد ويسعون جهدهم فى رضاها ورضاء أبويها قبل كل شيء . ولقد مر الزمن الذى كانت فيه المرأة السودانية مدللة إلى أبعد حدود الدلال ، قلما تخدم بيتها أو اسرتها فقد كان الطبخ والغسل والطحن والخبز كله منوط بالخدم ، أما اليوم فانى

اعتقد أن المرأة السودانية أصبح مستواها واحداً مع المرأة المصرية والسورية ، تباشر كل شيء وتشرف على بيتها واسرتها بنفسها ، ومع ذلك فان هذه الطباع طباع التدلل لازالت باقية فى بعض الاسر التى لاترغب الا فى بقاء القديم . وعزيز المرأة الأول هو أبوها فهى لاتقسم إلا برأسه فاذا أقسمت ، كان ذلك فصل الخطاب ، ونهاية الحجة ، وهى لاتنطق باسم زوجها بل تكنيه باسم ولده البكر ، فاذا لم يكن له أبناء ، نادته باسم والده فتقول (ياود فلان) وكانت المرأة السودانية فى الماضى قلما تقابل حماها أو تحدثه فى شيء الا بعد أن تنجب طفلها الاول، كما أن الزوج قد يبلغ به الحياء أن لايقابل حماته الا بعد مدة طويلة من زواجه ، كما يبلغ الحياء بالمرأة فيحرمها أن تأكل أمام زوجها أو تتناول الطعام معه على مائدة واحدة . قد يمتنع الرجل عن تلبية أى طلب ، ويصمم على ذلك ،فاذا قيل له (نسيبتك) أصبح امام الأمر الواقع الذى لا مفر منه ، وهو أقصى مابلغ اليه احترام واعزاز الحماة عندهم . وليس ذلك وحسب ، فان الزوجة أيضا تضع حماتها موضع الاجلال والاحترام وهذا على عكس مانرى فى مصر وغيرها، حيث تكون الحماة هى حجر العثرة فى سبيل السعادة الزوجية .

أخلاق أهل السودان

وإذا قلنا أهل السودان فانما نعنى عرب السودان . فلهم أخلاق العرب المشهورة فى كل زمان ومكان ، وهى حب الضيافة والكرم ، والمروءة ، والشهامة ، وعزة الجار ، واحترام العرض والافتخار بالنسب ، والنجدة ،

وحسن المعشر . ولست أستطيع أن أستعرض كل ما اتصفوا به من خلق فلا طاقة لى بذلك ، ومع هذا فانى أستعرض لك مايحضرنى فى كلمة موجزة عسى أن أطبع فى ذهنك صورة ولو مصغرة لمكارم أخلاقهم .

من أكبر العيوب التى توجب العار أن يفر فارسهم من الموت ، فاذا انكسر قومه، وقتل فرسه، وفرغت حيلته عن الدفاع ، افترش فروته وجلس ينتظر الموت، وهذا ماحدث للخليفة عبد الله يوم داهمه ونجت باشا فقد أمر امرائه أن يترجلوا عن خيولهم وجلسوا جميعاً ينتظرون الموت .

ومما يؤثر عن السودانى أنه لايخيب طلباً لامرأة مهما صعب ومهما كلفه من المشقة فهو مشهور باحترام ضعفها ، واكتساب رضاها بأى الوسائل ، فاذا لاح فى ذهنه خيالها هانت لديه التضحية فى سبيل المحمدة أو خوف العار .

كذلك إذا أتى الجدب واشتدت المجاعة ، أغلق الواحد منهم بابه على نفسه وأولاده وانتظر الموت فذلك خير له من ذل السؤال .

وقد روى فى ذلك المدهشات فى مجاعة سنة ستة التى داهمت السودان. ولا يبدى الرجل ألماً من شيء قط فاذا مرض أوضرب فلايمكن أن تسمع منه تأوهات المتألم ، والا كان ذلك عاراً يورثه أولاده من بعده . كذلك لايُظهر المسوق الى القتل أى جزع والا كتب العار له ولبنيه . وإذا سار رجل وحدثت خلفه غوغاء ، فلا يلتفت برأسه لئلا يظن أنه ذعر ، بل

يتحول بجميع جسمه دفعة واحدة . وإذا نهشه كلب من الوراء فلا يرده عن نفسه بل ترده المارة .

واذا اقترف أحدهم جرماً وقف فى مكانه حتى يسلم نفسه بنفسه .

كرم أهل السودان

يفوتنى القصد ان انا أمعنت أو أسهبت لأوفى هذا الفصل حقه ، فالسودانيون كرام بكل معنى الكلمة ، فقد أقيم فى كل منزل ديوان معد للضيوف ولهم فى ذلك روايات ومشاهدات يضيق هذا المقام عنها(١) يبذلون الروح فى سبيل راحة مضيفهم ، والسودانى فى هذا المضمار يصح فيه قول الشاعر :

عزيز جار اذا الليل استجار به　　　من الصباح اظل الناس فى الظلم

الجمال فى السودان

للرجل جمال ، وللمرأة جمال ، فالشاب الجميل من كان مربوع القامة ، قمحى اللون ، مفتول الذراعين ، طويل العنق ، باسم الثغر ، مشلخ الخدين نير الوجه ، شريف الخصال . هذا عن الرجل ، أما المرأة فحدث عنها ما شاء لك الحديث .

يمتاز نساء السودان بجمال طبيعى ساحر ، تتجلى فيه الانوثة بكل معانيها

«١» أنظر نوادر الكرم والشهامة فى هذا الكتاب

فاذا مشين تهادين حتى لتحسبهن يمشين على شوك ، ويدعى هذا النوع من المشي الوئيد (القيد حَرَنْ) .

قلما تجد فيهن العوراء أو الحولاء أو البدينة إلى حد غير مستحب . ينبعث السحر من عيونهن ، والطيب من أجسادهن. يزيدهن (التشليخ)(١) في بعض القبائل فتنة وسحرا .

والمرأة الجميلة هي من كانت مربوعة القامة مع الميل إلى الطول ، صفراء البشرة ناعمتها ، حلوة المبسم طيبته ، مهفهفة القوام مائسته ، سوداء الشعر مسترسلته .



الجمال في السودان

أظهر صفات نساء السودان احترام النفس ، والكبرياء ، فالمحجبات منهن مصونات الى أبعد حد . أعرف عائلة عريقة في (الدامر) مديرية بربر لا يسمح لبناتها الخروج من منازلهن إلا مرة واحدة في كل عام ، وهذه المرة هي الليلة الاخيرة من المولد النبوي الشريف . فاذا خرجن ، فعبيد الدار أمامهن يحملون الفوانيس ، والجواري خلفهن وهو أقصي ما بلغ اليه الحجاب والصيانة .

---

(١) أنظر عادة التشليخ في صفحة ٢٠٣

عادة التشليخ

في بعض قبائل السودان، يشلخون وجوه الرجال والنساء أيضاً بقصد الزينة، ولكل قبيلة منهم شلوخ معلومة تميزها عن بقية القبائل، فالشايقية ثلاث شلوخ أفقية، على كل خد، كما أن للجعليين ثلاث شلوخ عامودية. وأنواع التشليخ عديدة منها العارض، ودرب الطير وغيرها. ومن رأيي الخاص، أن هذا التشليخ يزيد المرأة جمالا وسحراً. أنظر إلى صورة هذه الفتاة ألا ترى رأيي؟ فهي لولا هذه الشلوخ إنسان عادي وأقل من عادي ولكن هذه الشلوخ زادتها رواء، وليست الشلوخ وما تكسبه من الحسن وقفاً على النساء فقط، فللرجال أيضا نصيب وافر منها وهي تكسب وجوههم وسامة وتجعل تقاسيمها رائعة محببة.



فتاة سودانية مشلخة

وهذه أيضا صورة شاب مشلخ له من وسامته وابتسامته ما يجعلك تؤيد نظريتى وترى رأيى . والقبائل التى تتبع هذه العادة هم الشايقية، والجمليين، والعابدلاب ، وأهل بربر من الحضر والشكرية، والضبانية ، والكبابيش . أما زمن التشليخ فهو زمن الطفولة.



شاب سودانى مشلخ

(البطان)

ومن أشهر عاداتهم التى أصبحت خلقاً لهم عادة (البطان) فاذا تنافر شابان لسبب من الاسباب طلب أحدهما الآخر للبطان ، فان أبى ، عد جباناً ، ورفضت البنات زواجه ، وإذا رضى أخذ كل منهما سوطاً وعمدا إلى عنقريب (سرير) جعلوه بينهما ووقف الواحد تجاه الاخر ثم خلع كل منهما ثوبه وتجرد الى وسطه واجتمع الناس للشهادة فيبدأ أحدهما بجلد الآخر سوطا على ظهره ثم يصبر فيجلده رفيقه سوطا ، وهكذا يتناوابان ضرب السياط وهما لا يتحركان من مكانهما بل لا يحركان كتفا أو جفنا إلى أن يقع أحدهما من شدة الضرب فيحمله أقاربه إلى بيته فيزوره مصارعه ويصالحه . وهذه العادة بالرغم عن أنها محصورة فى بعض أنحاء السودان فهى من عوائد العامة فلا يشترك فيها الخاصة ، وقد اوشكت أن تندثر .

العشق فى السودان

لا أجد فى هذا الباب ما يكفينى لسوقه للقارىء . فان لعرب السودان لون فى العشق غريب ، فهم يلطخون بدمهم جبين حبيباتهم عنوان اخلاصهم ووفائهم . وهل يوجد أعز من دم الانسان يقدمه برهانا على حبه ؟؟ . وهم يحبون الغزلان ، ويفتدونها بالروح والمال ، لأن فيها بعض ما فى حبيباتهم من صفات . وهم لذلك لا يصيدونها ولا يذبحونها ، يذكرنى هذا بما يعرفه كل الناس عن مجنون ليلى يوم كان يفتدى الغزلان فيتركها وشأنها معتذراً بأن لها عينى ليلى وجيدها . وهم يتكنون باسم حبيباتهم ، وفارسهم فى الحرب يقتحم الميدان وسيفه مسلول مناديا لعينى فلانة .

الافراح فى السودان

سن الزواج عندهم من الخمس عشرة سنة فما فوق للرجال ، ومن العشر سنين فما فوق للنساء ، ولا بد للطالب من رؤية البنت التى يروم خطبتها ولو بالحيلة ، فاذا حسنت فى عينيه ، سعى فى استرضاء أهلها وخاصة والدتها مبدئياً بالقول .

ثم يذهب أقاربه إلى بيت أبيها فى يوم معين لكتب الكتاب وتعيين المهر ، وهم فى الغالب يغلون فى المهر حتى لقد يبلغ مئتى ريالا أحياناً ، الثلثين على الفور والثلث الباقى أقساطا بعد الزواج ، وإن أبا البنت لابد له من

أن يخصها بشيء من ماله وإلا عيرت به ، وربما خصها بما يساوى مهر الخطيب أو أكثر . ولذلك ترى الكثير من النساء يتركن عذارى لعدم اقتدار الرجال على صداقهن .

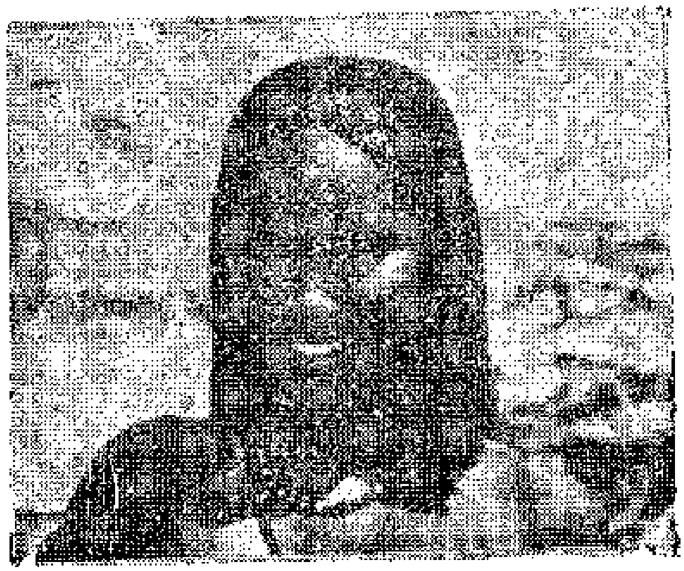
وقد سعى بعض ولاة الفتح الأول مثل أحمد باشا أبوودان وغيره فى تخفيض مهر البنات فجعلوه من ٧٥ إلى ١٥٠ قرشا ، وحضوا على الزواج . وكذلك فعل الامام محمد أحمد المهدى فجعل مهر الثيب خمسة ريالات ومهر البكر عشرة ، ولكن الأهالى مالبثوا أن عادوا إلى عادتهم وعاد البنات إلى الكساد

وقد سعى وأفلح السير السيد عبدالرحمن المهدى باشا حيث يقيم فى كل عام مهرجاناً (مهرجان الزواج) يتزاوج فيه أبناء الأمة ببناتها على حسابه الخاص ، وهى مكرمة اجتماعية قومية لا ينساها السودان .

وعرب السودان يحترمون النسب جداً وينزلونه المنزلة الأولى فى تزويج بناتهم ، فلقد يزوجون رجلا ذا نسب لا يملك شيئاً ، ولا يزوجون رجلا مثريا لا نسب له ، وإذا حل بأرضهم رجل شريف يرجع بنسبه إلى النبي (صلعم) أو الصحابة ، بالغوا فى إكرامه ، وزوجوه بناتهم بلا مهر رغبة فى التقرب منه . وهم أيضا يتبركون برجال العلم والصلاح ويزوجونهم بلا مهر ، وعند اتفاق الفريقين على المهر يكتبون الكتاب ويعينون الدخلة فى يوم يتفاءلون به ، وقبل حلول اليوم المعين بأسبوع ، يعد العريس الذبائح وشيئاً من الذرة والروائح العطرية . والكحل والحناء والأكسية للعروس وماشطتها ووزيرتيها ، وهن من أقاربها الأخصاء ، ويدعون بنات البلدة

فيحملن هذه الأشياء على رؤوسهن فى أطباق مغطاة بالمكبات ، ويسير أمامهن النساء يضربن الدفوف ، يرقصن ويغنين ووراءهن الشباب يرقصون ويتباطنون بالسياط ، إلى أن يبلغوا بيت العروس فيستقبلهم أهلها بالترحيب ويقدمون لهم الطعام والشراب فيأكلون ويشربون ثم ينصرفون .

ومن ثم يشرع أهل العروس فى الاستعداد فيضعون العروس فى مكان منفرد مع بعض قريباتها ويسلمونها إلى الماشطة فتمشط شعرها وتضفره . جدائل دقيقة جداً لحفظ الشعر على



ضفر الشعر

شكله أياماً ولهم فى ترصيفه وتطييبه بهذا الشكل ، مقدرة تامة كما ترى فى الصورة . أما العريس فيلبس ثوباً بسيطاً بحاشية من حرير ، ويلبس فى يده سواراً من الحرير فيه خرزة خضراء ، وسواراً عريضاً من الفضة أو الذهب ، وفى عنقه طوقاً من الذهب ، ويبقى عليه هذا اللباس من سبعة أيام إلى أربعين يوماً بعد الزواج وذلك لمنع الاصابة بالعين ! وفى اليوم المعين للدخلة ، يجتمع أهل العريس وخلانه نساءً ورجالاً فى منزله فيزفونه على فرس إلى بيت العروس فيقود الفرس بنتان ، بنت عن

اليمين وبنت عن الشمال ، وتسير النساء أمامه يغنين وينقرن الدفوف والطبول والرجال وراءهم يتباطئون ، والبنات يرقصن بكل خفة ورشاقة ، يتبارين فيه كلٌّ ترقص بدزوها



راقصة سودانية

وللسودانيات شهرة فى الرقص يساعدهن عليه لين أعطافهن ،ودلالهن ، فاذا رقصت السودانية انثنت حتى تصل رأسها إلى قدميها من الخلف . والعريس يهز سوطه فى الهـــواء استحساناً للراقصات والمغنيات ويسير الموكب الهوينا إلى أن يصل إلى بيت العروس فيستقبلهم أهلها بالترحيب والاكرام .

ثم يزفون العروس فى منزلها وهو الغالب ، أو يزفونها فى شوارع البلدة تحف بها الفتيات وبايديهن الشموع ، ثم يعدن بها إلى المنزل فيجلسنها على عنجريب فى مكان أعد لها ، ويجلس حولها البنات والنساء والماشطة ووزيرتاها .

وبعد العشاء ، يدخل العريس عليهن ومعه شابان من أصحابه يعرفان

بالوزيرين فيصفق له النساء ترحيباً به ويجلسنه مع وزيريه على عنجريب أعد له ، ثم يقوم العريس فيتحف الماشطة والوزيرتين بهديه من المال . ويأتى إلى عروسه فيقطع رهطها(١) وهم يتبارون فى أفراحهم على الخيل أو الهجن ويرفع السيف بالأصابع الثلاث الاولى وذلك بوضع قبضته بين السبابة والوسطى والضغط على رأسها بالأبهام ورفع السيف افقياً . وترى لهم فى ساحة كل بلد حجراً يعرف بحجر الصبيان يتناظر الشبان فى رفعه بكلتى اليدين إلى الصدر أو الكتف أو فوق الرأس ونحو ذلك من المناظرات . ويبقى أهل العريس فى بيت العروس من ثلاثة أيام إلى سبعة ، وأما العريس ، فيبقى مع عروسه فى بيت أبيها إلى أن تلد فيذهب بها إلى أهله.

وبعد الأربعين يوماً يخرج العريس إلى السوق ويرسل الى عروسه أحسن ما يجده فيها من اللحوم والخضر والفاكهة فتدعو العروس صديقاتها ، وتولم لهن وليمة من هدايا العريس وهو ميدان يعرف فيه كرم العريس وسخاؤه

وهم يختنون أولادهم ذكوراً واناثاً ، ولكنهم لا يحبون الطهور الباكر ، فقلما يختنونهم قبل السنة السابعة .

ويجوز لمن توفيت امرأته أن يتزوج أختها بمهرها ولكن لا بد له من موافقة أبيها قبل دفنها ، فهو يمسك قائمة النعش الذى تحمل عليه امرأته ، ويلح على أبيها بأن يعطيه أختها عوضاً عنها فيجيبه أبوها إلى ذلك وخاصة إذا كان له أولاد .

---

(١) الرهط لباس الفتيات يأتزرن به ما دمن ابكاراً ، وهو حزام من جلد يبلغ عرضه قيراطين أو ثلاثة تتدلى منه خيوط رفيعة من الجلد أيضا وهى كثيرة كثيفة . أنظر صورته على (راقصة سودانية صفحة ٢٠٨)

أحزان أهل السودان

لا تختلف أحزانهم عن أي قطر آخر ، فحين يقضى على عزيز عندهم يصيح نساؤهم وينتحبن ويحثين التراب ويجلسن حوله للبكاء والنحيب .

أما الرجال ، فينعونه ويجلسون في فناء الدار يتقبلون العزاء من الاصدقاء . ثم يشرع النساء في الندب ، فيعددن مناقب الفقيد ويستقبلن بالنواح صديقاتهن كلما أقبلن للعزاء ، وعديدهن يستنزف الدمع ، ويفتت الكبد ، ويستجاب العطف ، فمن ذلك قولهن سجمي [١] ، وامصيبتي ، حليلك [٢] ياالاسد ، ياشديد الحيل ، ياجمل الشيل ، ياكاشف الغمات ، ياراجل الحكم .
أما الرجال فلهم في ذلك صبر يشكرون عليه ، فلا يستقر بهم المقام حتى يهللوا ويكبروا بقولهم « لااله الا الله محمد رسول الله » سبعين الف مرة ، أو يقرأون سورة (قل هو الله أحد) مائة الف مرة .

هذا في عرب السودان ، وقد رأيت أحزان الهدندوه في طوكر فهي في مغزاها لا تختلف اختلافا ظاهراً في الموضوع وان اختلفت في الشكل .
ولما كنت هناك توفى موظف وطني من أبناء البلاد ، فاذا نساء الهدندوة قد لبسن ملابسه الوطنية من جبب وقفاطين ودخلن مكاتب الحكومة دون استئذان وهن يرقصن رقصاً محزنا بالسيوف ويتفجعن عليه بعد أن لطخن وجوههن بالطين والسواد ، فكان مظهراً مثيراً للعواطف يستدر الدمع ، وقد لفت نظري أن المفتش الانجليزي قد أمر أن لا يعترضهن معترض ،

(١) السجم هو السواد وفي معناها تقابل قول نساء مصر « يادهوتي » أو بمعني أصبح ياسوادي (٢) حليلك معناها ما أحلى أيامك

وأن تترك لهن الحرية حتى يخرجن من تلقاء أنفسهن . ومثل هذا التساهل واحترام الشعائر، والعادات، سبب من أسباب تثبيت قدم الانجليز فى تلك البلاد .

سلام أهل السودان

إذا قابلك أحد أهل السودان فانه يسلم عليك سلاماً حاراً يدل على طيبة نفوسهم، وسمو أخلاقهم، وحبهم للناس، وإذا كنت على مقربة من منزله فانه لن يتركك حتى تشرب القهوة أو الشاى وإذا كان الوقت ظهراً أو غروباً فقد يقسم أن تتناول معه الغذاء أو العشاء وهو كرم طبيعيّ غرس فى دمهم قبل أن يخلقوا وهم طيبو القلوب يحبون بعضهم حباً جماً فاذا اجتمع صديقان بعد فراق طويل تعانقا بالأكتاف عناقاً طويلاً فيضمان بعضهما، بحيث يكون يد كل منهما على كتف الآخر فينقل رأسه من كتف إلى آخر مرتين أو أكثر، ثم يأخذ كل منهما يد الآخر فيقبلها . وإذا كان أحدهما قد فقد عزيزاً له فى أثناء فراقهما فعند اللقاء، يبسط كل منهما يديه ويقرأ الفاتحة قبل أن يبدأ بالعناق أو السلام، هذا فى سلام الرجال، أما النساء فسلامهن التقبيل فى الوجه . وسلام النساء على الرجال يختلف باختلاف صلة المرأة الى من تسلم عليه . فبين الاقارب تحنى المرأة رأسها للرجل فيقبله، أما هى فتقبل يده . والمرأة تقبل ولدها فى جبهته كما لا يسلم الرجل الغائب على زوجته امام أهلها أو أقاربها .

مجالس أهل السودان

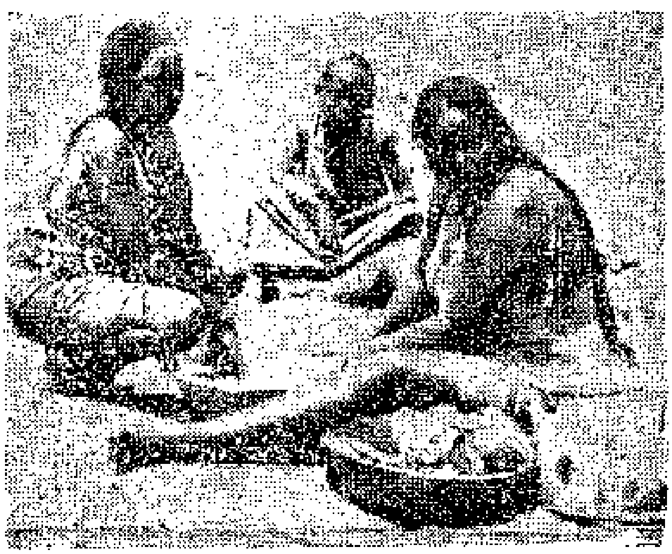
قليل من أبناء السودان من يجعل همه الجلوس فى القهوات وشبابهم كثير الاهتمام بالنوادى الأدبية ، فاذا ذهبت الى نادى خريجى المدارس بالخرطوم أو أم درمان ، فانك تجده فى أى وقت يزخر بالشباب الراقى الذى يشرف البلاد ، فتدرك أنك فى بلد لديه الاستعداد التام للرقى . أما مجالس الاسر والبيوت ، فانها تنم عن روح التضامن والحياة الهادئة الحافلة بأنواع الاخلاص ، ففى كل بيت ناد للاسرة يجمع أحسن ما تجمعه النوادى والقهوات . وهم فى الغالب يجلسون على البنابر طلباً للراحة ، والبعض على السجاد أو البروش والحصر ، وقلما يستعملون الكراسى ، ولعلهم بذلك يقصدون أن لا يكون فى جلستهم شيئاً دخيلاً غريباً . وهى حاسة قومية وشعور وطنى ، يدلك على سمو ادراكهم وتحزبهم للوطنية الصادقة . وسيدات البيوت الرفيعة لايجالسن الرجال الا اذا كانوا من الاهل الاقربين . واذا طُلبت امرأة الى مجلس رجال لاداء شهادة أو تقرير حقيقة تلثمت بثوبها فلا يظهر من وجهها غير عينيها ، فتجلس السيدة مطرقة وتتكلم بصوت خافت تتجلى فيه كل معانى الاحترام لمجلس الرجال . واذا زار رجل امرأة فى بيتها كلمته من وراء جدار . واذا جلس الرجال على جنبى الطريق فلا تمر المرأة فيما بينهما . أما الجارية فاذا مرت بمجلس الرجال ، فانها تخلع نعليها وتحسر عن رأسها . والمرأة لا تسير مسرعة مهما كان الحال .

ومن آداب الشوارع ، أن لايضحك الانسان ولا يأكل فى قارعة

الطريق مهما كان به من سغب ، كما ينبغى أن لا يصفر أو يضحك بصوت عال ، أو يغنى ، أو يبول فى جانب الطريق ، كما أن الدائن لا يطالب مدينه فى الشارع مطلقاً ، كما لا يطالبه فى الفجر أو بعد الغروب .

لباس أهل السودان

قبل ثلاثين سنه كان لباس أهل السودان لا يتعدى السراويل يشتملون فوقها بثوب من الدمور أو الدابولان أو يلبسون قيصاً طويل الأكمام يعرف بالعرى . أما اليوم ، فقد تطورت الحياة ، فشباب السودان فى اناقته وفى لباسه أصبح من أرق الهيئات فى مظهره ومنظره ، يعرف كيف يسترعى نظرك بنظافة هندامه واعتداله ، أما كبارهم ، فيلبسون القفاطين والجبب والعمامة البيضاء فوق الطاقية النظيفة ويلبسون أحذية من جلد أسود . هذا عن الرجال ، أما النساء ، فقد كان أيضا لباسهن لا يتعدى (القرباب) وفوقها شقة بحواش من حرير



لباس الجوارى

يسمونها (القرن) ، أما اليوم فان السودانيات يلبسن الفساتين الانيقة ، ويتفنن فى تفصيلها على الزى الافرنجى البديع ، مع الاحتفاظ بالمظهر

الخارجى ، فجميعهن يلبسن فوق هذه الفساتين ثوب من الحرير الأبيض أو الأسود ومع ذلك فلا زال بعض الرجال والنساء كما هم ، وذلك يغلب فى طبقة الفقراء والخدم والجوارى اللذى لا يتعدى لباسهن ثوب الزراق أوما شابه ذلك (كما ترى فى الصورة صفحة ٢١٣)

الروائح العطرية فى السودان

أهل السودان عموما ، نساء ورجالا ، حضر وبادية ، مولعون بالروائح العطرية الى أبعد حد ، وهم يعتبرونها من ضروريات الحياة . ولهم فى تركيبها طرق وأساليب شتى ، والروائح العطرية فى السودان لا يوجد مثيلها فى أى قطر آخر ، فهى قوية الرائحة زكيتها ، ولا تزول بالسرعة التى تزول بها الروائح العطرية التى تراها فى مصر مثلا . وأهم هذه الروائح المسك ، والزباد ، والجلاد ، والمحلب ، والضفر ، والقرنفل ، والصندل ، وأحبها اليهم مركب سائل يسمى (الخُمْرَة) مؤلف من مقادير معينة من المسك ، والجلاد ، والزباد ، والقرنفل ، تذاب جميعها بماء خشب الصندل . وبعض الطبقات الراقية من أهل البلاد تمزجه بماء الكولونيا فيخفف من حدة رائحته القوية ويصبح معتدلا محببا الى النفس . على أن الجوارى والخدم لازلن كما هن يدهن رؤوسهن وأجسادهن بالسيرج والودك (وهو نوع من الشحم) وهذا النوع مع عدم استساغته شديد الفائدة للاجسام مخفف لوطأة الحر وسخونة الجو .

الدلكة فى السودان

الدلكة هى من أشهر العادات التى لا تمحى ولا تندثر وذلك لأن فائدتها للجسم معروفة مشهورة ، فهى تقوى الاعصاب ، وتقلل الافراز الجلدى ، وتزيل الشعر من الجلد ، وتكسبه نعومة وملاسة ولا عجب فهى عبارة عن حمامات تختلف طريقتها عن الحمامات التركية . والدلكة معناها « التدليك » ومعجون الدلكة مؤلف من دقيق القرنفل والمحلب وخشب الصندل مضافاً اليه الجلاد والزباد والمسك وهم يدلكون أجسادهم فى كل صباح ومساء . لذلك فانك تجد أجساد أهل السودان نظيفة ناعمة خالية من الشعر وهو نوع من عنايتهم الخاصة بالنظافة والصحة .

التدخين فى السودان

لا أقصد بالتدخين المعنى المعروف فى مصر بأنه (شرب السجاير) بل أقصد نوعاً آخراً ، وهذا النوع لاغنى لنساء السودان عنه ، فهو بمثابة حمامات لهن يكسبهن لوناً أصفراً ورائحة عطرية ذكية مستحبة ، وهو من أهم الاسباب لعدم وجود مرض المفاصل ، والامراض العصبية فى أجساد نساء السودان . وهذا الحمام عبارة عن غرفة فى وسطها حفرة صغيرة ، فاذا أرادت المرأة التدخين أوقدت فى الحفرة ناراً من خشب الطلح أو الصندل ، أو أى خشب من الاخشاب الطيبة الرائحة ، وسدت نوافذ الغرفة الا نافذة واحدة ليتسرب منها دخان النار ، ثم تتجرد من ثيابها

وتشتمل بشملة من الصوف ، وتجلس على حافة الحفرة ورجلاها ممدودتان على عود فوق الحفرة ، وتظل هكذا ، الى أن يحمى جسدها ويتحلب العرق منه صبيباً . فتقوم وهى لاتزال مشتملة بشملتها فتستلق على (عنقريب) أو دكة ، وتبدأ بفتح النوافذ تدريجياً . بعد ذلك تأتى إحدى الجوارى وتدلك جسدها بيديها ، وتطيبها بالخمرة والروائح العطرية . ذلك سبب من أسباب الصحة المتوفرة فى نسائهم والنعومة التى لاتجدها إلا فى أجسادهن

سلاح اهل السودان

السلاح فى كل الاقطار لا يستعمله إلا الرجال ، كذلك الحال فى السودان . وفى الماضى حيث كانت القبائل متناحرة والبيوتات متنافسة ، وكان كل رجل يحذر كل رجل ، كان لايخرج السودانى من بيته إلا مسلحاً ، أما اليوم حيث استتب الأمن وتصافح أبناء البيوتات الكبيرة وأدرك كل منهم مركزه ، وأمن على ماله وعقاره ، أصبح الرجل يخرج وفى يده عصاته فقط . على أن البيوت ملأى بأنواع السلاح وهى لاتتعدى الحراب والدرق والسيوف والبنادق وهذا النوع كان قليلا جداً ولكنه زاد زيادة محسوسة فى السنوات الاخيرة .

اثاث بيوت اهل السودان

فى كتاب تاريخ السودان لنعوم شقير بك يقول أن أشهر أثاث أهل السودان العنقريب — والبنبر — والجراب — والقرب — والرحايه

والمرحاكه والدوكه ولاشك أن كل من يقرأ ذلك يترحم على نعوم بك شقير ويتمنى لو أن الله مدّ فى أجله ليرى السودان فى حالته الحاضرة وما آل اليه من الرقى. ففى بيوت أهل السودان اليوم حتى الطبقات المتوسطة تجد المقاعد المبطنة بالجلد الناعم، والسجاد العجمى الثمين، والمناضد البديعة، والدواليب ذات المرآة اللامعة النظيفة، والاسرة النحاسية الفاخرة، والكنب الناعم الوثير، ومع ذلك فان بيوت الفقراء لازالت كما هى بحكم حالتهم المادية.

حلى نساء السودان

أشهر حلى النساء: الخواتم، والاساور، والحجول، والعقود، والخزائم، والعصائب والاقراط من الذهب والفضة والخرز.



سودانية بكامل حليها

أما خواتمهن، فاكثرها من الذهب أو الفضة، بحبوب عدسية أو مخروطية وأما اساورهن، فمن الفضة أو العاج أو المرجان أو السوفيت، والاساور الفضية أو العاجية عريضة جداً وعليها نقوش بسيطة ولبعض الفضية منها حبوب مخروطية الشكل تزيد فى ضخامتها، وأما حجولهن، فاكثرها من المرجان أو الفضة اما الفضية فضخمة للغاية وهى إما مجوفة توضع فيها الحصى

ليسمع لها رنين عند المشى أو مصمته وقد يبلغ وزن الواحدة خمسين ريالا أحيانا أو يزيد كما يزين شعورهن بالذهب الخالص كما ترى فى الصورة الماضيه

طعام اهل السودان

أصبحت مائدة أهل السودان اليوم لاتختلف عن الموائد فى مصر والشام . أما مأكولاتهم الوطنية فلا تخلو منها مائدة وهى شهية وصحية ولو خيرت لتخيرت أن تكون (الكسرة والملاح) مأكلى المستديم بدون انقطاع . والكسرة تصنع من الاذرة البيضاء (وتسمى القصابى) أو الاحمر وتسمى (الفيتريته) وهم يعجنونها بعد طحنها على المرحاكه(١) ويتركونها حتى تختمر ثم يخبزونها على الدوكة فتشبه الفطير الذى يصنعونه فى مصر غير أن هذه خمير وذاك فطير ، أما (الملاح فيطهى بالمسلى والبصل واللحم والباميه الناشفة ثم يضيفون له من البهارات والشطة ما يجعله شهياً إلى أبعد حد) وهذا النوع من الطعام اسمه (أم رقيقه) أما فى الفطار فيتناولون العصيدة أو اللقمة عليها اللبن حليباً أو رائباً ، أو السمن والعسل ، أو السمن والسكر . ومنهم من لا يتناول فى الصباح الا طعاماً لم تمسه النار كالبلح والحليب ولهم فى ذلك حكمة إذ يقولون (من فطر طعاماً بلا نار كفاه الله شر ذلك النهار)

أما الاطعمة الوطنية فلا تقتصر على أم رقيقة التي ذكرناها فان غيرها كثير منها (ملاح التقليه) (وملاح أم دقوقه) (وملاح الشرموط)

---

١) المرحاكة طاحنة من حجرية أحدهما كبير والآخر صغير لطحن الأذرة وهى تشبه الرحاية في صعيد مصر

وصنعها جميعه لا يتعدى ماذكرناه قبلاً مع اختلاف بسيط . ثم (السلات) وهو لحم محمر يخلطونه بالملح والشطة والبهارات وهو أشهى الاطعمة يفوق الكباب الذى يطهيه الحاتي فى مصر . وفى جهات سواكن وطوكر رأيت الناس يأكلون السلات مغموراً بالعسل النحل ثم يشربون لبن الابل بدل الماء ولعل ذلك من أسباب صحتهم التى لا تعادلها صحة .

شراب أهل السودان

أهل السودان عموما مولعون بشرب الشاى والقهوة ، وهم يدخنون أيضا أو يمضغون الدخان مضغاً بعد أن يضيفوا اليه قليلا من النطرون ، وهذا معروف عندهم (بالسفه) ، وهم أيضا يسحقون ورق الدخان ، ويضيفون اليه جزءاً من النطرون أو الجردقة ويستعملونه نشوقا .

كذلك يشربون (الابريه) وهو خبز رقيق من دقيق الاذرة يبل بالماء ، أو يذوب بالسكر ، وهو شراب لطيف مرطب يساعد على احتمال حرارة الجو ويستعمل غالبا فى زمن الحر وفى الاسفار .

أما الخمر ، بالرغم عن أن الكثير بن منهم يمتنع عن شربها تديناً ، فان عامة الناس مغرمون بشربها ولعل أهم مايشربه السودانيون (المريسه) (وأم بلبل) وهما شراب من الاذرة المخمرة يفعل فعل المشروبات الافرنجية أو يزيد ، وهم يأكلون معها (المرارة) وهى لذيذة الى حد بعيد ، والمرارة هى عبارة عن امعاء الخروف تنظف جيداً ثم تقطع قطعاً صغيرة ويضاف اليها البصل والليمون والشطة بمقادير كبيرة ويأكلونها دون أن تطبخ على النار .

والسوداني إذا سكر نسي الحياة كأنه ليس منها، ولعل هذا هو السبب الذي دفع حكومة السودان أن تحرم المشروبات الافرنجية على السودانيين.

والخاصة من أهل السودان يشربون شرابا نظيفا اسمه السوبيا ، يستخرج من الرز ، وذلك بأن يغلى دقيق الرز ويمزج بمنقوع التمر هندى، ثم يصفى ويذاب فيه السكر ، أو عسل النحل ، ويحفظ فى آنية من الفخار ، وهو شراب مبرد حقاً . أما القهوة وقد ذكرناها آنفا ، فلا نزاع أن القهوة فى السودان هى أفخر وألذ قهوة يمكنك أن تشربها ، وهى عند بعضهم من ضروريات الحياة ، فاذا تخلف ميعادها عنه اصابه صداع شديد لن يزول إلا بشربها.

ويستغرق صنع القهوة السودانية زمنا لا يقل عن نصف ساعة مع السرعة ، أما فى مجالس العائلات فتصنع فى أكثر من ساعة ، حيث تأتى



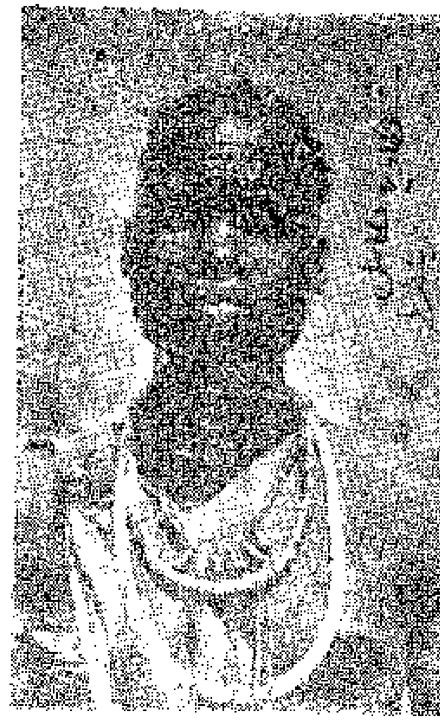
فتاتان تصنعان القهوة السودانية (الجبنَة)

الجوارى (كما ترى فى الصورة) ومعهن عدتها ويتفنن فى صنعها ، أما لوازم

الجبنة فهى كما ترى فى الصورة (١) الجبنة (٢) القدح (٣) الفندق (٤) البنبر (٥) الشرغرغ . والبنبر ليس من لوازم الجبنة نفسها ، ولكنه كرسى يجلسون عليه عند صنعها ، ولعل الجوارى فى هذه الصورة تركن الجلوس عليه ليظهر شكله فى الصورة . وطريقة صنعها ، أن يوضع البن فى هذا القدح (٢) مع الجمر ويحرك تحريكاً خفيفاً إلى أن يتم تحميصه فيعزل من الجمر ويدق فى الفندق (٣) إلى أن ينعم وفى أثناء ذلك يغلى الماء فى الجبنة (١) ويوضع البن فيها إلى أن يفور وتغطى فوهتها بقطعة من الليف لتمنع نزول البن عند سكبه فيسكب فى الشرغرغ (٥) ثم يعاد اليها حتى تفور ثانية ، فتسكب فى فناجيل ترى صورتها هنا أيضاً وهم يعيدون صنعها على نفس البن الاول وتسمى الاولى (البكر) ، والثانية (البركه) . يقولون أن الصفيح والحديد يمتص نكهة البن ويذهب برائحته الزكية ولعل هذا سبب بقاء القهوة السودانية لذيذة، فهى كما ترى يحمص بنها فى قدح من الخشب ، ويدق فى هاون من الخشب، ثم تغلى فى وعاء من الفخار ، على أن تحميص البن بهذه الطريقة فى وقت الحاجة الى شربه ، يبقى لذته جديدة ، أما حفظه مطحوناً فى احقاق من الصفيح أو قوارير من الزجاج كما يفعل الناس فى مصر فهو سبب تبخر نكهته وزوال لذته بلا ريب .

عادات اهل السودان الجنوبى

كانت مدة خدمتى فى السودان طويلة ، سافرت فيها إلى بحر الغزال ، وبحر الجبل ، وبحر الزراف ، ورأيت أهلها بعينى وعاشرتهم وأكلت من طعامهم . فاذا تحدثت عنهم فانى أستطيع أن أحدثك حديث عن رأى بعينه . وخبر بشخصه وأهم هؤلاء القوم هم الدنكا . والنوير . والشلوك فى المناطق الواقعة قبلى خط ١٢ أى من الرنك (مديرية أعالى النيل) جنوباً فان القوم هناك قد استمالتهم الحكومة الى الاكتساء بعد أن كانوا عراة الاجساد يسيرون وعوراتهم مكشوفة ، لايستر الرجل منها شيئاً بينما تكسى المرأة مقدمها فقط بقليل من ورق الشجر . أو الجلد . ومع هذا فان اكتسائهم هو أقرب شيء الى العرى (أنظر الصورة فى الصفحة ٢٢٤) فهما رجلان مكتسيان بقطعة من القماش لاخياطة فيها ، مربوطة ربطا على كتفيهما ولا يوجد خلافها على بقية جسمهما . ومن خصائصهم أن رجالهم يحبون التزين كالنساء أو أكثر ولهم تفنن غريب فى ترصيف شعر رؤوسهم . انظر الى الرجل الثانى انك لتحسبه امرأة ، ففى عنقه عقد من الخرز وعلى صدره كردان ظريف . ثم الأول حيث تظنه لابساً قبعة افرنكية وهو فى الواقع شعر



(١)



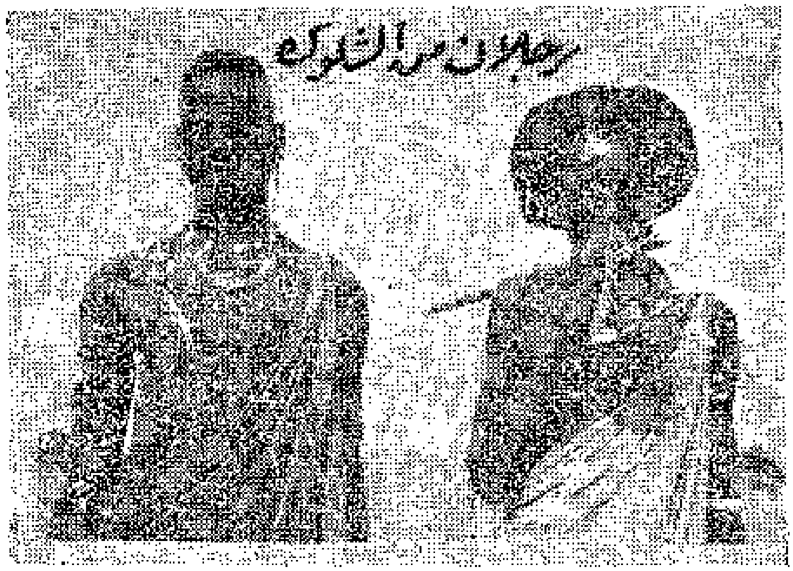
(٢)



(٣)

(١) فتاة شلكاوية فى أبهى زينتها (٢) رجلان من الشلوك فى كامل زينتها وقد غالج شعرهما بروث البقر فظهر الاول كقرن الثور والثانى كعرف الديك. (٣) طابور من الدنكا وهم عراة كما ترى

رأسه قد تفنن فى رصفه بهذه الطريقة ، وهم يعالجونه بالرماد معجوناً

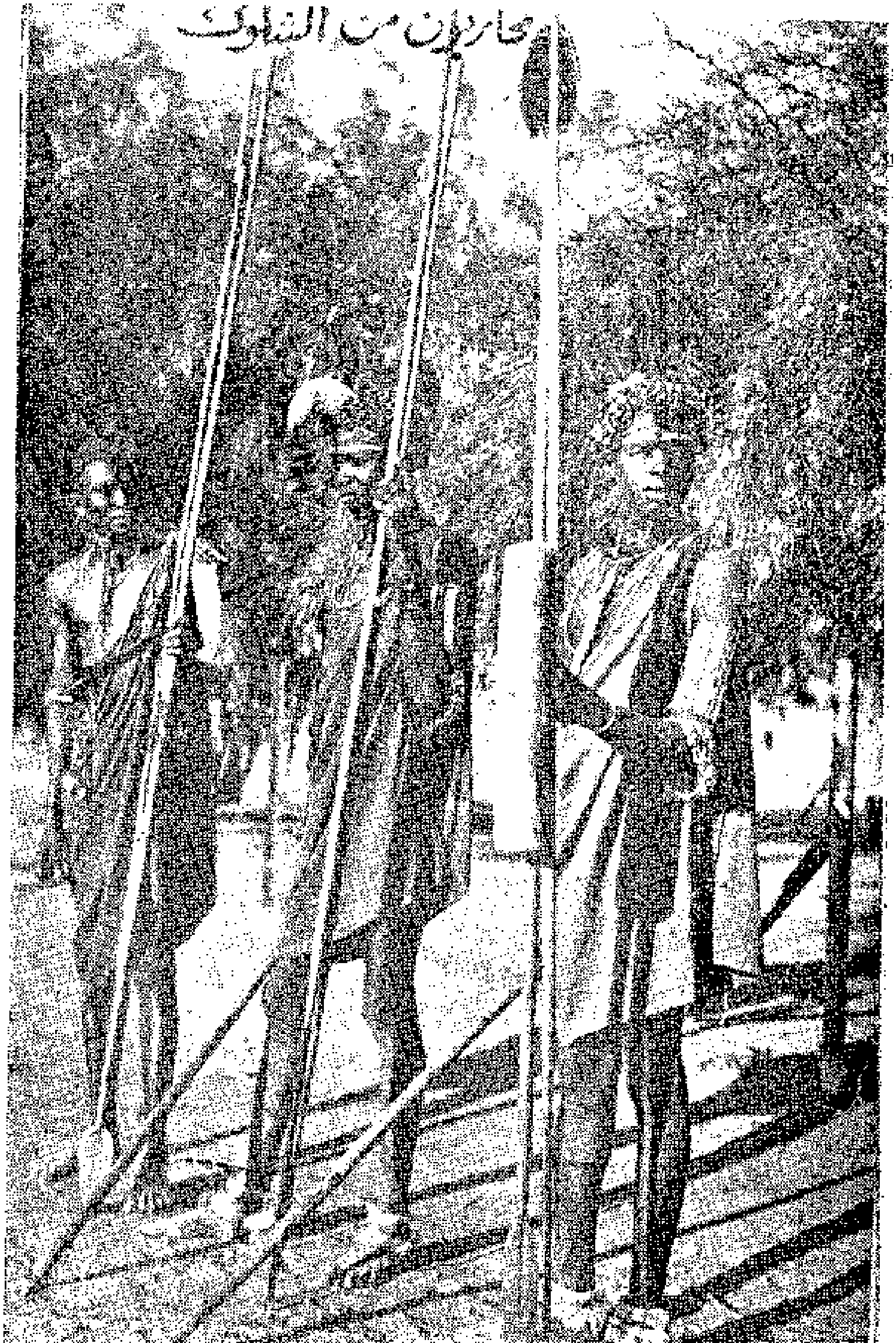


رجلان من الشلك

بروث البقر ، ويزينونه بالخرز والريش كما ترى فى صورة الاطفال الثلاثة .

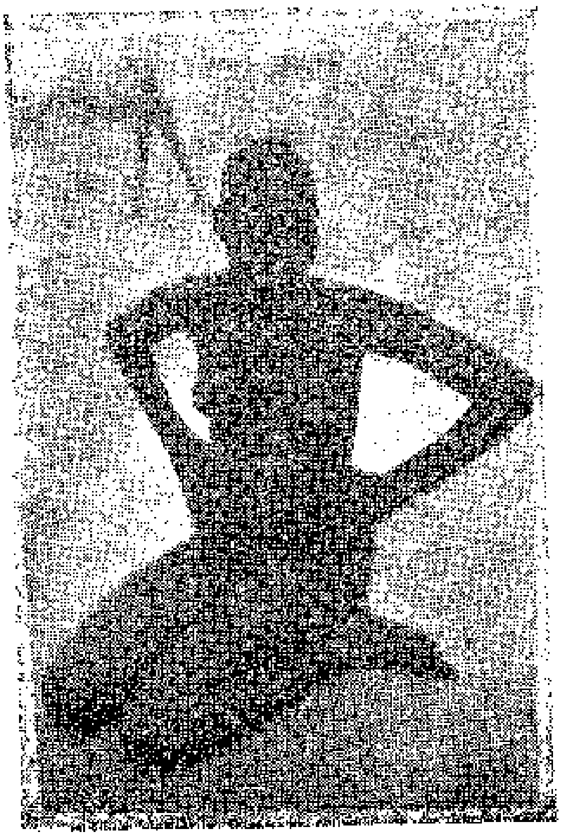


أما أخلاقهم فجفاء فى الطبع ، والعناد ، والاستهتار بالموت ، وثبات ، الجأش وهم أصلح الناس للجندية لطول قامتهم واعتدالهم ، وعدم مبالاتهم بالاخطار والحروب . لقد سافرت إلى بحر الزراف مشياً على الاقدام من كيلو ١٧٥ الى أووى فى طريق مغمور بالمياه ، وفى الطريق كنت أرى النساء عاريات كما ولدتهن أمهاتهن



هذه صورة ثلاث شبان من الشلوك فى كامل عدتهم الحربية ، كما أنهم فى كامل زينتهم فقد زينوا رؤوسهم بريش النعام وروث البقر كما لبسوا فى أذرعتهم دروعاً وفى أرجلهم حجولاً .

لا يكتسين بشيء. فأقول فى نفسى ياسبحان الله أيصدقنى الناس فى مصر ان أنا قلت لهم، أو وصفت لهم ذلك؟



فتاة دنسكاوية عارية

أنظر هذه فتاة عارية تتيه كبراً ودلالاً، لا تفرض للناس وجوداً. وهى لا تشعر بهذا العرى كأنها حواء فى الجنة، وهى كما ترى حالقة شعر رأسها، فالنساء يحلقون شعر رؤوسهن، أما الرجال فيتفننون فى رصفه كما قلنا، وأفضل ما فى خلالهم حب الطرب، والحرية، وبساطة القلب كما اشتهروا بالصدق والولاء وتحمل التعب. وقد بلغ حبهم للزينة أن يشرطوا جباههم وأجسادهم بآلة حاده ويلونونها ببعض الالوان كما يلبسون عقود الخرز الملون أو الصدف وأساور وحجول من النحاس والعاج والحديد رجالاً ونساءً يلبسونها فى أعناقهم وأذرعتهم ثم يأتزرون بالخرز ويصنعون منه أحزمة بديعة. ومن خصائص رجالهم إغراقهم فى الزينة كالنساء تماماً أو أكثر.



هذه صورة رجلان من صائدى الحيوانات المفترسة وهما يحملان نمراً بعد قتله تدل هيئتهما على الشجاعة التامة وعدم المبالاة بالموت

انظر هذه صورة رجل وامرأة لا ملابس على جسديهما ولكنهما متشابهان فى زينتهما كل الشبه حتى تكاد لا تفرق بينهما . وبعض النساء يثقبن الشفة السفلى



ويضعن فيها خشبة تكبر عن ثقاب الكبريت وهذا نوع من أنواع الزينة عندهم . ولهم فى هذا المضمار وسائل شتى فان بعضهم يهتم أسنانه السفلى . وهم مغرمون بشرب (المريسة) وهى البوظة المستخرجة من الاذرة ويشربون الدخان بغلايين كبيرة تشبه الجوزة ويخلطون الدخان برماد زبل البقر فيشربونه شربا أو يمضغونه مضغاً . وحفلات الرقص عندهم تحسبها ميدان حرب (أنظر رقص الدنكا فى الصفحة التالية)

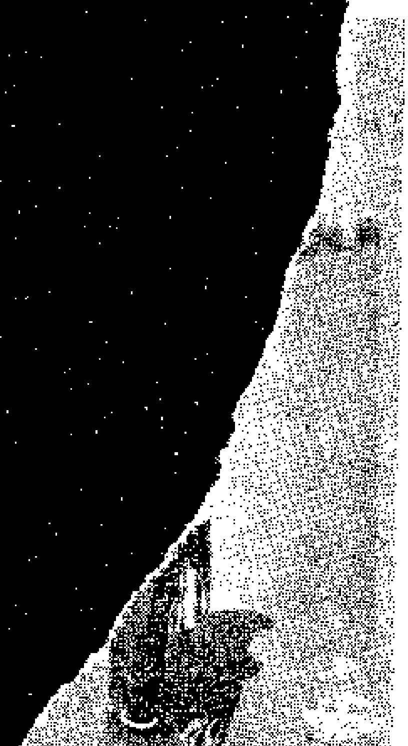
وفيها أيضا صورة رجل يدخن غليونه فانظر كيف وضع سواراً فى يده ثم آخر فى ذراعه بعد أن زين عنقه بعقد ، ورأسه بعصابة من الخرز ، وخصره بحزام من الخرز الابيض

لا يخرج الرجل منهم من منزله لا مسلحاً سواء فى السلم أو فى الحرب وسلاحهم الحراب وهم شديدو المراس قليلو الاعتداء على الناس . تراهم

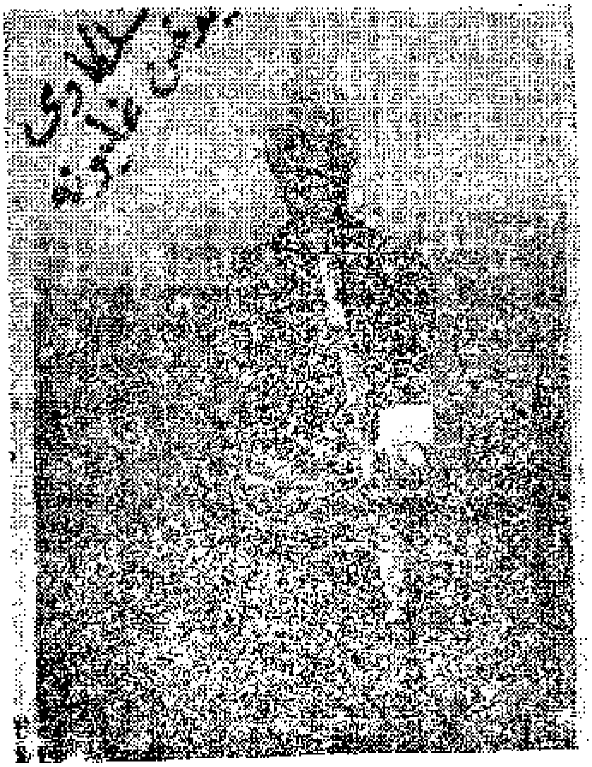
تمثل الصورة الاولى رقص الدنكا والاخرى فتاتان فى غابة يتسامران والثالثة نساء من النيام نيام .







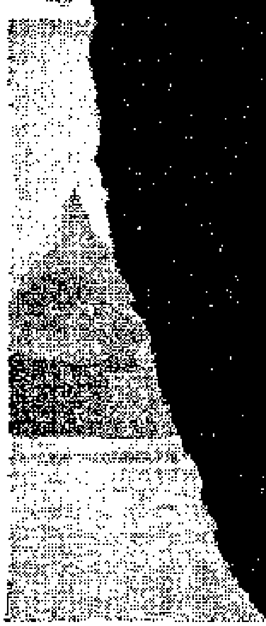
في الغالب مدافعون لامهاجمون . وهم من الشجاعة بمكان . يقامرون بحياتهم





في سبيل الصيد والقنص ، والبقر

... حتى



م باسم توره أما منازلهم

فهى من القش صرفا فحيطانها من القش ، وسقفها من القش . ولقد يدهشك أن يحتمل هذا القش المطر الغزير الذى يهطل هناك معظم شهور العام، والواقع أنه لا يصلح هناك سواه ، وفى الصفحة الماضية صورة المنازل وهى تدلك لأول وهلة أن المطر لا ينال من هذا السقف المخروط الاسطوانى شيئا فيتدحرج منه الى الارض بمجرد سقوطه .

وفى السودان قبائل شتى رأيت منها قبيلة الهدندوه فى سواكن وهى من أقوى القبائل وأوفرهم عدداً ويسكنون الصحراء الواقعة بين خور بركه والاتيره وطريق بربر وسواكن وينقسمون الى بدنات شتى وهم أقرب القبائل الى البشارين فى أشكالهم وعوائدهم وهم أيضاً مغرومون بحمل الاسلحة والدرق كما ترى فى الصورة .



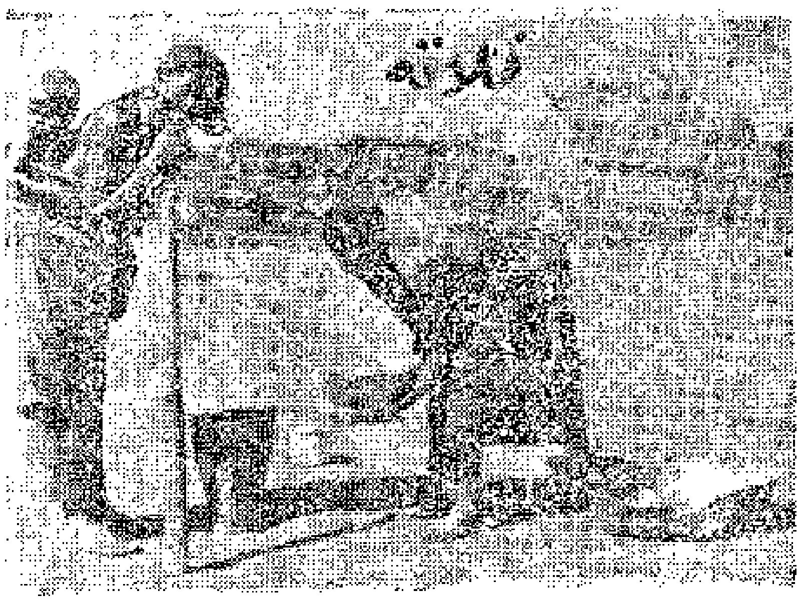
ولما كنت فى سنار أخبرنى المستر درمندهاى المفتش البريطانى هناك إن لقبائل تدعى (الفلاته) التى تسكن فى حلة طلحه مسيرة نصف ساعة من سنار سلطانا يدعى (سلطان مارنو) وقد روى لى المدهشات عن اعتقاد هؤلاء الفلاته فى سلطانهم هذا . منها أنه يستطيع

منع الناموس ، ونزول الامطار ، والانتقام ممن يشاء وهو قابع فى داره ؛ وكثيرون هم الذين يدينون به ويلتفون حوله .



السلطان مايرنو

يفد هؤلاء الفلاته السودان عن طريق الحج فيدركهم الاعياء ، فيفضلون الاقامة فى السودان . ويشتغل النساء منهم كالرجال تماما ومن كان لها طفلا صغيراً ربطته وراء ظهرها حتى لايمنعها عن العمل (انظر الصورة)



وهن مجتهدات فى الحصول على قوتهن وقوت أطفالهن وأزواجهن لايأنفن من العمل مهما كان شاقاً .

وقد اوعز الىّ صديق أن أكتب للناس فى مصر عن قبائل النيام نيام المعروفون بأنهم أكلة لحوم البشر . ولما كانت هذه القبائل تسكن آخر مراكز بحر الغزال الجنوبية كطمبره، ومريدى ، ويمبيو ، فى حدود الكنغو البلجيكية وانى شخصيا لم يسعدنى الحظ بالخدمة هناك ، ولشدة حرصى أن يكون كل ماهو مثبوت هنا أقرب الى الصواب رأيت أن أستعين بصديق ممن خدموا فى تلك البلاد وهو (ضابط عظيم اليوم) كان مأموراً فى يمبيو ، فسألته أن يتنازل فيكتب كلمة عنهم لفائدة القراء فتكرم سعادته حيث قال :—

(وفى صفحة ٢٢٩ صورة تمثل نساء النيام نيام)

مشاهداتى فى بلاد نيام نيام

مركز يمبيو هو أحد مراكز مديرية بحر الغزال ، وهو آخر مراكزها الجنوبية ، ويحد شمالا بمركز طمبره Tombora ، وشرقا بمركز مريدى Maridi ، وجنوبا وغرباً بالكونغو البلجيكية .

عاصمة هذا المركز يمبيو Yambio وتقع على الدرجة ٥ ر ٤ من خطوط العرض الشمالية والدرجة ٤ شرقاً

أما لفظة يمبيو فهى اسم آخر سلاطين النيام نيام المستقلين وهذا السلطان كان أكبر سلاطين النيام نيام ثم داهمته العساكر البلجيكية بقصد الاستيلاء على ملكه ، ولكنه هزمها بعد أن قتل من رجاله خلق كثير وبعد انتصاره عليهم بفترة قصيرة حضرت الى بلاده فرقة من الجيش

المصرى واستولت على بلاده بدون مقاومة تذكر لان رجاله هربوا ولم يبق منهم الا القليل . أما هو فقد توفى عقب اصابته برصاصة فى ساقه من أحد العساكر وقد دفن بالمحل الذى اتخذ قاعدة للمركز ، الا أن النيام نيام يعتقدون أنه تحول الى نمر وسكن الغابة لاعتقادهم أن السلاطين مخلدون لايموتون .

جميع سكان هذا المركز نيام نيام، ولا يمكن تحديد عددهم كما أنه لا يمكن حدوده بالضبط ، لانه فى وسط الغابة المسماة بغابة الكونغو — أما المسافة مابين عبيو وبحر الجبل فهى ٣٢٥ ميلا تقطع مشيا على الاقدام لان هذه البلاد لا تعيش فيها حيوانات من أى نوع كان ولا يوجد عندهم منها الا الدجاج ونوع من الكلاب الصغيرة الحجم وهم لا يأكلون من اللحوم إلا مايصطادونه من الفيلة والحيوانات البرية الاخرى ، أما المسلى أو اللبن فلا يعرفون عنهما شيئا .

لا يوجد ببلاد النيام نيام قرية يسكنونها مجتمعين كباقى الاجناس المجاورين لهم ، ولكن لكل امرأة سكن خاص وحدها بالغابة وسط قطعة من الارض لزراعتها والمسافات مابين كل منزل والآخر ربما تكون أكثر من ثلاث كيلو مترات .

عوائد النيام نيام

من عوائد النيام نيام ان السلاطين يتزوجون من بناتهم ، وأولاد السلاطين يتزوجون من اخواتهم من أباءهم . وعند مايتزوج ابن السلطان

اخته من أبيه ، فانه يعطى والده المهر المعتاد كأحد الاغراب وهو عدد من الحراب .

مهر الزوجة هو اما عدد معلوم من الحراب أو الكلاب أو مبادلة امرأة بامرأة .

قضايا النيام نيام

(١) الزنا وهو الاكثر

(٢) خطف النساء

(٣) الزواج بدون دفع المهر

(٤) القتل بالسحر

(٥) حجز الامطار

أما عن الموضوع الاول فالحالة هناك أباحية الى منتهى الاباحة ،وهذا شيء عادى ولكن اذا لم يرض الرجل المرأة ولو بقليل من الملح أو الخرز ، فانها تشكوه الى زوجها أوأبيها أو أخيها وهذا يشكوه للمأمور الذى يحكم عليه بدفع عدد من الحراب فيأخذ هذه الغرامة ويخرج مسروراً لصدور الحكم لصالحه ، وكان قبل احتلال الحكومة لهذه البلاد يعطى السلطان زوجة الرجل أو اخته أو امه الى أهل المرأة .

ومن ضمن ما أخبرنى به أحد مشايخ النيام نيام ، أن أحد السلاطين تزوج بأمه ورزق منها بولد سماه حسن ، وكان حسن هذا أحد سلاطين مركز طمبره .

واذا توفى أحد النيام نيام فزوجاته يصبحن ميراثاً لاولاده الذكور يتزوجوهن فاذا لم يكن للمتوفى أولاداً فيأخذونهن اخوته .

اذكر انه حضر لي شخص متقدم فى السن يشكو زوج أبنته بدعوى أن ابنته تكتسب كثيرا ، لانها محبوبة من جميع الرجال ولكن زوجها لا يقاسمه فيما تأخذه منهم . وهى قضية غريبة لا أذكر كيف كان حكمى فيها .

والنيام نيام هم من أنبه الأجناس السود إذا تعلموا ، وهم حقيقة من آكلى لحوم البشر ولكنهم أبطلوا تقريبا هذه العادة بعد احتلال الحكومة لبلادهم .

إذا مرض أحد النيام نيام بمرض خبيث . فاهله يعدون له محلا بعيداً عنهم ويوقدون عنده النار حتى يشفى أو يموت .

السحر

النيام نيام يعتقدون اعتقاداً تاما فى السحر . فاذا مات أحدهم فاهله يتهمون أحد أعدائه سواء كان المتهم رجلا أم إمرأة بأنه قتله بالسحر ، فيرفعون شكواهم بذلك إلى السلطان (وذلك قبل وجود الحكومة عندهم) فيحكم على المتهم بدون سماع أى دفاع باعطاء زوجته أو أمه أو أخته إلى أهل المتوفى تعويضا لهم ، وإذا كانت المتهمة إمرأة فتدفع بنتها إذا كانت لها بنت وإلا فيأخذوها هى نفسها بدلا عن المتوفى . ولكن إذا مات بعد ذلك من اتهم بأنه قتل غيره بالسحر ، فيفتحون بطنه ويبحثون فيه ، وبعد ذلك

يشكون للسلطان ويخبرونه بأنهم فتحوا بطن فلان الذى كان اتهم سابقا بقتل فلان بالسحر فلم يجدوا سحراً بداخل بطنه فيأمر السلطان برد الشخص الذى كان أخذ أولا إلى أهله .

محصولات النيام نيام الزراعية

التليبون Tilibon (بدل الاذرة) اللوبيا . الفول السودانى . البفره Bafra

الحيوانات المنزليه

الدجاج — الكلاب وقد سبق ذكرها

الحيوانات البريه

الحيوانات المفترسة بجميع أشكالها حيث توجد بكثرة عظيمة حتى أنها تدخل أحياناً المنازل

نقل الامتعه

عند قيام الموظفين وكلهم ضباط تقريبا من بلاد النيام نيام أو اليها فيجب عليهم أن يحزموا أمتعتهم طروداً لا تزيد وزن الطرد عن ٥٠ رطل وكل شخص من الاهالى يحمل طرداً نظير أجر معلوم يؤخذ عن كل يوم هذا ما كتبه صديقنا الفاضل جزاه الله خيراً .

الرق فى السودان (١)

وتطوراته

ان أول خطوات الرق عند عرب السودان ، كانت لدعاية دينية وما لبثت تلك الدعاية زمنا حتى تنكرت وانصرف الكل إلى ما يعنيه من العمل فى هذا المعترك ليعيش عيشة راضية ، حتى جاءت وفود المهاجرين من قبائل العرب فدخلت إلى السودان بطريق تونس ووداى ، الى أن انتشروا فى جنوب دارفور وأرادوا التوغل فى الجنوب لخصب المراعي هناك إلا أن الدنكاويين أبوا عليهم ذلك ، فنجمت من ذلك حروب دامت زمناً طويلا تغلب العرب بعدها عليهم وهيمنوا على بحر العرب الذى كان للدنكاويين قديماً وكانت هذه المنافسة سبباً فى اثارة الحروب مرة ثانية وجلب الأسرى الى اسواق العالم لاسترقاقهم . وكان الرقيق فى السودان يباع فى الاسواق بيع السلع باثمان تافهة لاتذكر ، ومثال ذلك . لما احتل كرم الله كركساوى أمير المهدية بحر الغزال فى سنة ١٣٠٣ ه باع ٣٠٠ عبد بالمزاد العلنى فرسى المزاد على ٢٥ ريالا الى رجل يدعى محمد صالح الجعفرى ،وقد شهدت عبدين بمدينة الفاشر اشتراهما أحد التجار هناك برأسى سكر فى عهد السلطان على دينار ، أما الجوارى الجميلات اللواتى يصلحن سرارى لذوى اليسار

١) نقلا عن كتاب (العروبة فى السودان) للاستاذ البحاثة محمد عبد الرحيم

فتتراوح أسعارهن بين ٥٠ ريالا و ١٥٠ ريالا ، واليكم بعض الوثائق بنصها عن أثمان السرارى الحسان فى عهد المهدية .

١) بحر الغاشم فرخة[1] سداسية مكادية، حمراء اللون من غنائم الحبشة

بسم الله الرحمن الرحيم، وبعد فمن عبد ربه عبد اللطيف البشير لكافة أنصار الدين . الآدمية الموضح اسمها واوصافها أعلاه واردة من ضمن أحد عشر رأس رقيق بمقتضى أمر من سيدنا المكرم أحمد على رئيس السرية فى ٢٤ جماد أول سنة ١٣١٠ مذكوراً به عن مباعها بالقيمة لسداد ثمن الأقمشة المأخوذة من احمد محمود الحدربى لزوم كساوى الأنصار وعلى مقتضى ذلك صار مبيعها اليه بمبلغ ثمانية وعشرين ريال قشلى وللمعلومية وعدم المعارضة تحرر هذا بيده ليتصرف فيها كيف شاء والسلام فى ٢٤ جماد أول سنة ١٣١٠

أمين بيت مال سرية

القلابات

« ختم »

«٢» فرخة تسمى (الزين كله) سداسية زرقاء اللون مشلخة الخدين بلدى بسلم ، وعلى أكتافها فصود والبطن والصدر والظهر ، وعلى صدغها الأيمن اشارة نار .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

وبعد أقر الواضع اسمه وختمه فيه أدناه خليل خاطر سليم وصى ايتام

---

١) كلمة فرخة معناها جارية شابة .

انجال المرحوم اسماعيل خاطر انه قد بعت الآدمية الواضح اسمها وأوصافها أعلاه وهى من ضمن تركة المرحوم اسماعيل خاطر ، أجريت مبيعها الى محمد درويش ومحمد عالم ويونس محمد بمبلغ وقدره ثمانين ريال عملة بيت مال البقعة المشرفة، وقبضت منهم الثمن وصارت تلك الآدمية ملكا لهم، ولاجل الاعتماد تحرر لهم هذا منا بيدهم بشهادة من يحضر أدناه والله تعالى خير الشاهدين والسلام

١٩ صفر سنة ١٣١٢

المقر بما فيه

« خليل خاطر سليم »

شهد بذلك　　شهد بذلك　　شهد بذلك　　شهد بذلك　　شهد بذلك

الاسطى على العمرى　عبد الرازق ابراهيم　عبد السميع صالح　مراد هيبه　حسن خاطر

يعتمد بيع الآدمية المذكورة أوصافها أعلاه وحسب اقرار المذكور واشهد عليه المذكورين ولذلك صدقنا عليه

أمين بيت مال المسلمين

« الخضر محمد داود »

«٣» آدمية تسمى صافية مولدة صفراء اللون ، مربوعة ، مشلخة بلدى وفوق ذراعها فصود كاسر

بسم الله الرحمن الرحيم وبعد فمن عبدى ربهما على رمزى وخليل فهمى ان الآدمية الموصوفة بعاليه فهى ملكنا خالية الشبهة والغنيمة والآن أجرينا مبيعها الى عبد الحميد عبدالله بمبلغ ١٤٠ ريالا وقبضنا منه الثمن وسلمناه الآدمية يتصرف فيها كيف يشاء وحررنا له هذا منا بيده للاعتماد وعدم

المعارضة له فيها . . . بشهادة أحمد إدريس وسليمان حسان وعبد الله عبد الكريم والمالك عبد الباسط والسلام

في ٢ القعدة سنة ١٣١٠ | المقر بما فيه | المقر بما فيه
| | علي رمزي | خليل فهمي

العتق في السودان

كان يعامل عرب السودان الارقاء خير معاملة وكانت المرأة العربية ترضع أبناء خدمها ، وكذلك تفعل الجارية بابناء سيدتها ، فيقوم الابناء اخوانا بالرضاع ، وكثير من عرب السودان يتسرون فتيات من بنات مواليهم فيلدون منهن ، فيكون ذلك سبيلا الى عتق أقارب السرية التي تلد من مولاها واليك النص الشرعي في ذلك قال العلماء « العتق اما أن يكون اختياريا أو اضطراريا . فالاختياري أن يعتق عليه بلفظ أعتاق أو فروعه كتدبيره واستيلائه أو بشرائه ذا رحم محرم منه . والاضطراري بأن يرث ذا رحم محرم منه فيعتق عليه لان الارث اضطراري . وحيث أنه دخل في ملكه به عتق عليه لقوله عليه الصلاة والسلام « من ملك ذا رحم محرم منه عتق عليه وولاؤه له » وهذا برهان على أن تعاليم القرآن كانت كافلة لشروط الحرية وكان عدد العتقاء في السودان قبل اعلان الحرية يقدر بنحو ٤٠ في المائة على الاقل ولحسن معاملة العرب لارقائهم رفض بعض الارقاء الحرية بحجة انهم في حرية ما داموا في كنف أسيادهم لانهم يجدون من برهم وعطفهم ما لا يتيسر لهم ان كانوا بعيداً عنهم .

الحرية فى عهد الحرية

لما اشتدت وطأة الاسترقاق وقسى العالم بأسره فى معاملة الرقيق ، أذن الله بلطفه باخراج الأرقاء من أسر الرق والعبودية حيث قيض لذلك بعض ساسة الافرنج وكبار علمائهم الذين ألفوا جمعية فى مدينة بروكسل ، وكان الملك ادوارد هو الباصرة التى استهدت بضوئها تلك الجمعية اذ هو أول من من عنى بهذا الامر وأحاطه برعاية ويقظة كانتا الدعامة الاولى فى اقامة أساس هذه الحرية ، حيث طلب الى سمو اسماعيل باشا خديوى مصر فى سنة ١٨٦٩م الموافقة على انتداب السر صموئيل بيكر (١) السائح الانكليزى مكتشف بحيرة البرت نيانزا لمأمورية منع تجارة الرقيق بخط الاستواء ، فسار السير صموئيل بيكر من الخرطوم فى حملة تتألف من ثلاثة بلوكات من الجنود السودانية النظامية ، كما كان ضباطها سودانيون ايضاً وكان طبيب الحملة الدكتور سبنسر الجرمانى أصلا ، واليهودى مذهباً وقد سمى نفسه « أمين باشا » على الباخرة « اسماعيلية » وفى



السير صموئيل بيكر

٢٦ مايو سنة ١٨٧١ م رفع السير صموئيل بيكر العلم المصرى على مدينة كندكرو

(١) لصموئيل بيكر ذكر عظيم فى تاريخ السودان فقد انتدبه اسماعيل باشا لفتح خط الاستواء عام ١٨٦٩ وسافر لهذه المأمورية الشاقة ومعه زوجته لادى بيكر

فى عين النيل جنوب الخرطوم ، على بعد ١٧٣٠ كيلو متراً منها ، وهناك نشر نقطاً عسكرية من التوفيقية جنوب الخرطوم على بعد ٨٤٨ كيلو مترا منها الى الدرجة ٢ جنوباً ، ونظراً لتعذر وسائل النقل أحضر تسعة أفيال داجنة من الهند لحمل المؤن والاسلحة والذخائر والمهمات بين تلك النقط العسكرية ، وبدأ بيكر فى مقاومة تجارة الرقيق وشدد الرقابة على النخاسين ولكنه لم يفلح كثيراً فى مهمته لانه كان لرجال الكبانيات عصابات مسلحة غير ميسور اخضاعها بمثل تلك القوة التى قام بها بيكر باشا ، وما لبث أن استقال السير صموئيل بيكر وخلفه الكولونيل غوردون الذى جنح الى سياسة اللين والملاطفة ، وسالم رؤساء الكبانيات ، وهناك عرض عليهم أن يتنازلوا للحكومة عن مناطق نفوذهم نظير اعطائهم تعويضاً ماليا وجعلهم حكاما على تلك المناطق فيحكمونها باسم الحكومة مع منحهم رتبا عسكريه كل بحسب حاله ، فقبل أصحاب الكبانيات الذين كان منهم ادريس بك ابتر مدير بحر الغزال ، والقائمقام يوسف حسن الشلالى بك (باشا) مدير الرول والمكارك فى رومبيك وقناوى بك أبو عمورى وهناك غل يدهم بالقوانين والأوامر وأمكنه منع تجارة الرقيق بطريقة حاسمة . ولم تبق بعد سوى كبانية الزبير رحمت التى دامت الى سنة ١٢٩٠ هـ وبعد احتلاله (شكا) ضمت إلى الحكومة .

هذا ولقد عثرت أثناء ابحاثى فى دار الكتب المصرية على تقرير رسمى رفعه الكونت دوفرين ونشرته جريدة الوقائع المصرية بعددها ١٦٤٧ بتاريخ ١٤ رجب سنة ١٣٠٠ هـ الموافق ٢١ مايو سنة ١٨٨٣ م جاء فيه نص

الميثاق الرسمى المأخوذ على حكومة مصر وتعهدت بتنفيذه حسب منطوق الشروط الموضحة به . وهو . . يقول الكونت دوفرين « أنه عند الاشتغال بتنظيم مصر ، تعرض فى جملة المسائل المهمة المستلزمة للبحث ، مسألة تجارة الرقيق ، فهلا يمكن أتباع طريقة جديدة تؤدى إلى منع تلك التجارة بالمرة ومن المناسب فى هذا الأمر عما كان منه نتائج الميثاق فى ١٧ أغسطس سنة ١٨٧٧ وعن الحالة الحاضرة للاسترقاق وتجارة الرقيق فى هذه البلاد وهذه خلاصة الميثاق . —

(المادة الاولى) تتعهد الحكومة المصرية بمنع الرقيق فى مصر وتصديره من القطر المصرى

(المادة الثانية) كل من يتجر بالرقيق تعتبر جريمته جريمة سرقة وقتل ويحكم عليه فى مجلس حربى

(المادة الثالثة) تتعهد الحكومة المصرية بأن تعنى من بعض الوجوه فى أمر الأرقاء المضبوطين .

(المادة الرابعة) كل من اتجر بالاطفال أو عمل على ضبطهم تعتبر جريمته قتلا ويحكم عليه فى مجلس حربى .

(المادة الخامسة) تتعهد الحكومة المصرية باصدار أمر خصوصى مانع لتجارة الرقيق على وجه الاطلاق بعد أجل معين .

(المادة السادسة) هذه المادة تبيح للسفن الطرادة الانكليزية حق الكشف فى المياه المصرية ويشتمل على الاحكام التى يجرى اتباعها فى ما يتعلق بالسفن والارقاء المضبوطين .

(المادة السابعة) هذه المادة تحدد الأجل لتنفيذ أحكام هذا الميثاق

وعند استرجاع السودان فى سنة ١٨٩٨م ١٣١٦ﻫ وضع الحد النهائى الحاسم فى مسألة تجارة الرقيق وعينت لها مصلحة ذات جنود فى السودان غير نظاميين كانوا يطوفون البلاد على النوق ويضبطون الأرقاء الهربين ، وأخذت المديريات تعطى أوراق الحرية لكل من يتقدم لها من كل ذى ربقة فى عنقه ولم يبق منهم إلا من يأسره الاحسان ويمسكه البر على الاقامة مع مالكيه ، حتى أصبح يشعر شعوراً قويا بأنه عضو عامل مع أفراد العائلة الآخرين ، وقصارى القول فلقد تثقف كثير من أبناء الأرقاء سواء كانوا من المعتوقين بواسطة الحكومة أو من لم يزالوا مع ساداتهم البررة بهم وأصبحوا يداً عاملة فى الهيئة الاجتماعية السودانية ، ولم يعد من أثر لتلك الفروق وذهب ما كان يقال من أن هذا مالك وذاك مملوك ولاعجب فان .

الناس من جهة التمثيل أكفاء　　أبوهم آدم والأم حواء
فان يكن لهم فى أصلهم شرف　　يفاخرون به ، فالطين والماء ! !

الاغانى والشعر القومي في السودان

للغناء فى السودان نغمات شجية تأخذ بمجامع القلوب ، وفى الراديو اليوم نسمع فى مصر الأغانى السودانية ، ولكن قليل جداً من يفهمها الفهم الذى يؤدى إلى احلالها المحل اللائق بها . لم يكن الغناء وقفا على أمة دون أخرى ، بل هو من نصيب كل الأمم فان له ارتباطا يربطه بالنفس ، ولكل أمة نفسها وسمها وفؤادها وعواطفها ، والسودانى رقيق العاطفة ، مرهف الحس طروب بطبعه قد ينزل الغناء من قلبه منزلا طيبا ، ويصادف هوى فى نفسه فينسى نفسه وينسى العالم .

وقد اشتهر فى السودان شعراء قوميون ومغنون وطنيون تدهشك المعانى التى يطرقونها فهذا (الحردلو) الشاعر القومى الذى لازالت أغانيه يرددها الناس إلى اليوم وقد كان يجود بشعره من عقلية تفيض بيانا ومعنى أنظر كيف يخاطب الخليفة عبد الله يوم أخفقت المؤامرة المدبرة لاغتياله عام ١٣٠٩ .

انصارك تامين عبرت السكيل يشبهوا نبت الربى عن ركوب الخيل
كان ماجور زمان وناسا بصرها قايل شرك (أم قريدون[١]) كيفن يصيد الفيل

وهذا شاعر آخر يهزأ بالحياة المليئة بكل أنواع المتناقضات . حيث يرى الرجل الفاضل فى ضنك من العيش ، والاسافل يمرحون فى الحياة ، فيقول

انقلب الدهر كسر المرق بتمامه والصقر الكبير زعق وخاطفه حمامه

[١] أم قريدون نوع من بغاث الطير

التمساح غرق واحتاج له لى عوامه   أنا شفت الأسد جارى بتسكه نعامه

والمعنى وإن كان دارجا ، غير أنه يحمل بين طياته نفس الشاعر المتألمة من نظام الحياة ، وهو يمثل لعينيك صقر تخطفه حمامة وهو يستنجد فلا يجد من يغيثه ، ويمثل لك أيضا تمساحا غرق فى البحر وهو مبعث حياته ، فاحتاج إلى عوامة يسبح عليها لينجو من الغرق ، وليس ذلك فحسب بل أنه يمثل لك أسد يجرى وتعدو وراءه نعامة . يذكرنى هذا بقول الشاعر العربى .

وخنزير ينام على فراش   وذو أدب ينام على التراب

غير أن الأول أغزر معنى وأشد احساساً وأكثر عبوساً وتجهما .

ولو شئت أن أستعرض الشعراء القوميون وآتيك بكل ماقالوا من نفيس القول وبراعة المعنى ، لأعوزنى الكثير ، ولكنى أكتفى بأن أذكر أن من المجيدين الشاعر القومى الجليل الشيخ حامد البدوى(١) وفى هذه الايام حيث تلقحت الاذهان بالمدنية ، وتغذت الافهام بالمعانى الجديدة التى تدرجت مع تقدم الحياة فى السودان ، أوشك الأدب القومي السودانى أن يجلس فى صف الادب العربى ، وان اختلف عنه فى الرواية والانسجام ، وهذا الشاعر الوطنى الاديب سيدافندى عبدالعزيز يمتدح صاحب السيادة الحسيب النسيب السيدعبدالرحمن المهدى من قصيدة وطنية كبرى قال فيها :

يانور اليقين الماك برق خلاب   نصر الحق يحق والحق دوام غلاب

أبا الفلاح ، أبا العمال ، أبا الطلاب   أبا الاصلاح ، وبابك قبلة الطلاب

---

١) أنظر نوع شعره فى رثاء الزبير صفحة ١٢٥

وأنظر كيف يتغزل الشيخ ابراهيم العبادى حيث يقول

الجـــداول تجرى فوق خدودك دُرْ
والرشيمات بقن(١) بالمشيه خُضُرْ
يعمى عيني قبلك ما شفت بَدُرْ

أما المغنون فقد برع منهم بعض أبناء السودان وأصبح اسمهم كالطبل معروفا ، فهذا الصيدح الفرد عبدالله افندى الماحى ، وهو ظريف فى مظهره له من صوته العذب ما جعل شركة التقاط الاصوات فى مصر تعدو وراءه فتستعطفه ليملأ اسطواناتها ، وما أسفت لشيء أسفى لعدم امكانى الحصول على صورته لاثباتها هنا .



الحاج محمد احمد سرور

ثم الحاج محمد احمد سرور المغنى الذى لايجهله انسان ، فصوته ندى ، يخلب الالباب ، وله من تموجات أنغامه ورجع أغانيه ما يجلسه فى الصف الأول من المغنين فى السودان . حدثنى أستاذ جليل ممن رافقوا البعثة المصرية الى السودان قال . — (كانت حفلة النادى المصرى بالخرطوم للبعثة المصرية مثلاً من أمثال الحفاوة البالغة التى لقيناها فى السودان وقد قضيناها فى ليلة (من العمر) حيث غمرنا المطرب الحاج سرور

---

١) بقن أى صرن أو أصبحن

باغان سودانية كان لها أثرها فى نفوسنا وقد استلفت نظرى المعانى العزيزة الرائعة التى كان يحتويها غنائه ومنها قوله فى الغزل .

ضامر كحيل نعسان انسان رقيق وجموح
ساحر العيون بجمال فى سواك ما ملموح
ان كان تميس بتميس وان كان تنوح بتنوح
عدل الطبيعة جمل جور الحبيب مسموح

ومن أمراء التلحين والغناء فى السودان ، المرحوم خليل فرح الذى كان موظفاً فى مصلحة البريد السودانية وقد كان على رأس المجددين فى الاغانى السودانية . كان رحمه الله قوى المشاعر، له فى الغزل معان لاتخطر على بال غيره وكأنى أتخيله وهو يقول

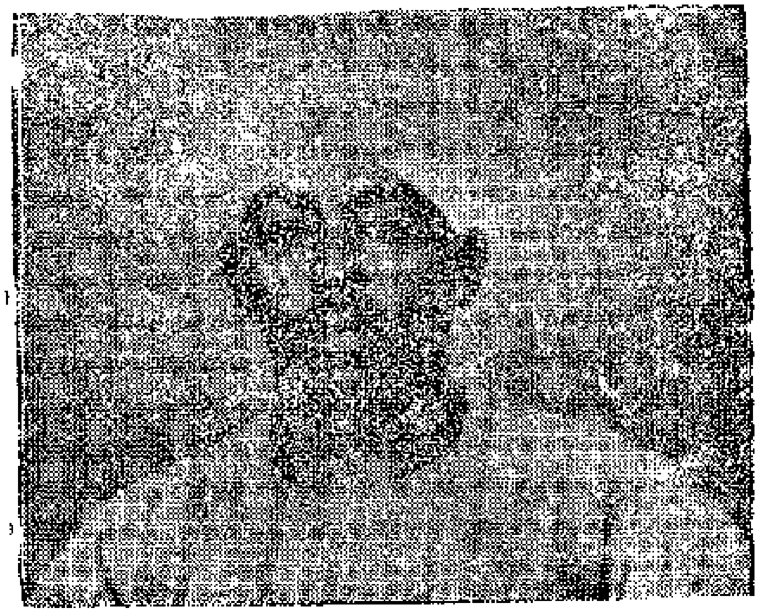


المرحوم خليل فرح

أنا فى بساتين الزهور
بين الترائب والنحور
أشرب معتقة الدهور ندامای عصافير السحور

أنشدت بالصوت الجهور ياشادى من كل البحور
تقول للغريب تكفيك شهور وطنك جنه والفيه[1] حور

ثم البلبل الغريد المالك على أعنة القلوب الاستاذ كرومه . الذى أصبح



البلبل الغريد كرومه

اسمه له خطره ، لايذكر الغناء فى السودان ولا تذكر رخامة الاصوات وتأثيرها على النفوس ، الا وذكر اسم كرومه ، فهو عين من عيون الغناء فى السودان وعمدة من عمده له اسطوانات أسمعها فى الراديو فاذكر السودان ومن فى السودان . يأخذنى الطرب فاكاد أطير على أجنحة الخيال حيا الله السودان وأهل السودان وسماء السودان وأرضه ونسيمه العليل .

(١) الفيه أى الذى فيه

وإذا اقتضى الحال أن نقفل هذا الفصل وجب أن لا ننسى ساحر القلوب الاستاذ الأمين برهان فهو مطرب الآداب والفنون .



له على القلوب سلطان . كسلطان الموسيقة . تثب النهى لسماعه كوثب النفوس لرنة الميدان ، ولا عجب فهو من أنصار التجديد . يعطيه صوته العذب الرخيم مكاناً لا ينازعه فيه سواه .

وقد نبغ من النساء السودانيات مغنيات كثيرات أولهن (فاطمه بنت خميس)



المطربة (فطمة بنت خميس)

ننشرها فقط ليرى الناس فى مصر صورتها كما يسمعون صوتها .

كتب الىّ صديق أديب من السودان ينهانى عن نشر صورتها مع ذكر الاسباب وإنى وإن كنت أقر رأيه من جهة ، فقد أخالفه من جهة أخرى ، وها أنا أنشر صورتها صامتة بغير تعليق باعتبارها مغنية سودانية تتمتع بصوت رخيم وكفى .

الادب العربي فى السودان

أعتقد انى أستطيع أن أكتب هذا الفصل بشىء من التوسع وذلك لسابق معرفتى بادباء السودان معرفة صحيحة . وهذا كتابى (شعراء السودان) الذى لايخلو منه منزل ولا مكتبة فى السودان يشهد لى بذلك .

الشعراء فى السودان كثيرون ولا يمكنك تفضيل هذا عن ذاك ، لأن لكل منهم لهجته وروحه ، غير أنه قد طرق فريق منهم بعض المعانى الحديثة الخلابة ، التى تدعو الى هذا التفاضل ولو إلى حد ما .

ولاشك أن السودان عريق فى الأدب ، له من شيوخه الاجلاء والشعراء الفطاحل أمثال التقى الصالح الشيخ فرح تكتوك الذى توفى عام ١٠١٧ هجرية (أى منذ قرنين) خير برهان على ذلك فهو القائل .

يا واقفاً عند أبواب السلاطين ... إرفق بنفسك من هم وتحزين
ان كنت تطلب عزاً لافناء له ... فلا تقف عند أبواب السلاطين
استغن بالله عن دنيا الملوك كما اسـ ... ـتغنى الملوك بدنياهم عن الدين
واعلم بأن الذى ترجو شفاعته ... من البرية ، مسكين ابن مسكين

وهذا الشاعر الكبير الذى برز فى ضروب الشعر ، الشيخ حسين الزهراء الذى توفى عام ١٨٩٥ (أى قبل خمسين عاما تقريبا) وقصائده لازالت يتغنى بها أهل السودان ، ولو لم يكن له سوى قصيدته الخالدة التى مطلعها : —

برح الخفا ما الحق فيه خفاء وتوالت الآيات والانباء



الشيخ محمد عمر البنا الشاعر الكبير

لكفاه فخراً ، ثم يأتى بعده شيوخ السودان الاجلاء وشعرائه البلغاء الشيخ اسماعيل عبد القادر المفتى الكردفانى والشيخ عمر الأزهرى ثم شيخ الأدباء وريحانة الجلساء المرحوم الشيخ محمد عمر البنا الذى استخلصه المهدى واصطفاه الخليفة وأحلته الحكومة الحالية المحل اللائق بعلمه وأدبه وهو القائل .

أحارب مذموم الخلال ولا أرى سوى الله رباً منه أرجو وأطلب
وأرغب فى إحياء كل فضيلة وأما عن الخلق الدنىء فأرغب
وتوحشني النعماء فى طرق الخنا ولكن الى البأساء فى العز أطرب

ولقد تغنى بقصيدته التائية جميع أهل السودان ، وهى القصيدة الخالدة التى يقول فى مطلعها .

الحرب صبر واللقاء ثبات والموت فى شأن الاله حياة
الجبن عار والشجاعة هيبة للمرء ما اقترنت بها العزمات

وهى فصل من فصول الشجاعة والفخر ، ودرس بليغ من دروس الحياة فما أروع قوله .

والعمر فى الدنيا له أجل متى   يقضى فليس تزيده خشيات
إن الجهاد فضيلة مرضية   شهدت بحكم أجرها الآيات

وانظر كيف يحبب لك ساحة الحرب ويدفعك للاستقتال فى سبيل الله إذ يقول : —

والفخر كل الفخر بيع النفس للـــــه العلىّ وأجرها الجنات

وما أروع وصفه ميدان القتال والشجعان على ظهور الخيل فى ساحة الوغى فى قوله : —

والخيل ترقص بالكماة كأنها   تختال فى ميدانها فتيات
والارض سالت بالدماء وما به   غير الجماجم والشعور نبات

ولقد طرق الشيخ البنا ضروب الشعر فى كثير من المواضع ، فكان مبرزاً فى كل ما قال ، فما أبدع ماقال متغزلا

ما بال طرفى للدموع سكوب   شوقاً وقلبى للملاح طروب
أنا فى هوى الغيد الحسان معذب   وسواى ينعم باله ويطيب
متواصل الاحزان ألجأ للبكا   سهر الجفون كأننى يعقوب

تسمع هذا الغزل فتحسب صاحبه مستهتراً فى حب الحسان ، وبينما أنت تفكر فى ذلك ، إذا به يقطع عليك تفكيرك إذ تسمعه يقول

متعفف عن فعل كل دنيئة   ما رابنى فى عشقهن مريب

هذا هو أديب السودان الكبير ، الشيخ محمد عمر البنا الذى يعتبر بحق، عنوان الأدب وشيخ الأدباء .

الشيخ أبو القاسم هاشم . وبينما أكتب هذا الفصل إذا بى أتخيل الاستاذ الجليل المرحوم الشيخ أبو القاسم هاشم وهو يمتدح النبى صلى الله عليه وسلم فيقول.

ما نازعتك الفخر سادة معشر	إلا وأنت على الفخار الاغلب
المدح فيك وان علت أوزانه	حسناً ونمقه الاديب الانجب
لا يبلغ المشار من أوصافكم	انى له ، والشأن أعظم أهيب

وبينما أنت تسمع هذه المدحة المحمدية البديعة ينتقل بك الخيال الى غزله الرقيق فتسمعه ينشد فيقول : —

بسمت عن در ثغر مستبين	منع البدر ضياه ان يبين
وبدت للورد فى خد نضـــير	فراح الورد مصفر الجبين

ولا تقف عند هذا الغزل الرقيق إلا وأنت تسمع الاستاذ يفخر بقوله

وسائل الناس عنا اننا نجب	لنا التقى وسوانا اللهو واللعب
وفى المحامد لا يرجى لنا بدل	وما تعدى حمانا الظرف والادب

أليس هذا من أبدع ماقيل ؟؟

الشيخ الطيب احمد هاشم . ثم دعنى أحدثك عن أخيه الشاعر المبدع المرحوم الشيخ الطيب احمد هاشم فهو شيخ الورع والتقوى فاسمع ماذا يقول.

ان سار غيرى للهوان وللهوى	فالى العلى والمكرمات أسير
أو سامر الناس الحسان جهالة	فسميرى القرآن والتفسير

وهو أديب ينم عن علم غزير ، وتقى يفخر به السودان .

الشيخ محمد الامين القرشي

شيخ من شيوخ البيان فى السودان ، وقاض من قضاته الشرعيين الافاضل . شاعر فحل يتفجر الادب والعلم من صدره ، كما يتفجر الماء الزلال من مصب الماء . وهو من الذين ينظرون للروابط المصرية السودانية بعين الارتياح والاجلال وفى ذلك يقول : —

يا مصر أنا كقول الله اخوان ... أليس يجمعنا دين وقرآن ؟
والنيل ينتظم القطرين تحسبه ... سلكاً أحاط به در ومرجان

وله قصائد شتى كلها من نوع ممتاز تأخذ بمجامع القلوب ، فانظر كيف يتفجع على فتية احترقوا فى دار السينما بموتريال حيث قال : —

خرجوا للهو النفس الا أنهم ... لم يعودوا لقصور وشرف
بسم الدهر لهم فابتسموا ... وتفانوا فى نعيم وترف
أغرقوا فى الانس لكن أحرقوا ... كاحتراق الدر فى جوف الصدف

الشيخ محمد سعيد العباسى

ومن شعراء الطبقة الاولى الشيخ محمد سعيد العباسى الشاعر الكبير فهو من أسمى الشعراء خيالاً وأعلاهم نفساً ، وهو على كثرة نظمه ، لا تجد شعره إلا ممتازاً لا تلتصق به كلمة دخيلة ولا يدنو منه اسلوب العامة . وهو من الشعراء الذين يتبرمون بالحياة تجد على شعره مسحة الحزن والشكوى فاسمع ماذا يقول : —

أرقت من طول ليل بات يعروني ... يثير من لاعج الذكرى ويشجوني

منيت نفسي آمالا يماطلني بها زماني من حين الى حين

ومنها قوله :

وقد سلا القلب عن سلمى وجارتها وربما كنت أدعوه فيعصيني

له فى كل ضروب الشعر القدح المعلى والصوت الاول فاسمعه كيف يرثى والده الاستاذ محمد شريف فيقول .

حيِّ الديار وسلها كيف أرداها ريب الزمان بسهم ما تخطاها

أما ترى عاديات الدهر قد قلبت ظهر المجن وأبدت سوء مسعاها

وكان عهدى بها تسطو على مهل واليوم صالت بيمناها ويسراها

الشيخ عبد الله محمد عمر البنا

وإذا ذكرنا شعراء الطبقة الأولى ففى الصدر منهم ترى اسم الشيخ عبد الله محمد عمر البنا صاحب القصائد الرنانة البليغة . وهو شاعر عصرى الاسلوب ، يلعب بالمقول بيانه ويستهوى الالباب . إذا كتب راضياً وافاك بالسحر الحلال ، وان كتب غاضباً قطر قلمه السم الزعاف . شخصية مرحة بسامة جواد القريحة كثير المحفوظ . اذا رثى خلت أبا تمام يندب بنى حميد ، وإذا مدح حسده أبو عباده على ما وفق . وها هو يرثى والده المغفور له الشيخ محمد عمر البنا فيقول .



الشيخ عبد الله محمد عمر البنا

عين الكمال لهول يومك تذرف ... والمجد يرعد والشريعة ترجف

دهم الزمان بك الزمان ففاته الـ ... مجد التليد وفاته المتطرف

إلى أن قال : —

قد كنت تؤثر أن تقول الصدق لا ... تبغي به بدلا ولا تتخوف

في موقف فيه الخليفة[1] غاضب ... والبيض ترجف والعوامل ترعف

إلي أن قال : —

فجعت شريعة احمد بمحمد ... فالدهر أكدر للوجيعة أكلف

فقد الكتاب سميره وبكى التقى ... وافتر من شوق اليه الموقف

والشيخ البنا قصائد في الاجتماع لها مكانتها فها هو يذرف دمعة سخينة على اللغة العربية فيقول : —

منابت العز حيا الله ذكراك ... ما كان أثراك من مجد وأسراك

أيام ذكراك ريحان النفوس وفي ... منازل العز والاجلال مسراك

أيام أدراك ما أحرزت من شرف ... لم يبد للغرب في ظن وادراك

الشيخ عبد الله عبد الرحمن

ومن يجاريه في هذا المضمار ؟ ؟ فهو حفيد العارف بربه الشيخ الأمين محمد الضرير الشاعر الكبير وشيخ علماء السودان سابقا .

امتاز بمتانة القافية وروعة المعنى ولا عجب فللاستاذ قدم ثابت في آداب اللغة العربية ، وهو مؤلف كتاب (العربية في السودان) له في المدائح النبوية المحل الاول والقدح المعلى فاذا وافت ليلة الميلاد كان أول المنشدين

(١) كان والده مستشارا للخليفة عبدالله الذى اشتهر أن لا يعترضه معترض في ساعة غضبه وهذا منتهى المدح

ولست أنسى يوم ألقى قصيدته فى حفلة المولد النبوىّ الشريف عام ١٣٤١ فحرك أوتار القلوب حيث قال : —

أدرها بعد نومات العشىّ　　كميت اللون كالخد الوضىّ
مشعشعة بماء المزن رقت　　كما رقت خلائق أريحىّ
حواليها نواعم آنسات　　نواعس ذات لحظ بابلىّ

وما تسمع هذا النشيد المطرب الا تنتظر حولك لترى هذه الأوانس ثم تتطلع ليقع بصرك على الكؤوس والرياحين التى يصفها بقوله : —

رياحينا تحيي كل وجه　　ووردا نمّ عن عرف شذىّ

إلا ويفاجئك حيث تدرك أنك فى حفل التقى والورع إذ يقول : —

إذا ما ليلة الميلاد وافت　　رفعت لها العمار لكى أحيي
وما احتفلت مشارقها بعيد　　كما احتفلت بميلاد النبىّ

هذا هو البيان الصحيح وان من البيان لسحراً .

الشيخ مدثر البوشي



الشيخ مدثر البوشى

هو أحد القضاة الشرعيين فى السودان وهو شخصية بارزة ومن المشتغلين بالحركة الادبية وشاعر من الشعراء المعدودين ، مازجت الشاعرية وهى سجية فيه ، نفساً عزيزة حساسة وقلباً طاهراً نقياً فاذا خلا لنفسه أرسل الشعر عفو الخاطر دون اجهاد أو اعنات ، وهو من الوطنية بمكان فاسمع ماذا يقول : —

حياتىَ وقف يا بلادى وإنما وقفت حياتى حيث كنت حياتى
وهبتك آمالى وصفوة خاطرى وهبتك مجهودى وهبتك ذاتي

وله فى الاجتماع أيضا اراء قيمة ، وها هو يحبذ تعليم البنت فى قصيدة كبرى فيقول : —

ومن يبتغى اسداء أمته يداً فبابنته يسمو إلى ذروة المجد
ومن لم يعانى من زراعة أرضه تعهدها بالرى يحرم من الحصد

وما أبدع قوله : —

أراك تروم كيدى يا زمانى وقلبى عنك لاهٍ بالامانى
فما تنفك توسعنى كلوماً ولا انفك أدأب غير وانى

الشيخ احمد المرضى

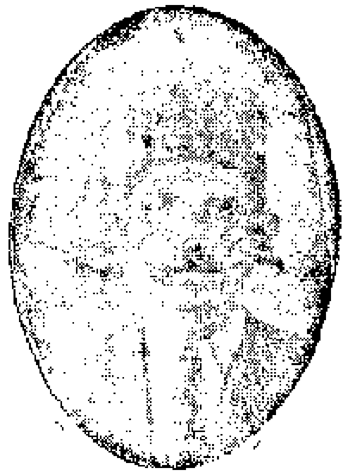
شاعر راسخ القدم . كبير المطامع وهو أحد قضاة السودان الاجلاء الذين تقاعدوا على المعاش قبل سن الكهولة . قليل المنظوم متينه شأن المقلين . وهو صديق عزيز وكريم نبيل . فذ فى صفاته وأخلاقه . طلق المحيا دائم الابتسام . قال يرثى والده من قصيدة كبرى : —

أبى ما أبى فى الجود لله دره طليقا إذا ما أقبل الوفد عافيا
ولم يثنه عن خلة الجود أزمة وما حاتم الا له كان ثانيا

الله أكبر .

عثمان افندى محمد هاشم هو أحد أقمار البيان فى السودان وجوهرة

لامعة فى تاج الأدب العربى هناك ، لطيف التخيل ، مستعذب اللفظ ، انفرد بالسلاسة وحسن السبك ، انجبه بيت دين ، وعلم وأدب ، ولا عجب فهو فرع من الدوحة الهاشمية التي يفخر السودان بشيوخها التقاة الأعلام . اضطرته الظروف السياسية أن يغادر السودان ، فعاش فى مصر ردحاً من الزمن وتوظف بالرى المصرى لكنه كان إذا خلا لنفسه ذكر السودان وتغنى به وحن اليه فيبكى ويبكيك معه إذ يقول : —



عثمان محمد هاشم

قلب ثوى بين الجوانح حانى ... تهتاجه الذكرى إلى الاوطان

يهوى الشمال لاجلكم فاذا بدت ... ريح الجنوب يحن للسودان

وطنى ذكرت به الطفولة والصبى ... اختال بين عناية وحنان

ثم ما فتىء أن ذكر مواقفه المشرفة فى السودان ، وها هو يذكرها متحمسا ويذكر الذين شاركوه فى موقفه حيث يقول : —

طلبوا من الموت الحياة وأيقنوا ... أن الردى والذل فى الاذعان

ما مات من طلب الحياة وان هوى ... مستشهداً فى ساحة الميدان

صالح افندى عبد القادر

تسمع شعره فتحسبه حاملا بندقيته ليحارب أعداء الامة . لا ترى له قصيداً إلا وفيه من هذا النوع الاثر البارز . لا يعرف المدح ولا الغزل

فهو شاعر من نوع خاص أوقف شعره لتقريع الذين يلبسون مسوح الراهب وهم غير ذلك . ماسمعت له قصيداً الا وسمعته يندب ما آلت اليه البلاد من التأخر فاسمع كيف يخاطب أمته ومواطنيه : —

يابنى قومى أفيقوا انكم ما خلقتم لتعيشوا غنما
ليتنى أعرف ما أخركم سادة كنتم فصرتم خدما

ولقد قرأت له قصيدة من هذا النوع بدأها بغزليه مدهشة قال فيها :

ماذا رأت عيناك هذى لمتى سوداء وهى هوى العيون السود
وأنا ابن وادى النيل لو فتشتنى تجدين فى بردىّ بأس أسود
تجدين مجموع الفضيلة والنهى تجدين حلم البيض جهل السود
ويروقنى ورد الخدود ولفتة الـــــرئم المهفهف وابتسام الغيد
ويلذ لى حلو الحديث وطيبه وسماع شادية ونغمة عود
يا أخت شيرين اضربى لى موعداً ثم انقضيه بطبعك المعهود
قصرت ايامى وقد صيرتها يومين يوم قلى ويوم صدود
وبخلت حتى بالزيارة فى الكرى هلا سمحت بطيفك المنشود
تجدين اخراج الزكاة جريمة هو ذاك شرع الاهيف الاملود

وهكذا من هذا السهل الممتنع .

عبد الرحمن افندى شوقى

يقول الاستاذ الجليل محمد عبد الرحيم أن شعر شوقى يقرأ لك نفسه

حتى لكأن صوتا جهيراً ينبعث به فى مسالك الحس المرهف ، نعم هذا هو

الحق ولا حق غيره ، فالاستاذ عبدالرحمن شوقي واحد من الذين يهزون أوتار القلوب بشعرهم الرقيق ، فهو بلاريب شاعر يعرف كيف يستملك على عواطفك وأنت تسمعه ، حتى تتمنى أن لاينتهى من الانشاد . وهو من الذين ينظرون إلى الحياة بعين كلها



عبد الرحمن شوقي الشاعر

حزن فيرى الناس فى هذا الزمان غيرهم فى الماضى ، لذلك فهو دائم البكاء على اطلال القدماء وفى ذلك يقول :

زمان تولى كان فيه جدودنا ليوثاً يقودون الخميس العرمرما

إذا ابتسموا ، فالخلد فى بسماتهم وان عبسوا، فالكون صار جهنما

وان عصروا عود الزمان أطاعهم ولان لهم عاصيه حتى تقوما

حتى إذا سألته مالك ياهذا والبكاء وما الذى دفعك اليه أجابك : —

لقد غاب أهل المجد عن كل منزل وأصبح مجد العرب نهباً مقسماً

وأصبح من كانوا حماة لغيرهم عبيداً يرون العيش فى الذل مغنماً

توفيق افندي احمد البكري

هو أحد شباب السودان المثقف . نزح عن السودان من وقت غير قريب . وهو وان عاش في مصر ، فلا زال يعتمد رأسه بين يديه ليفكر في السودان وأهل السودان . شاعر كبير له آمال واسعة ، يسعى الى تحقيقها من طريق النبل والاجتهاد ، ومهما نال من أمل فلا زال يتطلع الى أسمى منه شأن النفوس العالية التي لا ترضى الركود . ولعله يسعى الى أمل بعيد المرمى وهو سر دفين في نفسه ينم عليه قوله :



توفيق احمد البكري

لئن عشت حققت الذي قد رجوته ... بعزم أبيّ يأنف الذل جانبه

وان حان حيني دون ما قد عشقته ... فرب كريم لم تتم رغائبه

ويا وطني لازلت أول غاية ... يقدسها قلب جسام مآربه

محمود افندي أنيس

عرفته قبل ربع قرن تقريباً . نعم عرفته فعرفت فيه تولهه في الأدب ،

تراه وهو صامت فتدرك أن وراء هذا الصمت رأس مفكر ، وفؤاد يخفق ،



الشاعر محمود أنيس

واحساس مرهف ، وشعور فياض ، هو شاعر ملهم يستلهم المعانى من فيض نفسه التواقة إلى العلا . ومن فيض عاطفته . له قصائد تعتبر فى المكان الأول من الشعر تجلسه فى صف الأول من الشعراء . رزين فى نفسه . لا غبار على تصرفاته . لذلك فهو يشن الغارة على الشباب العابث فى قوله : —

شباب هائم لا يستفيق — له فى كل قارعة نقيق
غرور جامح وعريض دعوى — وأحلام إلى البلوى تسوق
مجالس لو شهدت بها حديثا — لعدت وأنت بالدنيا تضيق
معائب كل يوم فى ازدياد — بجل الخطب واتسعت خروق

ولولا خوف التطويل لنقلت القصيدة كلها فكل بيت ينافس الآخر فى الاجادة والروعة .

يوسف افندى مصطفى التنى

شاعر كبير . زف شعر شبابه ، وشباب شعره فى كتيب سماه

(الصدى الأول) يبشر بمستقبل عظيم . تقرأ هذا الكتاب الصغير فتدرك أن لصاحبه شأناً في الحياة الاجتماعية . تتأمل المواضيع التي يطرقها، والطريقة التي ينظم بها، فتدلك على مقدار نبوغه . فقصائدة في (الانسانية) (وفي انتصار الشباب) (وفي الشرق جنة الله) تقرأها قبل ان تعرف ناظمها فلا تتردد ان تحكم انها ليوسف . وإذا قرأت شعره في الوطنية ادركك الحنين والاشفاق خوفاً عليه ، لأنك تخيل روحه



يوسف مصطفى التني الشاعر

تتسرب في مدامعه وهو ينوح على وطنه فبالله اسمع : —

وطني شقيت بشيبه وشبابه — زمن سقاك السم من أكوابه
قد اسلموك إلى الخراب ضحية — واليوم قد طربوا الصوت غرابه
وطني تنازعه التحزب والهوى — هذا يكيد له وذاك طغى به
ولقد يعاني من جفا أبنائه — فوق الذي عاناه من اغرابه

هذا هو الشعر وإلا فلا

عبد الله أفندي حسن كردي

عين من عيون الشعر العربي في السودان . سليم الذوق ، طويل النفس ، مكثر ، مجيد ، فخور بشعره إلى أبعد حد . مانظم قصيداً الا ساقه وجدانه

إلى ذلك ولعل شعوره بالأجادة والتفوق هو الذى يدفعه إلى الفخر ، وفى هذا يقول : —

سأترك للورى ان مت شعراً　　يخلدنى ويكبت من تغابى
فتنشده الرواة بكل قطر　　ويقرأه الذى عرف الصوابا
به ماء وخمر ثم زهر　　عليه القطر قد نظم الحبابا
وروض من نبات الفكر غض　　وأمثال غدت عجباً عجابا

ولا ضير على الكردى من ذلك فقد سبقه إلى ذلك فحول الشعراء فتفاخروا بالبيان والفضل وفى ذلك يقول الكردى أيضا : —

لو حدث الأعمى بفضلى فى الورى　　لاقر أنى بعده مهيار
كم لى عروس فى البيان ولدتها　　عذراء ما جادت بها الافكار

وهذا صحيح لا ريب فيه

حسين افندى منصور

حدثنى صديق قال : — لو كان هذا الشاعر فى بلد غير السودان لنال من التقدير والاجلال مايستحق. قلت وكيف ذلك ؟ قال نعم فهو يسير على منهج غير الذى يسير عليه الشعراء ، وكل مايعرفه أن يقول الحق ولو على نفسه ، بينما يقول سواه أن أعذب الشعر أكذبه . سمى فاخفق ، وجد فما وجد ، فنقم على الحياة وهاهو يتبرم بها ويثور عليها فى قوله : —


الشاعر حسين افندى منصور

ان بين الضلوع قلباً طريداً عاثر الجد لم يقل من عثاره
ويحه لم يجد مبادل حب أو صديقاً يصون من أسراره
هام شرقاً وهام غرباً كئيباً يستميح الحنان فى اطاره

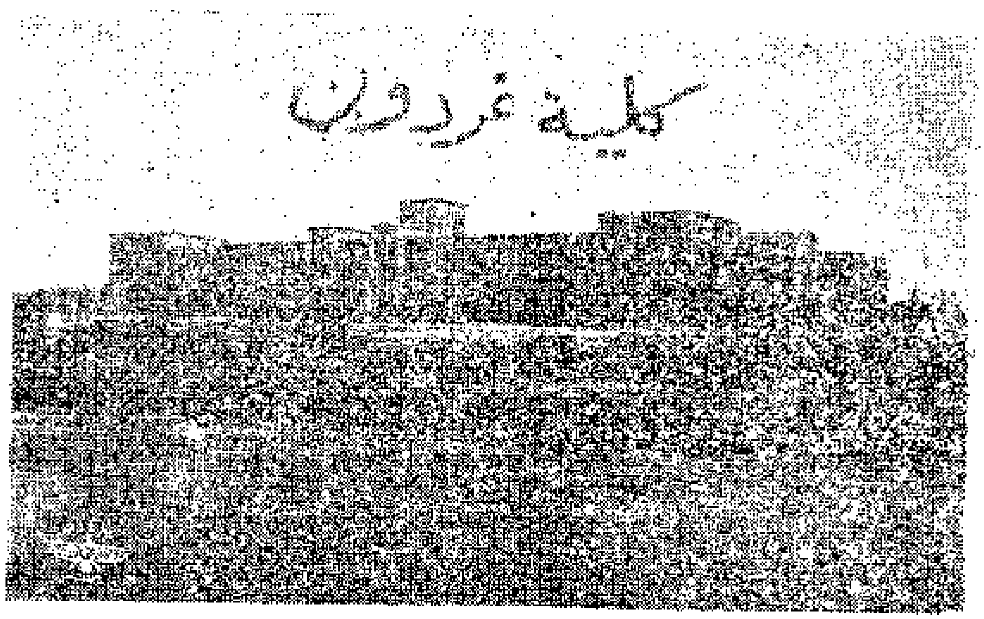
ولا أحسب حسيناً قد نظم فى غير هذا المعنى ، ففيه الكفاية لارضاء غضبه المتتابع . ولست أشك أنه إذا انصرف إلى النظم فى شتى ضروبه لبذ سواه وطفر الى المرتبة الاولى من شعراء السودان ، فهو من أبرز شعراء الشباب بالرغم عن قلة نظمه ، فلا ينظم الا مدفوعا بعواطفه ، لذلك فان شعره شعر العواطف والالهام . مرهف الاحساس يعبر عن كوامن نفسه تعبيراً دقيقاً . وهو موظف فى قوة دفاع السودان يبرح مكتبه مهرولا الى مكتبته كأن بينهما ميعاداً يخشى أن يفلت منه ، وهو من خيرة شباب السودان أدبا وعلما وخلقا . وهذا نوع من شعره متغزلا :

نشوة الخمر فيك خمر المعانى لاعصير الكروم بين دنانه
كل عضو أراه فيه بليغاً أفرغ الحسن فيه سحر بيانه
تقطف العين من محياك زهراً زاهى اللون فهى قيد جنانه
يبهر الطرف معصم لك بض سال لولا السوار من اردانه
أيها النافر المعذب قلبى ان هذا العذاب دون امتحانه

أليس هذا هو الشعر الذى يرفع بصاحبه الى أسمى المراتب بين الشعراء ؟

المدارس والتعليم
فى السودان

كان التعليم فى السودان الى ماقبل ثلاثين سنة خلت ، قاصراً على كلية غوردون وبعض المدارس الابتدائية والكتاتيب . وكلية غوردون هى التى



افتتحها اللورد كتشنر عام ١٩٠٢ وتخرج منها معظم أبناء السودان النجباء :

أما اليوم فالسودان تزخر بالكليات والجامعات التى يتخرج منها القضاة ، والمهندسون ، والاطباء ، فهذه كلية كتشنر الطبية ، لا تصل محطة الخرطوم إلا ويقع نظرك عليها ، ففيها من العظمة وحسن النظام ، ما يأخذ بلبك ويسترعى نظرك ، وهى ذكرى لاسم كتشنر فاتح السودان تخلده الى العصور المقبلة وليس ذلك فحسب ، فهناك كليات الهندسة ،

والزراعة ، والحقوق والآداب ، والتجارة والاقتصاد ولم يقف السودان



عند هذا الحد بل تدرج الى تعليم البنات أيضا ، ففى كل مديرية ، وفى كل مركز ، أقيمت مدارس للبنات ، والسودانيون شديدو الرغبة فى ارسال



بناتهم للمدارس اسوة بالناس فى مصر . وفى شهر يناير الماضى فتحت مدرسة بنات فى دارفور وهى أول مدرسة من نوعها فى ذلك الاقليم المترامى الاطراف ، وقد تقدم للالتحاق بها ٥٠ فتاة وهو دليل قاطع ان السودان يسير إلى الرقى بخطوات واسعة. وإنا لنذكر بالفخر بعض الذين ساهموا فى ثقافة أبناء السودان وعلى رأسهم الاستاذ الجليل احمد هدايت بك ، وهو علم من أعلام مصر الظاهرة

فى السودان ، واستاذ من أساتذتها الاثبات . هو أول ناظر مصرى لكلية غوردون بعد استرجاع السودان . كان المستر جمس كرى مدير المعارف يستأنس برأيه فى كل كبيرة وصغيرة ، وقد غادر السودان قبل خمسة وعشرين عاما أو يزيد ، ولازال اسمه فى كلية غوردون يذكر كلما ذكر العلم والمتعلمون

ثم لاننسى أن نذكر الاستاذ الجليل مصطفى السيد عيسى الذى كان ناظراً لكلية غوردون ، وهو من الاساتذة المصريين الذين يحفظ لهم السودان أجمل الذكرى ، ولا عجب ، فقد كان المثل الاعلى للمربى القدير والمعلم النابغ ، ولازال موظفو حكومة السودان الوطنيون الذين هم غرس يديه ، يذكرونه بالثناء والحمد ، ويلهجون بمكارم أخلاقه وعطفه عليهم . وهو اليوم مفتشا بوزارة المعارف المصرية ، وليس



الاستاذ مصطفى السيد عيسى

للمصريين وحدهم يرجع الفضل فى ثقافة أبناء السودان ، فقد نبغ من نفس الوطنيين مدرسون ، ومفتشون فى وزارة المعارف ، لا يفوتنا ذكر فضلهم أمثال الاستاذ الجليل الشيخ بابكر بدرى الذى قضى حياته مدرساً فى

مدارس السودان إلى أن ارتقى الى درجة مفتش بها ، وهو أول وطني أرسل بناته إلى المدارس ؛ فاقتدى به أهل البلاد وحذوا حذوه . وهو شيخ من شيوخ السودان الذين حاربوا فى حروبه، حتى أخذ أسيرا فى واقعة طوشكى بعد أن انضم الى جيش (ود النجومى) . ثم واقعة كررى عام ١٨٩٨! . وبعد سقوط الخرطوم وقع اختيار الحكومة عليه


الشيخ بابكر بدرى

ليكون ناظراً لمدرسة رفاعة، فظل يحوطها بمقدرته وعطفه سبعة عشر عاما إلى أن عين مفتشاً بالمعارف عام ١٩١٩ .

وكأن الشيخ بابكر بدرى خلق ليكون مربياً ، وأنه لا يستطيع العيش إلا فى بيئة العلم ، فقد أنشأ بعد احالته على المعاش مدرسة أهلية بام درمان ، وهي « مدرسة الاحفاد » وهو اليوم فى الثمانين من عمره يعمل بهمة الشباب فى رعاية مدرسته ورعاية نشأتها.

ثم الاستاذ الجليل الشيخ عمر اسحق الذى نشأ فى أحضان كلية غوردون ثم ظل يعمل بحدوه الاخلاص والرغبة الصحيحة فى تربية النشأة الى أن

عين مفتشاً فى معارف السودان ثم رئيساً لمفتشي اللغة العربية بالمعارف السودانية . وهو على جانب عظيم من العلم له مؤلفات عربية عديدة منها كتب التحفة السودانية التي تدرس بالمدارس الأولية التابعة لحكومة السودان ، وظل هكذا يقوم بواجبه نحو ربه وبلاده إلى أن أحيل أخيراً على المعاش فخسرت الحكومة بتقاعده استاذا من اساتذتها الأجلاء .


الأستاذ الشيخ عمر اسحق

وفى معارف السودان اليوم نخبة من أبناء البلاد الذين يقومون بتربية النشء ولست أنسى أن أذكر استاذنا الجليل عبد الكريم أفندى محمد ناظر كلية غوردون ومفتش مصلحة المعارف السودانية . فهو ممن برهنوا على مقدرة عظيمة و كفاءة منقطعة النظير . يدين له بالفضل كثير من أبناء السودان الذين تخرجوا على يديه فنال بذلك الثناء من البلاد وأبنائها .


محمد افندى عبد الكريم

ولست أستطيع أن أقفل هذا الباب قبل أن أترحم على الاستاذ الجليل

عبد المجيد بك ابراهيم ناظر كلية غردون سابقا الذى كان مثلا من أمثال العظمة المصرية بشهامته وعلو مكانته .

ولا ينسى السودان المدرسون المصريون الذين استبعدتهم السياسة بعد حوادث سنة ١٩٢٤

نذكر منهم الاستاذ سيحة افندى بشاره — احمد افندى كامل العياط محمد افندى البوصيرى — احمد افندى لطفى عوض الله — محمد افندى حشمت وجميعهم موظفون بوزارة المعارف المصرية اليوم :

ومن الذين لا ينساهم طلبة كلية غردون الاستاذ الجليل والشاعر الفحل المغفور له الشيخ عبدالرؤوف سلام الذى كان مدرسا لآداب اللغة العربية فى الكلية ، والذى تخرج على يديه معظم أبناء السودان الشعراء

ثم الشاعر الكبير الاستاذ فؤاد الخطيب (باشا الآن) مستشار المملكة العربية وهو أحد الذين غرسوا حب الادب والشعر فى نفوس تلاميذ الكلية وربى فيهم الشغف بهما والميل لدراستهما .

الصحافة والطباعة

في السودان

السودان لازال فتى، ولا زالت الصحافة فيه فتية تتدرج مع الأيام، ومع ذلك فقد نهضت نهضة عظيمة إذا هي قيست بعمرها ونشأتها. فقبل



فارس نمر باشا

سنة ١٩٠٣ لم يكن هناك أي صحيفة سيارة سوى صحيفة الحكومة (الغازيتة السودانية) التي صدر أول عدد منها يحمل اتفاقية سنة ١٨٩٩.

وفي ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٠٣ منحت حكومة السودان الدكتور فارس نمر باشا وهو أحد أصحاب المقتطف امتياز بنشر أول صحيفة سماها السودان. وكانت تصدر مرتين في الاسبوع. وقد قام بالتحرير فيها نخبة من اخواننا السوريون النوابغ أمثال الاستاذ الكبير اسكندر مكاريوس

صاحب اللطائف المصورة اليوم ، والاستاذ الجليل خليل بك ثابت. والاستاذ
. كاريوس معروف بانه صحافى بارع ، لايكل ولا يمل ، يعرف كيف
يستجلب رضاء قرائه بأسلوبه الرائع البديع ، أما خليل بك ثابت فهو شيخ



خليل بك ثابت

من شيوخ الصحافة الاثبات الذين عركوا الدهر وذاقوا حلوه ومره ، وهو رئيس تحرير المقطم اليوم . أقام فى السودان زمنا ليس بالقليل ولقد أثارت ذكرياته فى السودان التى نشرها فى المقطم الشهر الماضى شجون جميع الذين عرفوه وعرفوا السودان ، ولا عجب فقد كانت ذكريات بديعة ، فكيف إذا صاغها قلم أستاذ جليل وعالم كبير كالاستاذ خليل بك ؟ ظلت جريدة السودان تصدر بانتظام الى عام ١٩٢٥ حيث انتهى عهدها وكانت حكومة السودان تمنحها اعانة ومع صغر حجمها فقد كانت ظريفة مملوءة علماً وأدباً

ومن الجرائد التى ولدت ثم ما لبثت أن ماتت الخرطوم وكشكول المساح وصاحبهما اسعد يسى المساح الذى سافر الى الخرطوم مكاتباً لاحدى الجرائد المصرية فوجد الجو خاليا . فأنشأ الأولى وما لبثت أن ماتت ، ثم أنشأ الثانية ، فلحقت باختها . لم يكن اسعد يسى رجلا صحافيا بل خلق ليكون ماديا شتاما وهذا هو السبب الأول فى موت جريدتيه فى مهدهما

ثم جريدة « رائد السودان » وهى الجريدة الأدبية التى ملأها رئيس تحريرها صديقنا الشاعر الأديب الاستاذ عبد الرحيم مصطفى قليلات أدبا، وهو من اخواننا السوريين، الذين لازال السودان يذكر أدبهم وسمو أخلاقهم. وقد اشترك فى تحرير هذه الجريدة نخبة صالحة من الأدباء مصريين وسودانيين، نذكر منهم مع الفخر الاستاذ الجليل والخطيب المفوه، محمد توفيق وهبي[1] القاضى بحكومة السودان سابقا، وهو من كبار موظفى وزارة الحربية فى مصر اليوم، ثم صديقنا الأديب والكاتب الاريب محمد توفيق بدوى الذى كان موظفا بمالية السودان ثم تقاعد على المعاش وقد استوطن السودان. ثم الصديق العزيز الأستاذ محمد عوضين سعفان الموظف بالمالية المصرية وصاحب الابحاث الممتعة عن السودان وصاحب التاريخ الوطنى المشرف ثم الشاعر المطبوع فؤاد الخطيب (باشا) مستشار المملكة العربية الآن والاستاذ الشاعر الفحل عبد الرؤوف سلام والاساتذة الشعراء الشيخ البنا ومحمد حافظ الأمين، والشيخ عبد الله عبد الرحمن، والاستاذ الكردى، والبوشى، والعباسى، ثم أسندت رياسة تحريرها بعد الاستاذ قليلات الى الاستاذ المرحوم السيد حسين شريف الذى ظل يرعاها إلى أن اختفت عام ١٩١٩



الاستاذ محمد عوضين سعفان

(١) أنظر صورته فى فصل (القضاء فى السودان)

ثم مجلة « الغرفة التجارية » وهى مجلة اقتصادية وظيفتهـا بيان محصولات السودان ووارداته وصادراته وهى تجاريه محضه .

«حضارة السودان» أما حضارة السودان فهى جريدة أدبية كان لها قراء كثيرون ، ذلك لأنه قد تولى تحريرها الاستاذ الجليل الشيخ احمد عثمان القاضى فملأها من أدبه الناضج وأسلوبه الرائع . كان فضيلته قاضيا شرعيا فى حكومة السودان فاستقال ، لانه شعر أن المنصب الحكومي لا يتفق مع نزوعه الى الحرية التى ترضاها نفسه العالية . وهو ممن يمثلون السودان فى كثير من المواقف فاذا غادر السودان إلى مصر دعاه صاحب السمو الامير الجليل عمر طوسون إلى مائدته ثم للنزول فى سرايه وقد رأت حكومة السودان أن تستفيد من أدبه وعلمه فعينته مراقبا للصحافة والنشر فى السودان حيث لازال يشغل هذا المنصب أما جريدة حضارة السودان فقد احتجبت أيضا وقد كانت شركة مساهمة ساهم فى رأس مالها نخبة من



الشيخ احمد عثمان القاضى

الاعيان على رأسهم السير السيد عبد الرحمن المهدى باشا .

فلما اختفت « حضارة السودان » قامت محلها حضارة أخرى تولى رأس مالها نخبة من الاعيان أيضا على رأسهم السير السيد على الميرغنى باشا وتولى تحريرها الاستاذ احمد عثمان القاضى . تصدر مرتين فى الاسبوع . ثم تولى تحريرها الاستاذ سليمان داود منديل الصحافى النشيط صاحب جريدة ملتقى النهرين الآن ، وهو شخصية فذة ، عرف منذ نعومة أظافره بالجد والتفكير ، كان موظفا بمصلحة بريد السودان سنة ١٩١١ لكنه رأى أن بقائه فى خدمة الحكومة عقبة كؤود فى سبيل مطامعه العظيمة وآماله الواسعة فخلعها واستقال عام ١٩٢٢ ، وفى سنة ١٩٢٤ سافر الى ومبلى فكان أول سودانى سافر الى معرض ومبلى . وعقب استقالته من الحكومة طلب اليه زعماء السودان أن يتولى تحرير جريدة حضارة السودان فنهض بها نهضة عظيمة حتى أصبحت مطبعة الحضارة هى المطبعة الوطنية الوحيدة التى تطبع مطبوعات الحكومة



الاستاذ سليمان داوود منديل

واكتسحت من جانبها غيرها . كل من كان ينافسها . ومع ذلك فقد شعر أن مطبعة الحضارة لاتكفى حاجة البلاد فأنشأ مطبعة منديل التى أصبحت فى الواقع مدرسة فنية يتعلم فيها الصناع الوطنيون من صف الحروف والطباعة والتجليد . ومازال الاستاذ منديل يقوم بواجبه نحو السودان بكل همة واخلاص . وما زالت جريدته تعالج شؤون الامة السودانية ولم تقف جهوده فى خدمتها عن طريق الصحافة بل عن طريق المجلس البلدى الذى عين فيه عضواً عاملا من سنة ١٩٣٢ الى ١٩٣٦ . وهو الآن يعمل فى مطبعته الكبيرة ويدير شؤونها بنفسه علاوة على اشرافه على تحرير جريدته.وقد أنشأ عام ١٩٣٦ مجلة دينية «مجلة النصير الاسلامية »وهي مجلة جديرة بكل احترام وتقدير .

جريدة السودان

أخذ امتيازها عام ١٩٣٤ الشيخان الجليلان عبد الرحمن احمد ومحمد السيد السواكنى ولازالت قائمة يقوم بتحريرها الاستاذ عبد الرحمن احمد وهو شيخ من شيوخ السودان الأجلاء . كان ناظراً لمدرسة الخرطوم الابتدائية فلما تقاعد رأى أن يفيد البلاد بعلمه وأدبه



الشيخ عبد الرحمن احمد

فاشترك فى امتياز هذه الجريدة وفى تحريرها أيضا . وهو شاعر كبير له قصائد يتناشدها أهل السودان . يأتى اسمه فى الصف الأول من أساتذة السودان النافعين الذين قدموا خدامات جليلة للبلاد . وهو ما فتىء يعمل بكل جهده لخدمتها لا يكل ولا يمل . تراه فى مكتبه فى معظم أوقات النهار . والليل أيضا ، إذا دعت الضرورة ينافس الشباب فى الهمة والنشاط .

مجلة النهضة السودانية لصاحب امتيازها ورئيس تحريرها المرحوم محمد افندى عباس أبوالريش أحد خريجي كلية غردون وقد توفى إلى رحمة مولاه عام ١٩٣٣ فاختفت عقب وفاته .

مجلة كلية غوردون وهى مجلة خاصة بالطلبة ومباحث جمعياتهم الخاصة تأسست لتنمية مدارك الطلبة فى دار الكلية . يقوم بتحريرها نخبة منهم ، وهى دليل قاطع على أن طلبة الكلية يفكرون فى مستقبلهم ويعملون على كل ما يرقى أفكارهم ونشأتهم .

مجلة المؤتمر وهى المجلة الوطنية التى أنشأها أخيراً أعضاء المؤتمر السودانى ، ولا عجب أن يكون المؤتمر مجلة خاصة باسمه فهو دستور البلاد الوطنى الذى أنشأه أبناء البلاد من خريجى المدارس .

جريدة النيل هى أكثر الجرائد انتشاراً فى السودان وهى يومية مصورة . ألفتها شركة مساهمة برئاسة الوجيه السيد مصطفى أبو العلا التاجر الكبير ومن أهم المساهمين فيها السير السيد عبد الرحمن المهدى باشا .

يتولى تحريرها أديبان كبيران هما الشيخ الحاج الأمين عبد القادر والثانى الشاب النبيل الاستاذ يوسف احمد هاشم وهو من خيرة أبناء السودان أدبا وعلما ومن المشتركين بكل قوتهم فيما يؤول إلى خير السودان ، ففي نادى المدارس فى أم درمان له أعظم أثر ، وفى مؤتمر الشباب له صوت مسموع ، وهو خطيب مفوه وكاتب له خطره ومقامه : وهو أحد خريجى كلية غوردون الذين انجبتهم لمصلحة البلاد .



الاستاذ يوسف احمد هاشم

مجلة الكشافة وهى مجلة خاصة تعنى بأعمال الكشافة فقط

مجلة أم درمان وهى مجلة علمية ، أدبية ، تاريخية ، اجتماعية ، سياسية مصورة لصاحبها صديقنا الاستاذ الجليل محمد افندى عبدالرحيم الذى كان موظفاً بحكومة السودان ثم أحيل على المعاش ، وهو أحد أبناء السودان المثقفين الذين يعنون بالبحث فى تاريخ السودان وأدبه . شهد واقعة كررى عام ١٨٩٨ وقد أصيب فيها برصاصتين ولازم الفراش تسعين يوما حتى شفى منهما . وهو رجل طموح إلى العلم يحب المتعلمين ويسعى

الى العلماء لمساجلتهم والاستفادة منهم كنت وأنا بالسودان أعرفه سماعا ، فلما زرت السودان أخيراً سعيت اليه فى منزله فكانت فرصة سعيدة نعمت فيها بلقائه شخصيا ، وسرنى أنه لازال فى همة ونشاط الشباب يتمتع بكل عافية وصحة . وقد أطلعنى على المجلدات الضخمة التي ينوى طبعها عن تاريخ السودان وهى والحق يقال خزانة لاتقدر بمال واعترف أن كل



الاستاذ محمد عبد الرحيم

تاريخ عن السودان بجانب هذه الخزانة العامرة نقطة من بحر وقد أهدانى كتابيه (نفثات اليراع)(والمروبة فى السودان) وتنازل فسمح لى أن أنقل منهما ما أشاء .

مجلة مرآة السودان . هى مجلة شهرية لصاحبها الاستاذ الفاضل الشيخ سليمان احمد كشه . وهو شاب أديب من خريجى مدارس السودان تقوده روح هائمة ، يعبد الأدب ويقدس الشعر ، ويعيش بعصارة قلبه الذى يحرقه لأجل عاطفته وهو واحد من الذين يفخر بهم السودان وبهمتهم ونشاطهم ، يعمل طيلة يومه وليله إذا اقتضى الحـــال ، لايعرف



الاستاذ سليمان احمد كشه

القول المأثور (ان لبدنك عليك حقاً) . فكل مايصبو اليه أن يقوم بخدمة البلاد من الناحية الاجتماعية مهما كلفه ذلك .

مجلة الفجر مجلة نصف شهرية لصاحبها المغفور له عرفات محمد عبدالله .


الاستاذ عرفات محمد عبد الله

وقد كانت لسان حال الأمة السودانية ، تعمل على كل ما يؤول إلى خيرها . ولا عجب فقد كان الاستاذ عرفات شابا نابغا.

كان موظفا فى إدارة البوستة والتلغرافات السودانية فلما كانت الحركة الوطنية عام ١٩٢٤ تزعم حركتها فطاردته الحكومة وعاش فى مصر مشرداً ردحا من الزمن ، ولما عاد إلى السودان عام ١٩٣٤ أنشأ هذه المجلة فصادفت رواجا عظيما وعمل الناس على تعضيدها ومؤازرتها حتى ماتت بموت صاحبها الذى تحفظ له البلاد أجمل الذكريات وأحبها رحمه الله رحمة واسعة .

وفى ميدان الصحافة والصحافيين يبرز اسم صديقنا العالم الكبير (الصحافى العجوز) الاستاذ محمود افندى القبانى صاحب المذكرات القيمة والآراء السديدة ، والقلم السيال وهو حجة فى كل ما يخص السودان وتاريخه المفعم بالحوادث ، ولا عجب فقد عاصر المهدية ، والحكومة الحاضرة ، وهو عدا ذلك كاتب من الكتاب الذين يستطيعون تصوير الحوادث بقلمه كما يصورها المصور بريشته .

هذه هي الجرائد والمجلات العربية التي تصدر في السودان ويوجد سواها جريدة أفرنجية اسمها SUDAN HERALD يتولى تحريرها كاتب انجليزي مهذب وهو وكيل شركة روتر بالخرطوم. ويوجد أيضاً ثلاث صحف يونانية أسبوعية.

الطباعة في السودان وإذا ذكرنا الصحافة وجب أن نذكر الطباعة أيضاً في فذلكة صغيرة ، فقد أنشأت الحكومة المصرية السابقة بعد فتح محمد علي بقليل فرعاً من المطبعة الأميرية من نوع الحجر ومعملا لصنع الورق وعهدت برئاسته إلى المرحوم ابراهيم افندي أحمد الذي توفي وخلفه ابنه حسن بك المطبعجي الذي مات قتيلا يوم سقوط الخرطوم عام ١٨٨٥ . ولما سقطت الخرطوم استولى المهديون على هذه المطبعة واستعملوها في طبع (راتب المهدي) ، ولما استرجع السودان عام ١٨٩٨ أسست مطبعة السودان لأصحاب المقطم ثم أنشأ الخواجه ساوولي وهو يوناني نشيط مهذب مطبعة أخرى عام ١٩٠٨ التي آلت إلى شركة ماكوركوديل عام ١٩٢٥ .

ثم أنشئت مطبعة جريدة حضارة السودان وأنشئت بعدها مطبعة شركة ماكوركوديل عام ١٩٢٤ فانضمت اليها مطبعتا السودان والحضارة.

ثم أنشأ الأستاذ الجليل سليمان افندي داوود منديل مطبعة خاصة لطبع جريدته ومجلته عام ١٩٢٦ واليها يرجع الفضل في نهضة الصحافة الوطنية، وليس ذلك فحسب ، فقد قامت هذه المطبعة تحت إدارة صاحبها بتعليم عدد وافر من الوطنيين بعد أن استحضر لهم معلمين من مصر .

ثم أنشأت شركة جريدة النيل مطبعة لطبع جريدتها ومطبوعاتها وقسما خاصا للتصوير والزنكوغراف .

ثم مطبعة التمدن السوداني وهى مطبعة وطنية عمالها وطنيون أتقنوا فن الطباعة وجمع الحروف وكونوها متحدين معتمدين على الله أولا وعلى نشاطهم واخلاصهم فى العمل ثانيا وهاهى تسير على سفينة النجاح ، ولست أشك أن لهذه المطبعة مستقبلا باهراً .

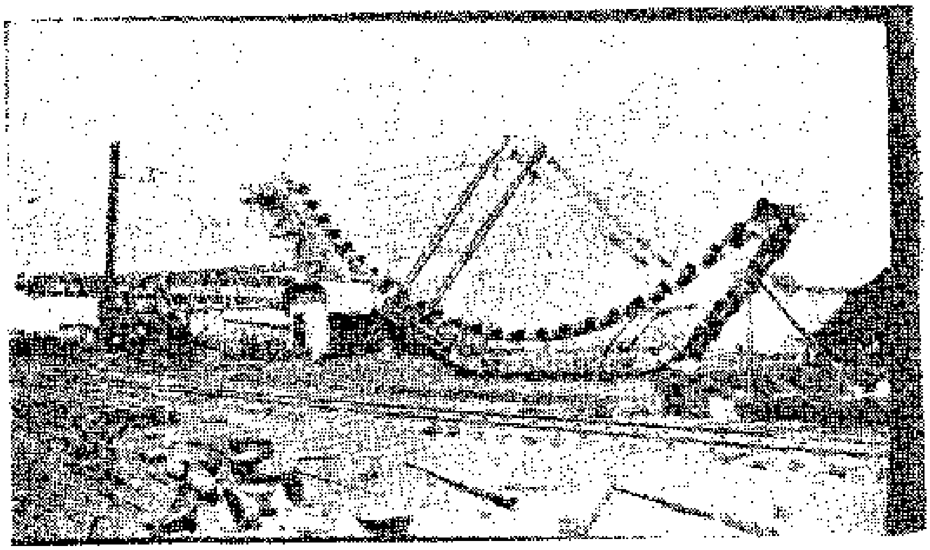
الخزانات في السودان

ومشروع رى الجزيرة

احتفل بافتتاح خزان مكوار الذى أصبح اسمه الرسمى (خزان سنار) احتفالاً رسميا بحضور اللورد لويد المندوب السامى فى ٢١ يناير سنة ١٩٢٦ وكان ينوب عن مصر فيه معالى اسماعيل سرى باشا وزير الاشغال فى وزارة زيور باشا . ثم صاحب السعادة عبد الحميد سليمان باشا مندوبا عن مصر أيضا. وليس لدىَّ من المعلومات الفنية عن هذا الخزان ما أحدث به قرائى سوى الغرض الذى يعرفه جميع الناس من سبب اقامته . وهو يشبه خزان اسوان والقناطر الخيرية فى حجز الماء . ويبلغ عرض النيل الازرق عند خزان سنار ٣٠ متر لكنه يفيض على جانبيه ويغمر جزءاً من الاراضى المجاورة له فيزداد عرضه عند الخزان أحيانا ، وللخزان أبواب فوقها مناور تفتح الابواب لمرور الماء فى مجرى النيل الازرق الى نهر النيل حاملة الطمى ، وعدد الابواب ٨٠ وعرض كل باب متران وارتفاعه ثمانية أمتار ونصف .

ويملأ الخزان من نوفمبر الى يناير من كل سنة ، ثم يفرغ حيث تكون الجزيرة قد أخذت نصيبها من الماء وقد تم خزان سنار فى عهد السير جوفرى ارشر حاكم السودان وقد كان انشاؤه موضوع خلاف بين مصر

وبريطانيا وقررت وزارة عدلى باشا عام ١٩٢١ وقف العمل فيه كما أوقفت



خزان سنار أثناء العمل

العمل فى خزان جبل الاولياء أيضا . وقد زار شفيق باشا وزير الاشغال فى وزارة عدلى باشا السودان خصيصا لهذا الغرض .

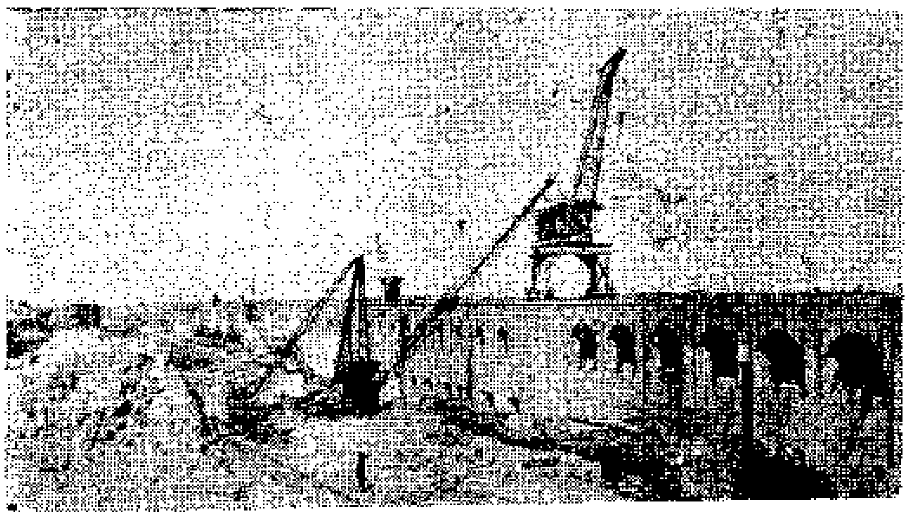
أما سعة الخزان وملوه وتفريغه :

أولا — أعلا منسوب تصل اليه المياه أمام الخزان هو ٧و٤٢٠ ويخزن على هذا المنسوب ٦٣٦ مليون متر مكعب

ثانيا — فى أول يوليو من كل سنة يكون منسوب أمام الخزان على ٥ و ٤١٤ ويرتفع تدريجيا فى مدة خمسة عشر يوما الى ٢٠و٤١٧ لاعطاء مياه لرى القطن بالجزيرة ، وتحفظ المياه على هذا المنسوب الى أول نوفمبر .

ثالثا — من أول نوفمبر إلى ديسمبر يرتفع منسوب المياه تدريجيا الى ٧ و ٤٢٠ ويبقى على هذا المنسوب إلى ١٨ يناير .

رابعا — من ١٨ يناير تأخذ الجزيرة كافة احتياجاتها من الماء المخزون امام والتصرف الذى يكون فى النيل الازرق فى الروصيرص أى تصرف النهر الطبيعى يمر خلف الخزان كما هو لاحتياجات القطر المصرى لغاية أول يوليو حيث يتكرر هذا الترتيب .



خزان مكوار بعد اتمامه

ترعة الجزيرة :

أولا — فم الترعة عبارة عن ١٤ فتحة عرض الواحدة ٣ متر وارتفاع ٥ متر والعتب على منسوب ١٠ و ٤١١ — من هذه الفتحات سبعة مقفولة بالخرسانة ، وتعمل الموازنة بواسطة بوابات حديد ترفع بونش يدار بواسطة رجلين .

ثانياً — الترعة عرض قاعها ٢٦ متر وارتفاع المياه بها ٤٥ و ٣ متر وانحدار ٧ سنتى فى الكيلو وذلك كاف لرى المساحة الحاليه وهى ٣٠٠٠٠٠ فدان ومسطاح الترعة يسمح بتوسيعها عند زيادة الزمام

ثالثا — أول قناطر حجز على الترعة عند كيلو ٥٧ ويتفرع أمامها خمسة ترع ومصرف على النيل لتخفيف المياه بالترعة ، وعندها يبدأ الرى بالجزيرة وكل الرى بالراحة

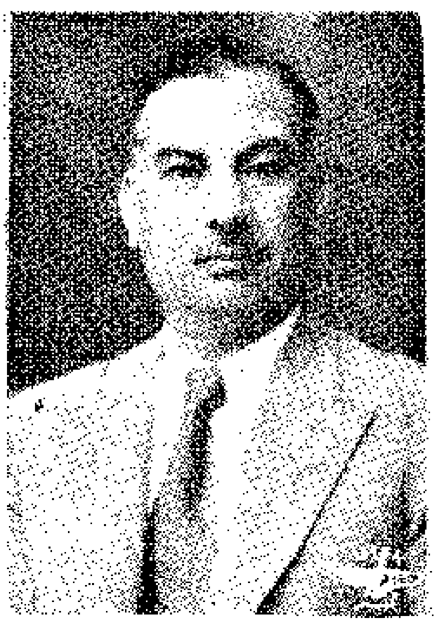
رابعا — ثانى قناطر حجز عند كيلو ٧٧ وأمامها ثلاث ترع ومصرف على النيل للتخفيف ثم قناطر حجز أخرى عند كيلو ٩٩ ثم عند كيلو ١٤٤

الارض المقرر زراعتها بالجزيرة

ثم رى ثمانين الف فدان قطن ، ومثلها ذرة وبقول ويترك مائة الف فدان بور

السبعة فتحات المقفولة بفم الترعة والمسطاح المتروك بالترعة يسمحان بزياده الزمام الى مليون فدان

وقد ساهم فى بناء هذا الخزان نخبة صالحه من المهندسين البريطانيين يأتى فى طليعتهم اسم السير مردوخ مكدونالد ثم المستر السندرينى الطليانى ، وهو رجل عظيم كان له الفضل الاول فى انشاء خزان اسوان . أما المصريون فكثيرون هم الذين حازوا ثقة ورضاء الانجليز بامانتهم ونشاطهم ، نذكر فى طليعتهم الرجل الشهم ، والمقاول المعروف ، كوسا بطرس الكوسا الذى بذ البريطانيين فى حسن تفكيره وابلائه بلاء حسناً ، وهو أحد الذين نزحوا الى السودان عام ١٩٠٨ فوجد الجو صالحاً



الخواجه كوسا بطرس الكوسا

لاستغلال مواهبه . فغامر مغامرة ذات على قوة عارضته ، وثقته بنفسه ، واعتماده على أمانته واخلاصه فى عمله . ولا عجب فهو من أعرق البيوتات فى صعيد مصر . ولست أريد أن أكرر كل ما يعرفه الناس عنه فى السودان ، فحوادث كرمه وبره بالناس ، وعطفه على ذوى قرباه وغيرهم كثيرة جدا ، ذاق حالى الدهر من حلو ومر فكان يمر بالحوادث مر الكرام ، ويجتازها كالسهم فى مروقه ، ومهما يلاقى من شدة وعنت ، فلا تزيده الا رواءً وصفاءً ، فهو كالذهب فى البوتقة ، مهما عبثت به النار ، فانه يخرج منها ذهباً وهاجاً ، يبهرك لمعانه وصفاء لونه . هذا هو كوسا بطرس الكوسا الذى لازال فى السودان يقوم باهم المشاريع التى تعود على الافراد والجماعات بجزيل الفائدة .

خزان جبل الاولياء

أما خزان جبل الاولياء فقد عورض فى انشائه معارضة شديدة ، وأول صوت ارتفع بهذه المعارضة ، صوت الكولونل كندى المهندس الذى كان مديراً للاشغال بالسودان ، وقد وافقه على معارضته لجنة من المهندسين المصريين سنة ١٩٢٠ وكذلك انتقد المشروع سعادة عثمان محرم باشا ، والمرحوم محمد زغلول باشا . وكان من أثر تلك الحملة أن قررت الحكومة البريطانية ارجاء الموضوع مؤقتاً .

وفى سنة ١٩٣٢ تقدمت وزارة الاشغال بمذكرة الى مجلس الوزراء

توصى بانشائه على النيل الابيض ، وعلى ذلك عرض مجلس الوزراء المناقصة فكان المستر جبسون صاحب الحظ فى نوالها .

لقد بدىء فى مشروع جبل الاولياء سنة ١٩١٤ولكن الحرب العالمية فى العام نفسه قد قضت بايقافه . وفى سنة ١٩٢٠ أعيد العمل مرة أخرى ، ولكن وزارة عدلى باشا قررت ايقافه عام ١٩٢١ ، ثم جددته وزارة زيور باشا عام ١٩٢٥ ، وأوقفته وزارة عدلى باشا الائتلافية عام ١٩٢٦ . فلما كانت وزارة محمد محمود باشا عام ١٩٢٩ وكان ماكان من أمر اتفاقية النيل فلم ينفذ المشروع لاستقالة الوزارة ، ظل المشروع ينتقل من وزارة عدلى الثانية سنة١٩٢٩ (وزارة الانتقال) ثم الى وزارةالنحاس باشا الثانية وكانت الاخيرة معارضة لفكرة انشائه.فلما كانت سنة١٩٣٢قررت وزارةصدقى باشا، بموافقة البرلمان المشروع ، وقررت ارسال صاحب العزة عبدالقوى احمد بك (وزير الاشغال اليوم) لاعداد المستعمرة . وهو الذى رفع رأس المصريين فى السودان وبرهن على مقدرة المصرى الامين كفاءة ودقة واخلاصا للواجب. وعلى ذلك بدأ العمل فى ١ اكتوبر سنة ١٩٣٣ ووضع أول حجر فى بنائه فى ٣٠ نوفمبر من ذلك العام . ولقد تم خزان جبل الاولياء على الوجه الاكمل وسيصل من ماء الخزان الى مصر مليارات من الامتار تكفى لزراعة ٥٠٠ الف فدان وهى لا تكفى لحاجة مصر .

أما المصريون الذين قاموا بعمل يذكر فى خزان

جبل الاولياء بعد (عبد القوى بك) فهم كثيرون نذكر منهم المقاول الاول



الشيخ حسين فضل الله

الشيخ حسين فضل الله، الذى كانوا يعتمدون عليه فى توريد الانفار الذين ساهموا بعمل عظيم فى هذا الخزان وقد تم بنائه على أكتافهم . وهو رجل عظيم قد مارس هذه الاعمال منذ زمن بعيد . يتمتع بثقة دونها كل ثقة وذلك لامانته واخلاصه . وهو عدا ذلك رجل دقيق الفهم تدهشك ملاحظاته ودقة ادراكه، كما أن له من كرمه ونجدته مايضعه فى الصف الأول من المصريين العاملين . ولا زال له عدة أعمال فى السودان ومصر وكلها تقوم على دعائم الصدق والثقة التامة .

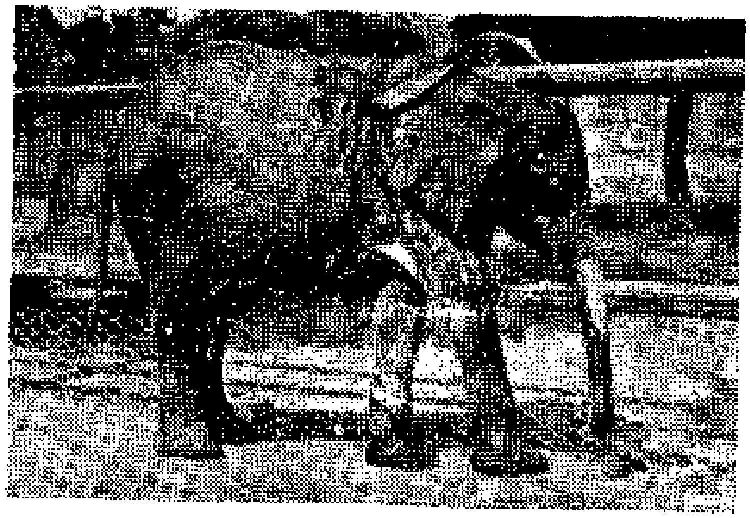
غابات السودان

وحيواناتها وزحافاتها وطيورها

السودان أغنى الاقطار فى غاباته وأحراشه ، وقد سافرت فى معظم هذه الغابات وهى كثيفة ، بحيث تمنع كثافتها الشمس عن وجه الارض . وفى هذه الغابات تجد أنواع الاشجار التى تحار فى اسمائها والاخشاب الثمينة التى تباع فى مصر بثمن فاحش ، أمثال الابنوس وخلافه من الماهوقنى وهو الخشب الاحمر الفاخر . ولا أظن أن قطراً يتمتع بنصيب وافر من هذه الاخشاب ، كما يتمتع السودان ، ففيه تجد السدر . والتبلدى . وهذا له ثمر حامض لذيذ يسمونه (القنقليز) . والهجليج . والهشاب والجميز . والليان . والسنط . والسلم والسكتر . والاندراب . والبشم . والعشر . والاراك . وفى بحر الغزال أشجار اسمها (اللولو) يستخرجون من ثمرها دهنا لطيفاً يستعملونه فى أطعمتهم بدل المسلى . وأهم الاشجار هناك (المرديب) وهو شجر التمر هندى ويجنى فى فصل الخريف فيوضع فى حياض ، ويعجن ويعمل أقراصاً ، يستعمل فى جميع أنحاء السودان مشروبا ملطفاً فى الحميات والامراض الالتهابية .

ثم شجر اللستك وهو كثير جداً فى بحر الغزال وفى جنوبى كردفان ، وهو يشبه شجر الجميز . ثم شجر الخروع وهم يستخرجون منه زيتاً ، يدهنون به رؤوسهم وأجسادهم . وفى غابات السودان حيوانات مفترسة كنا نقابلها أثناء سيرنا فى بحر الغزال فيشاء الله أن تنجو من شرها ، أمثال الاسد .

والفيل . والزراف . والجاموس البرى . وحمار الوحش . والضبع . والتيتل .



الفيل



فرس البحر

أما الحيوانات الأليفة فكثيره منها : الابل . والخيل . والحمير . والبغال . والبقر . والضأن . والمعزى . والكلاب والهررة . وهذه لا توجد فى الغابات بل تربى . فى المنازل لينتفع بها .

أما الطيور فكثيرة جدا أيضا منها البرية وأشهرها النعام الذى يوجد بكثرة فى مديرية كردفان وهو من أهم المواد التجارية عندهم ، ويأكلون لحمه أيضا ، وقد رأيت العرب فى

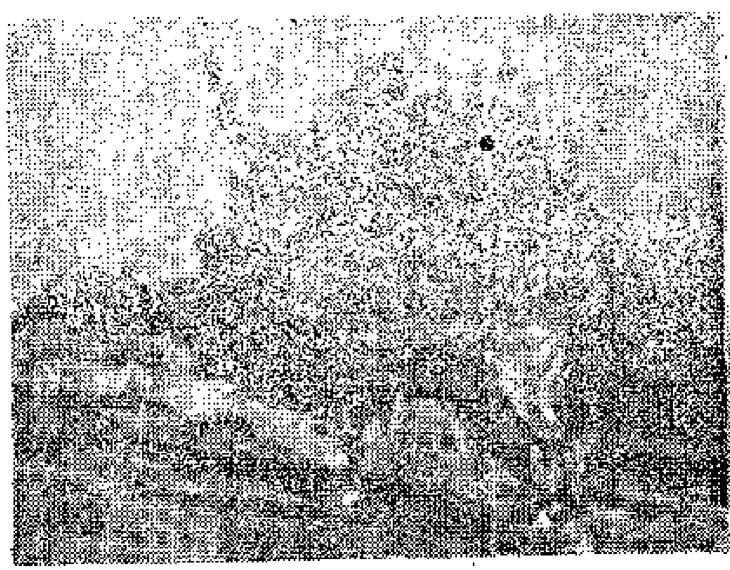
الهود يربونه فى زرائب ويعنون به عناية خاصة . كذلك من الطيور البرية النسر ، والعقاب ، والصقر ، والحدأة ، والرخم ، والقطا ، والسمانى ، والحجل ، والقمرى ، والهدهد ، والدجاج البرى ويسمونه (جداد الوادى) ويوجد بكثرة فى مديرية أعالى النيل ، والحبارى ، والغراب

وفى السودان طيور شكلها بديع وصوتها أبدع منها أمثال الببغاء والبلبل والهزار والكروان . ومن هذه الطيور طير يقال له « أب تكو » يشبه الببغاء فى لونه وحجمه



الزراف

إلا أنه أطول منقاراً وأقصر ساقاً . وهو مشهور بغيرته على أنثاه ، قيل أنه لا يفارقها ليلا ولا نهاراً حتى تأتى أيام حضانتها فيسد عليها العش بالطين ويترك لها ثقبا صغيرا يناولها منه الغذاء ، وتبقى كذلك إلى أن تفرخ فيفتح لها



الغزال المفترس

الباب ويلازمها . وقد ذهبت ملازمته هذه مثلا ، حتى إذا ضيق أحد الناس على زوجته قالوا (فلان حكمه حكم أب تكو)

وقد رأيت فى بحر الغزال طيوراً أشبه بالطاؤوس والغرنوق وقد اختلف الناس فى حقيقة أسمائها .



أبو مركوب

وهذه صورة واحد منها قيل أن اسمه (أبو مركوب) لتشابه منقاره إلى المركوب ، ويعيش هذا الحيوان على الاسماك اذ يصطادها بنفسه وهو سريع الجرى ، تساعده هذه الساق الطويلة فيسبق النعام جرياً . وقال لى أحدهم أن هذا الحيوان اسمه (أبو منجل) وقال آخر أنه نوع من الحبارى ومع ذلك ، فهذه صورته عسى أن يعرف سواى حقيقة اسمه .

كما رأيت فى سنار طائراً صغيرا يدعى (الدودو) لونه أخضر وأحمر وهو من الظرف بمكان ، يصطاده الاطفال ويبيعونه بأثمان لا تذكر

أما زحافات السودان وهوامه فكثيرة جداً منها السلحفاة وهم يأكلون لحمها وبيضها ، ويصنعون من محارها الدرق . والورل . والحرباء وفى السودان أنواع شتى من الثعابين،أهمها الأصلة وهى من الثعابين غير السامة، إلا أنها هائلة الحجم وقد رأيت فى شامبى أصلة أخبرنى المأمور هناك ، أن طولها بلغ سبعة أمتار . وقد رأيتها ، ولمست جلدها بيدى ، فاذا به كجلد

الطفل . ولجلد الاصلة عدة فوائد ، فانهم يعملون منه أحجبة ، ويعتقدون أن الحامل اذا تمنطقت بحزام مصنوع من جلد الاصلة أمنت كل ضرر . وان الحجاب الملفوف بجلد الاصلة يقى حامله الرصاص والحسد .



عقرب أم درمان

وفى السودان العقرب وقد قيل أن عقرب أم درمان هى أكثر العقارب ايذاءً ، وأكبرها حجماً وأكثرها سماً . انظر الى صورتها فهى تلقى الرعب فى النفس . على انى اعتقد أن أم درمان أصبحت من الوجهة الصحية تفوق غيرها ، لأن النظافة التى تعنى بها الحكومة القائمة قد ذهبت بهذه الزحافات فأصبح وجودها نادراً وليس كما يعتقد الناس أن العقارب تسبح فى الارض سبحاً .

*\
* *

وقبل أن ننتهى من غابات السودان وحيواناتها نذكر شيئاً عن الصيد والقنص فيها ، فقد عرف السودان بوفرة الصيد فى غاباته ، فهو الغاية التى ينشدها الصائدون من جميع الاقطار ، وكثير من الاجانب يقصدونها لهذا الغرض ، وقد شرف السودان فى سنة ١٩٠٩ حضرة

صاحب السمو الامير الجليل يوسف كمال صائداً ، ولست أنسى الخير الوفير والكرم الحاتمي الذى جاد به سموه على السودانيين فى هذه الرحلة المباركة التى أقام فيها نيف وشهرين .

ومن البارزين فى هذا المضمار جاد الله افندى طانيوس صائد الأسود الشهير وهو رجل شجاع له فى الصيد والقنص نوادر وحوادث تكتب بماء الذهب .



جاد الله افندى طانيوس صائد الاسود

حدثنى أحد باشاواتنا العظام ممن خدموا فى مديرية كسلا وقد كان مأمورها قال :ـ

يتمتع جاد الله افندى طانيوس فى مديرية كسلا بشهرة لا يتمتع بها سواه ، فاذا ذكرت الشجاعة برز اسمه فى رأس الشجعان ، وإذا ذكر الكرم تقدم اسمه اسم سواه ولا يوجد بين أهالى مديرية كسلا من يجهل اسم جاد الله افندى طانيوس وما وضعت اذنك على باب منزل ، الا وسمعت النساء والفتيات يغنين باسم جاد الله . والنساء فى السودان يعشقن الشجاعة والشجعان ، ويغنين باسمائهم ، ويذكرونهم فى أحاديثهن ، وسمرهن . ولا عجب فقد أنقذ مديرية كسلا من أشرس الاسود ، وهو الاسد المفترس المعروف باسم (أبو تليس) . وأبو تليس هذا هو الاسد العاتى المعروف الذى حاول الضباط البريطانيون صيده ، فعادوا بخفى حنين . ولقد لقيت

جاد الله افندى أخيراً فى الخرطوم وسألته أن يحدثنى عن (أبو تليس) وعن موقعته معه وكيفية صيده فقال : —

اشتهر الأسد (أبو تليس) بالاضرار بالناس ، حتى أصبح مجرد إسمه كافيا للفزع والخوف ، فلما كثر لغط الناس بشأنه ، عولت على صيده وإراحة الناس من شره ، فوضعت الخطة ، ثم صارحت بهذه النية صديقى العمدة (الطيب عمر) فما نطقت بها ، حتى نظر إلىّ نظرة كلها معان ، وقال لى فى نوع من التأنيب والتهكم (ياجنى خلى لعب الوليدات[1] إنت بندقيتك واحدة ، رايح تدفن نفسك هناك ، حقيقة التربة تنادى سيدها) فقلت له لست لهذا جئت اكلمك ، والذى أطلبه منك ، أن تعطينى خبيراً يرشدنى لمحل الأسد ، فأعاد علىّ النصح فأكدت له أنه إذا رفض معونتى فى ذلك ، فانى أطلب هذه الخدمة من سواه ، فلما أدرك تصميمى ، قبل ذلك ، وهو يترحم علىّ مقدماً ، عندئذ كتبت وصيتى ، وأودعتها خزينة مكتبى[2] وقمت من القضارف الساعة الثامنة مساءً بمفردى أحمل بندقية بخزنة خمسة رصاصات ، ومعى سبعين رصاصة احتياطى ، وبعد مسيرة عشرة ساعات ، وصلت (تومات ود زايد) وكان تابعى ومعه جمل لعفشى والخبير ينتظرونى هناك ، وبعد أن استرحت قليلا توافد علىّ الناس وكلهم بين زاجر ومؤنب وناصح ، وقد كان البعض ينظر إلىّ نظرة إشفاق وترحم ، والبعض يظننى مجنونا ، فلما فرغت حيلهم وأدركوا أن ليس فى القوس منزع ، سألوا الله أن يوفقنى للانتصار عليه ،

(١) ياجنى أى ياولد — وخلى لعب الوليدات ، أى دع عنك لعب الاطفال .
(٢) كان جاد الله افندى طانيوس وكيلا لبوستة القضارف وقتئذ .

تحركنا من (تومات ود زايد) الساعة ١٢ ظهراً وصحبتي الجملة الآتية (١) جمل لركوبتي، (٢) جمل لتابعي ولوازم السفر الضرورية (٣) حمار للخبير، اما سلاحنا وهو الأهم، فقد كان بندقيتين أحدهما بخزنة عيار ٤١٠ مليمتر، وأخرى خرطوش رش عيار ١٢، وقد أعطيت الأخيرة للخبير واحتفظت بالأولى لنفسي، أما التابع فقد حملته سيفاً. وفي أثناء مسيرنا اشتريت (خروفاً) لنجعله شركا للاسد، وفي الساعة السابعة مساء وصلنا (خور كتوت) وقبل أن ننفض غبار السفر عنا، سمعنا زئير الأسد في الغابة قادما نحونا، والظاهر أنه شعر بحركتنا فجاء ليجرب حظه معنا، ولا يمكنني أن أحدثك عن الرعب والفزع الذي أصاب جملينا حتى أنخناهما بالقوة، وربطنا أرجلهما الأمامية، فابتدرني الخبير بقوله (الدنيا ليل داير تسوى شنو[1]) فاجبته أقاتل الاسد في طريقه اليناء وتنشب المعركة لنطمئن على النتيجة، فقال (يافندى الكلام دا أعوج[2] في الليل ما في نيشان والأسد دا عنيد) عندئذ سألت نفسي، هب: إن الأسد انتهز غفلتنا، فهاجمنا وخطف منا رجلا كما هي عادته، فماذا يكون موقفي؟ وما هي مدى المسؤولية التي أتعرض اليها؟؟ فاقنعت نفسي أنها شعلة ألهبتها فلا بد أن أصطلي بنارها، وأخبرت الخبير أنه لابد من القتال الليلة، وقد كنت أفكر وأنا أصغي لأصوات جاموس البحر والفهد والمرافعين[3] وكانت هذه الأصوات تكبرها تفاعيل صدا

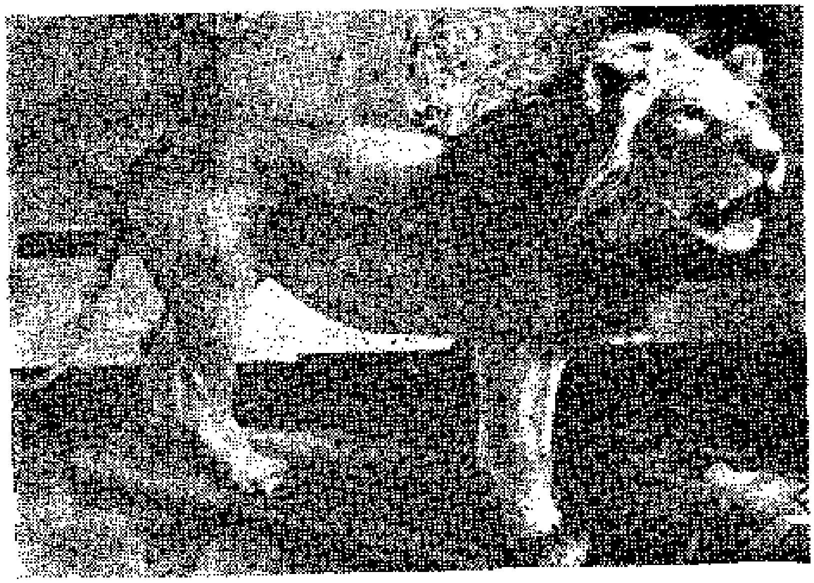
---

(١) داير تسوى شنو معناها ماذا تريد أن تعمل ؟؟

(٢) أعوج أى خطأ

(٣) المرافعين جمع مرفعين وهو الضبع

الغابة والقمر المطل فى نوره الكامل ، وما أشد سرورى حينما مررت بهذه الغابة مرة أخرى فى سنة ١٩٣٦ فوجدتها مأهولة بالسكان ووجدت إبلهم



الاسد

تعانق أفرع الأشجار الخضراء ، نعود إلى مجرى الحديث ، فقد تأهبت لمقابلة الاسد (أبو تايس) فركزت موقفى فى قطعة أرض رملية. وعلى بعد أربعة ياردات خلفى لجهة الشمال ، أخذ الخبير مكانه ومعه بندقيته ، وعلى بعد أربعة ياردات خلفى لجهة الجنوب ، جلس تابعى القرفصاء ومعه سيفه ، وعلى بعد اربعين يارده منا جميعاً لجهة الجنوب ، وفى طريق الاسد ربطت الخروف فى شجرة من السنط ، وبعد ربع ساعة ، فقط ظهر الاسد وأصبح على بعد ١٠٠ يارده منا ، ومهما كنت شجاعاً تحمل قلبا من الصلب فان هذه الشجاعة تتقوض أمام منظره المفزع فما بالك وقد زأر ثلاث مرات ؟؟ زأر ثلاث مرات فشعرت أن أشجار الغابة تهتز ، والارض تنتفض تحت قدمىّ . وإذا

نحن فى هذا الموقف ، صلى ، الخبير والتابع واستشهدا استعداداً للموت ، فادركت أن الساعة قد حانت . كل ذلك لم يذهب بشجاعتى ولا أنسانى الغرض الذي ملك عليّ نفسي الا وهو مقاتلة هذا الاسد الكاسر ، بالاخص وهو امامى على بعد مئة يارده . فتقدم الاسد نحونا بخطوات وئيدة ملؤها الاعجاب والكبرياء ، فأطلقت عليه رصاصة أصابته . فصرخ صرخة ارتجت لها ارجاء الغابة .

وقد تهيج عندما شم دم جراحه فكبر حجم جسمه وهجم عليّ هجوم المستقتل المستميت بانفعال نفسانى قوامه الانتقام ، فاطلقت عليه رصاصة ثانية فاصابته ، لكنه استمر فى هجومه حتى أصبح على مقربة منى ، وحتى امتلأ وجهى من لعاب فمه المزبد الناتج من هياجه وتأثير صرخات غيظه . وبالرغم عن دقة الموقف وخطورته ، فقد واجهته بطلقة أخرى كسرت ذراعه الأيمن ، وكانت المسافة بين ذراعه وفم بندقيتى ، لا تزيد عن قدمين ، فصرخ صرخته الأخيرة حتى خيل إلىّ أن الارض تميد تحت قدمىّ ، وحتى شعرت أن غشاء أذنى قد أصابه العطب من شدة صرخته التى كان الرعد دونها وطلقات المدافع أقل منها . ولكنه ارتد عنى وهرع إلى الغابة . أما الخبير والتابع فقد تولاهما الذهول ، فقد حاول الأول أن يضغط على زناد بندقيته فاعجزه ذلك ، أما الثانى إذ قصد أن يضرب بسيفه ، فقد ضربنى فى رجلى . ولقد كان شعورى أثناء المعركة مدهشاً إذ كنت أشعر أن كل عضلة من عضلات جسمى ، تؤدي واجبها باتقان وعلى انفراد ، وبغاية السرعة ، حرصا على حياتها ، كأن

لها عقلية مستقلة . وبعد بضع دقائق أفاق الخبير من ذهوله ليسألني (انت طيب) فأجبته بقول الشاعر

وإذا العناية لاحظتك عيونها   نم فالمخاوف كلهن أمان

أما الاسد ، فبعد أن ارتد عني ، دخل الغابة بحالة أعياء ، وهو يصرخ صراخ الهزيمة والانكسار ، ومع هذا فقد قر رأيي أن لاأبارح الغابة قبل أن أقضي عليه تماماً ، فاقتفيت أثر الدم حتى وصلت إلى عرينه . وعرين الاسد كبيت الارنب تحت الأرض فدخلته أحبو على يديّ ورجليّ ومع أن الأرض كانت ملأى بالشوك « والحسكنيت »[1] فاني ماشعرت بطعناتها ، وكنت كأني أسير على أرض من الرخام . نعم دخلته أحبو تسعين متراً ، فوجدته راقداً في دهليز بنته الطبيعة ، سقفه فروع الاشجار الكثيفة المتشابكة . وكانت المسافة بيني وبينه هذه المرة ستة ياردات ، وكان واضعاً رأسه فوق يديه لجهة الشرق . فصفرت له بفمي ، فالتفت إليّ ، فانتهزت فرصة التفاته وفي أقل من لحظة ، أطلقت عليه رصاصة في عينه ، فلم يتحرك من مكانه ، وضربته طلقة ثانية عند التقاء مفصل الرأس بالرقبة ، فقضي عليه . عندئذ سمعت صراخ الناس وهم يقولون[2] «أنت كيفنك ماعندك عوجه» وكيفن[3] « أبو تليس » فقلت لهم اطمئنوا فاني شديد ، اما أبو تليس فقد مات . فخرجت من العرين ، فلما قابلوني هجموا عليّ يهنئونني بالسلامة

---

(١) الحسكنيت هو نبات برى شوكه مؤذ وهو أشد ايذاء من الشوك

(٢) (أنت كيفنك) أى أنت كيف حالك (وما عندك عوجه) أى أنت ألم يحصل لك ضرر .

(٣) كيفن أبو تليس أى كيف حال أبو تليس

ويهزون سيوفهم فوق رأسى اعجابا بشجاعتى . أما أنا فرفعت يدى شكراً لله الذى وفقنى لتأدية هذه المأمورية وأخرجنى منها سالما . فدخل العرين أربعة عشر رجلا لسلخه ، فاخذت جلده وكبدته . ولا يفوتنى أن أبين لك أن كبد الاسد إذا رميته فى حوض ماء فكل حيوان يشرب منه لابد أن يموت .

عدت إلى مركز الحملة التى كانت فى انتظارى ، وأخذت فى تنشيف جلد الاسد . وفى منتصف الليل تقريبا صحونا على زئير مفزع ، فاذا لبوة الاسد تزأر زئيراً ينفطر لحنانه قلب الجلمود ، ويثير بنبرات حزنه كامن الاحساس ، فوالله لقد شعرت بالحزن معها ، واستمرت فى نواحها وزئيرها إلى الفجر ثم اختفى صوتها ، وعند طلوع الشمس اقتفيت أثرها ، وكانت تقابلنى أثناء مسيرى حيوانات كثيرة كنت أتركها استخفافا بها ، ولكنى مع ذلك قتلت بين الساعة السادسة مساء والعاشرة ، أربعة ضباع ، وفى منتصف الليل تماماً رأيت اللبوة تسعى لجهتى فتحفزت للقائها ومشيت صوبها بقدم ثابتة ، فلما صرت على بعد ٢٥ ياردة منها أطلقت عليها رصاصة اصابت منها مقتلا إذ اخترقت كتفيها . فملأنى الطمع والزهو فلم أقتنع بذلك إذ أطلقت عليها رصاصة أخرى . فلما سلخناها وجدناها حاملا وفى بطنها ثلاث

أشبال على وشك الولادة لأن شعرها كان كامل النمو . وكان الخبر قد ذاع فى البلدان المجاورة وبلغ إلى القضارف، وقبل وصولى قابلنى القضارف عن بكرة أبيها خارج البلدة نساءً ورجالا ، ورقص النساء والفتيات استحسانا للموقف وذبح كثير من الأهالى الذبائح شكراً لله . ويظهر أن الانجليز فى السودان قد كتبوا تفصيل هذا الحادث إلى اصدقائهم فى اوروبا بدليل أنه ماورد البريد حتى وصلتنى مئات الخطابات من رجال عظام ، وسيدات ، وآنسات من جميع أنحاء العالم وكلهم يظهر اعجابه بى ، وهو فضل من الله يؤتيه من يشاء

القضاء الشرعى والمناصب الدينية العالية « فى السودان »

يسير القضاء الشرعى فى السودان على نفس النظم واللوائح التى يسير عليها فى مصر مع اختلاف طفيف اقتضته ظروف البلاد ذلك لأن جميع الذين تولوا رئاسة القضاء الشرعى هناك بعد استعادة السودان هم من علماء مصر وافذاذ قضاتها ، وهم حسب ترتيب تعيينهم كالآتى :



فضيلة الشيخ محمد شاكر

فضيلة الشيخ محمد شاكر . عين فضيلته فى ٢٨ مارس سنة ١٩٠٠ فاستطاع أن ينشىء القوانين الثابتة التى تتمشى مع الشرع وتوافق جو البلاد وظروف أهله . وضع لائحة ترتيب المحاكم الاهلية فى خمسين مادة ثم اللائحة النظامية للمحاكم فى ١٤٠ مادة ، ولائحة الرسوم وهى عشرين مادة ، وظل يشغل هذا المنصب العظيم ويوليه عنايته إلى أن نقل إلى مصر فى ٢٦ أبريل سنة ١٩٠٤ .



فضيلة الشيخ محمد هارون

فضيلة الشيخ محمد هارون . هو

ثانى قاضى قضاة السودان ، فقد خلف فضيلة الشيخ محمد هارون وظل قاضياً لقضاة السودان حوالى خمسة سنوات ، كان فضيلته عالما كبيراً ومتشرعا ضليماً استطاع أن يتولى هذا المنصب الكبير فاظهر من الكفاءة والمقدرة ما لا زال يذكره الذين خدموا تحت إدارته فى القضاء الشرعى .

فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى . قلنا أن لصاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ، هذا الكتاب أكثر من محل واحد . ففى فصل الأمراء والعظماء له محل ، وفى القضاء الشرعى والمناصب الدينية له محل . وقد أخذ محله الاول فى صفحة ٤٩ وها هو يحتل محله الثانى . تعين فضيلته قاضياً لقضاة السودان عام ١٩٠٨ وظل يشغله بتلك العبقرية المنقطعة النظير إحدى عشر سنة كان فى خلالها موضع احترام الحاكم والمحكوم ولست أتعرض لمدح مولانا الاستاذ



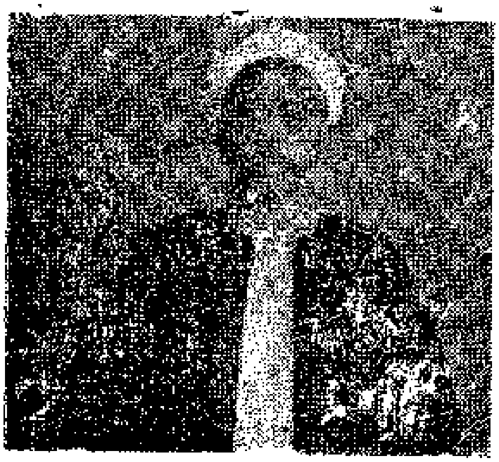
فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى

الأكبر ، فغيرى ممن تعتبر كلمتهم حجة قد قالها . أجل فقد جاء فى تقرير اللورد كتشنر عام ١٩١٢ تحت عنوان (المحاكم الشرعية) ما يأتى — « لا يزال الشيخ مصطفى المراغى قاضى قضاة السودان يتولى رئاسة المحاكم الشرعية

بكمال الاهلية والمقدرة » وقال الاستاذ خليل الخورى القاضى « أن مولانا الاستاذ الاكبر هو واحد من المصريين القلائل الذين شرفوا مركز مصر فى السودان ورفعوا رأسها وبرهنوا على كرامتها »

وقد ظل فضيلته حتى عام ١٩١٩ حيث نقل رئيسا للتفتيش القضائى الشرعى فى وزارة الحقانية ثم رئيساً لمحكمة مصر الابتدائية الشرعية ثم نائبا فى المحكمة العليا الشرعية ، ثم رئيسا لها ، ثم شيخا للجامع الازهر حيث هو الآن أطال الله حياته ومد فى أجله .

فضيلة الشيخ محمد أمين قراعه . تولى منصب قاضى قضاة السودان فى اكتوبر سنة ١٩١٩ وقد كان مفتشا للمحاكم فى السودان ، وفى عهده تم من



اصلاح المحاكم وتقدمها الشيء الكثير . عرفت فضيلته شخصياً فهو عنوان الكمال والتقوى . طالما مد يد المساعدة لكثير من الموظفين الذين خدموا تحت إدارته ، وكان يحثهم على الاخلاص فى العمل ، والثبات على المبدأ ، حتى استحق محبتهم واحترامهم جميعا

فضيلة الشيخ محمد أمين قراعه

وفى عهده أدخل تعديلات على لائحة المأذونين ، ولائحة ترتيب المحاكم ونظامها ، كما لم يغفل لحظة أن ينصف الكفاءة والاخلاق ، وأن يضعها المحل اللائق بهما ، وقد ظل بمنصبه حتى عام ١٩٣٢ حيث نقل إلى مصر وهو اليوم عضواً بالمحكمة الشرعية الكبرى أكثر الله من أمثاله .

فضيلة الشيخ محمد نعمان الجارم

هو قاضي قضاة السودان اليوم الذي تفخر مصر بتوليته هذا المنصب الخطير، وهو رجل عظيم نبيل الاخلاق . كان رئيسا لمحكمة طنطا الكلية الشرعية، فوقع عليه الاختيار ليخلف صاحب الفضيلة الشيخ محمد أمين قراعة . وقد كاد تعيينه أن يكون سببا في أزمة وزارية، فقد كانت حكومة السودان تنوي أن تستولى على هذا المنصب لتعين فيه أحد قضاة السودان ولكن دولة صدقي باشا رئيس وزراء مصر (وقتئذ)، تمسك بحق مصر في هذا المنصب كما أن صاحب المقام الرفيع على باشا ماهر الذي كان وزيراً



فضيلة الشيخ محمد نعمان الجارم

للحقانية (يومئذ) قد هدد بالاستقالة إذا نفذت رغبة حكومة السودان . وقد انتهى الاشكال بتعيين صاحب الفضيلة بتوصية الحكومتين . زرته في مكتبه في الحقانية بالخرطوم عام ١٩٣٩ فرأيت ماشاء الله أن أرى من عظمة ونبل . كنت قبل زيارتي له أتهيب الموقف، وأعمل ألف حساب لهذه الزيارة، فلما

قابلته استطاع أن يذهب بخوفى ، أجل ، فلفضيلته نوع خاص من المجاملة ومكارم الاخلاق ، ولاشك أن مصر قد أصابت فى تعيين فضيلته فى هذا المنصب الخطير فهو عنوانها والعامل على اعلاء سمعتها والمحافظة على كرامتها ، ولازال فضيلته يشغل هذا المنصب نسأل الله أن يديمه ويطيل حياته .

وفى السودان مناصب دينية عالية تأتى رأساً بعد منصب قاضى القضاة، كمنصب شيخ العلماء[1] ثم الافتاء الذى كان يشغله صاحب الفضيلة الشيخ سيد أحمد الفيل إلى عام ١٩٣٨ وهو شيخ من شيوخ السودان الأجلاء ولد فى أواخر القرن السابع عشر الهجرى فى « المتمة » عاصمة الجعليين الذين ينسبون إلى العباس فهو عمرابى . جعلى . عباسى . جاء أم درمان فى آخر عهد المهدية وتلقى العلم على العالم الكبير الشيخ محمد البدوى أول شيخ لعلماء السودان ، ثم الشيخ محمد عبد الماجد وغيرهم . وفى سنة ١٩٠٢ انتظم فى



فضيلة الشيخ سيد احمد الفيل

سلك قسم المعلمين القضاة بكلية غردون ، وتخرج منه عام ١٩٠٦ . وفى سنة ١٩١٧ عين قاضياً لمديرية واد مدنى ، فكان أول متخرجى قضاة المراكز .

---

(١) منصب شيخ العلماء كان يشغله فضيلة الشيخ احمد ابو دقن انظر صحيفة ١٩١

وفى أبريل سنة ١٩٢٣ عين مفتشاً للمحاكم الشرعية ، وفى ١٩٣٣ عين مفتياً للسودان ونائبا لقاضى قضاة السودان إلى أن تقاعد على المعاش عام ١٩٣٨ ، ولفضيلته آراء قيمة فى السودان وكلمة مسموعة ومقام محترم . يتحلى بالصميم من مكارم الاخلاق ، والنزاهة الصحيحة . ولازال بيته وجهة العلماء والأدباء وأهل الرأى من وجهاء البلاد .

فلما أحيل على المعاش ، خلفه صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ أبو شامة عبد المحمود ، وهو أيضا أحد الذين يشار اليهم بالبنان . شيخ جليل وقاض من خيرة قضاة السودان أدبا وعلماً وخلقاً . عرفته وهو قاضى محكمة الخرطوم بحرى الشرعية ، فعرفت فيه كل ما يتحلى به الرجل الفاضل المثقف . له آراء تمت إلى الفلسفة الدينية : فهو حجة فى الافتاء والغامض من مشاكل الشريعة الغراء ، ولقد كان اختياره لهذا المنصب اختياراً موفقاً كل التوفيق . رأيته فى مصر عام ١٩٣٩ فجددت صلتى بفضيلته ، وقد سرنى أنى رأيته بعد فراق عشرين سنة ، فلقيته هو هو كأنى فارقته بالأمس .



فضيلة الشيخ أبو شامه عبد المحمود

والسودانيون كرام لاينسون الصداقة ولهم من حسن معشرهم ما يجعلهم فى الصف الأول من الأمم الحية فى مكارم الاخلاق ، فكيف إذا كان من

نعتبه عنوان أدبهم وكمالهم وهو فضيلة الاستاذ أبو شامة ؟؟. حقاً ان السودان غنى برجاله الأفاضل وشيوخه الثقاة الاثبات .

والمحاكم الشرعية فى السودان تتغذى من خريجى القضاء الشرعى، بكلية غوردون . وجميع قضاة السودان الشرعيين من أبناء البلاد الذين دلت التجربة أنهم خير من يليق لهذه المناصب الدينية العالية . عرفت الكثير منهم وخبرتهم اختباراً شخصيا فما رأيت منهم خاملا ولا مستهتراً ولا من لا يعرف كيف يحافظ على كرامته وكرامة منصبه ، ولا غرابة فى ذلك، فقد جعلت الحكومة همها فى انتخاب هذه الفئة من كرام الاسر واعرق البيوتات فى السودان ، ولو شئت أن أذكر كل الذين عرفتهم والذين يصح أن يكونوا عنوانا لهذه البلاد لضاق نطاق هذا الكتاب ، أمثال الاستاذ الجليل الشيخ عمر عطيه المفتش بالمحاكم الشرعية ، ثم فطاحل القضاة أمثال صاحب الفضيلة الشيخ محمد الامين القرشى ، والاستاذ الجليل فضيلة الشيخ مدثر البوشى، وقد ورد ذكرهما فى فصل (الادب العربى فى السودان) وقبل أن أختتم هذا الفصل أذكر مع الفخر الاستاذ الجليل والشيخ الكامل صاحب الفضيلة الشيخ محمد اسماعيل المفتى قاضى محكمة أم درمان الشرعية وهو على باب الانتقال إلى أحدى المناصب الدينية الكبرى .

ولا يستطيع غيرى أن يقول كلمة تعتبر المرجع الصحيح لكل ما يتحلى به استاذنا من فضل وعلم فقد عرفته معرفة أكيدة ، ونعمت بصداقته ردحاً من الزمن فى كوستى حيث كان قاضيا لمحكمتها الشرعية . عالم ابن عالم ، أنجبه بيت دين وأدب ، اغرم بالبحث والتدقيق ، وهو اليوم

من حذاق الفلسفة الشرقية وتاريخها، ومن أقطاب الحركة الفكرية، والنهضة السودانية، وهو استاذ فى الاخلاق كما هو استاذ فى والدين العلم له من رزانته وصلابته فى الحق، وعطفه على الناس ووزنه الامور بميزان التعقل والروية، مايعطيه المحل الاول فى عداد أفاضل أبناء السودان البارزين. كذلك له من كرمه وحسن معشره ونبله وصراحته فى القول، ما يجلسه فى الصدر من شيوخهم، تراه فيدفعك دافع لاحترامه وإجلاله دون ايعاز منه.



فضيلة الشيخ محمد اسماعيل المفتى

ولد بمدينة أم درمان عام ١٣٠٥ هجريه، وبعد أن حفظ القرآن الشريف اشتغل بتحصيل العلوم على استاذه الجليل الشيخ على البوشي الازهري الطائر الصيت فى واد مدنى، وفى سنة ١٩٠٤ التحق بكلية غوردون بقسم المعلمين والقضاة، وتخرج منها عام ١٩١٠ نائبا قضائيا بالمحاكم الشرعية، ثم ظل يتدرج فى الرقى إلى أن أصبح قاضياً من الدرجة الاولى حيث هو الآن. وهو من ذوى العقول الكبيرة. بحر فى محفوظاته، ما استذكرت معه موضوعاً أدبياً، الا واستشهد عليه من أقوال العرب ان نثراً وان نظما، فهو «دائرة معارف» حية، ومتكلم لسن فصيح المنطق، لايمل الكلام فى ميدان يحبه التكلم فيه، كما لايمل السكوت اذا اقتضاه الحال.. فهو أحد الذين تفخر بهم البلاد، والمحاكم الشرعية، والمناصب الدينيه لأنه من أبرز قضاتها وعلم من أعلامها.

القضاء الأهلى والنظام الادارى والامن العام

كانت الاحكام بعد استعادة السودان فيما يختص بالمسائل المدنية والتجارية ،مباشراً يتولى الفصل فيها المديريون والمأمورون،كما يتولى القضاة الشرعيون الفصل فى الاحوال الشخصية . أما اليوم، فانه توجد محاكم مدنية أهلية،تسير على نفس النظم التى تسير عليها المحاكم الأهلية فى مصر،ولا تختلف عنها فى شىء ، إلا فى اللغة النظامية ، ففى السودان تكون اللغة الانجليزية فى الغالب هى لغة المحكمة ، وذلك لوجود قضاة بريطانيون يتولى نقل حيثياتها إلى المتقاضين مترجم من ابناء البلاد . ولقد نشطت الحكومة كما هى عادتها، فجعلت من ابناء البلاد قضاة مدنيون وجنائيون ، وقد وفقت فى اختيارهم كل الاختيار كذلك اختارت نخبة من القضاة المصريين فبرهنوا على كفاءة ممتازة ، ومقدرة ليس بعدها مقدرة . كما اختارت نخبة من أبناء سوريا فكانوا كعادتهم مثلاً من أمثال النزاهة والاخلاص والعدل .

ويمتاز القضاء فى السودان عن غيره فى جميع الاقطار بسرعة الاجراآت، فلست تسمع كما تسمع فى مصر ، أن قضية ظلت سنة أو عشرة ، وقلما تؤجل قضية إلى موعد بعيد إلا إذا كان هناك ضرورة غير عادية . ويلاحظ القاضى فى تحديد مواعيد القضايا ظروف المتقاضين ، وقد تعلن الخصوم أو الشهود بالتلغراف أو التلفون إذا اقتضى الحال . ومما يساعد على تنفيذ الاحكام بهذه

السرعة ، أن المحكوم عليه بدين يجوز حبسه لوفاء ذلك الدين إذا رأى القاضي ضرورة لذلك .

أما أبناء سوريا الذين ساهموا في نظام القضاء في السودان فكثيرون ، يأتي اسم المغفور له نسيب فيليبيدس الذي كان نائباً لرئيس القضاة وسكرتيراً عاماً للحقانية في طليعتهم . وهو من أفذاذ السوريين الذي كان لهم اليد الطولى في تنظيم القضاء والنهوض به الى الدرجة التي تراها اليوم

ثم يأتي بعده الاستاذ الجليل يوسف بك النجار الذي كان قاضياً لمحكمة أم درمان أخيراً .



وهو قاض فاضل ، وأديب كبير ، تقلد ادارة مصلحة السجون في السودان ، فنهض بها الى درجة الكمال ، وظل بها يتعهدها بكل وسائل النظام وحسن الادارة الى أن كانت سنة ١٩٣٠ حيث عين قاضياً لمحكمة أم درمان المدنية ، وفي تلك الفترة ، أنعم عليه برتبة البكويه من لدن صاحب الجلالة ملك مصر ، الى أن أحيل الى المعاش عام ١٩٣٢ . عرفته شخصياً فعرفت معنى التضحية المتجسمة في روحه أوقف نفسه لخدمة صغار الموظفين في السودان فكان يدافع عنهم ويتولاهم بعطفه . أذكر أثناء الحرب الكبرى يوم ارتفعت أثمان المعيشة ، أن الحكومة منحت الموظفين علاوة حرب طفيفة في أول الأمر ، فتقدم يوسف بك

الاستاذ يوسف بك نجار القاضي

الى الحاكم العام يستعطفه الرأفة بصغار الموظفين ، فاعتذر الحاكم بأن ميزانية البلاد لا تسمح باكثر من ذلك ، عندئذ قال يوسف بك (أن كبار الموظفين وأنا واحد منهم متنازلون عن نصيبهم فى هذه العلاوات بشرط أن تمنح لصغار الموظفين) فأكبر الحاكم هذه الروح الشريفة وهذه التضحية العظيمة ووعد بالنظر فى الأمر وقد نظره فعلاً وعمل على اصلاحه .

أكتب هذه الكلمة وأمامى خطاب قيم من يوسف بك استرعى نظرى منه قوله (والآن وقد أصبحت من أرباب المعاشات فان كثيراً ماتعود بى الذكرى الى السودان وأهله الكرام وأتمنى لو يسعدنى الحظ بمرأى الاصحاب والاخوان الذين صرفنا معهم أحسن أيام الحياة وهى أيام الشباب)

أليست هذه عاطفة شريفة لرجل شريف ؟؟ أجل فان يوسف بك النجار رجل مرهف الحس ، دقيق الشعور ، يحمل بين جنبيه أسمى العواطف الشريفة ، ولا عجب فهو شاعر فياض الشاعرية المستوحاة من الحياة . وكما هو شاعر فى بيانه ، كذلك هو شاعر فى خلقه وحياته .

ثم الاستاذ خليل الخورى الذى كان قاضيا فى محكمة الخرطوم . وهو من الذين تركوا أثراً لا يمحى فى السودان . وكما أن السودان لن ينساه فهو لا ينسى السودان أيضاً . كتب الىّ خطاباً من بيروت ينم عن طيب عنصره ووفائه الى السودان والسودانيين فهو وهو فى بيروت يتمتع بمعاش ضخم لا ينقصه من طيب الحياة شيئاً ، يذكر السودان ويحن اليه ولست

أدلل على ذلك باكثر من نشر مقدمة خطابه التى تنم عن شعوره الفياض قال بعد الديباجه : —



الاستاذ خليل الخورى القاضى

« شكراً عظيماً لك من أجل كتابك الذى تلقيته باقصى الحبور ، فانى لا يمكنى أن أنسى تلك الاوقات الحلوة التى قضيناها فى السودان ، هذا البلد الأمين الذى مكثنا فيه ردحاً طويلاً من العمر ، بل زهرة الشباب وكيف يمكن للانسان أن ينسى قطراً عاش فيه كل هذا الزمن ولم يتح له أن يألف غيره من الاقطار كما ألف ذلك القطر السعيد بطول الاقامة فيه — فحيا الله السودان وبياه وحيا اخواننا واصحابنا الذين عرفناهم فكل منهم محتل فى النفس أعظم المنازل وأجلها »

ومن قضاتنا المصريين الذين شرفوا مصر وبرهنوا على استعدادهم للعدل والانصاف فى مناصب القضاء، الاستاذ الجليل صاحب العزة عبد الحليم الحديني بك القاضى بمحكمة أسيوط الأهلية اليوم . أقام فى السودان بضع سنوات كان فى خلالها علماً من أعلام العدل فى المحاكم السودانية وبارح السودان ولازال الناس يذكرونه بالخير والثناء .

ثم الاستاذ الجليل محمد بك حسن العشماوي الذى كان وكيل وزارة المعارف المصرية أخيراً وأحيل على المعاش العام الماضى . أقام عزته زهاء

العاملين فى السودان من أغسطس سنة ١٩١٧ الى سبتمبر سنة ١٩١٩ . وكان مثال القاضى العادل النزيه . كان عزته يسعى لراحة المتقاضين ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، مع مراعاة العدل والدقة فى الاحكام ، فقد حضر أمامه يوماً ما فى محكمة أم درمان أحد تجار الماشية ، وكان له دين على تاجر موسر ، فبث شكواه شفويا ، وأضاف اليها قوله أنه رجل غريب ولا يستطيع الاقامة فى أم درمان ، فدون



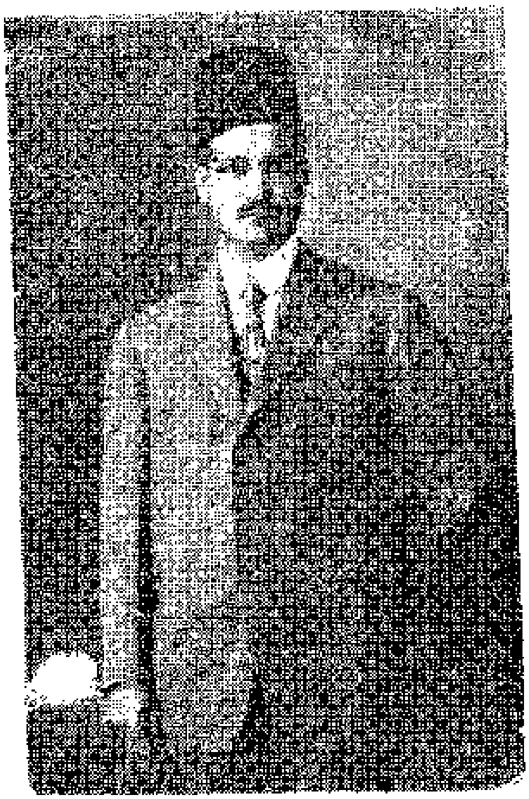
الاستاذ محمد حسن العشماوى بك

العشماوى بك محضراً بذلك ، وتكلم تلفونيا مع مأمور المركز بطلب الخصم ، فحضر حالا وسمع اقواله ، وأصدر حكمه ، ونفذه عقب صدوره بساعة واحدة ، وقبيل ظهر ذلك النهار ، سافر الشاكى يحمل ماله معه . هذا هو نوع من الاحكام فى السودان وسرعة اجراآتها ، وهو مالا تحلم به الاقطار الاخرى .

ولما عاد العشماوى بك إلى مصر عين استاذا للمرافعات بكلية الحقوق فسكرتيراً لوزارة المعارف فوكيلا لها .

ومن أبناء مصر البارزين الذين تولوا القضاء فى السودان الاستاذ

الجليل المغفور له السيد العشري بك الذي كان مديراً للشرقية ثم مديراً لمدرسة البوليس أخيراً وهو أحد الذين تركوا أثراً لا يمحى في السودان فقد



المرحوم السيد بك العشري القاضي

كان ملء القلوب والعيون. كان قاضيا نزيها عادلا ، وقد غادر السودان من زمن بعيد بعد أن كتب اسمه على لوحات قلوب أهليه . كان يستعمل الرأفة كل الرأفة في احكامه ، مع النزول على قواعد القانون ، ومراعاة العدل ، وكان دقيقا كل الدقة يعني بالقضايا عنايته بشخصه ، فلا يصدر حكما إلا بعد أن يقنع نفسه وضميره بصحته ، فهو المثل الأعلى في النزاهة والنبل . وهو أحد أبناء مصر البررة الذين لا ينساهم السودان .

ثم الاستاذ الجليل محمد توفيق وهبي القاضي . له في السودان مواقف يذكرها التاريخ فلا تكفيه هذه الصحف القليلة . نعم فقد كان أنشط المصريين في الدعاية لبلاده . استبعد عن السودان قبيل مقتل السردار لأن الحكومة هناك شعرت بخطره على سياستها ، وهو أول رجل الهب الحماس الوطني في نفوس السودانيين . ولست أنسى يوم مات عبد الخالق افندي حسن

مأمور أم درمان وخرجت المدينة بأسرها تودعه الوداع الأخير ، كما لست أنسى ساعة أن وقف الاستاذ محمد توفيق وهبي ليشكر هذه الالوف من الناس . فقد أثار حمية المواطنين السودانيين، فانقلب الموقف من مأتم إلى مظاهرة زعزعت ثقة الحكومة بنفسها . وظلت هذه المظاهرة تنتقل من الهتاف بحياة مصر ، إلى اسم سعد زغلول ، وقد امتد أمد الحماس إلى أن ذهب من نفوسهم كل خوف ، فهتفوا بسقوط انجلترا والانجليز ،



الاستاذ محمد توفيق وهبي القاضي

وفى يوم وليلة كان السودان شعلة تهتف بحياة مصر والمصريين. وقد اعتبرت الحكومة الاستاذ محمد توفيق وهبي مسؤولا عن ذلك الشعور ، فاستدعاه السكرتير القضائي وأمره أن يسافر فوراً إلى مصر بالاجازة قبل حلول موعدها ، وقد سافر فعلا . ارسلت الحكومة الاورط الانجليزية وجند البوليس إلى محطة الخرطوم يوم سفره ، فكان وداعا يشهد للاستاذ بمكانه من الخطورة ومقدار حذر الحكومة من نفوذه . ولم تقف المظاهرات بعد سفره ، بل بقيت على شدتها ، فحاولت الحكومة الانجليزية أن تسترده إلى السودان لتحكم عليه بالاعدام ، ولكن الاستاذ كان قد شعر برغبتها هذه ، فغادر القطر المصري وعاش فى اوروبا ردحا من الزمن .

ذهب إلى السودان مترجما بالمحاكم المدنية عام ١٩٠٦ فكان باشكاتبة لمحكمة الاستئناف . وكان فى هذه الاثناء يتذاكر مواد القانون ، فوصل به اجتهاده أن تعين قاضياً ، وكان المثل الأعلى للمصرى الصميم فى التضحية ، فكان يؤلف الروايات العربية ، ويمثلها ويوقف ايرادها على مشروعات البر والاحسان . وكان أيضا رئيساً للنادى المصرى فى الخرطوم ، يتولى الدفاع عن المصريين المتهمين فى بعض القضايا .

هذا هو الاستاذ محمد توفيق وهبى القاضى القانونى الضليع ، الذى شهد له رئيس قضاة السودان بالتفوق والذكاء ، وقد أطلق عليه أصحاب القضايا اسم « ستري الصغير » . ولعل القارىء يريد أن يعرف من هو « ستري الكبير » ؟ هو رئيس القضاة الانجليز الذى وضع نظم القانون المدنى والجنائى فى السودان . عدا ذلك فهو خطيب مفوه ، إذا تكلم ملأ الاسماع والافئدة ، ورد شارد الاهواء ، وقاد مرون الشهوات ، وقوّم زيغ النفوس ، وأخيراً فهو عنوان النبوغ ، وعنوان التفكير الصائب المتزن ، وشخصية من الشخصيات التى كانت تفخر بها مصر فى السودان ، وهو اليوم من كبار موظفى وزارة الحربية بمصر .

كذلك قد برز من أبناء السودان قضاة ضربوا الرقم القياسى فى الذكاء والعدل والنزاهة واحترام القانون ، أمثال الاستاذ الجليل محمد افندى صالح الشنقيطى قاضى محكمة الخرطوم ، وهو واحد من الذين يفخر بهم السودان ، والذين تنظر اليهم من كل زاوية فتعجب بهم كل الاعجاب لأنه رجل قبل كل شىء ، عرفته وهو مأمور الجبلين عام ١٩٢٣ ومع ذلك فلست أستطيع أن أصوره

فى صورته الحقيقية ، وهى أروع مجالى العبقرية الجبارة ، فهو بالاجمال رجل مثقف مهذب . يتمتع باحترام الناس حاكمين ومحكومين . ولست أخليه من العتب لحرمانى قرائى من صورته وقد حاولتها فكان يمد ليخلف ، وما عرفته قط مخلفاً ولعل له فى ذلك حكمة نجهلها نحن .



الاستاذ الدرديرى محمد عثمان القاضى

ثم الاستاذ الدرديرى محمد عثمان وهو أحد أبناء الاسر العريقة فى المجد . بيت علم ، وجاه ، ونسب كريم ، كان لعائلته عن أبيه مكانة محترمة فى جميع الحكومات التى استولت على السودان ، ففى تاريخ السودان القديم ، قبل الفتح الرسمى ، كان لها نصيباً وافراً من الاحترام ، وفى حكومة المهدية ، كان لها أيضا شأناً عظيما كما هى اليوم فى عهد الحكومة الانجليزية المصرية تتبوأ مكانا ساميا يجعلها على رأس العائلات السودانية منزلة ، أما عن والدته فهى كريمة سوار الذهب المعروف فى السودان ، وهو أول من أدخل العلوم الدينية هناك وأخذ عنه معظم علماء السودان بطريق مباشر أو غير مباشر ، ولا يمكنني أن أتحدث

عن الاستاذ الدرديرى فى كل ناحية من نواحيه فقد يضيق المقام . فهو معنى النبل والرجولة الحقة والاخلاق السامية .

تخرج عام ١٩١٤ من كلية غوردون ، وتعين مدرسا بالمدارس الابتدائية بضع سنوات تفانى فى خلالها فى فائدة التلاميذ حتى أحاطوه بحبهم واحترامهم . ولما رأت الحكومة أن ترفع من شأن الادارة بادخال العناصر المثقفة فيها ، كان الاستاذ فى طليعة من وقع الاختيار عليهم فتعين وكيل مأمور ، وما لبثت أن ترقى إلى مأمور . لمحت الحكومة فى الاستاذ الدرديرى كل صفات الموظف الحازم المخلص ، ولما كانت الوظائف (فى ذلك الوقت) محدودة بالنسبة للوطنيين ، لم تجد حيلة فى ترقيته ، فاختارته سكرتيراً عربيا للسير جوفرى ارشر حاكم السودان العام سنة ١٩٢٥ فكان أول وطنى شغل هذا المنصب . وبعد استقالة السير جوفرى ارشر عاد الى السلك الادارى مأموراً فاستاذا للقانون بمدرسه البوليس بامدرمان . فقاضيا مدنيا ورئيسا لقلم التشريع والترجمة بالمصلحة القضائية السودانية . برهن الاستاذ الدرديرى ، على كفاءة الوطنى وعلى استعداده للقيام باعباء الوظائف العليا ، فرفع من شأن الوطنين ، حتى أصبح يُنظر اليهم بعين الاكبار والاجلال . ثم رقى بعد ذلك الى قاض من الدرجة الاولى لمحكمة الجنايات ، ثم المحكمة المدنية واختير لمحافظة عموم البحر الاحمر حيث هو الآن

هذا هو الاستاذ الدرديرى من الناحية العملية ، أما من الناحية الشخصية والاجتماعية ، فحدث ما طاب لك الحديث . فهو أكثر السودانيين

اتصالاً بالمشاريع الوطنية النافعة ، وهو أحد البضعة أشخاص الذين تعاونوا على تأسيس نادى الخريجين الذى يعتبر أكبر النوادى السودانية اليوم ومحور الحركة الفكرية فى البلاد ، ومقر مؤتمر الخريجين العام . وهو الدستور الوطنى فى البلاد أو مجلس نواب الشباب الراقى .

وقد كان الاستاذ عضو (بعثة التتويج) السودانية التى أوفدت إلى لندن فى صيف ١٩٣٧ لحضور حفلات تتويج الملك جورج السادس ، تلك البعثة التى أكرمت وفادتها حكومتنا المصرية وأنزلتها فى ضيافتها كما احتفى بها الشعب المصرى الكريم .

ولست أنسى خطابه الرائع الذى ألقاه يوم ودع مصر شاكراً ، ذلك الخطاب الذى لازال يرن صداه فى دوائرها السياسية والادبية .

هو فى نهاية العقد الرابع أو مستهل العقد الخامس ، وسيم الطلعة ، جذاب الملامح ، يطربك حديثه الخلاب ، يزينه سياج محكم من الرزانة وهدوء الطبع ، شديد التمسك بالدين الحنيف ، غيور على قوميته ، كثير الثقة بنفسه ، بعيد عن مظان الريب . ومواطن الشبهات .

هذه هي صورة مختصرة للاستاذ الجليل ، الذى نسأل الله مخلصين أن يكثر من أمثاله فى السودان حتى تسعد البلاد ويرتفع شأنها .

وكان من حسن سياسة الحكومة أن أقرت رؤساء العشائر ، واحترمت تقاليدهم ، ووضعت على رأس كل قبيلة سيداً من سادتها ، وعينت العمد والمشائخ وقسمت السودان إلى مديريات ومراكز عهدت فى المناصب الرئيسية فيها لصفوة مختارة من كرام البريطانيين الاذكياء من ذوى

الاخلاق السامية يساعدهم فيها نخبة من أبناء البلاد . وأقامت المحاكم الشرعية والمدنية فسارت الامور على نحو مطرد فى الاستقرار والعدالة والطمأنينة .

من ذلك انها أنشأت فى سنة ١٩١٩ محاكم أهلية تحت سلطة المشايخ والعمد ، وأعطتها سلطة الحكم فى القضايا الخاصة باهالى البلاد ، ويراس هذه المحكمة ناظرا لقبيلة ، ويكون معه أعضاء يختلف عددهم ولا تمتد سلطتها الا الى الحكم بالسجن لغاية سنتين وغرامة قدرها عشرون جنيها .

أما الأمن فى السودان فلا يمكن أن تكون الحالة التى نراها فى السودان من التمتع بالأمن ناتجة من ضغط الحكومة وشدة يقظتها ، فالسودان بلد واسع الارجاء والسلطة الحاكمة قليلة بالنسبة له ، ولكن السبب ، هو أن أهل البلاد قد غرست فى نفوسهم غريزة الامانة . ففى أى بلد فى السودان تستطيع أن تترك بابك مفتوحاً ليلاً نهاراً دون أن تخشى شيئاً . وليس هذا كل مانعنيه ، بل الأهم أن يدرك القارىء بعد السياسة التى جعلت القبائل المتناحرة ترضى بحكم بعضها بعضا ، فمن ذا الذى كان يصدق فى الماضى ، أن قبائل الحلويين العظيمة الشأن المتشعبة فى أنحاء النيل الازرق ، تقبل أن تنضوى تحت لواء الشكرية وترضى أن تكون تحت رئاستهم ، ؟

ووظائف الأمن فى السودان منوط بها البريطانيون يساعدهم نخبة من أبناء البلاد أيضا ، بوظائف وكلاء مفتشين ومأمورين ، وقد قاموا بوظائفهم

خير قيام وبرهنوا على اقتدارهم ، نذكر منهم فى الطليعة الاستاذ الجليل حسين افندى عبد العظيم خليفة وكيل مفتش عطبره ، وهو لا يحتاج إلى تعريف ، لانه سليل أعرق القبائل فى السودان (الخلايفة) الذين يسكنون بربر ودراو والذين لهم أعظم الذكر فى تاريخ السودان فوالده عبدالعظيم بك خليفه صاحب واقعة المرات عام ١٨٩٣ وواقعة دنقلا عام ١٨٩٦ ، ثم واقعة أبى حمد عام ١٨٩٧ ، وهو من خيرة شباب السودان أدبا وعلما ونزاهة . زرته فى مكتبه فى عطبره عام ١٩٣٩ فكانت زيارة تاريخية لست أنساها . ارتقى الى وظيفته الحالية بكفاءة منقطعة النظير وبرهن أنه شخصية تمثل العبقرية بكل معانيها فنال مانال بجدارة واستحقاق . خدم فى كثير من مناطق السودان ، وفى كل منطقة خلف ذكراً طيبا وثناء مستطابا .



الاستاذ حسين افند عبد العظيم

ثم الاستاذ النابغ على نديم وكيل مفتش الكرمك ، وهو خريج كلية غوردون عام ١٩١٠ حيث التحق بمصلحة الاشغال العمومية ، وقد أدرك الرؤساء الانجليز مافيه من نجابة وذكاء فاوصوا بنقله الى السلك الادارى

بوظيفة وكيل مأمور . وفى سنة ١٩٢٠ انتدب مساعدا للضابط السيسى فى تجريدة الحكومة التى جردتها الحكومة على ثورة الدنكا المجاورة لمركز طومبى، وبعد عودة التجريدة منح مدالية عسكرية ونيشان النيل من الدرجة الخامسة تقديرا لخدماته وظل إلى أن ترقى إلى وظيفة مأمور عام ١٩٢٥ . وقد حاز على افندى نديم رضاء رؤسائه ولذلك قد رقى إلى الدرجة الرابعة عام ١٩٣٣ ثم إلى وكيل مفتش عام ١٩٣٥ ومنح نيشان الامبراطورية الانجليزية من درجة عضو بعد ذلك منح خلال خدمته بالدويم مدالية اليوبيل الفضية ومدالية التتويج من جلالة ملك بريطاليا العظمى . عدا هذا فقد امتاز الاستاذ نديم بالذوق الممتاز وكرم الاخلاق ، ويعتبر من أبناء السودان النابغين . وهو اليوم مفتش الكرمك الذى يعتبر من أهم المراكز من الوجهة السياسية .



الاستاذ على نديم

كذلك استعانت الحكومة بابناء الاسر العريقة فجعلت منهم مأمورى المراكز . وانى وان كنت لا أستطيع اثبات صور وتاريخ الكثيرين منهم فلا يفوتنى أن أذكر واحداً منهم على سبيل المثال ، وهو الاستاذ الجليل السيد داوود الخليفه عبدالله مأمور بربر اليوم الذى لايحتاج الى تعريف فهو نجل

الخليفة عبد الله و كفى ، وهو حامل نيشان الامبراطورية من درجة



السيد داوود الخليفه عبد الله

عضو .M.B.E ، وقد انتدبته الحكومة ضمن وفد النبلاء الذى سافر الى لندن لشهود حفلة تتويج جـــلالة ملك بريطانيا العظمى. عرفته شخصياً وزرته فى مكتبه فى الخرطوم قبل نقله الى بربر فرأيت العظمة التى ورثها عن أبيه تجلى فيه باجلى معانيها. امتاز بالذوق الكثير والأدب الجم والكرم الحاتمى ، وكل ماتجلى به الرجل المثقف المهذب . ولا عجب أن تستعين الحكومة بامثاله على تنظيم ادارتها فقد دلت التجارب أن الاخلاق هى أساس متين لكل ما يرفع من شأن الحكومات .

كما أنها استعانت بكثير من الشباب الراق فى وظائف ضباط بوليس فكانوا عند حسن ظن الحكومة بهم وهاهو الاستاذ الجليل عزالدين افندى مختار وهو انموذج حسن للشخصية السودانية البارزة وعنوان ملموس للاجتهاد والذكاء . عرفته فى كوستى حيث كان وكيلا لمأمورها فعرفت فيه

شابا راقيا يعرف كيف يملك عليك لبك بحديثه الحلو الخلاب وبيراعته وذوقه .



الاستاذ عز الدين افندى مختار

حدثنى المستر *BOLTON* الذى كان مفتشا فى كوستى قال « انى أثق كثيراً فى عز الدين افندى مختار فهو مثال الصدق والتفانى فى القيام بالواجب لذا فأننى أعتمد عليه فى كثير من الأمور التى تستلزم مجهوداً »

هو خريج كلية غوردون التى أصبحت فى مصاف أعظم كليات العالم بما تخرج من رجال أكفاء وشخصيات بارزة أمثال عز الدين .

كذلك استعانت ببعض الشباب المثقف ليكونوا نوابا لضباط البوليس وهاهو الاستاذ خليفه افندى محجوب نذكره على سبيل المثال فهو صورة صحيحة لاناقة الشاب السودانى المهذب . ومثل من أمثال الاخلاص فى العمل . (أنظر صورته فى الصفحة التالية)

أما النظام الادارى فى السودان فهو موضع الاعجاب والثناء . استطاعت حكومة السودان الفتية أن تكون فى الاربعين سنة الماضية نظاما إداريا قل أن تجد مثله فى أى حكومة أخرى . نظام صريح لاتعقيد فيه ولاغموض وجميع أهل السودان حتى رجل الشارع وساكن

البادية يعرف الى من يتوجه بشكواه إذا أصابه أى ضير . لذلك تجد الناس جميعاً فى طمأنينة يعتقد كل شخص أن السلطة الحاكمة فى متناول يده وأن العدل مكفول له فى أى وقت ، كما يعتقد أيضا أن الحكومة لاتبطىء ولا تسوف فى الاخذ بناصره وانصافه . هذا هو نظام الادارة الذى لاتشوبه شائبة والذى كون السودانيين على خلق عملي متين فجملت الموظف والتاجر والزارع والعامل وكل من تقله أرض السودان فى مستوى واحد فلا محسوبية ولا مداجاة ولا ظلم ولا ابطاء فى اجراء العدالة . وهذا الذى يدعو الموظف هناك أن يتفانى فى واجبه لانه يعرف أن رقيه يتوقف على الكفاءة والقانون فقط . وليس ذلك فحسب فان تسجيل الاراضى والعقارات قد بلغ حد الكمال من التسهيلات . وقد كتب الىّ الاستاذ خليل الخورى الذى كان قاضيا فى السودان سابقا يمتدح هذه النظم قال : —



خليفة افندى محجوب مساعد البوليس

إن محاكم السودان قد بلغت الاوج من الرقى وقد كانت موفقة فى انتقاء رجالها سواء منهم البريطانيين أم المصريين والنظام القضائى القائم اليوم فى السودان بل وغيره من أنظمة الادارة الحكومية هو مما يجب أن تفخر به حكومة السودان ومما عنيت به على الخصوص نظام التسجيل العقارى الذى أنشأته على طراز نظام طورنز القاضى الاسترالى والذى سهل المعاملات المتعلقة بالاراضي وبيوعها ورهونها وجميع الحقوق العينية المتعلقة بالاراضي ، فقد مسحت الاراضى هناك فى عهد السر ادجار بونهام كارتر وقطعت قطعا كبيرة وصغيرة ، وصار لكل عقار شخصية خاصة يعرف بنمرته ، فاذا أراد الانسان مثلا أن يشترى أرضا أو عقاراً عليه بناء فلا يلزمه معرفة أصحاب العقار بل يكفي أن يعرف جهته أو نمرته ويسير فوراً إلى مكتب التسجيل فيعطيه هذا المكتب شهادة يثبت فيها حالة العقار المعين وفى هذه الشهادة المأخوذة من السجل تاريخ العقار من أوله إلى آخره كأنه شخص والسجل ترجمة حياته فيفهم طالب الشراء حالة العقار اليوم كاسم مالكه وعما إذا كان مرهونا أو عليه غير الرهن من الحقوق واستخراج هذه الشهادة لا يستغرق من الوقت سوى زيارة واحدة لمكتب التسجيل وبعد الحصول على هذه الشهادة إذا اتفق طالب الشراء مع المالك أمكنهما السير معا إلى مكتب التسجيل فتتم صفقة البيع بزيارة أخرى أيضا وينقل العقار باسم المشترى وكذا سائر المعاملات — أما فى مصر وأما فى سوريا وأما فى لبنان فان معاملة كهذه تنطوى على كثير من المشاق وتستغرق من الوقت

مالا يقل عن شهر وما يلازمه من الجهود والزيارات المتكررة لمكاتب متعددة . ولا يدرك هذه الفروق إلا من عانى الآلام والمتاعب فى هذا السبيل .

هذا ما قاله الاستاذ خليل الخورى فهو حجة فى ذلك إذ قضى معظم سنى خدمته فى السودان بالمصلحة القضائية . وبالاجمال فان السودان قد انتقل فى عهده الاخير إلى طور جديد يدلك على مقدار سمو أخلاق القائمين بالأمر هناك ، وقد اجتازت الحكومة هناك جميع العقبات التى تضطرها إلى عدم تثبيت دعائم الادارة . وها هى تسير من حسن إلى أحسن ولست أشك كما لا يشك غيرى ، أن حكومة هذا شأنها من الاجتهاد والتفانى فى اسعاد الاهلين سيكون لها الشأن الأعظم بين حكومات العالم .

المحاماة فى السودان

كان عدد المحامين فى السودان الى سنة ١٩٢٤ ثلاثة ، كلهم أجانب منهم واحد بريطانى واثنان يونيان . ولحكومة السودان نظام خاص فى قبول المحامين امام محاكمها ويجب الحصول على تصديق من الحاكم العام لمزاولة هذه المهنة . فلما كانت سنة ١٩٢٨ تقدم مصرى هو الاستاذ لبيب سوريال الى الحكومة يطلب تصريحاً بمزاولة المحاماة . ففتح الباب أمام أقرانه



الاستاذ لبيب سوريال المحامى

من المحامين حيث كان أول محامى مصرى قبل فى السودان بعد حوادث سنة ١٩٢٤ وفى وقت لم يكن فيه أى محام آخر يتكلم العربية فى المحاكم السودانية .

أما الاستاذ لبيب سوريال فهو شاب مصرى من أعرق الاسر فى صعيد مصر يستلهم النجاح فى عمله من همته وضميره ويسعى لتحقيق آماله الكبار عن سبيل الشرف . زرته فى مكتبه فى الخرطوم عدة مرات فادركت مقدار النجاح الذى أحرزه والثقة التى نالها بالرغم عن مزاولته مهنة المحاماة منذ سنة ١٩٢٨ فقط . ترى مكتبه مزدحماً بالزائرين وأصحاب القضايا وهو يقابلهم بما جبل عليه من البشاشة والادب الجم .

تخرج من كلية الحقوق عام ١٩٢٧ واشتغل مدة قصيرة كمحام فى مصر ثم نزح إلى السودان وقُبل فى كشف المحامين المصريين فى شهر ابريل سنة ١٩٢٨ .

وكما زرته فى مكتبه رأيته أيضا فى المحكمة يترافع باللغة الانجليزية ورأيت القاضى الانجليزى يصغى اليه بكل التفات فادركت مقدار الاحترام والشخصية البارزة التى يتمتع بها أيضاً .

وللاستاذ لبيب شخصية اخرى هى غيرته على أبناء قومه وتعضيده للمنشئات الخيرية ، والكنيسة القبطية ، وبالاجمال فان الاستاذ احد شباب مصر الذين يشار اليهم بالبنان فى السودان ومن الذين بلاريب سيبسم لهم المستقبل الزاهر .

كذلك قد برع فى مهنة المحاماه بعض أبناء البلاد . تراهم يترافعون فى المحكمة باللغة الانجليزية فتظنهم من أبناء الانجليز لولا لونهم . وها هو الاستاذ الجليل الدرديرى احمد اسماعيل المحامى فى ثوب المحاماة وفى يده مجلد من كتب القانون . أقول من كتب القانون لانى علمت أن الاستاذ له شغف بدراسة القانون والتبحر فى خفاياه وهو خريج كلية غوردون فلما

فلما أتم تجهيزيها ، التحق بالمدارس الثانوية بمصر ثم بالجامعة المصرية ٢٠

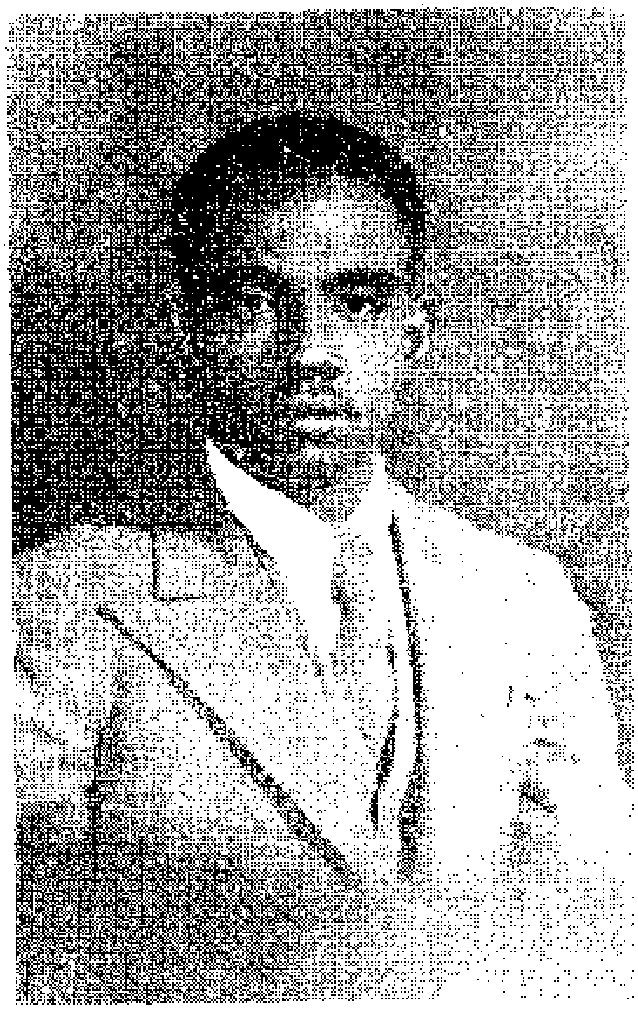


الاستاذ الدرديرى احمد اسماعيل المحامى

حيث كان يضرب به المثل فى الذكاء والنبوغ . وقد نال شهادة الليسانس عام ١٩٣٢ وتوظف بوزارة الحقانية فى مصر وظل فى وظيفته هذه الى عام ١٩٢٧ اذ استقال لانه حن الى االسودان فعاد اليه حيث هو الآن محاميا امام محاكمه وهو كما ترى فى مستهل عمره يعمل فى الهيئة الاجتماعية بما يعجز عنه الشيوخ . وقد نال ثقة الاهلين وأصحاب القضايا ، فلا يخلو مكتبه منهم فى أى وقت ، وهو عنوان الأدب ، وعنوان الشباب الراقى ، يزينه ما اتصف به من خلق كريم وانسانية وقناعة

ثم الاستاذ ابراهيم المفتى الذى ترى صورته وهو فى هذا العمر الصغير فتدهشك هذه الرزانة وذلك التفكير العميق وهذا الهندام المنظم والاناقة الطبيعية ولا عجب فهو فى رأس أبناء الاسر العريقة وفى طليعتهم . زرته فى مكتبه عام ١٩٣٩ فقيل لى أنه بالمحكمة فانتهزتها فرصة فهرولت الى المحكمة حيث وجدته يترافع

أمام القاضى الانجليزى . كان يترافع باللغة الانجليزية ويقرع الحجة بالحجة



مستشهداً ببعض مواد القانون الانجليزى، فكان موضع احترام القاضى والمتقاضى، يزينه أدب جم وعلم غزير، وكرامة برزت بها شخصيته. ولست أشك انه إذا ذكر شباب السودان كان من أوائلهم كما لا أشك أن المستقبل كفيل بوضع الاستاذ المفتى فى المكانة التى يرجوها من النجاح

كذلك يوجد محاميان مصريان آخران أولهما الاستاذ رشدى بطرس الكوسا، وهو شاب

الاستاذ ابراهيم المفتى المحامى

مصرى نبيل تلقى العلم فى باريس، ونال شهادة الحقوق منها، ثم نزح إلى السودان وقد برز فى مهنته حيث لازال يزاولها بكل همة وأمانة . ثم الاستاذ يونس نجم وهو متمصر، تعلم فى كلية غوردون حيث كان والده فى السودان ثم تخرج من كلية الحقوق حيث سمح له بمزاولة مهنة المحاماة.

السوريون في السودان

أينما حل السوري فهو مثال الكمال ، يبهرك أدبه ونشاطه ، ويدهشك ذوقه وسمو تربيته . فكما تجده فى أمريكا وقد زاحم كبار التجار ، كذلك تجده فى مصر والسودان قد تبوأ اسمي المناصب بجدارة واستحقاق ، وهو فى البرازيل كما هو فى جنوب أفريقيا ، حركة دائمة ، وانسانية دونها كل انسانية . تشعر من نفسك دافعاً لاحترامه واحلاله المحل الأول من قلبك وذلك لما تراه فيه من حسن التصرف وحب الخير ، وفوق كل ذلك لعلمه الجم وأدبه الغزير .

السوري شعلة ذكاء . السوري رجل عمل لاقول . شاعرهم فحل ، ومترجمهم نابغ ، وكاتبهم فى الصف الاول ، وتاجرهم صورة صحيحة للثقة والأمانة . لهم مكانة محترمة أينما حلوا ، وشخصية ممتازة أينما سعوا . مركزهم الأدبي فى السودان بين الحاكم والمحكوم ، فهم بين كفتي الميزان ، يساعدهم نظام الحكومة هناك أن يكونوا دواماً فى الكفة الراجحة ، فالادارة فى السودان ، واضحة المنهج ، والاشغال الرسمية دقيقة حسنة الاسلوب ، خالية من الحشو والتعقيد .

والسوري بطبيعته حسن الاستعداد للاقتباس ، ينظر لكل ماحوله نظر الناقد الحكيم ، فيقلد ما هو نافع ، ويطرح ما هو مضر . وعلى الاجمال فالسوري انموذج حي من الحياة الصحيحة المملوءة بالكمال الأدبي ، وقد

تغنى شاعر مصر الكبير المغفور له حافظ ابراهيم بفضلهم وقوة عزيمتهم حيث قال : —

أسطولهم أمل فى البحر مرتحل — وجيشهم عمل فى البر مغترب

لم تبد بارقة فى أفق منتجع — إلا وكان لها فى الشام مرتقب

وفى موضع آخر يمتدح شاعرنا عزة نفوسهم ، ومكانهم من الشرف ، ويمتدح هجرتهم إلى أبعد الاصقاع ، وهمتهم العالية . وفى هذا يقول : —

عافوا المذلة فى الدنيا فعندهم — عز الحياة وعز الموت سيان

تيمموا أرض كولمب فاشعرت — منهم بوطء غريب الدار حيران

أن ضاقت الشام عن برهان قدرتهم — فى المهاجر قد جاءوا ببرهان

هذا هو السورى ، فكما هو فى أرض كولمب كذلك هو فى السودان . لهم فى الخرطوم ناد محترم ، لا يتخلف عنه أعضاؤه إلا لعذر هام ، يعملون على ترقيته بكل ما منحهم الله من قوة .

كان لى شرف معرفة البارزين منهم فى السودان ، فاذا كتبت اليوم عنهم هذه الكلمة ، فهى اقل مما يستحقون ، وليس الذين سنذكرهم هنا هم كل من فى السودان . كلا — فان فى السودان نخبة كبيرة منهم وقد كانوا الى سنة ١٩٢٥ يزيدون عن الثلثمائة ، كلهم من طراز ممتاز ، منهم السكرتاريون ، ومديرو الاقلام ، وباشكتاب المديريات ، والقضاة ، والاطباء ، والصيادلة ، والمهندسون والمفتشون ، والتجار ، وامتاز واحد منهم باكبر منصب كان يحسده عليه الانجليز أنفسهم ، إلا وهو صاحب السعادة المغفور له السير سعيد شقير باشا الذى كان مديراً لمالية السودان .

أما التجار منهم ، فهم كثيرون أيضا وجاهم من الفئة التى تشرف الشام وبلاد الشام وأهل الشام .



المغفور له السير سعيد شقير باشا مدير مالية السودان سابقاً

أما سعيد شقير باشا فهو مدير مالية السودان الذى كان له الفضل الاول فى ترقية ميزانيتها ونمو ماليتها .

هو أبرز رجل سورى خدم حكومة السودان بذكائه ونشاطه وثباته
هو المثل الاعلى فى سمو الاخلاق، والمثابرة على العمل واحترام القوانين،
هو الذى حاز بجده واستقامته ومقدرته احترام جميع موظفى حكومة السودان ومحبتهم من انجليز ومصريين ووطنيين.

هو سعيد شقير باشا وكفى.

جاء الى مصر عام ١٨٨٩ فاشتغل محرراً بادارة المقتطف وكان علاوة على عمله فى ادارة المقتطف يعطى دروساً لكثير من الاجانب من بينهم المستر الفرد ملنر (لورد ملنر) الذى كان إذ ذاك مستشاراً مالياً للحكومة المصرية، والذى تنبأ لسعيد باشا بمستقبل حافل بعد أن خبره فاعجب بذكائه وسرعة خاطره ومقدرته.

وحدث فى أثناء الثورة المهدية، أن احتاجت الحكومة المصرية إلى مترجم بارع لمحافظة البحر الاحمر، فأرشدها المستر ملنر إلى سعيد شقير الذى لم يتردد فى قبول هذه الوظيفة. فعين مترجماً فى مايو سنة ١٨٩٠. فتجلت مواهبه ومقدرته فرقى الى منصب سكرتير للمحافظة عام ١٨٩٤ وأنعم عليه بالرتبة الثالثة وبالرتبة الثانية عام ١٨٩٧.

وكان بين الذين تقلدوا منصب محافظ سواكن، المرحوم اللورد كتشنر (قبل أن يصبح سرداراً للجيش المصرى) والسير ونجت باشا (قبل أن يكون مديراً للمخابرات) فاعجب كلاهما به واعترفا بذكائه واجتهاده.

فلما تم فتح السودان وأصبح اللورد كتشنر حاكما، رأى حاجته ماسة لرجل فذ يوكل اليه أمر تنظيم مالية البلاد، فلم تغب عن ذاكرته تلك الشخصية

البارزة والمقدرة الممتازة، فاستدعى سعيد شقير وقال له بعد أن أفهمه الغرض من استدعائه .Go then, It will either make you or break you

ويكفي أن نعرف أن مالية السودان كان دخلها ١٢٦٫٥٠٠ جنيهاً فاصبحت في عهده ٤٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيهاً . وفي هذين الرقمين ما يغني عن التعليق على مدى التقدم العظيم الذي بلغته على يديه . فلا عجب إذن أن تمنحه حكومة السودان أبرز أوسمتها تقديراً لخداماته واعترافاً بفضله ، فقد نال رتبة المتمايز ، ونيشان المجيدي الثالث ، ورتبة الميرميران ، والباشويه ، والمجيدي الثاني عام ١٩١٤ ونيشان النيل الثاني والثالث عام ١٩١٦



السير سعيد شقير باشا بملابسه الرسمية

وفي عام ١٩٢٤ أنعم عليه بوسام الامبراطورية البريطانية من طبقة فارس مع لقب Sir .

ظل سعيد باشا وقد بلغ عمر الشيوخ يعمل بوكالة حكومة السودان بمصر مستشاراً لشؤونها المالية ، كأنه في شرخ الشباب لا يبالي بتعب أو نصب ، يسهر الليالي ويبكر صباحاً إذا دعته الى ذلك ضرورة ، الى أن كان صباح يوم الاثنين ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٣٤ حيث توفاه الله الى رحمته بعد مرض لم يمهله إلا أياما ، لم ينفع في درئه تفاني الأهل

وحب الاصدقاء وعناية الاطباء . وقد حزن السودان كما حزنت مصر وسوريا لنعيه وكلهم يكبرون الخطب ويعظمون المصاب .

* * *

هذا هو سعيد شقير باشا من الوجهة العملية ، أما من الوجهة الأدبية فحدث عنه ولا حرج . لم يكن عظم المنصب ، ولا اعباء المسؤولية ولا العمل المرهق ، ليطمس هذه القريحة الوقادة ، وهذا الذكاء الممتاز ، فقد كان بصره في الأدب بصر العالم المصقول الطبع ، فبينا هو مغمور باكداس الاوراق الرسمية ينظر في حل أمر من أعقد الأمور ، ويصدر الأوامر في الأمور المالية العظيمة ، إذا به وقد خطر له خاطر أدبيّ ، فيتحرك الشاعر الرقيق في صدره ويتغنى بالمطرب من الشعر في أحرج أوقات عمله . حدّث الاستاذ يوسف بك نجار الذي كان قاضياً في حكومة السودان قال : —

كنا في احدى الليالي في النادي السوري في الخرطوم نلهو ونتحدث، واذا برسول من سعيد باشا يطلب أن أوافيه حالاً الى مكتبه في المالية . فلم يتبادر إلى ذهني ، إلا أنه يرغب أن يستعلم مني عن بعض النقط في ميزانية الادارة التي كنت أعمل فيها . فذهبت اليه وأنا أحضر الجواب على ما ربما يسألني عنه . فلما دخلت عليه وحييته ، التفت إليّ قائلا . هل تعرف قصيدة عبد الحميد الرافعي التي مطلعها : —

قعد الحظ به حتى اقتعد　　　غارب السير ومن جدّ وجدْ

قلت نعم : قال اجلس وأعدها عليّ ، فاعدتها عليه وهي تزيد عن السبعين

بيتاً ، وكان سعيد باشا يقوم ويقعد فى كرسيه من شدة الطرب . ثم قال متألماً . أليس من الغريب أن يرسل مثل هذا الشعر لأجل الحصول على وظيفة مدير ؟؟ وهو منتهى ماوصل اليه الشمم والأباء . اه

ومما يشهد له بثقوب البصر فى الادب الحادثة الآتيه

بعث المغفور له شوقى بك أمير الشعراء إلى المقتطف بقصيدته الفلسفية التي يعارض فيها قصيدة ابن سينا والتي مطلعها (هبطت اليك من المكان الارفع) فقرأها الدكتور صروف وأعجب بمعانيها الشعرية والفلسفية ، وأرسلها إلى المطبعة . ولما ذهب إلى داره لتناول الغذاء ، خطر له أن يريها إلى سعيد باشا . فأخذ معه نسختها وظل ينشد وسعيد باشا يسمع ، فلما وصل الدكتور إلى قول شوقى : —

ما بال احمد عيّ عنك بيانه بل ما لعيسى لايقول ويدعى

حتى استوقفه سعيد باشا قائلاً هذا لا يستقيم معنى لأن المقصود هو نفى القول والادعاء معاً عن عيسى ، فاضطرب الدكتور صروف وقال وما العمل والملزمة فى المطبعة ؟ ولم يبق وقت لتصليح الشطر ؟ فتناول سعيد باشا التليفون وخاطب شوقى بك فى داره مبيناً له رأيه ، فوافق شوقى بك عليه وطلب اليه أن يغير الشطر ليكون : —

مابال احمد عىّ عنك بيانه بل ما لعيسى لم يقل أو يدعى

وعلى ذلك صدرت القصيدة فى مقتطف يناير سنة ١٩٢٤ وفيها البيت نزولاً على رأى سعيد باشا .

لم يكن سعيد باشا يحب الشعر ويتغنى به فحسب ، بل كان شاعراً مطبوعا يأخذ شعره بمجامع القلوب ففي سنة ١٩٠٨ عندما حدث الانقلاب في تركيا كان سعيد باشا من المتحمسين لجمعية الاتحاد والترقي لاعتقاده أن عهد الظلم في سوريا قد انقضى وسيقوم على أنقاضه عهد النور والحرية ، فنظم قصيدة تليت في الاحتفال الذي أقيم في « عاليه » في صيف تلك السنة قال في مطلعها : —

اليوم تفتخر الأتراك والعرب　　قد عاد عزهم والمجد والحسب

إلى أن قال : —

إذا دعى الموت فرداً هب كلهم　　حتى كأن المنايا الكأس والحبب
ما قدموا حذراً أو ردهم خطر　　وان يكن في جبين الليث ماطلبوا
ولا اشترتهم وعود ماؤها ذهب　　ولا ثناهم وعيد ماؤه الغضب
ولا استمالهم مجد يكون به　　ظلم العباد ولا غرتهم الرتب
قالوا وقد شهروا الصمصام واندفعوا　　كالرعد تعصف في احشائه اللهب
للشعب حق أتينا اليوم نطلبه　　اما نذوق الردى أو يصدق الطلب
فالحر مضطهد والأمن مضطرب　　والعرض منتهك والرزق منتهب
الدين لله دينوا كيف شاءكم　　أما الدين هوى الاوطان فاعتصبوا

وليس ذلك وحسب ، بل كان رحمه الله يعنى عناية خاصة بالزجل اللبناني وله فيه مطالع جيدة .

هذا مجمل تاريخ سعيد شقير باشا الذى ظل إلى آخر أيام حياته يحمل فى طيات نفسه شيئاً كثيراً من شمائل الشباب فاذا شهد حفل أو مأدبة

أطرف مجالسيه بأقاصيصه ونكاته فيبث السرور فى نفوس الذين حوله مهما اختلفت أعمارهم وأذواقهم ، ولا عجب فقد جمع بين هيبة الشيوخ ونشاط الشباب ، ووعى إلى جانب الحنكة والتجربة كل بهجة فى حديث حلو وذوق ممتاز رحمه الله رحمة واسعة .

اللوا الدكتور باسيل سوسو جرجس باشا

عرفت سعادته شخصيا فى مكوار عام ١٩١٤ حيث كان طبيبها فعرفت الرجولة الصحيحة ، والاخلاق السامية ، وتقديس الواجب . إذا أسعدك الحظ فجالست معه ولو مرة واحدة شعرت أنك فى حضرة رجل خطير تحيط بشخصيته الجذابة هالة من العظمة ، وتشعر بما فيه من قوة ، هى قوة المبادىء الصحيحة ، والارادة ، والنشاط والشجاعة ، والعواطف الكريمة إذن فهو مستودع قوة عظيمة من الاخلاق السامية . تخرج من



اللوا باسيل سوسو جرجس باشا

الجامعة الامريكية فى بيروت عام ١٩٠٩ بعد أن نال دبلوم الطب والجراحة

منها وانضم إلى القسم الطبي فى القاهرة وما لبث أن أرسل إلى الخرطوم ثم بحر الغزال عام ١٩١٠ ثم مكوار عام ١٩١٤ .

وهناك حيث كان العمل جاريا فى بناء الخزان وكان ثمت حوالى عشرة آلاف رجل من العمال وكانت حمى الملاريا والالتهاب السحائى متفشيان إلى درجة خطرة بذل مجهوداً جباراً فكافحهما بهمة لا تعرف للتعب معنى ، فاسترعى عمله هذا أنظار اولى الأمر . وظل هناك إلى سنة ١٩١٩ يضرب كل يوم مثلا فى تأدية الواجب وكل نواحى الحياة . وقد أكتشف هناك عدة حوادث لم تكن معروفة من قبل فنوهت بذلك الحكايات الطبية ناهيك بما انهال عليه من رسائل الثناء والتقدير من ثقات الطب وفى طليعتهم الاستاذ العظيم Sir chalmers .

وفى سنة ١٩٢٠ نقل إلى كسلا حيث ظل بها قائما بواجبه يتمتع بثقة الكبير والصغير إلى سنة ١٩٢٥ حيث عاد مع الجيش إلى مصر . عندئذ أبدى رغبته فى اعتزال خدمة الجيش لكى يعمل فى عيادة خصوصية ، ولكن تألب حوله الاصدقاء من عارفى فضله ، وفى مقدمتهم المرحوم السيد على باشا وكيل وزارة الحربية (وقتئذ) ، فاستطاعوا أن يثنوه عن هذه النية ، وهو اليوم كبير أطباء الجيش المصرى فى مصر ومن الذين يشار اليهم بالبنان

صموئيل بك عطيه

هو مدير الادارة العربية بوكالة حكومة السودان بمصر . وهو علم من الاعلام الذين ساهموا فى ترقية شؤون السودان ، وواحد من الذين يشهد لهم التاريخ بعظمة الرجولة، وكرم الاخلاق ، وفى اعتقادى أن كل كتاب يصدر عن الذين ساهموا فى رفع شأن السودان ماديا واجتماعيا ، دون أن يُعطى صموئيل بك عطيه المحل الاول فيه ، كان ناقصا مجرداً من روحه المعنوية .



صاحب العزة صموئيل بك عطيه

أتم صموئيل بك علومه العالية فى الجامعة الامريكية ببيروت وتخرج منها بعد أن نال شهادتها العلمية من درجة بكالوريوس علوم سنة ١٨٩٨ وفى شهر أكتوبر من السنة نفسها دخل خدمة الحكومة بادارة مخابرات الجيش المصرى ، وفى عام ١٩٠٢ عين باشكاتبا لوكالة حكومة السودان فى القاهرة ، وفى أواخر سنة ١٩٠٣ نقلت إدارة المخابرات إلى الخرطوم فنقل

باشكاتبا لها ، ثم رقى إلى منصب ناظر إدارة المخابرات سنة ١٩١٤ ، وأنعم عليه بالنيشان المجيدى الرابع ثم برتبة البيكوية من الدرجة الثانية عام ١٩١٦. وفى سنة ١٩١٨ استدعاه السير جلبرت كلايتون (رئيس القسم السياسى فى فلسطين) فعهد اليه فى مهمة سياسية استغرقت أربعة شهور. وقد ذكره معالى الحاكم العام مرتين فى تقاريره الخصوصية إلى وزارة الخارجية البريطانية. وفى سنة ١٩١٩ انتدبته حكومة السودان لمرافقة الوفد السودانى إلى لندن ، فانعم عليه جلالة الملك جورج بوسام فكتوريا من درجة عضو . وفى سنة ١٩٢٣ عين ضابطا للمخابرات وانعم عليه بنيشان النيل الرابع وفى سنتى ١٩٢٤ و ١٩٢٦ انعم عليه بوسام الامبراطورية البريطانية من درجة ضابط وفى عام ١٩٣١ أنعم عليه برتبة البيكوية من الدرجة الأولى

هذا هو مختصر تاريخ صموئيل عطيه من الوجهة العملية ، أما من الناحية الاجتماعية ، فليس فى مقدورى ولا فى مقدور سواى أن يعدده ، فقد كان شديد الاهتمام بكل ما فيه خير البشرية ، كما كان دائب التفكير بأمور الجالية السورية ، وهو واحد من الفلائل الذين عملوا على تأسيس النادى السورى بالخرطوم عام ١٩٠٣ ، وجمعية الجالية السورية عام ١٩٠٨ ،

انتخب لرئاسة هذه الجمعية عدة مرات ، وانتخب رئيسا للنادى السورى منذ سنة ١٩٢٤ وظل يجدد انتخابه الى أن بارح السودان عام ١٩٣٢ . ولا اجرؤ أن أقول كلمة عن صموئيل بك ، فقد قالها من هم أكبر وأعظم منى . نعم فقد جمعت حفلة العشاء التى اقيمت له فى الخرطوم قبل مبارحته السودان ، من عظماء الانجليز من يعتبر وجودهم فى هذه الحفلة

خير شهادة منهم لصموئيل بك الذى عمل معهم يداً بيد فى تشييد عمران السودان وبناء حضارته ، وإذا صح أن تكون هذه الحفلة شهادة ناطقة فهنالك ماهو خير منها ، فقد استدعاه قبيل سفره حضرة صاحب المعالى السير جون مافى حاكم السودان العام وأبدى له تقديره لاخلاصه وكفاءته فى العمل وأهداه صورته الكريمة ممهورة بامضائه ، مبديا أسفه لفراقه للسودان ، وعظيم سروره لأن هذا الفراق سوف لايقطع صلته بالسودان اذ سيظل فى وكالتها فى مصر مديراً للادارة العربية ومستشاراً للحكومة السودانية هناك .

ولا زال صموئيل بك فى وكالة حكومة السودان رغم تجاوزه سن المعاش لأن حكومة السودان رأت عدم استطاعتها الاستغناء عن خدماته أو الاستعاضة عنه بسواه .

ان فى العالم أبطالا لم يحملوا سلاحاً ولا استلوا سيفاً ، ولكن قلوبهم لاتخشى خطراً فى سبيل اسعاد الآخرين ونصرة الحق . ولا شك أن صموئيل بك عطيه هو أحد هؤلاء الابطال ، يسعى الى الخير حباً فى الخير نفسه .

لم ينس فى أى وقت من أوقات حياته أن مسؤليته كانت لله عظيمة قبل أن تكون لانسان مثله . فهو مثل أعلى فى مكارم الاخلاق وسموها ، ومثل حى لكل الذين أرسلهم نصف الكرة الارضية الشرقي الى السودان ومصر .

أجمع جميع الناس بريطانيين وسوريين ومصريين وسودانيين على حبه واحترامه ، فاحلوه من نفوسهم أكرم المنازل فجاء هذا الحب دليلا قاطعا تجسم فيه اخلاص الانسان لاخيه فى الانسانية .

يعرف جميع الناس المواقف النبيلة المشرفة التى وقفها صموئيل بك يحل فيها أعقد المشاكل الاجتماعية ، ساعده مركزه العظيم على دفع التهم عن الابرياء ، والدفاع عن المظلومين ، فأتم بذلك واجبه المثلث ، واجبه نحو الله واجبه نحو ضميره — ثم واجبه نحو مركزه .

ان صموئيل بك عطيه لهو حقا رجل عظيم ، يفاخر به كل رجل محب للانسانية كذلك يجب أن تفخر به سوريا كما يفخر به السودان .

موسى بك جورج

هو أحد كبار موظفى حكومة السودان ، التحق بخدمتها عام ١٩٠٥ رئيسا لقلم المعاشات الذى أنشىء حديثا فى ذلك الوقت ، فعمل عزته جاهداً فى تحرى خير النظم لعمل عظيم كهذا فى بدىء انشائه حتى سنة ١٩٢٥ إذ نقل لرئاسة مكتب المالية بوكالة السودان وظل به إلى أن ترك الخدمة فى سنة ١٩٣٠ ، ولا تزال صلاته بحكومة السودان قائمة على أساس من الثقة والتفاهم إذ يدعى عزته من حين لآخر ليقوم بالاعمال التى تتطلب مثل خبرته وكفاءته الممتازة بوكالة حكومة السودان بالقاهرة



صاحب العزة موسى بك جورج

ولعزته نواح بارزة فى حياته الاجتماعية فهو فى طليعة الشعراء البارزين ومن أقطاب اخواننا السوريين المقيمين بمصر ، وقد أحدث النشيد الوطنى الذى نظمه عزته قبل سنتين دويا فى الاوساط الأدبية وعلقت عليه كبرى جرائدنا اليومية فى حينه — ولثقافته العالية واطلاعه الواسع أثر جيل فى المجتمع الذى يحيط به مما جعل لعزته مكانة ممتازة فى قلوب عارفى فضله وأدبه .

المغفور له نعوم شقير بك

اشهر من نار على علم ، وهو كاتب كبير ، وشاعر ممتاز ، له اسلوب كتابى تاريخى لا يجاريه فيه مجار .

رافق حملة فتح السودان واستطاع أن يدون مذكراتها بقلمه الساحر فتناول كل موضوع من مواضيع الجغرافية الوضعية والادارية والتاريخ القديم والحديث فجاءت فى الف ومئتى صفحة من القطع الكبير وهو تاريخ السودان الذى نفدت طبعته فاصبح اليوم أندر من الكبريت الاحمر .



نعوم شقير بك

ولا عجب أن تسند اليه حكومة السودان منصب (مدير قسم التاريخ) فى حكومتها وليس ذلك . فحسب ، بل ومنحته أسمى أوسمتها تقديراً لجهوده ومقدرته .

ولم يكتف نعوم بك بكتاب (تاريخ السودان) الذى يمت إلى وظيفته بصلة ، بل تعداه إلى سواه فكأنه خلق رجل بحث وتنقيب وهذا تاريخ سينا يشهد لعزته بالتفوق ورجاحة العقل . يساعده على ذلك ذكاء خارق وأسلوب رائع وهو من رجال سوريا الذين خدموا السودان باخلاص ليس بعده اخلاص رحمه الله رحمة واسعة .

القائمقام منصور بك قطيط

عرفت الدكتور قطيط فى السودان فعرفت فيه رجلا شهما رؤوفا بالمرضى ، طالما عالجهم على حسابه الخاص اشتهر بالنزاهة والكفاءة ،وقد تفضل جلالة مولانا الملك فانعم عليه أخيراً بوسام النيل من الدرجة الرابعة . عرفته شخصياً فله من حميد الصفات وجليل الخدامات ماتجعلنى استبشر باحالته على المعاش اذ سيتخلص من قيود المنصب ليتفرغ لخدمة الانسانية التى هو نصيرها ورافع لوائها .



القائمقام منصور بك قطيط

الدكتور نقولا معلوف

لا يجهل أى انسان زار السودان ، أو عاش فى السودان الدكتور ، نقولا

معلوف فهو شخصية بارزة تدل على ما لأبناء سوريا من المكانة فى تلك البلاد . له عيادة خاصة فى الخرطوم يؤمها

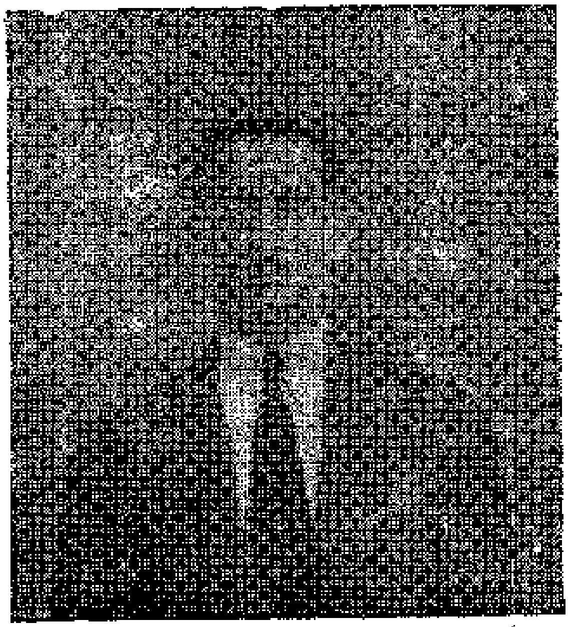


الناس من أبعد البلاد لما يتمتع به من الثقة والعناية بمرضاه . يضرب المثل الأعلى ، ليس فى تأدية واجباته الطبية فحسب ، بل فى كل ناحية من نواحى الحياة ، لأنه ممن تفخر الانسانية الراقية برجولتهم وشهامتهم . فهو رجل عظيم قبل أن يكون نطاسياً بارعاً هو رئيس النادى السورى فى الخرطوم ، الدكتور نقولا معلوف يعمل جهد طاقته على ترقية شؤونه والعمل على نموه ، كان طبيباً فى حكومة السودان ، فاستقال وجنح الى العمل الحر والحرية المطلقة ، فنجح نجاحاً باهراً تتقدمه ثقته بنفسه واعتماده عليها ، ولازال حيث هو يقوم بواجبه نحو نفسه ونحو الجالية السورية ، ونحو السودان ، أكثر الله من أمثاله النابغين النافعين.

الدكتور جورج مرهج

لست أستطيع أن أقول كلمتى عن الاستاذ جورج مرهج ، قبل أن أجمع تفكيرى وقبل أن أتمثل عنوان النشاط والصدق والأمانه والاعتماد على النفس . لقد جمعت كل هذه الصفات للاستاذ مرهج وقلما تتفق لرجل واحد كان صيدلياً فى حكومة السودان فاستقال عام ١٩١٥ ، وبرأس مال

لايتجاوز نصف ألف أسس الاجزاخانة الانجليزية التي أصبحت مثلا في النظام والنظافة وحسن الادارة .



الاستاذ جورج مرهج

وهاهي بعد خمسة وعشرين عاما فقط، أصبحت ادارة واسعة لاتقل عن احدى ادارات الحكومة . نعم فهذه مخازن مرهج في الخرطوم تقدم درسا عمليا للناس عن نتيجة الشجاعة الأدبية، والثقة، والاخلاص في العمل والثبات على المبدأ هذا عداما اتصف به الدكتور مرهج من دماثة الخلق وكرمها فهو بالاجمال أحد أفراد الجالية السورية البارزين الذين تفخر بهم سوريا

المرحوم عبد المسيح افندى لحام

هو مفتش تلغرافات السودان سابقاً، وقد لايعرفه كثير من الناس كما عرفته شخصياً، لصلة العمل الذى كانت تربطني به. فهو مجموعة فضائل لا لاتتفق لكثير من الناس. هادىء الطبع تجلي فيه أبرز صفات عظمة النفس الداخلية، يحمل بين جنبيه نفساً عالية، وقلباً عامراً بالثقة بنفسه. لايقف

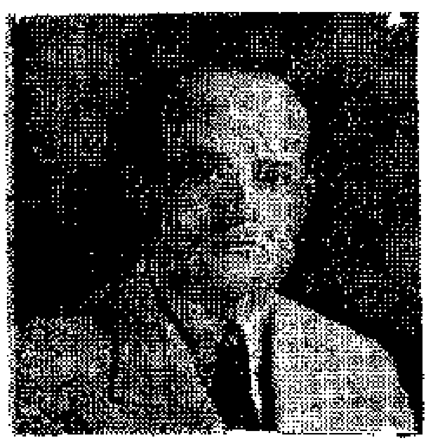
صاغراً لانسان مثله، ولا يتنزل لالتماس صنيع من قوم أنكر بهم الانفة. يسعى



المرحوم عبد المسيح افندى لحام

لمساعدة الذين تحت ادارته دون أن يشعرهم بذلك، يدفعه الى ذلك كفاءتهم وأخلاقهم، وهو بذلك يؤدى الواجب نحو ضميره وربه. اعتزل خدمة حكومة السودان قبل عشرين سنة فانتهزت شركة ماركونى هذه الفرصة لتستفيد بكفاءته، فعينته مفتشاً لها. توفى فى ٧ أبريل عام ١٩٣٩ فبكاه جميع الناس ممن عرفوا فضله ومكارم أخلاقه رحمه الله رحمة واسعة.

ان الالمام بهذا الفصل على الصورة التى ترضينى ليس فى الامكان، فلست أستطيع أن أجمع جميع السوريين الذين عرفتهم فى هذا الكتاب، وان كل الذين ذكرناهم، إنما ذكرناهم على سبيل المثال فقط لذلك أذكر مثلا آخر من تجار أبناء سوريا الذين يتمتع السودان بوجودهم فيه، وفى طليعتهم الاستاذ الجليل جورج توتونجى حامل نيشان الامبراطورية الانجليزية، وزعيم الجالية السورية فى أم درمان والخرطوم. ولاشك أن سوريا تفخر أن لها



الاستاذ جورج توتونجى

أبناء من أمثال جورج توتونجى ضربوا المثل الأعلى فى الصدق والأمانة التامة . فنجحوا نجاحا باهراً . وأصبحوا مضرب المثل فى السوق التجارى. تتناول أعماله جميع صادرات السودان ووارداته التجارية ، وكما أن له محلا يتولى إدارته تجاريا فى أم درمان كذلك له محلا آخر فى الموسكي فى مصر يتولاه شقيقه الاصغر وهو عنوان الشرف والكمال .

الاستاذ نجيب حداد

واذ تذكر التجارة والسوق التجارى يبرز ، أيضا اسم رجل الانسانية والكرم الاستاذ نجيب حداد التاجر المظيم . الذى ضرب الرقم القياسى فى حبه للخير ، وحبه لمساعدة الناس ، وهو فى السوق التجارى ميزان الصدق ومكارم الاخلاق ، وطهارة الذمة ، وعنوان النبل والشرف .



الاستاذ نجيب حداد

إذا زرت محله التجارى فى أم درمان فى المحطة الوسطى ،أدركت لأول وهلة ، مقدار ما يتمتع به الاستاذ نجيب من الذوق والمقدرة على النظام الذى ينم عن ما فى دخيلة نفسه . فمحله غاية فى النظام وحسن الادارة . يتهافت الناس على معاملته بكل ثقة ، وهو كعبة يرجع اليها صغار التجار ليأخذ بناصرهم ،ويدفع الضر عنهم . ماطرق بابه شخص إلا وعاد باسم الثغر مستبشر الوجه .

يلقاك وهو باسم ، ويودعك وهو باسم ، أدب ناضج ، وعصارة من مكارم الاخلاق تراها متجسمة فى صورته الهادئة اللطيفة فما أغنى سوريا بالرجال العظام ؟؟

بعد أن تقرأ هذا الفصل التمس اليك أن لا تتهمنى بالتقصير فى حق كثير من الرجال البارزين فقد قلت انى أثبت ما أثبت على سبيل المثال فقط ، أما الالمام به على الوجه الأكمل فهو محال .

ان السودان قد لقى من أبناء سوريا ومن خداماتهم الجليلة الشيء الكثير . فالمغفور له شاهين بك جرجس الذى كان سكرتيراً للحاكم العام ، كان مثلا من أمثال العظمة والنبوغ ، ثم الاستاذ الجليل ابراهيم بك ديمترى الذى كان سكرتيراً خاصا لسلاطين باشا . ونسيب افندى بدر ، والمشملانى والاستاذ خليل الحاج . والدكتور الياس جبر . والدكتور وديع غض . واسكندر فريوه ووليم فريوه ، والاستاذ فريد عطيه نائب مدير المعارف السودانيه ، ويوسف الاسمر ، والفرد فيتالى

ولا زالت حكومة السودان تزخر بالنابغين منهم أذكر الاستاذ الجليل ادوار عطيه سكرتير إدارة الأمن العام بالخرطوم ، ثم الاستاذ الكبير فؤاد عرمان باشكاتب مديرية الخرطوم وهو رجل يمتاز له من مروءته وكرم أخلاقه ما يميزه عن سواه وهو على باب الاحالة على المعاش

أما التجار فكثيرون ومعظمهم فى أم درمان ومديرية كردفان وبالاجمال فان السودان لاشك مديونا لسوريا بخدامات ابنائها الافاضل الذين لهم فى كل مكان أثر بارز وعمل ظاهر .

الحالة الاقتصادية فى السودان

زراعة – تجارة – صناعة

كانت الزراعة في السودان قبل دراسة منابع النيل ومجاريه ، مقتصرة على هطول الامطار ، ولكن قد اتجه كبار التجار والمزارعين فى السودان الى الزراعة التي يرويها النيل ، وهم يستعملون وابورات الري الكبيرة لهذا الغرض ، فهذه مزارع صاحب السيادة العظمى السيد عبد الرحمن المهدى ، والمستر كوتمخالوس ، وابراهيم باشا عامر ، واخوان كفورى وغيرهم ، قد ازدهرت وأنتجت نتاجاً عظيماً . ويستعمل غير هؤلاء الاغنياء الساقية والنورج ، وفى السودان آلات صغيرة لها أسماء غير أسمائها فى مصر ، مثل السلوكه ، والواسوق ، والمنتاب.

أما مزروعات السودان ، فالأذرة على أنواعها . والدخن . والقمح . والشعير . والقطن . وقد كانت طوكر أهم المناطق التى يزرع بها القطن ، غير أن مزارع السيد المهدى باشاف أبا ، قد فاقتها ، كذلك تزرع جميع أنواع الخضر . كالباميا . والباذنجان . واللوبيا . والقرع . والطماطم . والملوخية . والبصل . والتوم . والكرنب . واللفت . والبقدونس . والفجل . والكوسا والبطاطه . والفلفل .

أما الفاكهة فى السودان فقليلة جداً ، وقد كانت قبل خمسة عشر عاماً تباع أقة العنب بعشرين قرشاً صاغا ، ودستة البرتقال أو اليوسفي بعشرة قروش ، أما اليوم فبالرغم عن أنها لا زالت قليلة فان أثمانها قد نزلت نزولا محسوسا ، ومع ذلك فلا زالت تُعتبر بالنسبة لمصر فاحشة ، والسبب فى ذلك أن جميع الفاكهة التى تباع فى السودان منقولة من مصر . وفى المدة الاخيرة نشط بعض المزارعين لزراعة البرتقال ، وقد قيل أن جنائن الشاهد باشا فى الكدرو ، قد نجحت فى ذلك ، ومهما كان من أمر نجاحها فلا اعتقد أن أسواق السودان تستطيع يوما ما أن تبيع الفاكهة بالاسعار التى تباع بها فى مصر .

أما فصول الزراعة فثلاثة وهى الدميرة ، والشتوى ، والصيفى .

أما زراعة القطن وهى أهم محصولات السودان اليوم ، فقد اتجهت أفكار تجار القطن فى لانكشير اليه ، وكان هذا سبباً لاهتمام جمعية زراعة القطن البريطانية ، فانتعش محصوله ، وأصبح ينتعش تدريجيا فى كل عام عن سابقه ، وقد انتشرت زراعة القطن فى جميع أنحاء السودان ، كما تولت الشركة الزراعية بالجزيرة زراعة معظمه . ففى مديرية طوكر ، تزرع فى كل عام حوالى ستين الف فدان ، تستمد ريها من نهر بركه الذى يفيض فى شهر يوليو وأغسطس . أما معدن الاراضى فى منطقة طوكر فرملية ، وهو سبب قوى فى قلة الانتاج هناك ، كما أن الهبوب والهبباى ، يتلفان الكثير من زراعة القطن ، وقد قيل انهما يتلفان فى كل عام ما يزيد عن اثنى عشر الف

فدانا . ومحصول الفدان فى طوكر ينقص قليلا عن القنطار الواحد أحيانا

ثم منطقة كسلا ، وهى التى تستمد ريها من نهر القاش الذى ينبع من بلاد الحبشة ثم يمر بالارتريه . وتعد منطقة كسلا من أخصب أراضي السودان ، فمحصول الفدان فيها يصل الى أربعة قناطير أحيانا ، ولا يقل عن قنطارين . والحكومة تعطى الاهلين أراضى منطقة القاش بحصة قدرها ٤٠ ٪ :

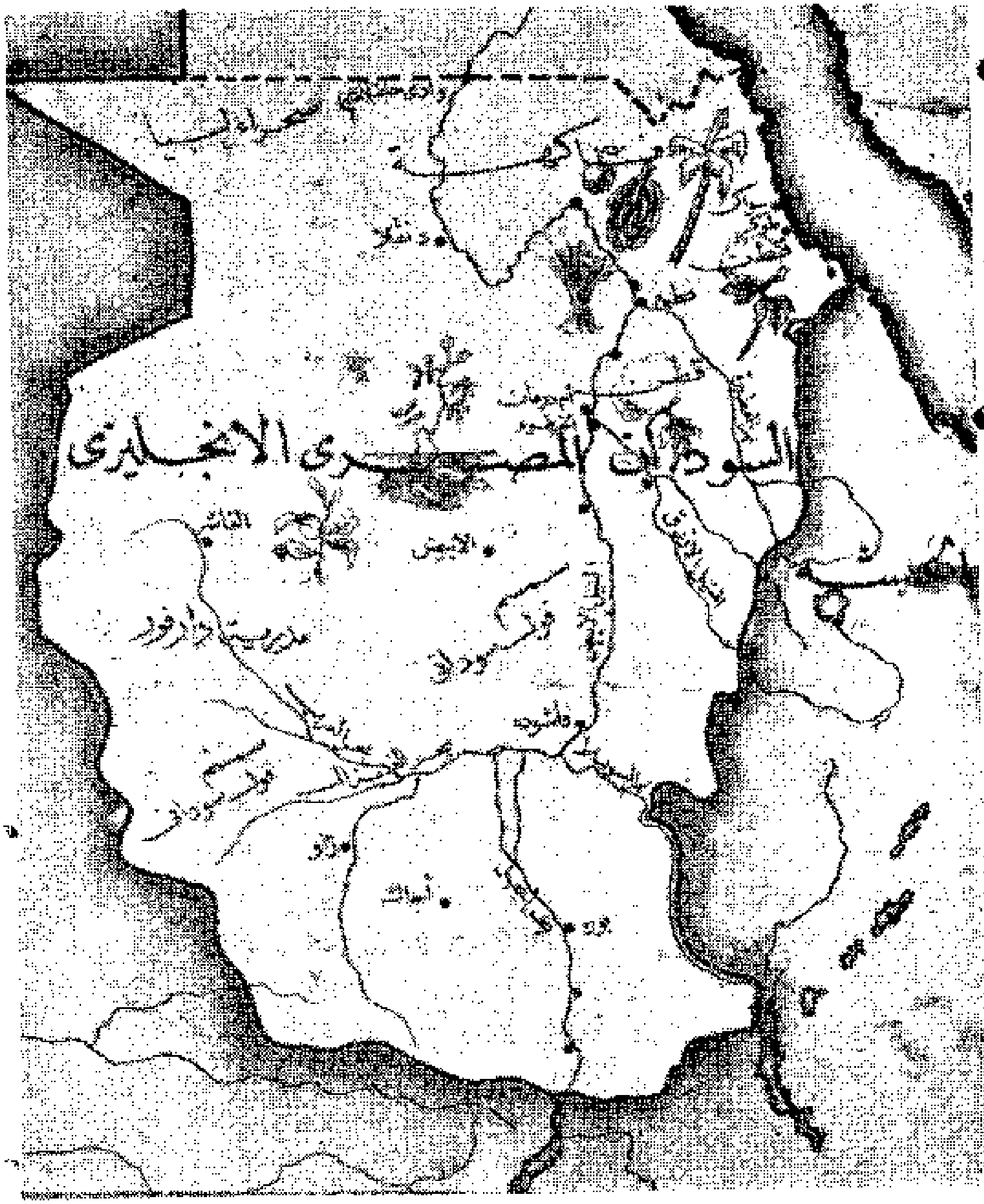
ثم منطقه الجزيرة التى تسيطر عليها النقابة الانجليزية ،والتى يزرع فيها قطن الساكلاريدس وأنواع أخرى، وهى تربة خصبة يصل محصولها الى ثلاثة قناطير أحيانا ، أما مساحتها فثلاثة ملايين فدانا ، صالحة للزراعة ، وهى تروى من خزان سنار ، من ابريل لغايه يوليو ، ومع ذلك ، فان هطول الامطار فى هذه الشهور من السنة يكفى لسد أى عجز تحتاجه الاراضي من الرى .

ولا تزرع الاراضى قطنا كل عام ، بل ان ما يزرع قطنا هذا العام ، يزرع مكانه خضراً العام المقبل ، وذلك لراحة الارض عاما بعد عام .

وفى مديرية واد مدنى ، حقل تجارب (بركات) ، وهو حقل حكومي تستولى عليه الحكومة وتجرى به تجارب واختبارات عديدة .

ثم منطقة أبا ، وهى الجزيرة المملوكة ملكا حراً لصاحب السيادة السيد عبد الرحمن المهدى ، وهى أربعين الفامن الافدنة ، كلها صالحة للزراعة وتروى من مياه النيل الابيض قبلى خزان جبل الاوليا بواسطة مضخات ويزرع فيها القطن الساكلاريدس ، وهى تربة خصبة ، ذات طبقة رملية

خريطة السودان الزراعية



تبين لك هذه الخريطة نوع محصول كل مديرية من مديريات السودان ، وهى تسهل على القارىء البحث والتنقيب فى كتب الزراعة والتجارة الخاصة بالسودان .

خفيفة . ويصل محصول الفدان الواحد هناك خمسة قناطير أحيانا ولا ينقص عن القنطارين .

ثم منطقة الخرطوم ، وفى الحلفاية (الخرطوم بحرى) حقل تجارب شمبات ، يبحث بواسطة اخصائيون فى علمى النباتات والكيمياء وكل مايتعلق بالزراعة ، وتحسين انتاجها ومقاومة آفاتها .

أما الاراضى الأخرى ، التى تقع بحرى الخرطوم ، والتى هى ملكا للاهالى فهى التى يملكها ويستولى عليها المزارعون فان تربتها من الطمى الخفيف ، ذات خصب فوق المتوسط ، وفيها قمحا ينتج محصولا جيداً .

أما الاراضى الواقعة بحرى الخرطوم ، أمثال الدامر ، وبربر ، وعطبره فان معدن أراضيها يشابه أرض منطقة الخرطوم ، وهى تصلح لزراعة الحبوب والقطن ، وتروى بالآلات الرافعة . وفى شركة الزيداب الواقعة جوار الدامر ، يزرعون القطن والحبوب بكثرة ، حتى قيل أن مجموع مايزرعونه حوالى خمسة آلاف فدان .

التجارة

أهم تجارة السودان الوطنيه التى تستوردها مصر واوروبا . السمسم . الفول السودانى . الأذرة بأنواعها . الماشية . الغنم . الجلود . البلح . الفحم الفاصوليه . الشطة . لب البطيخ . المسلى . القرض .

والسودان يتبادل مع مصر باصناف من التجارة التى لاوجود لها فيه أمثال السكر . الدخان . الدقيق . المانيفاتورة . الارز . الفاكهة . الصابون . الاحذية . الاسبرتو . الغاز . الاسمنت

وفى السودان تجار عظام وهم كثيرون يجب ذكر بعضهم . وفى طليعتهم يأتى اسم صاحب السعادة ابراهيم عامر باشا الذى ضرب الرقم القياسى فى الصدق والأمانة . ثم اخوان البرير ، واخوان أبوالعلا ، وتادرس افندى عبدالمسيح ، وغيرهم وغيرهم ، ومن التجار الاجانب أيضاً من ضرب المثل الأعلى فى الأمانة ، والاخلاص .

ابراهيم باشا عامر

ما ذكر السوق التجارى فى السودان. ودرجة ارتباطه بمصر والخارج ، وما ذكرت الشخصيات البارزة فيه ، إلا وكان إسم سعادته فى طليعة الذين يشار اليهم بالبنان



ابراهيم باشا عامر

استدعانى سعادته على أثر نشر الدعوة لوضع هذا الكتاب ، فذهبت إلى مكتبه بالموسكى ، ولقيت باشكاتبه ، وأنا متوجس خيفة ، أعمل لهذه المقابلة الف حساب . فلما تشرفت بالقياد رأيت

رجلا مستكمل الذوق والآداب . يتجلى فيه التواضع المدهش ، والآراء السديدة . والملاحظات الدقيقة ، فزال عني كل خوف وأدركت انني في حضرة رجل من خيرة رجالنا الذين تفخر بهم البلاد .

ابراهيم باشا عامر رجل مؤمن ، له من ثقته بالله واعتماده عليه الفضل الاول في تكوين نفسه وشخصيته ، فقد بدأ تاجراً صغيراً ، ولما كان الصدق والاخلاص هما أساس كل نجاح ، فقد وفاهما حقهما منذ أن كان (ابراهيم افندى عامر) فليس عجيبا أن نراه اليوم في صف باشاواتنا العظام وهو هو ذلك الرجل الديموقراطى المخلص لبلاده ووطنه .

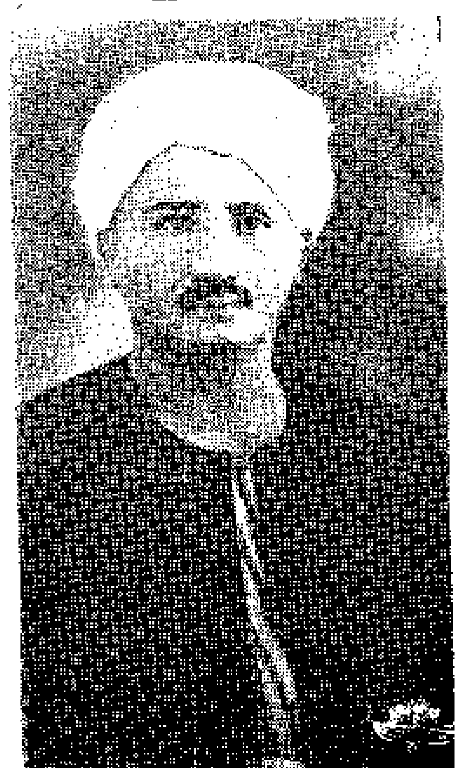
ابرهيم باشا عامر رجل عصامى يندر أن تجد من هو على شاكلته في ملاحظاته ودقة ادراكه وكياسة تعبيره وطلاوة أسلوبه .

ابرهيم باشا عامر خلق لغير هذا الزمان ، فله من كرمه ، ونجدته ، وغيرته ، وحبه لعمل الخير ، ما يصح أن يكون حديث الناس .

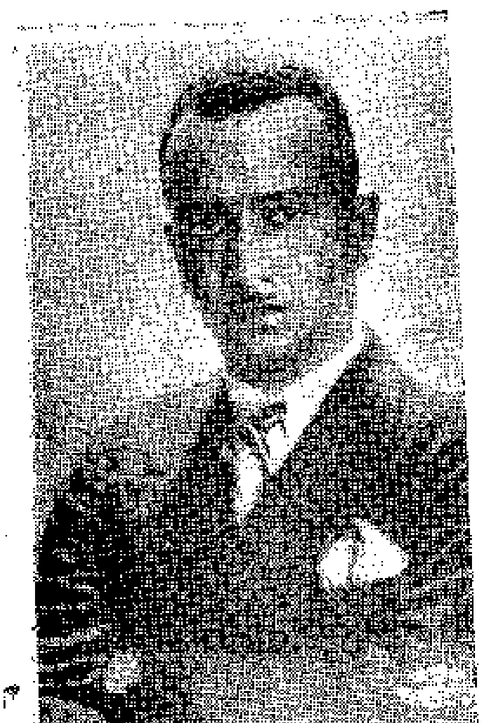
ابراهيم باشا عامر رجل جد وعمل ، حسن الادارة ، واسع الاختبار عرك شؤون الدهر ، فعرف ما له وما عليه ، إذا أسعدك الحظ فرأيته في مكتبه ، تدرك مقدار العمل الواسع الذى يتولى شؤونه ، فهو حركة دائمة يتخلل ذلك مقابلاته لكل نوع من الناس ، فمن رجل خطير صاحب مصلحة ، إلى موظف يعرض عليه أمراً من أمور عمله ، إلى صاحب حاجة ، إلى غير ذلك ، مما جعله أشهر من نار على علم ، وهو اليوم يجنى ثمرة مجهوده ، إذ يتمتع بثروة واسعة تمد بمئات الالوف . ارتبطت اعماله وهى تجارة المانيفاتورة بأنواعها بالسودان ومصر واوربا ، فكان المبرز في سوقها ، المعروف

لدى فابريقاتها ، المحترم من أعيانها وعيونها : فلما جاءت وزارة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ، ووضعت قائمة مشروع الدفاع الوطنى ، دوى صوت أول متبرع بخمسة الآف من الجنيهات ، فكان ذلك الصوت هو صوت ابراهيم باشا عامر ، وقد بث هذا التبرع العظيم الحماس فى جميع المصريين فاندفعوا متنافسين ، فكان له فضلان ، فضل تبرعه الخاص ، وفضل بث روح الاريحية والشهامة فى غيره . ولاعجب إذا قدر هذا الجود الحاتمى صاحب الجلالة مولانا الملك ، فانعم عليه برتبة الباشاوية الرفيعة الشأن عندئذ قال الناس ، لقد أعطى القوس باريها ، هذا هو ابرهيم باشا عامر وكفى

اخوان البرير



الشيخ محمد احمد البرير



الاستاذ على البرير

ومن ضمن تجار السودان البارزين اخوان البرير ، الشيخ محمد احمد البرير

والاستاذ علي افندي البربر وهما من شباب السودان الراقي الذي يضرب به المثل باستقامتهما ، وحسن ذوقهما ، واخلاصهما في عملها ، وسمعتهما في السوق التجاري .

تشرفت بمعرفة كليهما ، فكان حظاً اغبط نفسي عليه ، فالاول ، لقيته في مركز عمله في أم درمان ، فلقيت منه كل حفاوة واكرام ، وأدركت في الوقت القصير الذي صرفته في متجره ، مقدار مايقوم به من عمل يستلزم رجاحة العقل ، وحسن التصرف ، حركة دائمة لاركود فيها . تقوم على أساس من الثقة والأمانة . أما الثاني فقد لقيته في مكتبه في الموسكي عام ١٩٣٨ ثم لقيته في أمدرمان عام ١٩٣٩ . أقام في مصر زمنا ليس بالقليل كان وكيلا عاما لمحل تجارتهم ، وليس ذلك فحسب ، بل كان سفيراً للسودان في مصر . يعج مكتبه باصحاب الحاجات من السودانيين ، يستقبل هذا ويصرف ذاك ، والابتسامة لاتفارق شفتيه . ولا عجب فكثير من الناس يشعرون بالغبطة إذا هم قاموا بخدمة للآخرين ، ولا أشك أن الاستاذ علي في طليعتهم . كان رئيسا للنادي السوداني في مصر ، وكان يتولاه بعطفه ماديا وأدبيا . عدا ذلك فالاستاذ علي شاب مهذب له احترام في جميع الاوساط لأنه جمع بين الأدب والذوق . وحسن المعاملة . والكرم فكان وهو في مصر عنوانا للسودان ولشبابه الراقي .

اخوان ابو العلا

لاشك أن المكانة التي يحتلها اخوان ابي العلا بين تجار مصر والسودان

هى مكانة قلما يحتلها غيرهم . ففى مصر يمثلهم الاستاذ الجليل مصطفى افندى أبو العلا .



الوجيه مصطفى ابو العلا

عرفته عام ١٩٣٧ فى القطار الذى كان يقل صاحب السيادة السيد عبد الرحمن المهدى عندعودته إلى السودان ، فقد أبت عليه مروءته إلا أن يسافر مع سيادته إلى المنيا مودعاً ، فعرفت الأدب متجسما فيه والذوق يشع من خلال عينيه . رأيت مثلا حيا من السودان ، وشباب السودان ، ومروءة أهل السودان ، ثم قابلته مرة أخرى فى مكتبه فى القاهرة فكان عند حسن ظنى به . صرفت فى مكتبه ساعة كاملة مرت كأنها دقائق فقد ملك علىّ نفسى باسلوبه الرائع وحسن روايته : ينتقل من موضوع إلى آخر دون أن تمل له حديثا . هذا هو الوجيه مصطفى ابو العلا أحد كبار تجار السودان .

تادرس أفندى عبد المسيح

هو عين من عيون تجار أم درمان ، استطاع أن يحل محل والده المرحوم الخواجه عبد المسيح تادرس ، فكان خير خلف لخير سلف . وهو شاب فى مقتبل العمر ، لا يعرف للهو معنى ، لا يصرف ساعة واحدة

خارج متجره ، الا لضرورة تتعلق بعمله الواسع . هو مثال الامانة والثقة فى السوق التجارى ، وأحد أعضاء لجنة الحكومة التجارية ، زرته فى متجره فى أم درمان بعد غياب خمسة عشرة سنه، فكانت مقابلة تاريخية ، وهى كما يقولون مقابلة (الاحباب بعد الغياب) وقد سرنى انى لقيته يحتل محل أبيه من النجاح لا يتردد لحظه فى الاخذ بناصر الوطنيين ومساعدة الذين يلجأون اليه فهو بالاجمال رجل عظيم اذا ذكر السوق التجارى برز اسمه فى الطليعة واذا ذكرت الامانة والصدق وبروز الشخصية كان أيضاً فى الصف الاول من تجار السودان .

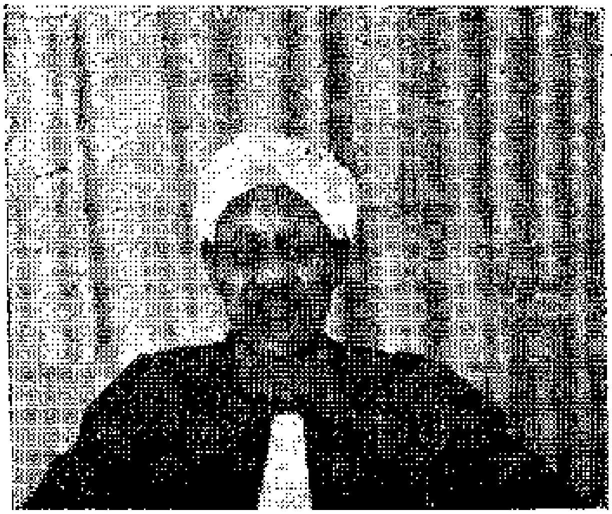


تادرس افندى عبد المسيح

ومهما حاولت أن أذكر جميع الذين أعرفهم فانى لا شك فاشل ومع ذلك فلن أستطيع أن أغفل ذكر أسماء التجار العظام الذين لهم خطرهم فى السوق التجارى أمثال . صالح داوود . جورج بغدادى بك . ابراهيم فخرى هنرى جيد . عبد المجيد حسن عبد المنعم الدعيته . احمد عبد القادر الوالى . سيد احمد سوار الذهب .صالح عثمان صالح . دفع الله شبيكه . حسن أبو العلا نعمان حداد. هذا فى أم درمان فقط أما الذين فى البلاد الاخرى فكثيرون يجلون عن العد والحصر ففى الخرطوم اخوان علوب ومهدى الطيب ومحمود ديانب

الشيخ بابكر احمد الشفيع

فى المحطة الوسطى فى أم درمان تجد محله التجارى الذى تدلك نظافته وحسن تنسيقه على ما يتحلى به صاحبه من شمائل حسان. وهو شيخ من شيوخ السودان الذين يضرب المثل برزانتهم واستقامتهم. لذلك فان الحكومة قد اختارته عضواً فى لجنتها التجارية حيث يعمل



الشيخ بابكر احمد الشفيع

برأيه فى كثير من الامور الخاصة بالسوق التجارى فى السودان وهو عدا ذلك ثقة بين أهله وعشيرته و بين كل الذين عرفوه. اشتهر بالصلاح والتقوى والبعد عن مظان الريب كما اشتهر بالسعي الى الخير ومساعدة الاهلين. ولست احاول أن أصفه أو أصف درجة احترامه فى سوق أم درمان فهو تحصيل الحاصل وكفى

الشيخ الامين عبد الرحمن ارباب

كالذهب الابريز صفاء وبهجة وهو أحد أعضاء لجنة الحكومة التجارية، وأحد أبناء البلاد الذين يتمتعون بالثقة التامة من جميع

الطبقات وهو شيخ صاغة المدينة يرجع اليه فى كثير من المعضلات ، فيجد لها حلاً مرضياً بثاقب رأيه ، وسعة اختباره .



الشيخ الامين عبد الرحمن أرباب

أما التجـــار الاجانب فكثيرون برز منهم المستر A.G. Contomichalos وهو أحد الذين أفادوا السودان واستفادوا منه

المستر جراسمو كونتمخالوس

يصعب أن نحصى أعمال مستر كونتمخالوس فى السودان ومكانته العملية والادبية ، فهو أحد الذين يشار اليهم فى ناحية التقدم الاقتصادى فى السودان .

أجل فقد اقترن اسمه مع كل تقدم ونهوض منذ بداية القرن الحالى كما حمل اعجاب واحترام جميع الوطنيين الذين عمل كثيراً لاسعادهم ، فهو شخصية ممتازة خدمت البلاد أجل الخدامات ، وكفاءة فذه تجلى فيها الاخلاص باجلى معانيه . لقد انفق المستر كونتمخالوس زهرة شبابه فى السودان يسعى لمصلحة البلاد مجداً فى تنمية مواردها التجارية .

هبط المستر كونتمخالوس السودان عام ١٩٠١ فى سواكن . فما مرت

بضعة أعوام حتى برز اسمه فى السوق التجارى وأصبح قبلة الانظار ، ومحط

الأمال ، فرفع بعبقريته وحسن درايته مستوى التجارة السودانية وأعان الوطنيين ماديا وفكريا . ولعل أوضح دليل على عظمة المستر كوتتمخالوس شعور الألم الذى خالط جميع الناس يوم قيل أنه قرر قطع صلاته التجارية بالسودان فى نوفمبر عام ١٩٣٨ .



المستر كوتتمخالوس

ان أظهر صفات السودان والسودانيين حفظ الجميل . ورجل كالمستر كوتتمخالوس غمرهم بفضله ، وأوقف عقله وخبرته ومجهوده على خيرهم وفائدتهم ، لهو الرجل الذى سيظل اسمه بارزاً يردده أبناء تلك البلاد وبعدهم يردده أنجالهم وأحفادهم ماذكر السودان الجديد ونهضته الاقتصادية والعمرانية . لقد شارك المستر كوتتمخالوس الوطنيين مشاركة فعلية حتى فى شعورهم الخاص . نحو شعائرهم وهاهو تبرعه بألف جنيه للمشاريع

الاسلامية الخيرية عام ١٩٣٧ ينطق بفضل الرجل وينم عن تفانيه فى مصلحة البلاد .

ومن التجار الاجانب فى السودان الخواجه جورج تونس . الخواجه اصلانيان . كاتيفانيدس ديمترى . زافولاس اشخانيان ومن اخواننا أبناء سوريا الخواجات أخوان قرنفلي وغيرهم وغيرهم .

وأن أنسى لا أنسى التاجر الكبير ، والمزارع العظيم الأستاذ عزيز كفورى الذى استطاع بأمانته وإخلاصه أن يكون جوهرة فى عقد العاملين فى السودان . وهو لا يقل فى مكانته عن أقرانه الظاهرين من مصريين وأجانب أمثال عامر باشا والمستر كونتميخالوس

الصناعه .

أما الصناعة فى السودان فقليلة ، وهى لا تكفى حاجة البلاد ، وتقتصر على دبغ الجلود ، وحياكة أقمشة الدمور ، وخرط العاج والخرتيت ، وصياغة الحلى والاوانى المعدنية . وصنع الحراب والسكاكين وأدوات الزراعة .

بعض نوادر (١)

الكرم . والشجاعه . والوفاء . وعزة النفس . فى السودان

فى السودان بعض نوادر تجلى فيها أرق صور الأخلاق الفاضلة ، يحسبها بعض الناس فى الاقطار الاخرى مبالغة أو خرافة ، ولو انى جمعت كل ما اعرفه من هذا النوع لأعوزنى الأمر إلى مجلد مثل هذا الكتاب ، وهذا الذى يدفعنى إلى الاختصار والاقتضاب ، مكتفيا بنادرة واحدة من كل نوع من انواع هذه الخلال السامية .

أما الكرم فهو غريزة فى نفوسهم ، فكما هو فى الرجال ، كذلك هو فى النساء ، وفى الاطفال أيضا ، وقد اشتهر البارزون منهم بالكرم الحاتمى الذى يفوق كل وصف . وهذا هو الزبير باشا لازالت نوادره فى الكرم يتناقلها الناس فاسمعنى لأحدثك عنه . والرواية عن رجل من رجال السودان المعروفين بالصدق والامانة فى النقل ، ألا وهو المغفور له الشيخ يوسف بدرى التاجر فى كوستى سابقا ، وليس فى الرواية ما ينبئك بكرم الزبير فقط بل بحلمه ، وسعة صدره أيضا

حدثنى طيب الله ثراه قال : —

كان الزبير باشا كريما ، واسع الصدر حليما ، يتحلى بكل أخلاق الملوك

---

(١) هذا الفصل هو جزء من عادات أهل السودان لكنه سقط من مكانه فرأينا نشره هنا خير من اغفاله .

ومما يروى عن كرمه وحلمه ، أن رجلا اسمه (الضو) عاش طيلة عمره فى (الترابى)[1] ، لا يملك من حطام الدنيا الا ناقة ينقل عليها أحمال المسافرين بين الترابى والكاملين ، فينتج من ذلك قوت أطفاله فى آخر كل يوم .

عاش هذا الرجل على هذا النظام سنوات عديدة ، راض بحالته قانع بما هو فيه ، لا يسأل انسانا شيئا ، الى أن فوجىء بموت ناقته سنة ١٩١٢ فانقطع بموتها الرزق عن اطفاله . ضاق حال الرجل وعبست الدنيا له ، حتى اضطره العيش الى الاستجداء ، فنصحه أحد عارفيه ، أن يلجأ إلى جابر عثرات الكرام الزبير باشا ساكن الجيلى . فصادفت هذه النصيحة هوى فى نفس الرجل ، وما لبث أن نفذها وسافر إلى الجيلى مشيا على الاقدام ، فلم يصلها إلا بعد مسيرة خمسة أيام . فلما وصلها سأل الناس عن قصر الزبير باشا فارشدوه اليه ، فذهب تواً ولما دخل الباب الخارجى لقى مئات من الناس فى حضرة الزبير باشا وهو متصدر المكان على عنقريب . فاجتاز الرجل هذه الجموع بكل شجاعة فلما اقترب من مجلس الزبير وقف متأدبا وقال

سلام عليك ياالباشا

فرفع الزبير رأسه ورد عليه السلام وقال أنت منو[2] فقال الرجل أنا الضو جيتك من الكاملين ، ووليداتى خمسة يوم بايتين القوا[3] فقال الزبير باشا أها ودابر شنو[4] فروى الرجل روايته وما كان من أمر ناقته

(١) الترابى بلدة بجوار الكاملين تبع مديرية النيل الازرق .
(٢) انت منو أى من انت (٣) بايتين القوا يبيتون جوعا
(٤) داير شنو اى ماذا تريد ؟

حتى أتى على آخرها فقال (وقالوا لى امشى للزبير ، وادنى جيتك يا الباشا فتأثر الزبير من رواية الرجل والتفت خلفه ليستدعى أحد خدمه فيأمره بما يراه فى أمره . ولكن الرجل ظن أن الزبير باشا قد رفض طلبه فاشاح بوجهه عنه ، فانهال على الزبير سباً وشتما باقذع الالفاظ واوقحها فهجم الناس على الرجل يريدون قتله أو ضربه ، ولكن الزبير باشا أدرك ما خامر الرجل فمنع الناس عنه واستدناه من مجلسه ، وسأله قائلا (قلت شنو [1]) فاعاد الرجل السب ثانيا حرفياً ولم يكتف بذلك بل قال (واذا كان ما سمعت سمح [2] كيت وكيت وأعاد السب الثالث مرة) والناس يعجبون من امر الرجل حتى ظنه البعض ممتوها فالتفت الزبير لمن حوله وقال

(ياأخواننا الراجل معذور الجوع كافر) واستدعى أحد خدمه وأمر أن يضاف الرجل فى الخلوة ، وان يعطي ناقة ومئة ريال. فما سمع الرجل ذلك حتى أكب على قدمى الزبير يقبلها ويبللهما بدمعه ويطلب العفو عما بدر منه فعفا عنه ، واعاده مجبور الخاطر يلهج باسم الزبير وبكرمه .

ومما روى عن الزبير باشا أيضا أن فقيهاً من أهل كردفان يسمى عبد العزيز سمع بكرم الزبير فى بحر الغزال فقصده يريد منه نوالا فأمر له بجارية لكنها لم تعجبه فقال

« إني قصدتك لجارية عنقها طويل ، وردفها ثقيل ، وشعرها غزير وبطنها ضمير وسنها كالجير إذا مشت كأنها أمير وإذا وقفت تعجب هذا

(١) قلت شنو أى ماذا قلت (٢) سمح هنا معناها (تماما)

الفقير) وأشار الى نفسه . فقال له الزبير (ان هذه الصفات لا توجد حتى فى بنات الجزيرة[1]) ثم نادى أحد غلمانه وقال أئتوه بزيتونة فأتوه بها وكانت جارية جميلة فأعجبته فقال (قبلت زيتونة الصادقة الميمونة اللهم أجعلها كزليخة المفتونة) فقال الزبير خذها وخذ الاولى جارية لها فازداد الفقيه طمعا بكرم الزبير وكان بيده ركوه (ابريق ماء جلد) فقال وهذه الركوة من يحملها لى ؟ فدعا الزبير أحد عبيده وقال احمل هذه الركوة لسيدك فحملها وذهب الفقيه بالثلاثة شاكراً مسروراً

ولم تختص الشهامة فى السودان بالرجال فقط بل بالنساء أيضاً فمن نوادر الشهامة والتضحية ما روى عن رجل من الضبانية يدعى عبدالرسول كان متزوجاً بامرأة يحبها جداً وهى تكره أحد أخواله فأوغرت صدره عليه فأخذ خنجره وقصد خاله فوجده يحلب بقرته فشرع فى طعنه بالخنجر حتى قتله فأمسك برجله إذذاك ومكث ينتظر القتل فحضر اخوة القتيل وبكوه ولم يتعرضو لابن اختهم إذ من العار عندهم أن يثأر الرجل من ابن اخته أو يمسه بسوء فلما حضرت اختهم (والدة عبد الرسول) صاحت وولولت وحثت التراب على رأسها حزناً على أخيها ونادت بابنها قائلة ان كنت ابنى وابن ابيك فلا تعش بعد قتل خالك فقال عبدالرسول لأخواله إقتلونى بثأر أخيكم ولما أبوا أخذ خنجره وطعن به نفسه فوقع ميتا الى جانب خاله فهزت أمه يدها فوقه وزغردت ارتياحا وقالت حقا انك ابنى وابن أبيك ثم حملوا القتيلين ودفنوهما فى حفرة واحدة .

---

(١) قيل أن نساء الجزيرة هن اجمل نساء السودان

ومن أخب ما روى فى هذا الصدد أن السلطان على دينار عندما حاصرته الحكومة وضيقت عليه الخناق عام ١٩١٦ وعزم على الهرب عنفته شقيقته الاميرة تاجه وأمرته أن يموت فوق سجادته أو على ظهر جواده صونا لكرامته وإذ ارادت أن تلهب الحمية فى فؤاده قالت له (يجب أن تحارب حتى آخر نفس يتردد فيك والا فالأولى أن أعطيك ثيابى لتلزم الدار وآخذ أنا جوادك واذهب إلى الحرب)

وليس ذلك فقط ، فانه روى أن محمد الزين المعروف فى واقعة ابى حمد لما ضاق به الحال وبقى وحده فى صدر الجيش عام ١٨٩٧ ، كاد أن يتقهقر لولا أن وصلته رسالة من زوجته فى أم درمان تستحثه على الثبات فتقول (اوعى تبقى زى ود بشاره ، تعال اسمع نبذ[١] نسوان البقعه[٢] يوم هزموه فى دنقلا)وقد ختمت رسالتها بقولها (فاياك والانهزام لأنى لا اطيق العيش معك بالذل والاهانه) فصمم محمد الزين على القتال حتى يموت أو ينتصر

عزة النفس والبر بالقسم

ولا يتسع المقام فى هذا الكتاب لقصص الحب والغرام ، غير انى أروى لك القصة الآتية . أقصها لا لأنبئك بخبر قيس السودانى ، ومحبوبته ليلى السودانية ، بل لأضع امامك صورة صحيحة من النبل وشرف المحتد الذين يتحلى بهما السودانيون نساء ورجال . فقد أحب (محاق) وهو فتى نبيل من (بني الجمران) بنت عمه (تاجوج) كما خفق قلبها هى أيضا بالحب الطاهر العفيف

١) نبذ اى ذم ٢) البقعة اى أم درمان

كان (محلق) يتمتع بنصيب وافر من جمال الرجال ، امتلأ صدره عزة واباء .

والسودانيات يعشقن الكريم العزيز فلا يشتري قلب المرأة إلا بالفضل والكرم والشجاعة . طلب (محلق) يد بنت عمه فلم يتردد عمه فى قبوله بعلا لبنته ، ووهبت (تاجوج) قلبها لأبن عمها ، وملأت بيته انسا وصفاء ، وكان لا يحدثها إلا باخبار الشجعان والفروسية فسحرها حتى أصبحت لا يطيب لها العيش إلا بجانبه .

وذات يوم بينما كانا يتسامران اشتهت نفسه لونا آخراً من الوان المداعبة ، فطلب اليها أن تجرد عن ثيابها وتسير أمامه ذهابا واياباً ولكن (تاجوج) أبت عليه ذلك .

أبت مرة وأخرى ، ولكن زوجها أصر مرة وأخرى ، ورجا وألح فى الرجاء ، ووعدها ان هى اجابته إلى هذا ، اعطاها ماتتمنى عليه . فلما شعرت أن لا مرد لما أراد صممت فى دخيلة نفسها على أمر من الامور فطلبت اليه أن يقسم أن يجيبها إلى أى طلب ان هى نزلت على ارادته واجابت طلبه . وفى نشوة طائشة أقسم لها بأغلظ الايمان على ذلك فخلعت ملابسها وتجردت منها بتاتا ، والحياة قد أظلمت فى وجهها لشدة حياءها ، وبعد أن تمشت أمامه روحة وجيئة ، قال لها لبيك فاطلبي ما تشائين . قالت أطلب أن تطلقنى فى الحال .

جن جنون (محلق) وطار صوابه وود لو ترضى بحياته دون هذا الطلب

فاستغفرها بكل صنوف الرجاء والتوسلات أن تعفيه من ذلك الطلب القاسي وراح يقبل قدميها ويجثو بين يديها لعل قلبها يلين فأبت بكل شمم أن تنزل عن مطلبها فكان لها ما أرادت .

نعم : لقد طلقها (محلق) لأنه رجل شريف والشريف إذا وعد انجز فكيف به اذا اقسم ؟ لقد نزل عند كلمته ، وبرّ بقسمه ، فهانت عليه نفسه حتى لا يقال وعد ولم يف ، وأقسم ولم يبر بقسمه .

مضى (محلق) يهيم كالمجنون لا يأبه للحياة ولا يذكر شيئاً غير (تاجوج) التى اضاعها فى سبيل لذة اشبع فيها عينه فى لحظة خاطفة .

كان (محلق) مرهف الحس ، دقيق الشعور ، لم تسعفه قوته ولا فؤاده حين علم أن (تاجوج) تزوجت رجلاً آخر فمرض مرضاً شديداً ، وأحس بانتهاء العمر ، فأسر إلى بعض خاصائه بحقيقة ما يشعر به من توديعه الحياة ويود لو يودعها فى (تاجوج) ، وتمني عليهم أن يهبوه نظرة منها قبل أن يلفظ نفسه الأخير . وأحست العشيرة أن عزيزاً من كرامها قد ذل . . . . والسودانيون لا يردون عزيزاً عن رغبة ، ولا يقعون لكريم فى حاجة .

فابلغوا هذه الرغبة إلى (تاجوج) نخفت اليه وهى ترجو أن ترد اليه الروح . قيل : فلما دخلت عليه وقف لها النساء اجلالا لانها كانت أجمل بنات زمانها . أما هو فلما دنت من سريره ابتسم لها واسلم الروح .

* * *

القصة أطول من ذلك ولكنا نقف بها عند هذا الحد حيث انتهى المغزى الذى قصدناه والمعنى الدقيق الذى رغبنا فيه . فقد كانت عفة

(تاجوج) أحسن الامثال عند السودانيين ، يتناقلونها جيلاً بعد جيل ، فيروون عفتها وطهارتها ، كما يروون جمالها وسحرها .

ضحت (تاجوج) بحبها وطمنت قلبها فى صميمه ، وضحت بمنزل الزوجية المقدس لتبرهن انها شريفة ، تأبى أن يعرض جسدها هذا العرض الرخيص لاشباع شهوة وقحة .

لقد أبت أن تنزل على ارادة (محلق) أولا وودت لو تبتلعها الارض قبل أن ترفع عن نفسها حياءها ، وتخلع عن جسمها ثيابها ، ولكنها منحته ماطلب لكى تتخلص منه طالما هو يستهين بعزتها وبكرامتها ويستعملها اداة لشهوة نفسه دون احترام شخصيتها وحياءها .

لقد حدث ماحدث بين (تاجوج) (ومحلق) فى مخدعهما الخاص فهو طى الكتمان ، زد على ذلك أنه هو زوجها الشرعى الذى يباح له منها مايشاء ولكن أبت (تاجوج) الا أن تكون عزيزة حتى بينها وبين نفسها ، وفى هذا ما فيه من شرف النفس المختلط بالدم ، والحياء الغريزى المخلوق فى تكوينها .

لقد كانت تحبه ، وتشعر بالغبطة بجانبه . ولا قيمة للحياة عندها بدونه ولكنها استهانت بكل ذلك وسحقته بقدميها لكى تحتفظ بعزة نفسها وشرفها فهما فى نظرها الحياة الصحيحة .

بذلك ضربت (تاجوج) المثل الأعلى فى الشرف والاعتصام ، كما ضرب (محلق) المثل الأعلى للرجل الكريم الحر ، حين يزدرى بالحب فى

سبيل الشرف ، ويحتقر العشق براً بالقسم ، وينتقم للهوى الرفيع من الهوى الوضيع ، فينصب من ضميره قاضياً يرد اعتبار نفسه .

مات محلق من زمن بعيد ، كما ماتت (تاجوج) أيضا ، ولكن بقيت ذكرى (محلق) تذكر كلما ذكر الشرف والنبل ، كذلك بقيت ذكرى (تاجوج) فتنة الاجيال وذكرى الحب والعفاف .

* * *

ومن نوادر الكرم عند السودانيين ما أنقله عن اللوا نجيب مايكل[1] باشا حيث حدث قراء المقطم عن السودان فقال : —

أذكر من حوادث كرم السودانيين انني في أول مرة ذهبت فيها الى السودان كلفت بالذهاب مع قوة الى أحد البلاد وكنت لا أعرف كيف يسيرون في الصحارى وكيف يتقون العطش فاستقر رأيي على أن آخذ شاياً بدلا من الماء لانه يمنع العطش . وملأت (زمزميتى) شاياً ودخلت الصفوف وأذكر أن آخر كلمة قالها قائد القوة قبل تحركنا « ليحرص كل منكم على الماء فسيأتي عليكم وقت يكون فيه أغلى من الذهب »

ولما سرنا مدة تعبت وعطشت وفرغ مامعي من الشاى ولم يكن معي قطرة واحدة من الماء وشعرت بحنجرتي تحترق وخارت قواى ولكن جنديا سودانيا أدركني فاستندت الى ذراعه وأنا أجر رجلىّ على الارض جراً والقيت ثقلي كله على جسمه . ومن سوء الحظ لم يكن مع القوة دابة واحدة لاركبها

(١) انظر صورة سعادته في فصل الضباط الذين عرفتهم في السودان

ومع ندرة الماء ووصايا القائد كان الجندى لايتردد عن اعطائى من مائه كلما طلبته أما هو فلم يشرب مرة واحدة بل اكتفى بأن وضع قطعة من الزلط فى فمه ولم يشرب إلا بعد ما جلسنا للراحة فى احدى البقاع . ولو لم يساعدني هذا الجندى لما أمكنني السير ولتخلفت فى الطريق ومعنى هذا الموت الحتم . ولما وصلنا عرفت أن من عادات السودانى أن لايشرب الماء وهو سائر لان الشرب فى هذه الحالات يزيد الانسان عطشا على عطشه . ولكنه لم يرض بأن ينبهنى الى خطأ الشرب حتى لاأظن أنه يضن بمائه علىّ

ومن نوادر الشمم والاباء ، وعزة النفس ، أن اللورد كتشنر يوم زار السودان عام ١٩٠٣ ، طلب عند وصوله حلفا أن يرى الامير عثمان دقنه الذي كان أسيراً هناك فخف مدير حلفا الى عثمان دقنه يبلغه رغبة اللورد ، فرفض بتاتاً أن يذهب اليه . ولما علم اللورد بذلك ، ذهب بنفسه الى محل وجوده ، وبعد أن سلم عليه ، سأله أن كان يريد أى مساعدة منه ؟ وكان اللورد يظن أن عثمان دقنه سينتهز فرصة هذا السؤال فيطلب العفو عنه ، وفك أسره ولكن عثمان دقنه التفت الى اللورد ولم يزد على قوله (كتر خيرك) وتركه وانصرف وهو أقصى مابلغ اليه الاعتزاز بالنفس وعدم الظهور بالضعف أمام القوة واست أشك أن اللورد كتشنر نفسه قد أكبر هذا الخلق المتين وهذه النفس الكبيرة .

ومن النوادر التى لاينساها التاريخ ، والتى تدل على صفاء السريرة ، وطيب العنصر وكرم الاخلاق مايروى عن المغفور له الشيخ أبو القاسم احمد هاشم شيخ علماء السودان سابقا . فى سنة ١٨٩٧ ابرمت بين منيليك

امبراطور الحبشة وبين الخليفة عبدالله معاهدة . نزلت بمقتضاها الحبشة عن أراض حبشية متاخمة للسودان الى حكومة الخليفة ، وقد حدث أن نسخة المعاهدة سلمت إلى المغفور له الشيخ أبي القاسم هاشم شيخ علماء السودان سابقاو كان قبل ذلك كاتم السر للخليفه عبد الله فسرقت ورقة المعاهدة منه ولما طلبها الخليفة عبد الله أجابه بأنها مفقودة ، وكان ذلك يوم أحد فامهله الى يوم الخميس التالى وتوعده بالقتل ان لم يحضرهااليه فى اليوم المحدد .

فمضى الشيخ حيث اجتمع بشقيقه الشيخ الطيب هاشم مفتى السودان سابقا وأخبره بوعيد الخليفه . واتفقا على الابتهال الى الله تعالى أن يلهمهما أين توجد الورقة المسروقة ، ومضيا فى ذكر الله حتى كان مساء يوم الاربعاء ، فأغفى الشيخ الطيب ، ورأى فى غفوته كيف أخذ السارق الورقة ومن هو وان الورقة مودعة الآن فى جوف كتاب فى دار السارق ، فتوجه فى الحال الى ذلك المنزل واسترد الورقة فى غفلة منه وعاد الى الشيخ أبى القاسم وسلمها له وقد تعاهد الشيخ أبو القاسم والشيخ الطيب بعدم الاباحة باسم السارق خشية أن يصيبه عداب أليم وهلاك محقق من الخليفة وتوجه الشيخ أبو القاسم فى صباح الخميس الى الخليفة عبدالله ومعه ورقة المعاهدة ، وقد حاول الخليفة أن ينتزع منه بيانا عن كيفيه الحصول عليها فأصر الشيخ أبو القاسم على أنه وجدها بين أوراقة الخاصة .

أما السارق فقد أدرك بعد خروج الشيخ الطيب أنه أخذ الورقة من الكتاب وسلمها للشيخ أبى القاسم فخشى العاقبة وأدناها هلاك محقق من

الخليفة ، ولبث حائراً مذعوراً ثلاثة أيام حتى ضمر وهزل وتوجه الى الشيخ أبى القاسم وكاشفه بشعوره وقال له إنه يعرف العاقبة ويريد أن ينزل به المكروه المنتظر حالا . فأصر الشيخ على أن الورقة كانت بين أوراقه وأنه لم يأخذها من دار السارق — فلم يسع السارق — وكان خصما منافسا كائداً للشيخ أبى القاسم — إلا أن يقر بنبل فضيلته وكرم أرومته وأدرك أن إخفاء الحقيقة مقصود به إنقاذه من الهلاك وقد أوصى الشيخ أبو القاسم بكتمان اسم السارق أبد الآبدين أما الورقة فقد ظلت فى دار الشيخ أبى القاسم حتى قبيل استعادة السودان على يد كتشنر باشا فى واقعة أم درمان فأمر الخليفة باحراقها فأحرقت وقد مات الشيخان فدفن معهما إسم السارق

ومن السودانيين من طبع على الكرم حتى لا يرتاح أن يرى انسانا فى ضيق لابل يفتش على المعوزين ليعطيهم حاجتهم قبل أن يسألوه اياها ، من هؤلاء المغفور له الشيخ يوسف بدرى الذى كان رحمه الله ملجأ العافين وملاذ المعوزين . كنا ذات ليلة نتسامر ومعنا الاستاذ الجليل الشيخ محمد اسماعيل المفتي قاضى أم درمان اليوم . فاشتم الشيخ يوسف من رواية أحد الجلوس أن بينه وبين البنك الاهلى إشكالا على رهن يستلزمه مبلغاً كبيراً. كانت هذه الرواية رواية عادية سمعناها كلنا فما انصرفنا من هناك الا وانصرفت من أذهاننا بتاتا. ولما كان صباح اليوم التالى جاءنى الشيخ يوسف ومعه هذا المبلغ قائلا . (أتذكر رواية فلان بالامس ؟) قلت نعم ، قال (هذا هو المبلغ فاذا مر بك من هنا أرجوك أن تقدمه له بالنيابة عنى فانى لا أريد أن أخجله أمامى وربما دعاه هذا الى رفضه) ووضع المبلغ امامي

وانصرف . أما أنا فقلت في نفسي (هذا هو الكرم الصحيح) وذكرت قول حافظ في هذا المعنى

من جاد من بعد السؤال فانه ... وهو الكريم يعد في البخال

أما الشيخ يوسف فقد دفعته غريزة الكرم أن يتطوع ليكون كريما . وقد أرسلت في طلب صاحب الروايه فلما جاء أبلغته رسالة الشيخ يوسف وسلمته المبلغ وكان الرجل مرهف الحس دقيق الشعور فلم يقل شيئا غير أني شعرت عما يدور في خلده وما خامره من التأثير العاطفي . ولم يمر على هذا الحادث أسبوعا واحدا حتى أعاد الي الرجل المبلغ قائلا (لقد كنت واسطة هذا المبلغ فكن واسطة رده الى الشيخ يوسف) وهكذا فعلت . هذا هو الشيخ يوسف بدري الذي توفاه الله عام ١٩٢٣ فبكاه جميع الناس ورثاه الشعراء من ذلك ما قاله كبير شعراء السودان الشيخ محمد سعيد العباسي .

أنادي ما ليوسف في سبات ... وكيف يجيب من تحت الرمال
سموت الى العلى وكفاك فخراً ... بانك بالسجايا الغر حالي
ذكرت خلائقا لك أذكرتني ... فتيت المسك أو نشر الغوالي

المؤتمر السوداني الوطني
وأغراض القائمين به

لما كان السودان على حالته الحاضرة خلواً من البرلمانات فقد فكر شباب السودان الراقي أن يقيموا برلمانا وطنيا ليكون هو الدستور الوطني

وقد لا أقاموه فيما بينهم ، وأخذوا المواثيق على أعضائه باتباع مبادىء الوطنية الصحيحة . وهو يقام فى نادى خريجى المدارس بام درمان[1] ولا عجب أن تبرز هذه الفكرة الصائبة فى أدمغة أبناء السودان فلا يلبثوا أن ينفذوها ، فان فى السودان شبابا أشد مايكونون حرصا على قوميتهم ورفع مستواهم إلى مصاف أرقى الامم وقد زرت هذا النادى فى أم درمان عام ١٩٣٩ فلقيت الاستاذ الجليل اسماعيل الازهرى وهو من قادة الرأى العام المحبوبين ، فى مقتبل العمر ، رزين ، تستطيع أن تعرفه بعد محادثة قليلة فتدرك ما تنطوى عليه نفسه العالية من الشمم ، ثم تدرك الآمال الواسعة التى يسعى الى تحقيقها من سبيل الشرف والنبل ، يصرف كل أوقاته فى سبيل تقدم هذا المؤتمر الذى أوقف نفسه وراحته لاجله . أما أغراض هذا المؤتمر فلا أجد أوضح مما قاله الاستاذ فى هذا الصدد وهو أصح تعبير يعتبر الحجة القاطعة فى

---

(١) النوادى فى السودان كثيرة فان بعض أفراد الجالية الانكليزية يقيم الحفلات والمآدب باستمرار وهى تغنيهم عن الملاهى وهم فى العاصمة السودانية منتدياتهم الرياضية الخاصة ، فنادى السودان Sudan Club للشخصيات الكبيرة ونادى الخرطوم Khartoum Club للافراد العاديين ولا يقبل بهذين الناديين غير الانكليز . وهناك النادى المصرى ، والمكتبة القبطية وهما للمصريين فقط . والنادى السورى للسوريين . كما أن لليونانيين ناديين . أحدهما للشخصيات الكبيرة والثاني للافراد العاديين . وللسودانيين ناديان . « نادى الخريجين » بام درمان . و « نادى الخرطوم » بالخرطوم . وليس ذلك وحسب فان فى جميع البلاد الكبرى نواد ، منظمة يؤمها المصريون والسودانيون فى وئام تام وارتباط يسترعي الانظار .

هذا المعنى قال الاستاذ الازهرى : — « ان أهم عمل يقوم به المؤتمر الآن هو ضم الصفوف وتوحيد الكلمة فالأمة تفرقت قبائل تميل الى الاحساس بالكينونة المنفصلة وهذا من مضار الادارة الاهلية القائمة اليوم اذ أنها أشعرت القبائل المختلفة بأنها قائمة بذاتها تعمل فى محيط منفصل ، وفى جو خاص ، وفى بيئة منعزلة عما حولها ، فلا تهتم باحداث الزمان التى تحل بمن الى جانبها من اناس وأوطان ، مادامت هى لم تمس بعد ، لذلك كان على المؤتمر أن يعمل جاهداً حتى تثوب الامة الى رشدها فتنضوى تحت قومية واحدة ، وجنسية واحدة ومبادىء واحدة .

انا لا نريد أن نسمع بعد الآن كلمة انا جعلى أو دنقلاوى أو كباشى أو هدندوى ، بل يجب أن يقول الجميع نحن سودانيون وهذا اصلاح داخلى محض لا يراد به مناواة . أما اتجاه المؤتمر نحو أحد الشريكين فذلك ما أستطيع أن أجيب عنه فيما يلى : « ان المؤتمر حركة سداها حسن التفاهم ولحمتها الرغبة الاكيدة فى العمل للصالح العام و « الرفاهية » لذلك فهو يسير فى اتجاه واحد مع الحكم القائم الآن وما دامت قد تساوت الفرص للشريكين بعد امضاء المعاهدة فالمؤتمر يضع كفتى ميزان على يمينه وعلى شماله « فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ، » « وما دام هذا المؤتمر يسير منصتاً لصوت العقل والروية فانه لا محالة بالغ شأواً بعيداً من النجاح ، والمؤتمر على كل حال رفع ويرفع وسيرفع اقتراحات والتماسات تشمل الكثير من المطالب الشعبية واذا كان بعض هذه المطالب لم يتحقق ، فانه يؤمل تحقيقها إن لم يكن اليوم فغداً .

مقتل السردار والانذار البريطانى
ومأساة اخلاء الجيش المصرى للسودان

بينما كان الفريق السير لى ستاك باشا سردار الجيش المصرى والحاكم العام للسودان خارجا من مكتبه فى وزارة الحربية بمصر فى الساعة الثانية



السير لى ستاك باشا

بعد ظهر يوم الاربعاء ١٩ نوفمبر سنة ١٩٢٤ أطلق عليه مجرم أثيم عدة طلقات نارية وقد أصيب برصاصة فى بطنه وبرصاصتين فى يده ورجله كذلك قد أصيب ياوره الكابتن كامبل برصاصة فى صدره كما أصيب سائق السيارة الانجليزى برصاصة فى فخذه وقد توفى السردار متأثراً بجراحه فى الساعة الحادية عشر والدقيقة الخمسين من مساء يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٤ . توفى ستاك باشا فهلعت القلوب ، وثارت النفوس ، فقد كانت وفاته نذير الشؤم ، نعم ، فقد انتهزها الانجليز فرصة لتنفيذ مقاصدهم حتى قيل يومئذ أنه لا يمكن أن يكون قتل المرحوم ستاك خالقا لكل ماحدث سنة ١٩٢٤ ولكنها فرصة طيبة لتحقيق مقاصد الامبراطورية الانجليزية فى السودان . ففى مساء ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤ زار اللورد اللنبى بملابسه الرسمية فى جمع عسكرى بريطانى دولة سعد زغلول باشا رئيس الوزراء فى مكتبه وتلا عليه الانذار البريطانى باللغة الانجليزية وسلمه الى

دولته وانصرف . أما الانذار البريطانى فهذا نصه حرفيا

القاهرة فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤ .

إلى صاحب الدولة سعد زغلول باشا

يا صاحب الدولة

اقدم لدولتكم من قبل حكومة صاحب الجلالة البريطانية البلاغ التالى

إن الحاكم العام للسودان وسردار الجيش المصرى الذى كان أيضا ضابطا فى الجيش البريطانى قد قتل بكيفية فظيعة فى القاهرة . فحكومة جلالة الملك تعد مقتله هذا الذى يعرض مصر كما هى محكومة الآن لازدراء الشعوب المتمدينة بنتيجة طبيعية لحملة عدائية ضد حقوق بريطانيا العظمى وضد الرعايا البريطانية فى مصر والسودان . وهذه الحملة القائمة على انكار الجميل انكاراً مقرونا بعدم الاكتراث للايادى التى أسدتها بريطانيا العظمى لم تثبط من جانب حكومة دولتكم وقد أثارتها هيئات على اتصال وثيق بالحكومة . وقد أفهمت حكومة جلالة الملك دولتكم منذ أكثر من شهر الى العواقب التى لابد من أن تنشأ عن هذه الحملة إذا لم توقف ولاسيما فيما يتعلق بالسودان . ولكن هذه الحملة لم توقف والآن لم تعرف الحكومة المصرية كيف تمنع اغتيال حاكم السودان وأظهرت أنها غير قادرة على حماية أرواح الاجانب أو أنها قليلة الاهتمام بهذه الحماية .

فبناء على ذلك تطلب حكومة جلالة الملك من الحكومة المصرية :—

(١) أن تقدم اعتذارات كافية وافية عن الجناية

(٢) أن تتابع باعظم نشاط وبدون مراعاة للاشخاص البحث عن

الجناة وأن تنزل بالمجرمين بدون مراعاة لاشخاصهم وأعمارهم أشد العقوبات .

(٣) أن تمنع من الآن فصاعدا وتقمع بشدة كل مظاهر شعبية سياسية .

(٤) أن تدفع فى الحال الى حكومة جلالة الملك غرامة قدرها نصف مليون جنيه

(٥) أن تصدر فى خلال ٢٤ ساعة الاوامر بارجاع جميع الضباط المصريين ووحدات الجيش المصرى البحتة من السودان مع التعديلات التى تنشأ عن ذلك وتعين فيما بعد .

(٦) أن تبلغ المصلحة المختصة ان حكومة السودان ستزيد مساحة الاطيان التى تزرع فى الجزيرة من ٣٠٠٠٠٠ فدان الى عدد غير محدود على نسبة ما تقتضيه الحاجة

(٧) أن تعدل عن أى معارضة لرغبات حكومة جلالة الملك فى الشؤون المبينة بعد فيما يتعلق بحماية المصالح الاجنبية

وفى حالة عدم تلبية هذه المطالب فى الحال تتخذ حكومة جلالة الملك على الفور التدابير المناسبة لصيانة مصالحها فى مصر والسودان

وانى أنتهز هذه الفرصة لأؤكد لدولتكم مرة أخرى احترامي الفائق

الامضاء

اللنبي فيلد مرشال المندوب السامى

وقد أرسلت الحكومة المصريه برئاسة حضرة صاحب الدولة سعد زغلول باشا رداً مسهبا على الانذار البريطانى مع وزير خارجية مصر يوم ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٤ وقد أنكرت الحكومة المصرية مسؤوليتها فى حادث

السردار واستنكارها للجريمة . وأجابت بعض طلبات الانذار ورفضت البعض الاخر وقد أرسلت الحكومة المصرية فى الساعة العاشرة صباحا من يوم الاثنين ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ تحويلا مالياً بمبلغ ٥٠٠٠٠٠ جنيه قيمة التعويض المطلوب بامضاء على الشمسى باشا وزير الحربية (يومئذ) مرفقاً بكتاب من سعد زغلول باشا جاء فيه أن الحكومة المصرية تحتج احتجاجاً صريحا على ما اتخذته حكومة صاحب الجلالة البريطانية من القرارات التى لامسوغ لها وتعتبرها مناقضة لما لمصر من الحقوق المعترف بها .

ولما شعرت الحكومة الانجليزية أن سعد باشا قد رفض أهم مطالبها بالاخص فيما يختص باستدعاء الجيش المصرى من السودان ، أرسل المندوب السامي الخطاب الآتى لدولته .

حضرة صاحب الدولة سعد زغلول باشا :

بالاشارة الى الكتاب الذى أرسلته اليكم أمس أتشرف بأن أبلغ دولتكم أنه كتدبير أولى أعطيت التعليمات الى قوات جلالة ملك بريطانيا بأن تحتل جمرك الاسكندرية وانى أنتهز الفرصة لاكرر لكم عهود احترامى الفائق .

الامضاء اللنبى

فيلد مرشال المندوب السامى

وكان سعد باشا قد أعد مذكرة استقالته منذ مساء أمس ، فلما وصله هذا الخطاب ، رفعها الى جلالة الملك ، وفى نفس اليوم أى يوم ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ قبلت استقالة دولته وخلفتها وزارة زيور باشا .

هذا ما حدث فى مصر أما السودان ففى يوم ٢٤ نوفمبر أرسل نائب السردار (يومئذ اللواء هدلستون باشا) إلى القائمقام احمد رفعت بك قومندان الطوبجية الذى كان أقدم ضابط مصرى هناك الخطاب الآتى .

El Kaimakam Ahmed Bey Rifat Artillery

In consequence of the murder of his Excellency the Sirdar and Governor General in Cairo, the High Commissioner presented certain demands to the Egyptian Government amongst which was included the immediate evacuation of all Egyptian units Egyptian Officers from the Sudan.

At the end of 24 hours, the period allowed in the ultimatum, the Egyptian Government had not agreed to the demands, accordingly the High Commissioner ordered the Governor General to carry out the evacuation.

As Acting Sirdar, it falls upon me to carry out these orders. As the Eeyptian Government has not acquiesced in the evacuation it was necessary for me to take all military precautions, which in this case included the presence of British troops and the isolation of all Egyptian Army Barracks.

Troops will entrain with arms and colours but without ammunition.

24 November 1924.

Lewa
ACTING SIRDAR

وترجمته صريحة وهى تتضمن جلاء الجنود المصرية عن السودان فى ظرف ٢٤ ساعة . على أن يغادر الجنود ببنادقهم وبدون أى ذخيرة

وقبل أن نتقدم فى سرد الحوادث ، يجب أن نقول كلمة عن المغفور له احمد رفعت بك ، فهو الضابط المصرى الذى واجه هذه الحوادث الصارخة ، وهو الذى ساس الامور بحكمته وانقذ الموقف بحسن تدبيره وقف وقفة جعلت الانجليز يحسبون لصلابة المصرى الف حساب . وقد انضم اليه فى هذه الساعة الرهيبة كثير من ضباطنا العظام الذين أدركوا حرج الموقف وأدركوا أن الساعة هى ساعة الجهاد الشريف



الامير لاى احمد رفعت بك

وفى مقدمتهم القائمقام عبد القادر بك حلمى المازنى الذى كان نائبا لقومندان الاورطة الثالثة (١) البيادة. أدرك المازنى بك مايستلزمه الموقف من المحافظة على الشرف العسكرى والواجب، فانضوى تحت لواء رفعت بك عالماً منه أن توحيد الصفوف من الزم المستلزمات.



الاميرالاى عبدالقادر بك المازنى

فلما وصل هذا الأمر الى رفعت بك

(١) هو أحد الضباط الذين كتبوا وأمضوا ذلك التقرير الخطير الذى يعتبر أشرف صفحة فى تاريخ الجيش المصرى . ولما عاد الجيش المصرى الى مصر تعين قومندانا للاورطة المشاة الثالثة وهو اليوم فى المعاش برتبة الاميرالاى لا يترك منزله الا ليقرأ الاهرام فى قهوة اللبان بشارع ابراهيم باشا . يذكر السودان دواما وأيام السودان كما لايفتر السودان عن ذكره وذكر جزيل خدماته

قابل نائب السردار وصارحه مصارحة لا مواربة ولا التواء فيها ، قائلا (ان لهذا الجيش قائداً أعلى ، فهو لا يساق سوق الانعام لمجرد كلمة أو أمر منكم اما أخذ ذخيرتنا وأسلحتنا من أيدينا ، فهذا لن يكون أيضا ، والا سجلنا على أنفسنا العار ، فاننا بهذه الذخيرة القليلة نداقع عن مليكنا وأمتنا ومصرنا وسوداننا إلى آخر قطرة من دمائنا .)

وفى يوم ٢٥ نوفمبر فى الساعة ١٠ والدقيقة ٣٠ صباحا اجتمع الضباط المصريون فى مجلس حربى عسكرى برئاسة القائمقام احمد رفعت بك وقرروا ما يأتى . —

إنه لمناسبة البلاغ الذى طلب فيه مندوب جلالة ملك بريطانيا من حكومتنا المصرية اخلاء السودان من الجنود المصرية وبما ، أن حكومتنا الموقرة رفضت هذا الطلب وترتب على رفضها أن أصدر الجنرال اللنبى أمره الى اللواء هدلستون باشا بطردنا من هنا ولما كان هذا الجيش هو جيش صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول ملك مصر والسودان ولما كان السودان قطعة من وادى النيل حيث أقسمنا اليمين لجلالة مليكه أن ندافع عنه وأن لا نتخلى عن شبر أرض منه ، قررنا نحن رئيس وأعضاء المجلس الحربى المذكور أن نثبت الى النهاية حتى نسلم أرواحنا فى أماكننا أو يدعونا مليكنا . وطبقا للانظمة العسكرية قررنا أن نوحد قيادة القوات المجتمعة بالخرطوم بحرى ونعهد بقيادتها الى حضرة صاحب العزة القائمقام احمد بك رفعت

ولم يكتفوا بذلك بل أرسلوا التلغراف الآتى الى جلالة الملك فى مصر

جلالة الملك فؤاد بمصر .

صدر لنا أمر قهرى نهائى من نائب حاكم عام السودان بواسطة نائب السردار بترك السودان حالا وحوصرنا بالجيوش الانكليزية من جميع الجهات وذخيرتنا عشرون طلقة لكل بندقية وقليل جداً للمدافع وهى لاتكفي لأى دفاع ضد قوات كبيرة مسلحة معها جبه خانه لاتحصى ومخازن الجبه خانة المصرية تحت سلطتهم منذ احتلال السودان والضباط والصف ضباط والعساكر مصممون على عدم ترك السودان بدون أمر من جلالتكم يرسل لهم مع مندوب مصرى أو يموتون دفاعا عن آخرهم فى قشلاقاتهم .

الامضاء

القائمقام احمد رفعت بالطوبجية

ولما أدركت الحكومة المصرية أن ضباطها لن يبارحوا السودان إلا بأمر جلالة الملك أو مندوب من لدنه، أرسل وزير الحربية يومئذ الفريق محمد صادق يحيي باشا الخطاب الآتى مع البكباشى أحمد هيمن الذى سافر إلى السودان طائراً فأوصل الرسالة اليهم وهى :—

وزارة الحربية

مكتب الوزير

حضرات الضباط وضباط الصف والجنود بالجيش المصرى فى السودان. عهدنا فيكم الشجاعة والولاء ولا يداخلنا أى شك فى أنكم مستعدون جميعاً لأراقة آخر نقطة من دمائكم فى خدمة جلالة الملك وفى سبيل الوطن على أننا نأمركم بأن تكفوا عن مقاومة الاجراءات التى

اتخذها نائب حاكم السودان العام لاخراجكم بالقوة من الأراضي السودانية .



القريق محمد صادق يحيى باشا(١)

فانه ليس من وراء هذه المقاومة سوى سفك الدماء بغير جدوى وبما أن الحكومة المصرية قد احتجت صريحاً على هذا العمل الذي نفذ بالقوة القاهرة فعودتكم لا يترتب عليها أى مساس لا بحقوق الوطن ولا بشرفكم العسكري .

يا حضرات الضباط

إن الحكومة المصرية لن تنسى لكم قيامكم بواجبكم في خدمة جلالة

---

(١) هو أحد الضباط العظام الذين ساهموا فى نظام الحكم فى السودان وقد ارتقى إلى أسمى رتبة فى الجيش وهى رتبة الفريق وقد كان وزيراً للحربية فى وزارة زيور باشا ، كما قد اشترك في مواجهة الانذار البريطانى المشؤوم واستطاع بحكمته ودرايته أن يمنع سفك الدماء فى السودان . فما علم بالموقف العظيم لذى وقفه الضباط فى السودان حيث أبدوا إستعدادهم لاراقه آخر نقطة من دمائهم قبل تسليم السودان وقد كان موقفا دقيقا حتى بادر بارسال هذا الخطاب التاريخى صحبة اليكباشي محمد امين هيمن الذى كان ياورا للسردار ونجت باشا سابقا فسافر طائراً من القاهرة إلى الخرطوم ومعه أمراً للجيش بالعودة . كان محمد صادق يحيى باشا فى كل أدوار حياته ضابطا باسلا يؤدى واجبه كرجل عسكرى قبل كل شيء ولا شك أن تقلده منصب كبير ياوران جلالة المغفور له مولانا الملك فؤاد شهادة عدل أنه كان محل الرضاء السامى . وهو اليوم فى المعاش يرقب الأمور عن كثب رقابة الحريص العارف .

الملك وفى سبيل البلاد ذلك الواجب الذى أديتموه بالصدق والاخلاص فترى الحكومة حقاً عليها أن تظهر عطفها عليكم وأن تبلغكم أنها مهتمة بأمركم لتكونوا آمنين على حاضركم مطمئنين على مستقبلكم »

وزير الحربية والبحرية

٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٤ محمد صادق يحيى

وهكذا سافرت القوات المصرية من السودان فى أيام ٢٩ و ٣٠ نوفمبر و ١ و ٢ ديسمبر سنة ١٩٢٤ على خمسة قطارات خاصة .

وقد حدثت فى السودان حوادث خطيرة عقب الانذار البريطانى فصلناها فى الصفحات المقبلة .

حوادث الثورة فى السودان
عام سنة ١٩٢٤

قليلون هم المصريون الذين يعرفون حقيقة ما حدث من المحن عام ١٩٢٤ إذ قامت ثورة السودان بزعامة البطل المحبوب والزعيم المخلص الملازم على افندى عبد اللطيف وهو من القادة الذين عرفهم السودان فى حرية الفكر وصفاء السريرة وقوة اليقين . لا غاية له غير ارتفاع شأن السودان فكان نعم الزعيم النبيل .

وهو سودانى التحق بالمدرسة الحربية عام ١٩١٣ ثم بالأورطة الحادية عشرة السودانية عام ١٩١٤ ثم نقل إلى خدمة حكومة السودان

وفى مايو سنة ١٩٢٢ شعر أن اتفاقية ١٨٩٩ لا تنفذ ، وليس هناك أمل بالوحدة التى كانت تتوق اليها نفسه . فجهر بالنقد علناً وفى صراحة تامة

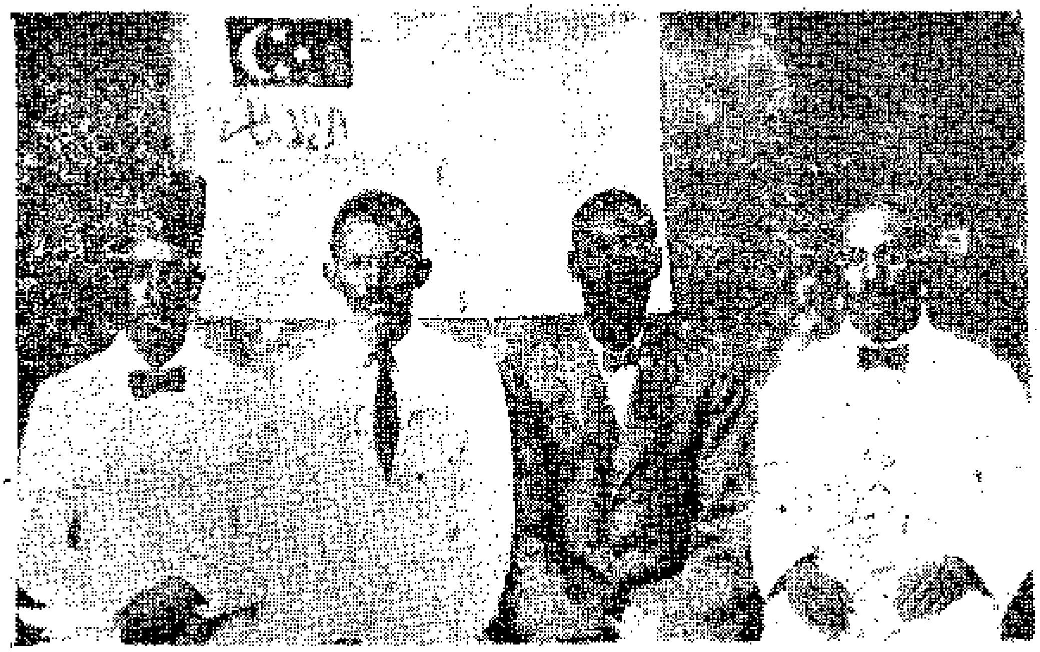
ونادى بشجاعة السودانى الجرىء أن لا بد من وحدة النيل تحت العلم المصرى ، فحوكم من أجل ذلك فى مايو سنة ١٩٢٢ ، وقضى سنة كاملة سجيناً ، فلما أفرج عنه عام ١٩٢٣ مضى فى خطته (خطة النقد الصريح) وانتخب رئيسا لجمعية اللواء الأبيض وهى التى انشئت لمشايعة الحركة الوطنية عقب حوادث مصر عام ١٩١٩ بسكرتارية المرحوم عبيد الحاج الأمين المترجم بمصلحة السجون السودانية ،


الزعيم على عبد اللطيف

وعضوية الشاعر الكبير صالح افندى عبد القادر وحسن شريف وحسن صالح الموظفين بمصلحة البريد السودانى يومئذ ، وقد انضم لهذه الجمعية كثير من أبناء السودان البارزين أمثال وهبه افندى ابراهيم ومحمد عبد المنعم زايد ، واحمد صبرى زايد ، وعبيد صالح ادريس وغيرهم

فلما كانت سنة ١٩٢٤ جاهرت الجمعية بمبادئها وخطتها ، وأعلنت عداءها للحكومة الانجليزية فوزعت المنشورات ونظمت المظاهرات فقبضت الحكومة على رئيسها على عبد اللطيف وقضت بسجنه ثلاث سنوات بتهمة

التحريض على المظاهرات ، ثم بسبعة أخرى بتهمة التآمر على قلب نظام



أقطاب جمعية اللواء الأبيض

الحكم ، وبالرغم من انتهاء مدة الحكم عليه فقد ظل سجينا بدعوى أن بعقله خللا ، وقد قيض الله له صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا فى وزارته الأخيرة فسعى لنزوله ومعالجته فى مصر ، فكلل مسعاه بالنجاح ولازال فى المستشفى العسكرى فى القاهرة نسأل الله أن يمنحه الشفاء العاجل

هذه لمحه وجيزة من تاريخ هذا الزعيم الباسل فلنعد لتفصيل حوادث الثورة التى اشتركت فيها جميع الهيئات وكانت أولى الثورات فى مدينة عطبره ، التى قامت بها اورطة السكة الحديد المصرية فأجرى قطعها على الفور رجال السلطة الانجليزية ، وفصلوا اورطة السكة الحديد المصرية

الحديد عن أهالى المدينة ، ولما وجدوا من عساكرها حب التضامن على مقاومة الانجليز وعدم الخضوع لأوامر رجالهم ومحاولة الاتصال مع الشعب ، قاومتهم بالنار والحديد ، فابتعدت بين الطرفين ثم أسرعت فى انزال جميع ضباط وصف عساكر هذه القوة فوراً الى القطر المصرى ، وفى هذا الوقت كانت الثورات تتوالى فى جميع أنحاء السودان وعلى الخصوص فى مدينة الخرطوم عاصمة السودان .

وفى مساء يوم ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٤ أى بعد اذاعة الانذار البريطانى اجتمع بالخرطوم حضرات الملازمين سليمان افندى محمد ، عبد الفضيل افندى الماس ، حسن افندى فضل الله ، ثابت افندى عبد الرحيم ، على افندى البنا ، السيد افندى فرح ، وقرروا الانضمام لقوات الجيش المصرى التى كانت معسكرة بالخرطوم البحرية للتضامن معها فى مقاومة تنفيذ الانذار البريطانى ، وفعلا قاموا بمدافعهم وأسلحتهم مع قوات عساكرهم من مدرسة ضرب النار مارين بشارع الخرطوم ووجهتهم الخرطوم بحرى .

ولما علم قومندان قسم الخرطوم اللواء (مكاون باشا) بذلك أدركهم عند تمثال غوردون باشا خلف سراى الحاكم العام فأمرهم بالعودة ذاكراً لهم ان هذا أمراً تلقاه من نائب السردار (هدلستون باشا) فلم يطيعوا أوامره قائلين ان رئيس الجيش المصرى الآن بالسودان هو القائمقام احمد بك رفعت قومندان الطوبجية المصرية بالخرطوم بحرى ، وانهم ذاهبون للانضمام الى القوات العسكرية المصرية التى أصبحت تحت قيادته بعد صدور الانذار البريطانى .

فتركهم وأبلغ هدلستون باشا بما حدث ثم أدركهم هدلستون باشا نفسه بالقرب من كلية غوردون فأمرهم بالعودة فلم يرضخوا لأوامره

اتصل فورا هدلستون باشا بقيادة الجيش الانجليزى وأمرها بمنع هؤلاء الضباط عن عبور كوبرى الخرطوم بالقوة ، وعدم تمكينهم من الاتصال بقوات الجيش المصرى بالخرطوم بحرى. فأصدرت القيادة أوامرها للقوات الانجليزية التى كانت مرابطة عند كوبرى الخرطوم فتصدت لهم وأطلقت عليهم النار ، فما كان من هؤلاء الضباط وقواتهم العسكرية الا الرد عليها بالنار أيضا .

اشتبكت القوتان الانجليزية والسودانية فتحصنت القوة السودانية فى المستشفى العسكرى بطريقة عسكرية فنية ، وقاومت القوات الانجليزية فاصلتها ناراً حامية لم يطيقوها ، دامت هذه الحرب ثلاثين ساعة لم يكن الجيش السودانى يملك فى خلالها ماءً ولازاداً ، ولما كان مساء يوم ٢٩ نوفمبر نفذت ذخيرتهم ، فاصدر ضباطها أوامرهم الى العساكر بالعودة الى القشلاق ، وبقى الضباط فى ميدان القتال ، فلما أعجزت الانجليز الحيلة وأدركوا أنهم لامحالة منهزمون امام شجاعة هؤلاء البواسل الذين اتخذوا المستشفى العسكرى خندقاً ، أمرت السلطة بهدم هذا المستشفى ، فأعملت مدافعها فدمرته على من فيه من مرضى وأطباء فقتل ضمن من قتلوا تحت انقاضه الضابط الباسل عبد الفضيل افندى الماس ، وأربعة عشر جندياً سودانياً . وأصيب فى الميدان الملازم ثاني السيد افندى فرح واختفى حيث لم يعرف مكانه وأسر الباقون حيث تحاكموا عسكريا بالاعدام رمياً بالرصاص . فنفذ الحكم فى (١) الملازم

أول سليمان افندى محمد (٢) حسن افندى فضل المولى (٣) الملازم ثانى ثابت افندى عبد الرحيم وحكم بالاعدام غيابياً بالنسبة للملازم السيد فرح. حيث قررت الحكومة مكافأة مالية كبيرة لمن يقبض عليه، واستبدل حكم الاعدام بالاشغال الشاقة لمدة خمسة عشر سنة بالنسبة الى الملازم ثانى على افندى البنا.

وقبل أن نمضى فى ذكر الحوادث نأتى على لمحة مما حدث للضابطين المذكورين الملازمين السيد فرح وعلى البنا فالأول عندما علم أن زملائه فى موقعة الخرطوم قد قتلوا جميعا، بعضهم تحت انقاض المستشفى العسكرى والبعض الآخر رميا بالرصاص، وأن الانجليز يجدون فى البحث عنه لتنفيذ الحكم فيه لم يجد بدا من الفرار الى مصر، فتنكر فى زى جندى مصرى وسافر مع القوة المصرية الى وادى حلفا. وهناك كاد أن يفتضح أمره عندما شرع الانجليز فى تفتيش القطار، فخلع البدلة العسكرية، وارتدى جلبابا ممزقا وتظاهر بانه بحار، الى أن اختفى عن عيون الرقباء فسار



الملازم سيد فرح

يضرب فى الصحراء المحرقة متجها نحو اسوان. فبلغها بعد ٣٦ ساعة: وكان الاعياء قد بلغ به أشده لجراحه التى أصيب بها أثناء اشتراكه فى الموقعة

وامدم الأكل والشرب ، وغطى وجهه بجزء من الجلباب لكي لا يفتضح أمره ووقف على مقربة من الكوبري يراقب الضباط والجنود يركبون القطار عائدين الى مصر ، وبينما هو كذلك ، لاح له شبح صديقه الضابط المصري الشهم الذي سهل له سبيل الفرار من الخرطوم ، ولم يصدق عينيه عندما رآه يشير له في لهفة وحذر ، فاقترب منه ، فانتحى به مكانا خفيا وألبسه بدلة أحد الجنود ، وأركبه معهم في القطار دون أن يدرى به أحد ، وكان قد أرسل الى صديقه الكريم الاستاذ صابر الكاشف الطيار في شركة مصر للطيران الآن ، لينتظره عند «بني سويف» ليخفيه في عزبته حتى يتم علاجه من جراحه . ورحب به الاستاذ صابر الكاشف وأنزله في عزبته على اعتبار أنه خفير خصوصي . وتولى أحد الاطباء علاجه مدعيا أن لصوصاً أطلقوا عليه النار أثناء محاولتهم السرقة من عزبة مخدومه .

ولما شفي من جراحه سافر الى القاهرة ، وكان الاستاذ الكاشف قد كتب لصديقه الاستاذ محمود سامي صاحب ومدير مدارس المبتديان والضابط السابق في السودان ، وأخبره بامره وأنه سينتظره في «مقصورة» سيدنا الحسين في ثياب شيخ فقير يقرأ القرآن في يوم معين وساعة محددة . ووافاه الاستاذ سامي وأخفاه في منزله حتى هيأ له وسائل الاختفاء بأن أشار عليه باطلاق لحيته واشترى بعض كتب الرمل والتنجيم وعكف على دراستها ، وانطلق في الاسواق (يضرب الرمل للناس ، ويكشف لهم عن ماضيهم ومستقبلهم)

وكان لا يحلو له الجلوس إلا بجوار دار المندوب السامي أو القلعة

حتى يكون بمأمن من عيون الجواسيس الذين كانوا يجدون في طلبه . ولما اشتدت الرقابة عليه والبحث عنه في القاهرة فر منها إلى البحيرة ، وكان اخوانه قد اتصلوا بضابط مصري في حدود مصر الغربية أنبأوه بنبأه ، وطلبوا منه أن يسهل له سبيل الفرار إلى طرابلس . فلما وصل إلى هذا الضابط الشهم تظاهر بالقبض عليه باعتباره جاسوساً إيطالياً ، وأنه رأف بحاله هذه المرة مكتفياً بإخراجه عن الحدود المصرية لكي يعود من حيث أتى . وزوده خاسة بكتاب إلى السيد السنوسي وكبار أتباعه ورجاله فاحسنوا وفادته وعينوه قائداً مدرباً لجنودهم الذين كانوا يقاتلون على الفطرة

وعلم الشهيد البطل عمر المختار بأمره فاستعاره من السيد السنوسي ليدرب له رجاله ، وقد كانوا أبطالا شجعانا ، طالما أغاروا على القوات الايطالية وأحدثوا بها خسائر فادحة . وبعد ثلاثة أعوام اضطر إلى العودة إلى مصر ، فعاد إليها متنكراً في زي أحد الاعراب الطرابلسيين ، وأقام في نجع عرب الشيخ شبيكة بمركز ملوى ، وادعى الجهل المطبق بعادات المصريين وتقاليدهم ، ولم يلبث أن اطمأن إليه أهل النجع وأحبوه وزوجوه إحدى بناتهم واشتغل عندهم بتجارة العطارة الرخيصة . وبقى عندهم هذه المدة الطويلة وهم لا يعلمون عنه سوى أنه الشيخ محمود عثمان النازح من طرابلس الغرب . وكان يحضر إلى القاهرة بين الحين والحين ليزور إخوانه خاسة ، ويقف على مدى ما وصلوا اليه في مساعيهم للعفو عنه ، حتى تحقق أمله في عهد الفاروق السعيد وعلى يد رفعة النحاس باشا في وزارته الائتلافية

أما الثاني وهو الملازم علي افندي البنا ، فقد حوكم أمام مجلس عسكري قضى بإعدامه رمياً بالرصاص ، لاشتراكه في التمرد ضد الحكومة القائمة ، ولاشتراكه مع الضباط والجنود السودانيين في الانضمام إلى المصريين واقتيد البنا إلى ساحة الاعدام وبينما هو يستعد للقدر المحتوم ، جاء النبأ باستبدال هذا الحكم القاسي بخمسة عشر سنة يقضيها في سجن الخرطوم وبحر الغزال ، وأفرج عنه بعد أن قضى من هذه المدة عشرة سنوات راضياً مطمئناً ، غير نادم على شيء لاعتقاده أنه إنما قام بواجبه نحو ضميره ،



الملازم علي افندي البنا (١)

ونحو وطنه ، ولا عجب فالبنا من فتيان درب السودان ، وهو سليل بيت علم وأدب ، مطبوع على الولاء للدين والوطن ، وهو نجل المغفور له الشاعر الكبير الشيخ محمد عمر البنا مفتش المحاكم الشرعية بالسودان سابقاً وشقيق شيخ شعراء السودان الاستاذ عبدالله البنا المدرس بمدارس حكومة السودان ، وبعد أن أفرج عنه عاد الى مصر عام ١٩٣٤ وسعى لدى ولاة الأمور

---

(١) كان بامكاني الحصول على صورة للصاغ علي افندي البنا في حالته الحاضرة ولكنني قصدت باثبات هذه الصورة إلى غرضين ، أولهما أن يرى القراء هيئة الضابط السوداني عند تخرجه من المدرسة الحربية ، والغرض الثاني أن يروا نوعا من أنواع اناقة الشاب السوداني وحسن بزته .

فانصتوا لشكواه ، وأدركوا أن الرجل قد ظلم ويجب انصافه ، فعين ضابطا في مصلحة خفر السواحل برتبة يوزباشي تقديراً لتاريخه الناصع المشرف ولازال في هذه المصلحة وهو اليوم برتبة الصاغ على باب البكباشية .

*
* *

نعود الى ذكر حوادث الخرطوم

لم يهن عزم أبناء السودان أمام حوادث الخرطوم سنة ١٩٢٤ ، بل شحذت فيهم روح الحمية والتضحية ، فقامت على أثر ذلك مظاهرة عسكرية من تلامذة المدرسة الحربية بالخرطوم مسلحة بالبنادق ، وطافت من مقر معهدها على جميع شوارع المدينة إلى سراى الحاكم العام هاتفة بانتظام تنادى في هتافها باسم جلالة ملك مصر ، وزعيمها الأوحد (سعد باشا زغلول) ، وإلى منزل الزعيم المحترم على افندى عبد اللطيف ، وهناك أدوا الواجب نحو حرمه وأولاده ، ثم استصحبوهم جميعا إلى الخرطوم البحرية . حيث كان مسجونا

وصلوا إلى السجن العمومي وهناك أعادوا الهتافين السابقين ، مضافا اليهما الهتاف باسم الزعيم المخلص على افندى عبد اللطيف ، وأصروا على أن تزوره حرمه المصون وأبنائه الأبرار ، ونفذ طلبهم في الحال ثم عادوا الى الخرطوم بنفس نظامهم السابق . منذ خروج هؤلاء الاشبال تلامذة المدرسة الحربية من معقلهم لم يستطع أحد من رجال السلطة أن يقاومهم أو يرغمهم عن العدول عما قاموا به فهم فلذة ونخبة أبناء أعاظم البلاد وهم رجال الوطن الذين يجب عليهم احتمال كل الشدائد ، وهم أيضا رجال المستقبل المرجوون . ان السلطة

الانجليزية كانت تدرك ذلك حق الادراك فما كان منها إلا أن أمرت أكبر قائد عسكرى انجليزى بالخرطوم استصحاب هؤلاء الابطال فى طوافهم الشعبي العظيم هو وأساتذة المدرسة العسكريون .

لما عاد هؤلاء الطلبة إلى معاهدهم وجدوها مطوقة من الخارج بالقوات الانجليزية العسكرية المسلحة ، وأن الذخيرة التى كانت بمخزن المدرسة قد سحبت أثناء غيبتهم فى طوافهم ، فرفضوا تلقى الدروس وعدم وضع بنادقهم وما بيدهم من ذخيرة بالمخازن حتى تسحب القوات الانجليزية ، وفعلا نفذت إرادتهم وبعد مضى أيام قلائل اعتقلوا جميعاً على شاطىء النيل فى وابور خصص لاقامتهم ، ثم سحبت اسلحتهم وحكم عليهم بالسجن ، كل مدة تختلف حسب أهمية وظيفته المدرسية وترتب على ذلك قفل المدرسة الحربية السودانية .

من ذلك يتضح أن الله قد من على السودان بفئة من أماجد أبناء البلاد العريقة ليكونوا عند حسن ظنها ، فتضامنوا واتحدت كلمتهم مع أكابر زعماء وادى النيل فى مصر رغم بعد الشقة بينهما ، فكانوا بأعمالهم وتضحياتهم لربهم وبلادهم ومواطنيهم جند مخلصون يجب على البلاد تخليد أسمائهم لما حباهم الله به من تقديس عهودها فكانوا نعم المخلصين ، أوفياء لله والدين والوطن العزيز .

حوادث جبال النوبة
عـــام ١٩٢٤

ملخصة من مذكرات الصاغ سيف افندي عبد الكريم

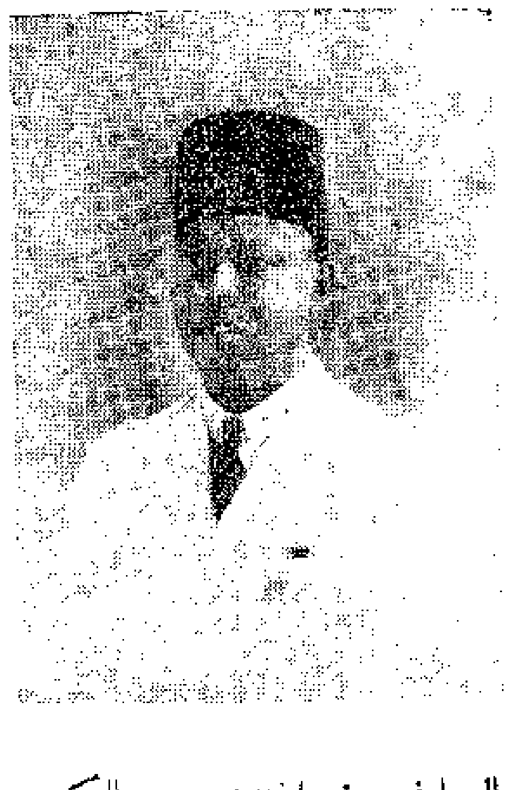
لم تقف حوادث الثورة فى السودان على الخرطوم ، بل تعدتها الى غيرها ، فاندلعت أول شرارة منها فى تالودى عقب اذاعة الانذار البريطانى ببضع ساعات ، وقد دفع إلىَّ الصاغ سيف افندى عبد الكريم بمذكرة ضافيه كان قد رفعها الى سمو الأمير الجليل عمر طوسون ، ثم الى وزير الحربية ، وزعماء الأمة ، فصل فيها حوادث تالودى باسهاب، ولما كانت هذه المذكرة تقع فى ٥٠ صفحة من القطع الكبير، لم يسمح لى ظرف هذا الكتاب أن أنشرها كما هى ، لذلك فانى الخصها فى صفحات قلائل لفائدة القراء .

والصاغ سيف افندى عبد الكريم هو أحد أبطال تالودى ، وسيم الطلعة ، ممتلىء حمية وتعصباً لوطنه ، شريف القصد ، نبيل الآمال . جهر بارائه فى ساعة الخطر ، وهو يعرف النتيجة ، قال كلمته بعد أن انضم اليه صديقيه البكباشى خضر افندى على والصاغ عبد الحميد افندى فرج الله ، فاصبحوا وهم ثلاثة فقط كتلة وطنية تخشى خطرها حكومة قوية . وقد أعجب الانجليز بوطنيتهم فى دخيلة نفوسهم وان كانوا قد أظهروا غضبهم عليهم ، وان يشكروا على شيء فعلى حسن التصرف ، والاناة ، واستعمال العقل فى أحرج أوقات الخطر ، مع الاحتفاظ بالشرف العسكرى ، والكرامة القومية فاستحقوا بذلك لقب (أبطال تالودى) بكل جدار واستحقاق قال :

أبطال تالودى



البكباشى خضر افندى على





الصاغ سيف افندى عبد الكريم   الصاغ عبد الحميد افندى فرج الله

كان الاول وقتئذ يوزباشى والثانى ملازم أول والثالث ملازم ثانى

الانذار

في يوم ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ تلا علينا قومندان الاورطة الانجليزى (القائمقام كلكهون) الانذار البريطانى إذ جمعنا نحن الضباط بعيداً عن صف وعساكر الأورطه وشرح لنا المقصود من الانذار وكنا خمسة عشر ضابطا مصريا وسودانيا

ثم وجه كلامه للضباط المصريين قائلاً (وأنتم يجب أن تسلمونى أسلحتكم وأن تنسحبوا من الطابور لحين وصول المراسلات المكلفة بربط أمتعتكم وتسهيل سفركم ...) فأجابه الضباط السودانيون جميعا (ان هذه الأوامر تنطبق علينا عموماً سواء كنا مصريين أو سودانيين لأننــا جميعا ضباط الجيش المصرى . وعند وصول الأوامر من جلالة الملك قائدنا الأعلى نسافر جميعا . فأجاب بلهجة الغضب قائلا . لا بأس من سفركم جميعا.

كنت أنا مساعــداً لأركان حرب الأورطـة وقتئذ ، فطلبنى قومندان الأورطة المذكورة ، ومعى حضرة اليوزباشى خضر افندى على ، والملازم ثانى عبد الحميد افندى فرج الله ، وطلب منا مساعـدته فى تسفير الضباط والصف والعساكر المصريين من عاصمة المديرية واستعمال القسوة والقوة معهم ، وفى نفس الوقت وعد بترقية كل منا إلى رتبة أعلا ثم تركنا وانصرف ، حدث كل ذلك فى برهةوجيزة وفى ظروف عصيبة ،وسرعة هائلة لا تجعل العقل يدرك ماذا يجب أن يفكر فيه ، وتخالج النفس هواجس تملك عليه جميع مشاعره فقد انصرف كل منا الى عساكره ، وبعد برهة

ادركت أن الأمر جد خطير، ولا يجب أن يترك نهباً للظروف، فجمعت حضرتى الملازم ثانى عبد الحميد افندى فرج الله، وزميله الملازم ثانى محمود افندى التومى وكانا معى بطابور التعليم، وأفهمتهما خطورة الموقف وتصميمى على عدم الحنث بيمين الولاء لجلالة ملك مصر، وضرورة الوقوف بجانب المصريين فى وجه السلطات الانجليزية، فنحن مصريون مثلهم تماماً وضباط بالجيش المصرى، وأن السودان جميعه فتح بدماء أبنائنا وأجدادنا وأموال الشعب المصرى العظيم، فوافقانى على ذلك، ثم توجهنا ثلاثتنا إلى مكتب حضرة اليوزباشى خضر افندى على وأوضحنا له ما استقر عليه رأينا، فأبدى إعجابه بهذه الفكرة وانضم إلينا، فقمنا نحن الاربعة إلى الميس(١) لمقابلة حضرات اخواننا الضباط المصريين لطمنهم، فلما لقيناهم قلنا لهم بصوت واحد (ابشروا بالنصر فاننا منكم وإليكم وسنكون جميعاً قلباً واحداً ويداً واحدة فى العمل حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا . . . . .)

لا يمكن للمرء أن يوفى مهما بلغ من البلاغة والفصاحة فى التعبير، موقف الحنو والاخلاص المجسم الذى سرى فى نفوسنا فقد احتضن كل منا الآخر وصارت الدموع تنساب من المآقى بغير حساب حبا واخلاصا لما جاء طبيعيا من عند الله وأوحى به إلى قلوبنا من التضامن والوفاء وحب الخير للبلاد لحفظ الكرامة العسكرية فهى الرجولة السامية التى يجب أن لا تخدش أو تمتهن . . . . .

وبينما نحن مجتمعون حضر قومندان الأورطة وطلبنى وحضرة

---

١) الميس كلمة انجليزية معناها (محل تناول الطعام) وأصلها MESS

اليوزباشي خضر افندى على ، والملازم عبدالحميد افندى فرج الله على افراد وأمرنا باستلام قوة الأورطة والعمل فيها كسابق تعليماته ووعوده ، فرفضنا ذلك بتاتاً ذاكرين له أن الانذار الانجليزى الذى تلاه علينا اليوم لا يمكن تنفيذه .

تسليم السلاح — وقد حاول قومندان الاورطة بالتهديد والوعيد أن يسلم الضباط أسلحتهم فوقفوا موقف الرجولة ، وابوا أن يسلموا اسلحتهم إلا فى وزارة الحربية المصرية ، وانهم لن ينسحبوا من السودان إلا بأمر جلالة الملك . فلما أدرك أنه أمام جبل من التضامن والشجاعة ، هددنا قائلا (التسليم أو اطلاق النار عليكم) . وهنا تجلى الاستشهاد فى سبيل المحافظة على الشرف العسكرى ، وعين الطاعة للقائد الاعلى ، فسخرنا بتهديده ونحن عالمون أنه لا يتورع فى تنفيذه . وكشفنا له عن صدورنا وقلنا (هاهى صدورنا فاضربونا ماشئتم فلا يمكن أن نسلم اسلحتنا التى ندافع بها عن عرش مصر) لم يكن القومندان ساخراً أو مهدداً بل شرع فى تنفيذ وعيده فعلا ، فأمر الجنود بتعمير بنادقهم وضربنا بالرصاص ، ولكن جنودنا الاوفياء الذين ملكت محبتنا نفوسهم ، نكسوا بنادقهم قائلين (مستحيل ، دول الضباط بتوعنا) وفى الحال صدر أمراً بايقافنا ايقافا شديداً تحت حراسة عسكرية ، حدث كل هذا فى ظرف بضع ساعات عقب تلاوة الانذار البريطانى ، ولما أبعدنا عن أورطتنا كبرت على نفوسنا أن نقف مكتوفى الايدى . وانتهى تفكيرنا بالاتفاق مع صف ضباط الاورطة بالاستيلاء على الاورطة صباح غد أى

(٢٥ نوفمبر) وفى صباحه بكرنا الى قره قول الاورطة ، وهناك وبصفتى اركان حرب الاورطة ، أمرت بضرب نوبة كبسه [١] فاجتمع العساكر واستلموا اسلحتهم فى هيئتهم الرسمية . وجاء قومندان الاورطة فلما رأى ما رأى هدد أنه سيضربنا جميعاً بالمدفع الرشاش . فخشيت أن ينفذ وعيده (والسياسة لاقلب لها) فأمرت ضابطى المدفع أن لا يمكناه من الاقتراب منه . وإذ سمع الجنود هذا التهديد اندفع عسكريان من بلوك اليوزباشى خضر افندى على يريدان قتل القومندان ، فحلت أنا واليوزباشى خضر بينهما وبينه . أدرك القومندان أنه أمام قوة هائلة ، وانه لايملك أمراً ولا نهياً ، لا مع الضباط ولا مع جنودهم ، فاتفق مع مدير المديرية أن يستعملا اللين والحيلة . فطلب المدير جميع الضباط ولما اجتمعوا فى مكتبه قال (إن العمل الذى أتيتم به هو العمل الذى يجب على كل ضابط باسل أن يعمله ، وأنا نفسى معجب بموقفكم ، وبما أن السلطة قد سقطت من يدى ومن يد قومندان الاورطة وصارت فى أيديكم فرجائى أن تتعهدوا بحفظ حياتى وحياة الموظفين الانجليز) فاقتضت الشهامة أمام هذا الضعف أن نتعهد بذلك . وفى نفس اليوم ورد الأمر الملكى المعروف ، فطأطأنا الرؤوس احتراما له . وقمنا للخرطوم فى أول ديسمبر سنة ١٩٢٤ ، ولما وصلنا الخرطوم جاء ضابط انجليزى يطلبنا نحن الثلاثة وطلب منا استصحابه إلى مكتب كاتم أسرار الحربية الاميرلاى (كنى بك Kenny Bey) فقابلنا منفردين ووجه لكل منا تهمة التمرد ، والاشتراك فى الفتنة العسكرية ، فلم نتنصل من التهمة بل أيدناها مؤكدين

---

(١) الكبسة نوع مفزع من البروجى يعقبه حرب محقق

له أننا لم نعمل الا ما يجب على كل ضابط أمين لمليكه وجيشه ، فتوعدنا بالمحاكمة طوراً ووعدنا بالترقية تارة أخرى ، فلما فشل أمر بعودتنا للوابور في مظاهرة عسكرية تاريخية ، بعد ذلك بساعة واحدة جاء ضابط انجليزى آخر ومعه لكل منا تصريحاً بالسفر إلى مصر وخطاباً هذا نصه : —

(ان نائب السردار قد صرح لكم بالسفر نظراً لتجنسكم بالجنسية المصرية ، وأن حكومة السودان غير مسؤولة عن مستقبلكم الذى يتوقف على الترتيبات التي تتخذها الحكومة المصرية معكم) وعلى هذا سافرنا إلى مصر ولما وصلنا الشلال وجدنا هناك مع قومندان القسم الاميرالاى على بك توفيق أمراً تلغرافياً من مفتش الجيش العام بمصر بحجزنا بالشلال لحين صدور أوامر أخرى . وبعد أسبوع أمرنا قومندان قسم أسوان بالعودة إلى السودان مؤكداً أن هذا بناء على أمر من الحكومة المصرية . فرفضنا بتاتاً مؤكدين له أننا مصريون وضباط بالجيش المصرى . وبعد ثلاثة أيام بلغنا أن الحكومة المصرية قد أصدرت امراً رسمياً بعودتنا إلى السودان ولو بالقوة . فقررنا الهرب إلى مصر ، وقد قمنا من الشلال مشيا على الاقدام وسرنا ثلاثة أيام عانينا في خلالها من المتاعب مالم يخطر ببالنا لجهلنا الطريق ولأن الوقت كان شتاء . وفي باكورة اليوم الرابع وصلنا بالقرب من محطة الخطارة وركبنا القطار في أثناء سيره ، ولكنا وجدنا به قوة مصرية مسلحة تحت أمرة ضابط برتبة ملازم أول ومعه أمراً كتابيا بعودتنا الى السودان . لم نجد بداً من اطاعة الأمر وقررنا أنه من الجبن الاستلام للعواطف بالأخص لأننا أدركنا موقف حكومتنا المصرية

الدقيق أمام أوامر الحكومة الانجليزية . عدنا الى السودان فوصلنا الخرطوم فى ٢٤ ديسمبر سنه ١٩٢٤ . ولما قابلنا نائب السردار . هددنا بالمحاكمة ، ولما لم ينل منا أى نائل أمر باعتقالنا وعدم السماح بزيارتنا . وما زلنا بهذا الاعتقال ، لايخفف من حدتنا الوطنية ما كانت تسومنا اياه حكومة السودان من تضييق وحرمان ، الى أن كان شهر مارس سنة ١٩٢٥ حيث تصرح لنا بالسفر بعدأن أيقنت الحكومة السودانية اننا قوم لا نقبل هوادة فى الحق ، ولا يؤثر فى نفوسنا التهديد ، كما لا يستهوى نفوسنا وعد ولا وعيد

وهكذا سافرنا الى مصر فلما لم نجد من الحكومة المصرية أذناً صاغية لم نجد بداً من مقاضاتها شارحين للقضاء الجرم الذى جنيناه وهو الولاء لقائد الجيش الأعلى . (ان كان ذلك جرماً) وهكذا ظلينا نستقبل البؤس وشظف العيش مغتبطين الى ، أن أعادتنا الوزارة الائتلافية وألحقتنا بوزارة الداخلية وعوضت علينا مافقدنا من أقدمية . وهكذا يتبين جلياً أن سياسةالتفرقة قد أرادت أن تفرق بين ضباط الجيش الواحد ، وأبناء الأمة الواحدة ، وتجعل من مواقفهم الوطنية شراً مستطيراً .

مذكرة عسكرية

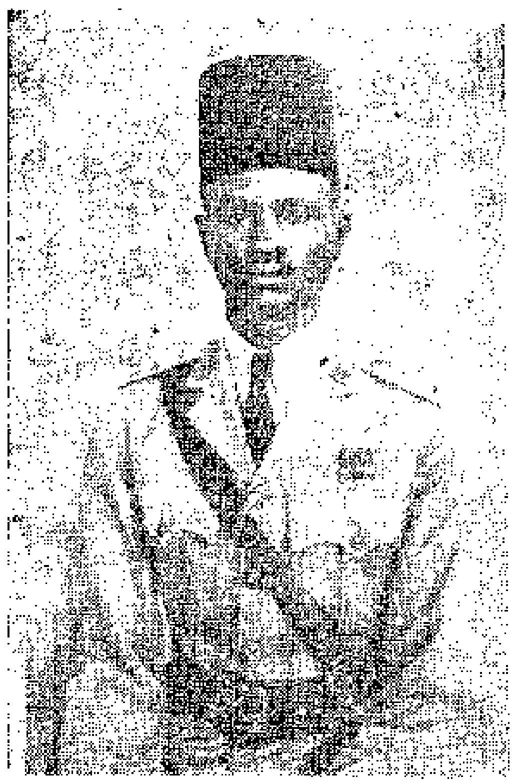
بقلم البكباشي زين العابدين عبد التام

لن أخدم فى جيش غير الجيش المصرى الذى حلفت يمين الطاعة والاخلاص لقائده الاعلى ، والا كنت خائناً .

زين العابدين عبد التام

البكباشي زين العابدين عبد التام

تتجلى القوة والصراحة ، كما تتجلى كل معانى الوطنية الصادقة فى ملامح البكباشى زين العابدين عبد التام ، فهو أحد الضباط الذين أبوا أن ينفصلوا عن الجيش المصرى عند طرده من السودان ، وأبوا أن يحلفوا يمين الطاعة لغير مولانا فؤاد الأول قائد الجيش الأعلى (يومئذ) . لم يقل ذلك فيما بينه وبين نفسه ، أو بينه وبين زملائه ، بل دونه فى خطاب رسمى بتاريخ ٢٥/١١/٢٥ ودفع به الى رئيسه البريطانى قومندان ١٣ جى



البكباشى زين العابدين عبد التام

أورطة سودانية . فعل ذلك فى وقت كان مرجل السودان يغلى غلياناً ، وسيف النقمة مسلولا على الرؤوس ، وأبواب السجون مفتوحة ، لكل

من تحدثه نفسه أن يقول كلمة أو ينظر نظرة عدم الرضاء للانجليز ، ثم فعل ذلك أثر مقتل السردار ستاك باشا ، حيث طاردت الحكومة الانجليزية أن تثنيه عن عزمه فلم تفلح بتاتاً ، لعب دوراً خطيراً في أبان الحركة الوطنية فطاردته حكومة السودان في مصر والسودان معاً .

وبعد اضطر أن يتنكر فانقلب من ضابط الى شيخ طريقة كما تراه ، قاوم الجوع وشظف العيش في سبيل الواجب الوطني ، وفي سبيل الاخلاص لمصر وملك مصر ، لقيته في مصر عام ١٩٢٨ وكان قد مر على لقائي اياه لآخر مرة خمس سنوات فلما اجتمعنا سمعت منه كيف سافر ، وكيف تنكر ، وكيف قاوم ، وكيف يستمرىء كل الصعاب ، ويستقبل المتاعب وهو مغتبط ، فسمعت فصلا من فصول الحياة في الجهاد



البكباشي زين العابدين عبد التام متنكراً

والوطنية الصحيحة . وبعد أن أعادته وزارة النحاس باشا الى الخدمة كنت محظوظاً اذ جمعتني به الاقامة في بلد واحد (المنيا) فكان تعرفي الوحيدة

لا أبرح مكتبي الا حيث القاه وقد زادت الألفة بيننا ، فوجدته صديقاً حميا يتحلى بكل شمائل الصديق الصدوق . ولما وضعت تصميم هذا الكتاب دفع إلىّ بمذكراته التي أنشرها لأول مرة بعد أن استبعدت منها حوادث تالودى التي تراها في مذكرات الصاغ سيف افندى عبد الكريم الذى كان بطل هذه الحوادث . وهذه بعض مذكراته : —

١٠ يونيه سنة ١٩٢٤ — قمت لتمضية شطراً من أجازتى بمصر فاتفق أن قام معى من الخرطوم فى خدمتى الخصوصية شابا سودانيا وما وصل القطار الى حلفا حتى لاحظت أن القطار محاطا بسياج من البوليس ومعهم مأمور مركز حلفا ونائبه . وظهر لنا أيضا أن أبواب العربات مقفلة ودخل حضرة المأمور حينئذ علينا وسألنى أين محمد المهدى الخليفة ؟ فأجبته بأن لا أحد معى بهذا الاسم بل معى خادمى ويدعي محمد يوسف فأنزلنا من القطار بامتعتنا الى مكتب الجمارك حيث ينتظرنا مدير حلفا الذى قدمنا اليه وأعاد سؤالى عن من يدعى محمد المهدى الخليفه فاجبته كما سبق أجبت المأمور ، فأمر بتفتيش امتعتنا وعند التفتيش اتضح لهم أن من كان معى هو محمد المهدى الخليفه عبدالله المقصود . فصدر الامر باعادته فوراً الى الخرطوم بعد عمل تحقيق معنا وحجزت أنا أيضا بعده عن مواصلة السفر الى مصر وأمرت بالعوده الى الخرطوم فقامت على الأثر المظاهرات بين الاهالى بالسودان احتجاجا على ماجرى من تصرفات حكومة السودان معى .

١٧ يونيه سنة ١٩٢٤ — اعتقلت فى سجن الخرطوم بحرى بتهمة التظاهر والتحريض عليه فاحتج الضباط والاهالى على هذا الاعتقال

ووصلت احتجاجاتهم الى البرلمان المصرى وناقش مجلس النواب فى ذلك بجلسته المنعقدة بتاريخ ٢٢ يونيه سنة ١٩٢٤ (راجع مضبطة مجلس النواب عن هذه الجلسة). على أثر الاحتجاج صار اخراجى من السجن المدنى واعتقلت اعتقالا عسكريا كنص جواب رئيس أركان حرب ومساعد الادجوتانت جنرال كالآتى.

اج — س ج — ٢ — ٦٤

الى حضرة الملازم أول زين العابدين عبد التام افندى

قد وضعتم بالايقاف الشديد بأمر صاحب السعادة رئيس أركان حرب والادجوتانت جنرال لاتهامك بارتكاب جناية ملكية.

بكباشى

مساعد ادجوتانت جنرال

الخرطوم فى ٢٤ يونيه سنة ١٩٢٤ امضا

واستمر اعتقالى العسكرى بقشلاق وود نشا بالاورطه الحادية عشر السودانية بام درمان الى أن فصل فى أمرى وتقرر نقلى الى الاورطة الثالثة عشرة السودانية ببحر الغزال، كما قرر مجلس نائب السردار ورئاسة الجيش بالسودان. وفى يوم ٢٥ نوفمبر تلى الانذار البريطانى على جميع الضباط المصريين والسودانيين، كل فريق على حدته.

ولما كانت الحكومة المصرية من جانبها لم تصدر أمراً صريحاً بشأن ما جاء بهذا الانذار وخصوصاً بالجزء الذى يخصنا منه باعتبارنا قوة من الجيش المصرى سألت القومندان حينئذ. هل الخدمة فى قوة دفاع

السودان بالامر أم بالرغبة ؟ فأجابني بقوله (بالامر) وبعد ذلك انصرفنا من امامه وبعد خروجنا رأيت أنه ليس من الولاء لجلالة ملك مصر الخضوع لامر كهذا من جانب الحكومة البريطانية لظروف وأسباب ليس للجيش ولا للامة يد فيها اللهم الا تنفيذاً لسياسة مرسومة وبما أنى كضابط فى الجيش المصرى مرتبط بيمين الولاء والاخلاص للملك فالانصياع والرضوخ لهذا الامر يعتبر حنث باليمين . ويتنافى مع الشرف العسكرى فكتبت التقرير الآتى وقدمته الى قومندان الاورطه .

حضرة صاحب العزة قومندان ١٣ جى أورطة السودانية .

بواسطة حضرة أركان حرب الاورطة .

بناء على تصريحكم لى ضمن الضباط اليوم فانى ليست لى رغبة فى الخدمة بجيش غير الجيش المصرى الذى حلفت يمين الطاعة والاخلاص للخدمة به وقد أكون خائناً إذا خالفت ذلك . ملازم أول

١٣ جى أورطة سودانية

تحريراً فى واو يوم ٢٥ / ١١ / ١٩٢٤ زين العابدين عبد التام

ترتب على هذا صدور الأمر بإيقافى عن العمل ووضع قوة لحراستى برئاسة ضابط ، بعد ذلك حدث ما حدث من أمر نزولنا الى مصر وعودتنا الى السودان[(١)] ولما عدنا الى السودان أمر باعتقالى مع زملائى أبطال تالودى . وما زلنا فى موقفنا موقف الشرف والبطولة ونحن نوالى الاحتجاج تلو الاحتجاج . لا يزيدنا هذا الاعتقال وهذا التضييق إلا صلابة وإيماناً ، حتى

(١) اقرأ تفصيله فى مذكرة الصاغ سيف عبد الكريم صفحة ٤٠٩

ضاقت الحكومة ذرعا بنا ولم . تر بداً من النزول على إرادتنا ولاعجب فيد الله مع الجماعة ، وهكذا عدنا إلى مصر بعد أن أحالتنا الحكومة المصرية على الاستيداع إبتداء من ١٧ يناير سنة ١٩٢٥ ، ويظهر أن الحكومة الانجليزية لم تصرح بنزولنا الى مصر ، إلا بعد أن أوصدت في وجهنا كل باب ، وليس ذلك فقط ، بل قد أمرت بوضعنا تحت الرقابة الشديدة . ولعلها قصدت بذلك أن توقع الندم في نفوسنا والتوبة في قلوبنا ، ولكن هيهات فقد فعلنا ما فعلنا ونحن مؤمنون أن لاواجب إلا مافعلنا ، ومع أن الحكومة كانت تسعى لتعرف قراراتنا وتقضي على مجتمعاتنا فقد قاصيناها جهاراً نهاراً بعد أن رفضت بتاتاً أن تنصت لشكوانا . . . وما زلنا واليقين يملأ قلوبنا والايمان بحقنا يزيدنا شعوراً به ، حتى كانت سنة ١٩٢٧ حيث كانت الوزارة الائتلافية . فنهض صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا للاخذ بناصرنا لاعتقاده بالظلم الذي وقع علينا والذي تلقيناه بصدر رحب حبا في مصر ، ومليكها المعظم . وهكذا أعادنا رفعته الى الخدمة بعد أن أعاد لنا كل ما فقدناه من حق مع أقدميتنا المفقودة . جزاه الله خير الجزاء وأدام الله رفعته فخراً للامة »

هذا هو ملخص مذكرة البكباشي زين العابدين افندي عبدالتام الذي يتبين لك من خلالها مقدار الشرف والرجولة من نفسه ، ولما كانت حوادث السودان قد اشترك فيها ثلاثة عشر ضابطا سودانيا ، فالواجب يقضي أن نكتب شيئا عنهم بغاية الايجاز مع اثبات صور الذين أمكننا الحصول عليهم خدمة للذكرى والتاريخ

وقبل أن نذكر شيئاً عن الثلاثة عشر ضابطا يجب أن نتوج هذا السفر بأسماء الثلاثة الاول الذين لا تذكر البطولة والشجاعة إلا وكانوا أنصارها

أولا — الملازم أول علي عبد اللطيف . هو الزعيم النبيل الذي قامت الثورة تحت اسمه ، الذي ولا زال يعاني من المرض ما يعاني في سبيل مصر (أنظر صورته صفحة ٣٩٩)

ثانيا — الملازم أول علي البنا . الذي حكم عليه بالاعدام رميا بالرصاص ولكن يشاء الله وهو القادر على كل شيء أن يستبدل حكم الاعدام بالسجن خمسة عشر عاما ، إلى أن قيض الله له صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ، فاستصدر عفواً عنه (أنظر صورته وتاريخه صفحة ...)

وقبل هؤلاء وهؤلاء يجب أن نترحم على الشهداء الذين جادوا بحياتهم في سبيل مصر ، فأولهم الضابط الباسل عبد الفضيل ... ، والجنود السودانيون الذين ماتوا تحت انقاض المستشفى العسكرى اذ هدمته الحكومة عليهم إبان الثورة . ثم الابطال الذين لا ... التاريخ ، الملازم أول سليمان محمد ، والملازم حسن فضل المولى ، والملازم ثاني ثابت عبد الرحيم ، الذين حوكموا عسكريا ونفذ فيهم حكم الاعدام رميا بالرصاص فماتوا مستشهدين في سبيل الواجب والشرف العسكري رحمهم الله رحمة واسعة . أما الثلاثة عشر ضابطا فهم مع حفظ الالقاب : —

(١) يوزباشي عبد الله النجومي : (أميرلاى اليوم) انظر صورته في صفحة ١٤٤ كان مأموراً في حكومة السودان فلما خير بالانضمام إلى قوة دفاع السودان فضل الاحالة إلى المعاش فأجيب إلى طلبه وقد أعيد إلى

الخدمة وهو اليوم يمثل السودان فى أعز وأرفع مكان فى مصر ، إذ الحق ضمن ياوران جلالة الملك المعظم

(٢) يوزباشي إبراهيم عبد الرحمن : (قائمقام اليوم) كان ضابطاً فى ١٤ جى سودانية ، وكان بالاستيداع فجاء إلى مصر شاكياً إلى الوزارة الوفدية فأنصفته إذ أمرت بإعادته إلى الجيش . فلم تنظر حكومة السودان لمسلكه هذا بعين الرضاء وفصلته من الخدمة ، وهو (اليوم قائمقام) بوزارة الداخلية

(٣) ملازم أول زين العابدين عبد التام : (بكباشي اليوم) انظر صورته صفحة ٤١٧ وهو كاتب المذكرة العسكرية السابقة ، وهو أول من أعتقل فى سبيل الاخلاص لمصر وقد كان ضابطا فى الاورطة الثالثة عشر السودانية

(٤) يوزباشي خضر على (بكباشى الآن) } هم أبطال تالودى

(٥) ملازم أول سيف عبد الكريم (صاغ الآن) } وقد كانوا ضباطا

٦) ملازم ثان عبد الحميد فرج الله (صاغ الآن) } فى ١٠ جى اورطة

سودانية (انظر صورهم فى حوادث تالودى صفحة ٤١٠) وهم اليوم تابعين لوزارة الداخلية :

(٧) يوزباشي فرج الله محمد — احتج لعدم رفع العلم المصرى فى واو عاصمة بحر الغزال سنة ١٩٢٤ وقد وشى به أنه عضو فى جمعية اللواء الابيض ففصل من الخدمة

(٨) يوزباشى محمد صالح جبريل — توفى إلى رحمة مولاه عام ١٩٣٨ وهو برتبة (البكباشي) ، كان عضواً عاملا فى جمعية اللواء الأبيض لا تفوته حركة إلا واحتج عليها ، وأظهر عدم رضاه عنها . فاعتقل بسبب ذلك ، وظل



القائمقام ابراهيم بك عبد الرحمن



اليوزباشى سيد افندى شحاته



اليوزباشى ابراهيم فرج علام



المرحوم اليوزباشي عبد الله مرجان

معتقلا إلى ما بعد خروج الجيش المصري من السودان ، ثم أفرج عنه وفصل عن الخدمة . أنظر صورته في صفحة ١٥١

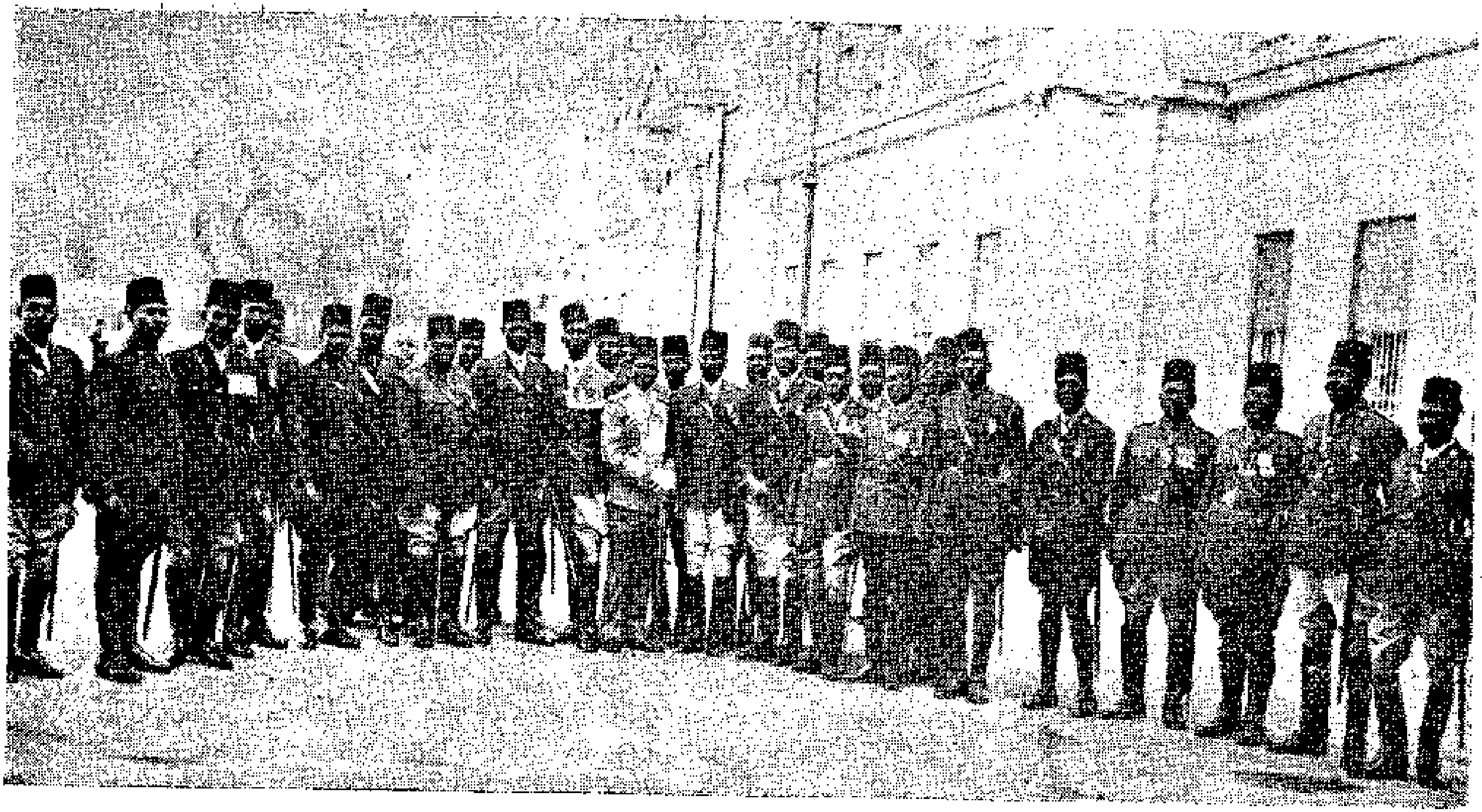
(٩) ملازم ثان عبد العزيز عبد الحي — (بكباشي الآن) كان ضابطاً في ١٤ جي أورطة سودانية وفصل من الخدمة في السودان بعد أن ظل معتقلا ردحا من الزمن بسبب اتصاله بأحد ضباط الثورة تلغرافيا .

(١٠) ملازم ثان ابراهيم علام — (يوزباشي الآن) كان في بدء حوادث السودان ضابطاً في ١٢ جي أورطة سودانية بأعالي النيل وقد اتهم به أنه كان مشايعا لها ومن أنصارها فحوكم عسكريا وبرغم أنه لم يثبت عليه شيئاً فقد فصل من الخدمة . وهو اليوم مساعد مفتش الحفر بمديرية المنيا

(١١) ملازم أول عبد الله مرجان — توفاه الله وهو برتبة اليوزباشي كان ضابطا في الاورطة التاسعة سودانية ونسب اليه الانضمام إلى حوادث الخرطوم ومشايعة حركتها فاعتقل وفصل من الخدمة . أنظر صورته ص ٤٢٥

(١٢) ملازم أول عبد الدايم محمد — كان ضابطا في الاورطة التاسعة وكان دائم الدفاع عن كرامة الحكومة المصرية كما أظهر استعداده لمقاومة الانذار البريطاني وهو أحد الذين نظروا الى خروج الجيش المصري بعين عدم الرضاء فنسب اليه أنه ينتمي الى جمعية اللواء الأبيض فاعتقل وفصل

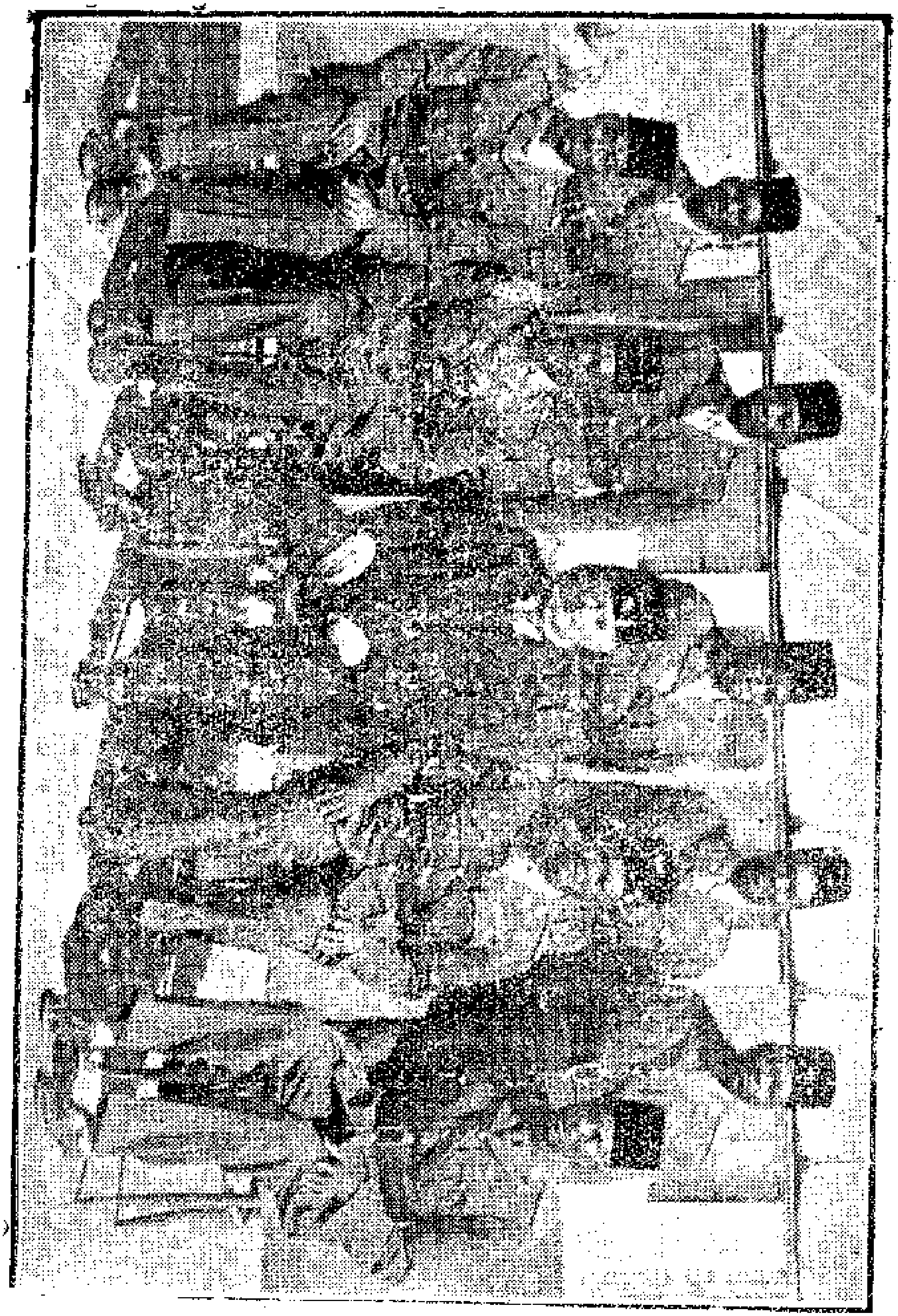
(١٣) ملازم أول سيد شحاته : كان أحد ضباط ١٤ جي أورطة سودانية . جاهر بإخلاصه لمصر ودافع عن كرامتها فنظرت حكومة السودان لهذه الحماسة بغير عين الارتياح ففصل من الخدمة . وأعيد إلى وزارة الحربية وهو يوزباشي اليوم أنظر صورته ص ٤٢٥



وقد أصبح الضباط السودانيون اليوم محل رعاية وعطف جلالة مولانا الملك . وفي هذه الصورة الدليل القاطع على ما يتمتعون به من الرضاء السامي فهاهم مجتمعون في سراي عابدين حيث تشرفوا بمقابلة جلالته في ٢٠ يناير سنة ١٩٤٠ فشملهم بعطفه السامي ومنحهم أوسمة مختلفة



الضباط السودانيون لدى صاحب المعالي (١) وزير الدفاع ليوزع عليهم الاوسمه ومعهم بعض باشاراتنا المصريين العظام (٢) اللوا حسن حسني الزيدي باشا (٣) اللوا محمد صادق باشا (٤) اللوا مصطفى صادق باشا (٥) محمد زكي الحكيم باشا



وهذه صورة أخرى للضباط السودانيين يتوسطهم صاحب السمو الامير الجليل عمر طوسون حيث ذهبوا يشكرون سموه على تهنئته لهم بمناسبة الاوسمة التي انعطف بها عليهم جلالة الملك .

الضباط الذين عرفتهم في السودان

ليست معرفتي الشخصية بحضرات أصحاب السعادة والعزة الباشاوات والبكوات هي التي تضعهم هذا الموضع من التاريخ ، بل مجهودهم الذي بذلوه في السودان ومساهمتهم الصحيحة في نظام الحكم هناك ؛ ولما كان هذا الكتاب هو الشاهد الخالد أن المصريين هم الذين أقاموا السودان وشيدوه وهم الذين بذلوا ما بذلوا ليكون كما نراه اليوم مزدهراً ، أذكر بعض الذين كان لي شرف الحصول على صورهم مع الاعتراف بنقص هذا الفصل نقصاً فاحشاً . نعم : فان صور كثيرين ممن ساهموا في السودان ، وممن أفنوا زهرة شبابهم في العمل على بناء حضارته ؛ ورفع شأنه ، لم يكن لي شرف الحصول عليها . فقد كتبت للكثيرين منهم ملتمساً ذلك ، حتى بلغ مجموع ما كتبته لبعضهم أكثر من عشرة خطابات . فلم يكن لي حظ الاجابة على واحد منها إن هذا الفصل ينقصه صور كثيرين من عظمائنا الذين ما ذكر السودان إلا وكان إسمهم مقترناً به ، وأن أذكر أسماء بعضهم ، فهي حيلة العاجز . أما كان من الضروري أن يفتتح هذا الفصل بصورة ابراهيم فتحي باشا مثلاً ، الذي رافق كتشنر في حملة السودان ؟ والذي كان يوماً ما وزيراً للحربية المصرية ؟ ثم أين صورة الوزير الفريق علي فهمي باشا ؟ والوزير الخطير محمود عزمي باشا الذي يعتبر بحق باني مصلحة وابورات حكومة السودان ؟

ثم الوزير محمد توفيق عبد الله باشا ؟ أين اللوا علي فهمي باشا ؟ ومبروك فهمي باشا ، وابراهيم خيري باشا ؟ وأين كامل شامي باشا الذي عرفته وهو ... حيث كان مأموراً لشندي ؟ أين احمد فطين باشا الذي حفيت قدماي ذهابا الى منزله بشارع المدرسة التوفيقية نمرة ١٧ فلم أعد بطائل ؟ أين ... صدقي باشا الذي ذهبت لمنزله بشارع بوستة المباسية نمرة ٣ فعدت كما ذهبت ؟ ومحمد حافظ باشا ؟ وعبد العظيم علي باشا ؟ أين اللوا عبد الحميد عفت باشا الذي تشرفت بمعرفته في الدويم مدة طويلة ؟ واللوا محمد حيدر باشا ؟ و... باشا ؟ واللوا علي اسلام باشا(١) ومحمد صادق باشا ، وحسن حسني الزيدي باشا ؟ واللوا مصطفى صادق باشا ، ومحمد زكي الحكيم باشا ؟

ثم أين البكوات علي حمدي بك ؟ وعلي الشريف بك ؟ وتوفيق ... ومحمود طاهر بك ؟ وأخيه علي بك ، ومحمد حامي اسماعيل بك ؟ ومحمود فهمي بك ؟ ومحمد كامل محسن بك ، والمرحوم بدران بك ؟ و... يوسف بك ؟ واحمد ... بك ، وأمين هاشم بك ؟ وتوفيق فهمي بك ؟ و... حافظ بك ؟ وعبدالحميد محمد بك ، وسيد نور الدين مصباح بك ؟ وعثمان الرفاعي بك ؟ ومحمد توفيق وصفي بك ؟ وحافظ صدقي بك ؟ ومحمد أمين الرشيدي بك ، واحمد الشريف بك ؟ وحسني طاهر بك ؟ واحمد حنفي بك ؟ وعبد السميع صادق بك ؟ وحافظ قدري بك

(١) لئن فاتني شرف الحصول على صورة صادق باشا والزيدي باشا ومصطفى صادق باشا وزكي الحكيم باشا ، فقد تمكنت من اثبات صورهم مجتمعين مع صاحب المعالي وزير الدفاع أنظر صفحة ٤٢٨

ومحمود سيف بك ، وحسن فهمى بك ، ومحمد فريد حلمى بك ، وابراهيم الدسوقى بك وحسين محمود بك ، ومحمد متولى بك ، والسيد حميده ، ومحمود عبد الرؤوف بك ، وعبد الرؤوف عبده بك ، وخضير بك ، والمستكاوى بك ، والطنطاوى بك ، والدكتور عبد الرحمن نديم بك ولبيب حامى بك ، وعلى عبد العزيز بك ، وخليل عبد الملك بك ، وعلى موافى بك ، وأمين منصور بك ، وعبد الرؤوف بركات بك ، ، ، ، كل هؤلاء حاولت الحصول على صورهم لاثباتها فلم أوفق ولقد ذكرت أسمائهم ولى فى ذلك غرضان أولهما أن أثبت جزيل خدماتهم فى السودان ومساهمتهم فى نظم الحكم هناك ، والثانى أن لا يتهمنى قارىء انى انما تصديت لهذا العمل لكى أثبت صور القلائل الذين ترى صورهم هنا دون معرفتى بالاكثرية . وهنا أستطيع أن أقرر انى لم أدخر مجهودا يستطيع بذله أى رجل غيرى فى الحصول عليها فلم أوفق . زرت الكثيرين منهم فى منازلهم ومكاتبهم وراسلت الآخرين . أما الذين راسلتهم فلا يوجد واحد منهم لم تصله منى خمسة خطابات على الاقل . انى أعرفهم جميعا ، وأعرف مقدار ما اتصفوا به من مروءة ولا أستطيع أن أتهم واحداً منهم بعدم الوفاء أو عدم المبالاة ، فلعل لهم عذراً . ولا يسعني الا أن أثبت بجانب أسمائهم مقدار مابذلوه من همة ، ومقدار المساهمة الفعلية التى ساهموها فى تلك البلاد التى ما ذكر بناء حضارتها ، ورفع شأنها ، الا وذكر بجانبها أسماء ضباطنا العظام الذين لازال السودان يذكرهم مع الفخر . والآن نذكر أسماء الذين تنازلوا فأرسلوا الىّ صورهم لافرق بين ضباط مصريين وسودانيين

اللوا محمد باشا فاضل : — شاعر كبير ، وضابط ممتاز ممن صرفوا زهرة شبابهم فى السودان ، هو آخر الضباط الشعراء الموجودين على قيد الحياة ، فقد سبقه البارودى ، و حافظ والمصرى ، ومحمد توفيق على ، تولى قيادة أورطة السكة الحديد فى عطبره زمنا طويلا وكان وجوده فى السودان نعمة على المصريين من أمثاله . ما قصر فى واجب نحو مساعدة مصرى . كما كان يرجع الى رأيه فى كل ما يخص المصريين فى السودان .



اللوا محمد باشا فاضل



اللوا على شوقى بك

اللوا على شوقى باشا : تنظر اليه فتحدثك نفسك أنه رجل خطير ، وأنه يحمل بين طيات نفسه تاريخاً مجيداً ، ولا عجب ، فان اسم اللوا شوقى باشا يسبق اسم كتشنر وونجت ، إذا ذكر الذين ساهموا فى فتح السودان ، فقد كان أركان حربا للجنرال مكسويل ، وهو أول ضابط مصرى تقدم مع الجيش عام ١٨٩٦ وفى فتح السودان كان أركان حربا للورد كتشنر ، وهو أيضاً أول مأمور

مصرى لأم درمان وأول مفتش مصرى درجة أولى بالسودان ، ثم عين بعد ذلك قومندانا لاورطة السكة الحديد ثم قومندانا للنفى الادارى للمحاريق بالواحات ، ثم مديراً لمدرسة البوليس والادارة ، ثم قومندانا للقوات المصرية شرق القنال مدة الحرب العظمى ، ثم مديراً لمديرية المنوفية


اللوا محمد لبيب الشاهد باشا

اللوا محمد لبيب الشاهد باشا: هو الذى يستطيع أن يقول بملء فمه انى بنيت السودان . أجل فقد كان مساعداً لمدير قسم الاشغال طول مدة خدمته . وهو الذى تولى بناء جميع دور الحكومة فى السودان وباشرها بهمة لاتعرف الكلل وله فى ذلك مذكرة ضافية طبعت على نفقة سمو الامير الجليل عمر طوسون وهى تنطق لنا للشاهد باشا من فضل وعما بذل من مجهود فى السودان . يعتبر أحد ضباطنا الفطاحل الذين لا ينساهم السودان اذا قرأت مذكرته السالفة الذكر تدرك مكان الشاهد باشا من التفكير ودقة التصوير وسعة الاطلاع توفى فى مصر قبل بضع سنوات فبكاه الجيش المصرى . وبكته الرجولة الصحيحة والانسانية فى أجمل معانيها . كما بكاه السودان من أقصاه الى أقصاه رحمه الله رحمة واسعة .

اللوا على احمد باشا : هو أحد باشاواتنا البارزين الذين ساهموا مساهمة فعلية فى السودان . رافق حملة كتشنر فى السودان فبرز فيها . وكان اللورد يثق به ثقة لانهاية لها كما كان يرجع لرأيه فى كثير من الأمور الحربية ، ظل فى السودان يعمل جاهداً إلى أن نال رتبة اللواء وأحيل على المعاش . وكان لمبارحته السودان رنة أسف من الوطنيين والمصريين فأقيمت الحفلات لوداعه وقدمت اليه الهدايا كما عبرت الحكومة نفسها عن أسفها لذلك وبعد مغادرة السودان عين عضواً بمجلس الشيوخ بمصر .



اللوا على احمد باشا



اللوا محمد حلمى باشا

اللوا محمد حلمى باشا : للوا حلمى باشا ناحية بارزة من نواحى الحياة هى حبه لمساعدة الناس قبل كل شىء كان مأموراً فى حكومة السودان ، فبرهن على مقدرة المصرى فى نظام الحكم ، وكان يقظا لكل حركة من حركات الاستعمار لايستسيغ الأوامر التى لا تتفق مع مصلحة مصر والمصريين فهو علم من أعلام مصر فى السودان .



الاوا محمود حافظ رمضان باشا

اللوا محمود حافظ رمضان باشا

عرفت معالديه شخصيا في شندى وأعجبني منه ماكان يتحلى به من الشهامة والكرم . كان حلال عقد المشكلات ، وكان يعطف على المصريين مالقيته يوما الا وذكر مصر ونيل مصر ، وأهل مصر . طالما اصطدم مع قومندان السوارى هناك لاجل السياسة وكرامة الضباط المصريين ، وعدنى أن يوافيني بمذكراته عن السودان فوافاه القدر المحتوم قبل أن يتمكن من الوفاء بوعده وهو أحد ضباطنا العظام الذين يذكرهم السودان بالخير والثناء :



اللوا عثمان صدقى باشا

اللوا عثمان صدقى باشا : هو أحد

الذين ساهموا فعلا في رفع شأن السودان . وله خلتان تضمانه في الصف الاول من عظماء المصريين (١) التناهى في التواضع (٢) والمحافظة على الوقت . وهو ضابط عملي قد أدى واجبه في السودان فاستحق الثناء من مصر ومن السودان على السواء .



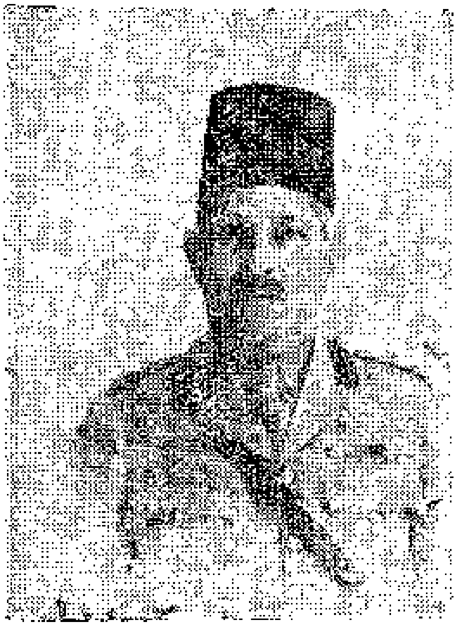
اللوا احمد كامل باشا

اللوا احمد كامل باشا : هو وكيل وزارة الحربية سابقاً وهو ضابط باسل جرىء ، ومن أعلام الجيش المصرى ، الذين لا تزال آثارهم فى السودان بارزة زرته فى منزله بشارع عظيم الدولة نمرة ٧ وتحدثت اليه مدة قصيرة أدركت فى خلالها أنى أمام رجل خطير . جمع بين حكمة الشيوخ وروح الشباب ، ذوق مستكمل ، وأدب جم ، ووقار يدفعك لاحترامه وإحلاله المحل الاول من نفسك . وبالاجمال فهو دائرة معارف جمعت كل ما يفخر به الرجل المثقف المهذب ، هذا هو اللواء احمد كامل باشا .



اللوا محمود شكرى باشا

اللواء محمود شكرى باشا : عرفته فى بحر الغزال (واو) وهو برتبة اليوزباشى وكنت أزور (ميس الضباط) فى كل فرصة مناسبة ، فأجده محاطاً ببقية الضباط كأنه المعصم وهم السوار . ما ترك فرصة للقيام بخدمة لاحد المصريين الا وانتهزها ارتقى إلى رئيس أركان حرب الجيش وأحيل على المعاش العام الماضى وهو أحد الذين تركوا أثراً طيباً فى السودان ولا يزال السودان يذكرهم بالثناء المتواصل



اللوا نجيب ميكه باشا

اللواء نجيب ميكه باشـا : قضى فى السودان ثمانية عشر سنة مأموراً ، وكان من الضباط البارزين الذين ما ذكرت الشجاعة والقومية ، الا وكان فى الصف الاول من أقطابها . تخرج من المدرسة الحربية عام ١٩٠٥ وظل يرتقى الى أن نال رتبة اللواء عام ١٩٣٥ حيث أحيل على المعاش بناء على طلبه . خدم الجيش المصرى تسعة وثلاثين سنة . كان فى خلالها ضابطا باسلا يشار اليه بالبنان وهو من الذين قاسوا المتاعب فى السودان حيث خدم فى أبعد مناطقه وهو اليوم بالمعاش يجنى ثمرة هذا الجهاد .



اللوا توفيق عبد النبى باشا

اللوا توفيق عبد النبى باشا : سجل سعادته عبقرية المصرى ، وآثره الخالد فى السودان . خدم حكومة السودان نيف وثلاثين عاما ، كان مأموراً فى أبعد مناطق السودان أمثال جبال النوبة ومنجلا ، وبحر الغزال . تحمل أمراض تلك المناطق من الملاريا الى الحمى السوداء بصبر وجلد يحفظ كثير من الضباط لتوفيق باشا أحسن الذكريات كما يحفظ له الوطنيون أبيض الايدى .



اللوا احمد رجب باشا

اللوا احمد رجب باشا . رحمه الله رحمة واسعة . فى ٣٠ نوفمبر ١٩٣٨ فقد الجيش المصرى ضابطاً من أعلام ضباطه ، وقائداً من قواده المعدودين إلا وهو اللوا احمد رجب باشا .

كان مأموراً فى مديرية أعالى النيل وكان مكتبه ومنزله قبلة لرؤساء القبائل والمشائخ ، كان يجيد لغة الدنكا والنوير وقد وضع فيهما كتابا . صريحا بواجه الحقيقة . وكان يجيد اللغة الانجليزية كأحد ابنائها . وقد شغل عقب رجوع الجيش عدة وظائف سامية . فقد كان كاتم اسرار الحربية ، ثم قومندان اللوا البيادة الاول واخيراً اركانحرب العمليات الحربية ، وقد نال رتبة اللوا فى ١٤ / ٤ / ١٩٣٧ وتوفى فى آخر يوم من أجازة المعاش وهذا مصداقا للامنية التى طالما ملكت عليه نفسه وهى أن يخدم امته وجيشه إلى آخر نسمة من حياته .

اللوا محمد فتوح باشا . هو مجموعة فضائل ، وعلم من أعلام الجيش المصرى . كان الى العام الماضى مديراً للكلية الحربية الملكية . وقد نهض بها حتى أصبح يرجع اليه الفضل فى اعداد أشبال الجيش المصرى . وقد أصبحت فى خلال عامين من أرقى الكليات الحربية فى العالم . فقد تخرج منها الضباط وقد نضجت عقولهم وامتلأت نفوسهم اعتزازاً بمسؤولية حماية

الوطن كل ذلك يرجع الفضل فيه الى اللوا محمد فتوح باشا وإلى الروح السامية التي يبثها في أبناء كتيبته . كان مأموراً في واد مدني وهناك كان لي شرف التعرف اليه فعرفت الانسانية في شخصه العظيم . وعرفت كيف يكون الاعتزاز بالقومية المصرية ، وعرفت كيف تكون الكرامة في أجلى معانيها ، كما عرفت كيف ترافق العواطف الكريمة أسمى المبادىء .



اللوا محمد فتوح باشا

ولا زال فتوح باشا يشغل منصباً خطيراً في وزارة الدفاع وها هو يسير إلى الامام بخطوات ثابتة يقيم الدليل انه كفاءة ممتازة .

اللوا حسن عبد الوهاب باشا

هو شخصية لا يعوزها التقريظ فقد ترك أبرز الصحف والصمعا في السودان واليوم يشغل منصب مدير خفر السواحل بالاسكندرية وهو مركز ممتاز قد اختير له فكان اختيارا موفقا أطال الله حياته .



اللوا حسن عبد الوهاب باشا

الاميرالاى كامل ابراهيم غبريال بك :



هو مثال يحتذى به فى الاخلاق الفاضلة ، والغايات النبيلة . اشتهر بالكفاءة والنزاهة ؛ وهو من ضباط مصر الممتازين الذين كانت لهم منزلة خاصة عند الرؤساء بسبب سعة اطلاعه وكياسته ، وذوقه الممتاز . انتدب للاستكشاف فى جنوب شرق السودان حتى وصل إلى بحيرة رودلف وكان للتقرير الذى رفعه لأولى الشأن رنة إعجاب وتقدير . وطنى صميم لا تشوب الاميرالاى كامل ابراهيم غبريال بك وطنيته شائبة ، يعتز بقوميته قبل كل شىء ، وبالاجمال فهو أحد الضباط الذين يفخر بهم الجيش المصرى وهو مساعد مدير القرعة العسكرية اليوم .

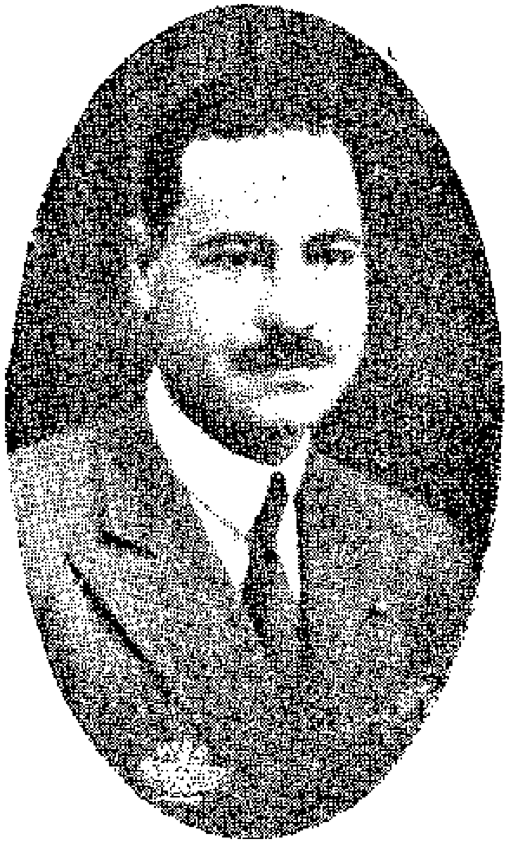
الاميرالاى محمد بك عزت :

هو الذى أنشأ مصلحة المساحة فى السودان ، فتعهدها بالاصلاح ونظم قوانينها حتى أصبحت فى حالتها الراهنة وهو صاحب الفضل الاول فى ما آلت اليه هذه المصلحة من رقى . وقد شهد الرؤساء الانجليز بكفاءته وجدارته ؛ كان رحمه الله ممن يقدسون الواجب فى أجمل معانى الامانة والصدق .



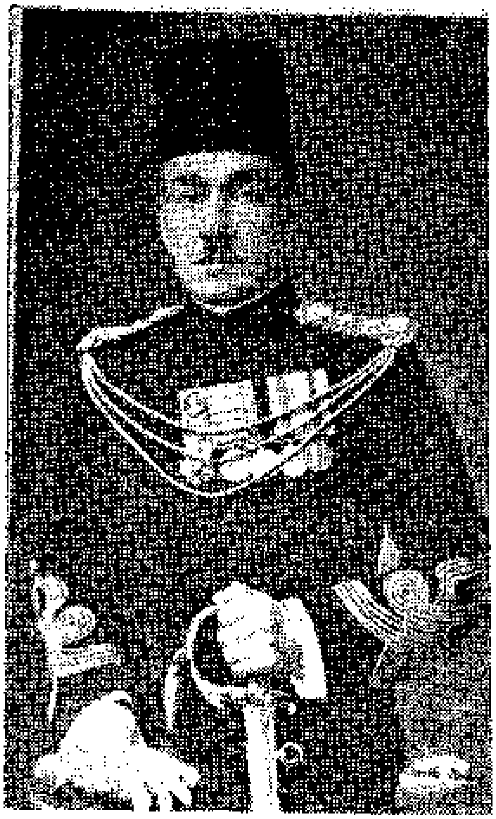
الاميرالاى محمد بك عزت

الاميرالاى على بك موسى :


الاميرالاى على بك موسى

يعوزنى المجال أن أحلل شخصية على بك موسى التى تتمثل فيها كل عناصر العظمة ، إنما يكفينى أن أقول إنه رجل عظيم بكل معنى الكلمة ، أما وطنيته فلا يختلف فيها اثنان : فهو أول مصرى فى السودان ، فكر فى جمع الاكتتابات لمنكوبى الثورة عام ١٩١٩ : وفصل من الخدمة عام ١٩٢٥ بعد عودة الجيش المصرى من السودان بسبب عدم رضوخه لاستعمال الشدة والرصاص ضد المتظاهرين فى احتفال عيد الاستقلال على أساس تصريح ٢٨ فبراير . كان وهو فى السودان يعمل على فساد سياسة المآمير التى كانت تلجأ اليها الحكومة . وقد جاء فى كتاب ضحايا مصر فى السودان ص ٥٩ الذى طبع على نفقة سمو الأمير الجليل عمر طوسون ما يأتى : (ومما يؤسف له أشد الأسف أن أغلبية المأمورين يتحملون هذه التبعات الشائنة صاغرة ومما سمعت أن أحدهم أخذته العزة الوطنية ، والحمية المصرية فوقف موقف الاباء والشمم وأظهر بعض ماتقضى به الشهامة العسكرية ، هذا هو الضابط الوطنى الباسل على افندى موسى الذى كان نائبا لمأمور الابيض) . هذا هو تاريخ المجد والشرف نخطه بمداد الفخر لعلى بك موسى الذى لازال فى خدمة الجيش المصرى .

الاميرالاى محمد بك راتب :



الاميرالاى محمد بك راتب

أما شخصية محمد بك راتب فهى درس من دروس الحياة فى الانسانية ، تكشف لنا عن اسرار حياة الفرد النافعة لبنى قومه فكم له من صيحات فى وجه الباطل وكم له من مواقف جميلة ضد خصوم الحق . اجتمعت فى شخصه الكريم كل صفات الرجولة . يحمل بين جنبيه ضميراً حياً حراً يدفعه إلى الصراحة مهما كانت نتيجتها ، وإلى الشجاعة مهما كانت نهايتها وقد كان ذلك سبباً فى عدم بلوغه المكانة التى يستحقها ، لاننا فى بلد لا تروج فيها هذه الصفات السامية التى اتصفت براتب بك حتى أصبحت جزءاً من نفسه وشمائله عرأيته مرة واحدة فى حياتى وذلك منذ ستة وعشرين عاماً أى فى سنة ١٩١٤ فى التوفيقية ولا زال أثر هذه الشخصية الفذة ، وذلك الكمال المتدفق ماثلا فى ذهنى . لقد ساهم راتب بك ولا زال يساهم فى كل مشروع من شأنه رفع الوطن واعلاء شأنه ، ان راتب بك جوهرة ثمينة فى تاج الرجولة الكاملة إذا نظرت اليه من زاوية الحقيقة تشهد له بأنه خليق بكل احترام واكرام ، وهو مثل أعلى يحتذى به فى مواطن الاقدام والنزاهة والصدق .

الأميرالاى باسيلى بك صدق : سمعت عن عزته وأنا بالسودان فكنت أتمنى أن أراه ، فاسعدنى الحظ بلقياه فى منقباد عام ١٩٣٧ بعد عودة الجيش المصرى من السودان ، فادركت أن ماسمعته كان أقل من الحقيقة بكثير ان باسيلى بك هو مجموعة فضائل يجب أن تجتمع للضابط الباسل المقدام تخرج من المدرسة الحربية عام ١٩٠٦ فالحق فى الاورطة السادسة البيادة التى كان مركزها سواكن وفى اكتوبر ١٩١٠


الاميرالاى باسيلى بك صدق

نقل الى خدمة حكومة السودان بناء على طلبه فتعين وكيلا لمأمور القضارف بمديرية كسلا وفى عام ١٩١٧ تعين مأموراً لمركز الخندق ، وهناك في مديرية دنقلا حيث الأراضى الخصبة الجميلة ، اشترى حوالى ٤٠٠ فدان ببلدة توساى مركز الدبه وذلك قبل صدور قانون منع ملكية المصريين لاراضي السودان . ولكنه لم ينتفع بها لقلة الايدى العاملة المنتجة وقد حاول التصريح له بادخال مزارعين مصريين للسودان فلم توافق حكومة السودان .

هو اليوم مساعد مدير التجنيد فى القاهرة يتمتع باكبر نصيب من الاحترام والثقة ، وقد وصل الى رتبة الاميرالاى وهو علم من أعلام ضباطنا العظام وواحد من رجال الجيش المعدودين .

الاميرالاى اسكندر بك فهمى أبو السعد : مدير مدرسة الاشارة


الاميرالاى اسكندر بك فهمي

اليوم ، وهو أديب كبير ، وكاتب اجتماعى من الكتاب المعروفين . وخطيب منوه يأخذ بمجامع القلوب مركزه بين ضباط الجيش المصرى فى الصف الأول من الضباط المعروفين بالنزاهة والصدق . ومن أقطاب الوطنية المصرية ، لا يعرف فى الحق هوادة ، صريح يجاهر بارائه ، وان كانت على نفسه فيقول للمخطىء انك مخطىء وللمصيب انك مصيب

وهو عدا ذلك كريم الطباع يتمانى فى فائدة الغير بكل قوته . يفيض ايمانا بحبه لمصر ونيل مصر ، له من شجاعته واقدامه ما يجعلك تشعر بدافع خفي لاحترامه واحلاله المحل اللائق به . وله من ثبات مبدأه ، ما يثير اعجابك واعجاب كل من عرفه . فهو شخصية جذابة ممغنطة تجذب أفئدة الناس فتحتلها وتحتل منها أكرم المنازل وأسماها . هذا هو اسكندر بك فهمى أبو السعد الذى كان مأموراً فى حكومة السودان فبرهن على مقدرة المصرى ونزاهة المصرى وعبقرية المصرى فلا عجب إذا خلف فى السودان أثراً لا يفنى .

عبد القادر مختار بك : هو ليس بضابط فى الوقت الحاضر ، ولكنه ليس دخيلاً على زمرة الضباط فقد عرفته فى القطينة بمديرية النيل الازرق عام ١٩٠٧ وهو يوزباشى ، وقد شهدت بنفسى الرواية التى مثلها تلاميذ مدرسة القطينة وهى من وضع اليوزباشى مختار ، التى رمى فى وضعها الى أسمى المعانى بالحض على التعليم ورفع مستوى العائلة السودانية . ان لعبد القادر بك تاريخا حافلاً لا تسعه هذه الصحف القليلة فقد



عبد القادر مختار بك

برهن وهو فى السودان على حسن ادارته وأمانته فى تأدية واجبه ، واخلاصه فى خدمة الاهلين . كذلك فى مصر ، فقد أدى واجبه على الوجه الاكمل ، فارتقى إلى أن وصل الى وظيفة مدير . ولا يسعنى أن أدلل على ما أقول بأكثر من ثناء سمو الأمير الجليل عمر طوسون عليه . فقد كان عبد القادر بك ضمن مودعى سموه فى محطة القاهرة قبل بضع سنوات ، فلما سلم عليه وكان سموه لا يعرفه شخصياً من قبل . أظهر اغتباطه لرؤياه وقال له (انى مسرور ياعبد القادر بك من معرفة شخصك لانى كثيراً ماسمعت عن أعمالك واخلاصك لبلادك وانك قد عملت أعمالاً مرضية فى السودان لأن جميع أهل السودان الذين أقابلهم من وقت إلى آخر يذكرون اسمك كمصلح محبوب وادارى حازم) . أليست هذه الشهادة هى فصل الخطاب ؟؟

الاميرالاي محمد بك توفيق عونى : تخرج من المدرسة الحربية فى



يناير سنة ١٩٠٠ والحق بالاورطة الثالثة برتبة ملازم ثانى ، ثم نقل الى الاورطة الاولى المشاة بالخرطوم ، وفى أول سنة ١٩٠٤ انتدب للخدمة بحكومة السودان بوظيفة وكيل مأمور بمركز مروى . وفى خلال مدة خدمته فى السودان من سنة ١٩٠٤ الى سنة ١٩٢٥ تنقل الى عدة مديريات ومراكز نذكرها حسب ترتيبها .

الاميرالاى محمد بك توفيق عونى

مروى . ارجو . النهود . الابيض . كادوجلى . تالودى أبودليج . ثم رقي الى وظيفة مأمور بمركز يمبيو رفاعة . الفونج . الروصيرص أم روابه . بارا التى ظل بها الى أن غادر السودان يتضح من ذلك أن عونى بك قد قضى شبابه متنقلا فى أقصى مديريات السودان فهو بلا ريب من الذين عانو المصاعب فى أردأ مناطقه وقد أدى واجبه على الوجه الاكمل ، ولما عاد الجيش إلى مصر ، الحق بوزارة الداخلية ، الى أن أحيل على المعاش . وهو كريم الاخلاق طيب القلب عالى الهمة

الاميرالاى احمد بك خليل : هو أحد الضباط القلائل الذين شغلوا المراكز الادارية فى السودان ونصب عيونهم اظهار النبوغ المصرى والمحافظة على كرامة مصر ، وشرف مصر . امتاز بالمقدرة القائمة على المعرفة والنضوج فى الرأى والنزاهة : لا يقول إلا الحق ولا يعرف الا الحق . لم يحد يوماً ما عن طريق الفضيلة والشرف . أما عن قوميته ووطنيته فحدث ماشئت : فقد كان يضع كرامة أمته فى كفة الميزان ليزن بها أعماله فى الكفة الثانية . كان أحد مأمورى حكومة السودان الافذاذ الذين لا ينساهم السودان :



الاميرالاى احمد بك خليل

ترك فى كل مديرية خدم بها أثراً من آثار الشرف ، وبرهاناً على مقدرة المصرى واستعداده التام للقيام بأعباء المسؤولية وحسن الادارة ، والتصرف الحازم ، كان محل ثقة البريطانى ، والمصرى ، والوطنى ، على السواء لأنه صورة صحيحة من الصدق ومكارم الاخلاق . أحيل على المعاش قبل عشرة سنوات ولو أنه ظل فى الخدمة كاقرانه لافاد الجيش بخبرته الواسعة وتجاربه المديدة .

الأميرالاى ابراهيم علوى بك . عرفته شخصياً يوم أن كان مأموراً



فى النهود عام ١٩٠٩ ولا أستطيع أن أقول كلمتى قبل أن أترحم على تلك السجايا الغر وعلى تلك الشمائل الحسان ، ومكارم الاخلاق : رحمه الله رحمه واسعة .

أنى لا أدون تاريخ الرجل فهو من أنصع الصحف ، انما أدون بعض الشيء عن نفسيته التى تبرز فى معرفته بواجبه واحتفاظه بعزة نفسه وتقديره التام لكرامة وطنه وامته . هو صورة صحيحة من صديقه الأميرالاى المغفور له ابراهيم بدران بك الذى كان يضرب به المثل فى الشجاعة الادبية وعلو النفس والشمم والاباء . لم يعمل فى أى مركز الا واثبت وجوده بالاعمال الخالدة ، فى النهود فتح الطريق مابين النهود عن طريق أبى زبد وشج الدود وجبل الحلة . وفى أم روابه فتح مثل هذه الطرق وأقام المسجد ، وفى الاضيه عمل على قطع دابر الرقيق بطريقة التسجيل ، وفى أبى زيد سجل جميع أشجار التبلدى وهى مورد المياه كما سجل أشجار الصمغ وهى أهم موارد الثروة .

الامير الاى ابراهيم علوى بك

لقد أحسن رحمه الله الى جيله كما أحسن الى الاجيال المقبلة فجزاه الله خيراً وأغدق عليه جزيل رحمته ورضوانه .

الاميرالاى الدكتور محمد بك على النكلاوى . قضى الدكتور النكلاوى بك نيف


الاميرالاى الدكتور محمد بك النكلاوى

وربع قرن كبيراً لاطباء المستشفى الملكي بالسودان . وكان قبلة أنظار الحاكم والمحكوم كما كان يجهد نفسه فى اكتشاف التجارب الطبية فقد استنبط السروم المحقن تحت الجلد المضاد للدغ العقرب ، ثم السروم الخاص بشفاء البلهارسيا . وقد شهد له العالم المدقق الدكتور خرستفورسن الذى كان مديراً للمصلحة الطبية (وقتئذ) . ترك السودان من وقت طويل ولازال يفيد أخيه الانسان فى عيادته الخاصة بشارع مصطفى بك سري بالحامية الجديدة بمصر ، وهو مثل من أمثال مكارم الاخلاق ، والحمية الوطنية .

القائمقام حسين بك طاهر . هو أحد اخواننا الضباط السودانيين الذين خدموا الجيش المصرى ، ثم جيش الدفاع الوطنى أخيراً . عرفته شخصياً فى الروصيرص فهو من الوداعة ومكارم الاخلاق بمكان عظيم ، وقد أحيل على المعاش ، بعد أن برهن على مقدرة السودانى واستعداده للرقى . وضرب المثل الاعلى فى الاخلاص والقيام بالواجب.


القائمقام حسين بك طاهر

القائمقام عثمان بك فريد : عرفته مأموراً



القائمقام عثمان بك فريد

لبربر عام ١٩١٠ وبالرغم عن أن السودان كان في ذلك الوقت كان خراباً ، فقد يسعى لتنظيم شوارعها والعمل على إعلاء شأن أهلها . توفى الى رحمة الله عام ١٩٣٩ فبكاه كل عارفي فضله وأدبه ، وهو أحد الذين خلفوا أثراً طيباً في جميع المناطق التي خدم بها . كان نافذ الكلمة معمولا بمشورته لانه عرف بسداد الرأى وبعد النظر رحمه الله رحمة واسعة .

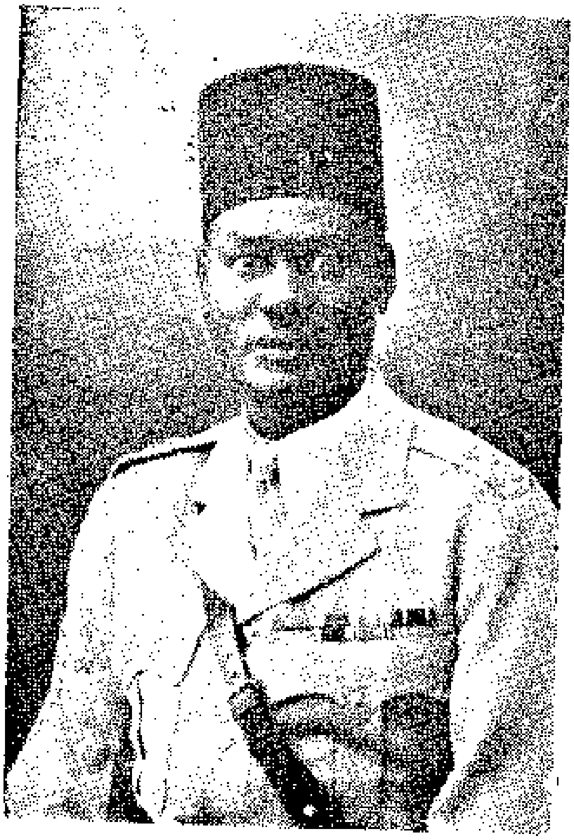
القائمقام أبوزيد بك مرجان : جندى باسل



القائمقام ابوزيد مرجان بك

استطاع ببطولته أن يحمل الوسامات والمداليات الكثيرة. تجند كعسكرى وعمره إذ ذاك ستة عشر سنة وقد ساهم في تجريدتي دنقلة وأبي حمد ثم في احتلال بربر ، وعطبرة والخرطوم عام ١٨٩٨ الحق بالمدرسة الحربية عقب واقعة امدرمان مباشرة فتخرج برتبة ملازم ثاني عام ١٩٠١ وقد أحيل على المعاش الاجبارى عام ١٩٣٢ . بعد أن بلغ رتبة القائمقام وهو أحد الذين عرفوا بالاخلاص المتناهي والصدق .

القائمقام محمد بك جمعه : ضابط سوداني باسل له من كرم أخلاقه ، واخلاصه ومرؤته ما يجعله يحتل قلبك ، فاذا جالسته مرة واحدة أدركت مقدار تلك الشمائل العالية ، وذلك الاخلاص النادر الغريب ، يملك عليك لبك بحديثه الشائق . فهو شخصية مرحة بسامة ، لا تفارق شفتيه الا بتسامة تخلع عليك الانس مهما كنت مكتئبا فى أدب جم . وأسلوب متزن . عرفته وكيلا لأمور



القائمقام محمد بك جمعه

الروصيرص فعرفت فيه كل معانى الرجولة الصحيحة ، كما عرفت فيه طيبة القلب الفياض بالحب الصادق والاخلاص الذى لا تشوبه شائبة . من أبرز صفاته أنه عرف كيف يحترم نفسه ويحترم الآخرين وكيف يستميل القلوب اليه عن طريق القيام بالواجب فهو مثل من أمثلة الادارى الحازم والضابط الباسل . ومن أبناء السودان المعروفين المعدودين .

الدكتور القائمقام صليب بك كامل . خدم السودان وحكومة السودان فبرهن على كفاءة وجدارة قل أن يستطيع اظهارها غيره . كان مساعداً لمدير المصلحة البيطرية السودانية . ومع ذلك فقد كان صاحب

الرأى الأول ، نافذ الكلمة مسموع الرأى ، استطاع أن يقيم الحجة على مقدرته فى وضع نظم المصلحة البيطرية وتنظيمها على أساس متين جعلها اليوم فى مصاف أرقى ادارات الحكومة . عدا ذلك فقد اشتهر صنيب بك كامل بالاتصال بربه ظاهراً وباطناً لايخطو خطوة واحدة قبل أن يذكر الله . يعمل على مساعدة الجمعيات الخيرية جهد طاقته ومساعدة الناس ما استطاع الى ذلك سبيلا وهو يقيم اليوم بعد احالته على المعاش فى سوهاج يتمتع بثمرة جهاده الطويل فى السودان .



القائمقام صنيب بك كامل

البكباشى الدكتور حسن زكى . هو الطبيب الذى عاصر غوردون وكان طبيبا فى الجيش المصرى عند حصار الخرطوم وهو رجل طيب القلب كريم الاخلاق . الشفاء مكفول بين يديه ماعالج مريضا الا وشفاه باذن الله ، ولا زال بالخرطوم يحدثك عن المهدية ووقائعها حديثا شهيا لاتمله اذنك . ونصيحتى للدكتور أن يطبع مذكراته حتى لا تضيع أثمن درة فى تاج تاريخ السودان .



البكباشى الدكتور حسن زكى

القائمقام مصطفى بك كامل : عمل جنبا إلى جنب مع الفريق محمود عزمى باشا فى انشاء مصلحة الوابورات السودانية فاصبحت بفضلهما كما تراها اليوم ، خدم مصلحة وابورات السودان ثلاثة عشر عامـــا ، استطاع فى خلالها أن يبرهن على جدارة الضابط المصرى فى أجلى مظاهره وكفاءته . ولما غادر مصلحة الوابورات تعين مأموراً فى بحر الغزال مركز راجا ، ثم مأموراً للخرطوم بحرى ، ودنقلا .



القائمقام مصطفى بك كامل

فلما عاد الجيش المصرى الى مصر عاد برتبة الصاغ فالتحق بالأورطة المصرية إلى أن رقى إلى رتبة الاميرآلاى والتحق قومندانا لمدرسة الاشارة فى القاهرة . وأحيل على المعاش عام ١٩٣٤ وهو رجل من رجالات مصر البارزين وضابطا من ضباطنا الاعلام الذين لازال السودان يذكرهم بكل حمد وثناء ، كما تذكرهم مصر بالفخر .

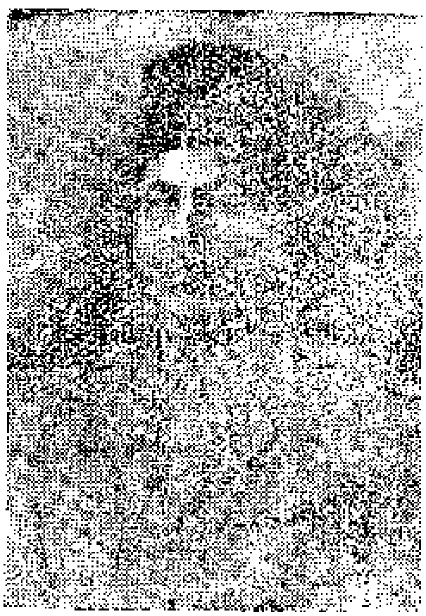
البكباشي خلف الله خالد . هو ابن الحاج خالد ، المعروف فى تاريخ السودان بآثاره ومآثره ، والأخ الأصغر للأمير محمد عثمان خالد العمرابى ، العامود الفقرى لحكومة المهدية وسفيرها الى الحكومات الخارجية ، نشأ على أساس من التقوى ونضوج من الفكر . وبعد أن أخذ قسطه من التعليم الابتدائى التحق بالمدرسة الحربية وتخرج منها عام ١٩١٠ . حيث كان مثال الضابط الباسل ، ولما رأت الحكومة حاجتها لأمثاله من ابناء الأسر العريقة أنتدب ليكون مأموراً . عرفته شخصياً فعرفته طموحا الى الحرية وهذا الذى دفعه أن يلح فى طلب التقاعد وهو لم يكمل العقد الخامس بعد . وما أجيب طلبه حتى احتيج إلى خبرته وكفاءته فعين استاذاً للقانون فى مدرسة البوليس بام درمان . اشتهر بالتطرف فى الوطنية . كما اشتهر بالصراحة فى الرأى .



البكباشي خلف الله خالد

وبالرغم عن وصوله سن الخمسين فهو كما تراه ، يترقرق ماء الشباب فى وجهه ، ممتلىء فتوة ، كثير التفكير فى مصالح قومه ، ترى فى طباعه تباينا عجيبا ، فقد جمع بين التواضع والكبر ، وبين الشورى والدكتاتورية ، والمرونة والشدة ، وهذا (على ما أعتقد) يرجع إلى تكوينه العسكرى من جهة ، والشجاعة القومية من جهة أخرى . وهو انموذج من شهامة السودان الحر .

البكباشى احمد عقيل . هو ضابط سودانى من أعرق الأسر تخرج من المدرسة الحربية عام ١٩٠٧ برتبة ملازم ثانى والحق ب ١٣ جى اورطة سودانية وفى عام ١٩٠٩ نقل إلى قوات الهجانة فاشترك فى الوقائع الحربية والحملات الحكومية على عصاة الجبال فى تقلى . وفى عام ١٩١٠ نال المدالية والمشبك ، وعرض اسمه على خديوى مصر ضمن الشجعان الذين ظهرت بسالتهم فى الميدان . وفى سنة ١٩١٣ نقل نائب مأمور لمديرية كردفان ، ثم إلى النيل الأبيض ، ورقى الى رتبة يوزباشى ومنح نيشان النيل من الدرجة الخامسة . ثم انتدب ياوراً وطنيا لحاكم السودان المغفور له السير لى ستاك باشا ، ورقى إلى رتبة الصاغ عام ١٩٢٧ ثم الى بكباشى عام ١٩٣٣ حيث أحيل على المعاش . هذا هو البكباشى احمد عقيل من الناحية العملية ، أما من الناحية الاجتماعية فلا تسع هذه الصحف القليلة



البكباشى احمد عقيل

كل ما أريد أن أقوله عنه ، فعلى أثر احالته على المعاش عين قاضيا فى المحاكم الأهلية ولكنه سرعان ما استقال منها ، وهو اليوم عضو المجلس البلدى ، وعضو عامل فى كثير من المؤسسات الوطنية ، كملجأ القرش ، ومدرسة الاحفاد ، ولجنة خريجى مدارس السودان ، وبالاجمال فهو زهرة نضرة من خيرة رجال السودان . ومن أعرق أسره ، وبيوت مجده .

البكباشى احمد رمزى . هو أحد ضباطنا المفكرين . وكاتب له اسلوب

بديع . قد أحيل على المعاش ، ومع ذلك ، فلا زال يكتب المذكرات الضافية لاصلاح الجيش ، وقد أحدثت مذكرته التى رفعها الى مجلس النواب فى هذا الصدد دويا فى الاوساط العسكرية وعلقت عليها كبرى الجرائد اليومية

تخرج من المدرسة الحربية عام ١٩٠١ وتعين فى ١٠ جى اورطه سودانية ثم مأموراً بمديرية كردفان ، فمفتشا بالجمارك ، وبعد عودة الجيش المصرى ، التحق بوزارة الداخلية بوظيفة مفتش بقسم النظام ، وهو صورة صحيحة للصدق ، والاخلاص . غيور . محب لمساعدة الناس بكل جهده ، مرهف الحس ، رقيق الشعور صائب الفكر وهو بالاجمال جوهرة من جواهر جيشنا المصرى الذين لا ينساهم السودان



البكباشى احمد رمزى

البكباشى ابراهيم فهمى . لحضرته صحيفة بارزة فى الوطنية الصحيحة فقد كان من مؤيدى الحركة الوطنية فى السودان . كان وكيلا لمأمور حلفا ودلجو ، ثم مديرية كردفان عام ١٩٢٢ . كان له فى حوادث بورتسودان عام ١٩٢٤ أبرز الاثر تصدر حضرته المظاهرات فى بورتسودان إلى أن انتهت بسلام فكان ذلك سببا فى إرساله إلى بحر الغزال ولا زال يحمل بين جنبيه تلك الوطنية المتأججة وذلك الشعور الوطنى الصادق.



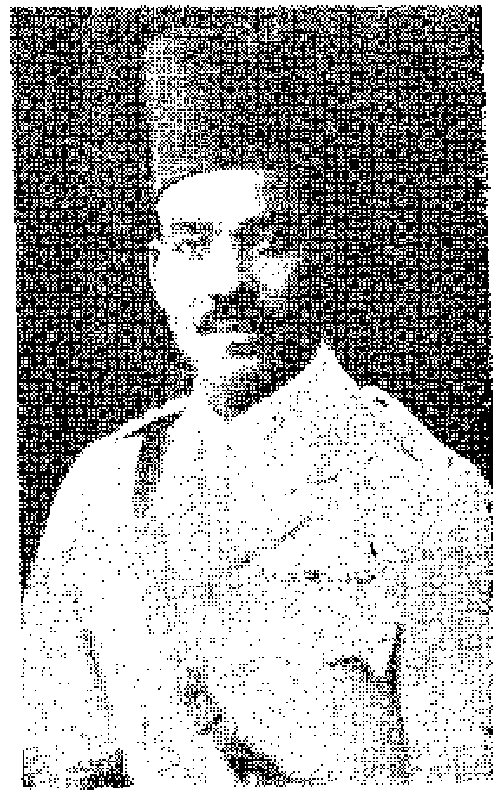
البكباشى ابراهيم فهمى

اليوزباشي عبد الله بكر مصطفى :

من أبرز شباب السودان اليوزباشي عبد الله بكر مصطفى ، الذى أصبح اليوم ناظراً لعموم قبائل الغرب ، وهو زين الشباب علما وأدبا ومروءة ، هو نجل السلطان بكر مصطفى ، وحفيد السلطان حسين ، سلطان دارفور . ولد بامدرمان ونزح مع والده الى القضارف الذى تزعم رئاسة قبيلته



الناظر عبد الله بكر مصطفى



اليوزباشي عبد الله بكر مصطفي

هناك منتدبا من قبل الامام المهدى ولما حل ركاب الحكومة الحاضرة ، كان والده ضمن من قاتلوها مع المرحوم احمد فضيل جنبا الى جنب ، فلما انجلت الموقعة ، قابل والده سعادتى رندل وهنتر باشا ، اللذان اخذاه الى الخرطوم وقدماه لسردار الجيش المصرى ، فانعم عليه برتبة البكوية . عاد والده الى القضارف ثانيا يحمل شارات الفخر ، ومداليات البسالة ، من ذلك مدالية

استرجاع السودان ، والمجيدى الخامس ، وقد عين واليا مباشرا لعموم أهالى كردفان ودارفور . وبينما هو يسير فى منصبه يقيم ميزان الحق والعدل رنت اليه عيون حاسدية فوشىء به ، فارسلته الحكومة الى حلفا ، حيث أقام بها ردحا من الزمن ، فلما تبين الحق أعيد الى القضارف معززاً مكرماً ، وقد عوضته الحكومة على ما حل به من الظلم ، بأن منحته النيشان العثمانى الثانى ومدالية جلالة الملك جورج الخامس ، وكسوة الشرف من الدرجة الاولى وظل يتمتع بثقة الحكومة والاهالين الى ان وافاه القدر المحتوم عام ١٩١٧ . فحل محله نجله الامير نصر الدين بكر الذى كان يشاطر والده العمل فى حياته برتبة عمدة .

أما اليوزباشى عبدالله فقد تخرج من المدرسة الحربية عام ١٩١٣ والتحق بالاورطة الرابعة عشر السودانية وظل يتدرج فى الرقى بجدارة واستحقاق الى أن نال رتبة اليوزباشى بفرقة العرب الشرقية عام ١٩٢٦ . وفى تلك الاثناء مرض شقيقه السابق ذكره الامير نصر الدين وأصبح لا يستطيع القيام باعباء المسؤولية الخطيرة الملقاة على عاتقه . وقد أدرك اليوزباشى عبدالله مطامع بعض القبائل ومزاحمتهم على تفريق رجالهم ، فانقذ الموقف واقدم على الاستقالة من الجيش ليحل محل أخيه ، وبعد صعوبة لاقاها من أولى الامر استطاع أن يقنعهم بضرورة مطلبه ، فقبلوا إبقائه بالاستيداع فقط . وهكذا قفل باب مطامع القبائل الاخرى إذ تبوأ المنصب بكل جدارة فقال الناس هو خير خلف لخير سلف . لقيته فى الخرطوم عام ١٩٣٩ فما هى الا ساعة حتى خرجت من عنده اردد قول الشاعر

زني الناس حتى تعرفى عند وزنهم
اذا رفع الميزان كيف أميل

أجل فقد رأيت فيه كل معانى الرجولة ، والمروءة ، قول متزن فى أسلوب بديع .

يحمل بصفته ضابطا نيشان النيل من الطبقة الخامسة من صاحب الجلالة الملك فؤاد ملك مصر ، ومداليتى الحرب العظمى ، أما بصفته زعيم فيحمل مداليتى جلالة ملك بريطانيا العظمى وامبراطور الهند ، كما يحمل كسوة الشرف من الدرجة الاولى بصفته ناظراً لعموم قبائل كردفان ودارفور بالقضارف والقلابات . هذا هو الزعيم عبدالله بكر مصطفى الذى يحتذى به فى الاخلاق الفاضلة والغايات النبيلة .



اليوزباشى بابكر سوار الذهب

اليوزباشى بابكر صالح سوار الذهب : لا يجهل أى انسان فى السودان مكانة آل سوار الذهب فى أمدرمان . فهم أشهر من نار على علم ، واليوزباشى بابكر صالح هو احد شباب السودان الذين يضرب المثل برجولتهم واقدامهم ، كان يوما ما ياوراً وطنيا لمعالى حاكم السودان وقد برهن وهو فى منصبه هذا ان السودانى خليق بكل اكرام واحترام

الموظفون الذين عرفتهم فى السودان


احمد بك رياض

احمد بك رياض . هو أحد كبار موظفى المالية السودانية ، وأحد الذين كان لهم الفضل فى تنظيم قوانينها وميزانيتها . درس بمدرسة المبتديان أيام نظارة أمين سامى عليها . ثم بالتجهيزية وحصل على شهادة البكالوريا الثانوية عام ١٨٩١ ، ثم دخل مدرسة المعلمين العليا ، وفى عام ١٨٩٢ عين مترجماً بالقسم الطبى بالجيش المصرى وفى عام ١٩٠٣ نقل الى مالية حكومة السودان . وتدرج فى الرقى أن أصبح رئيس مفتشيها وبلغ مرتبه ٩٣٦ جنيها فى السنة . انعم عليه بالمجيدى الخامس ، ثم بالنيل الرابع ، وبالرتبة الثالثة والبكوية من الدرجة الثانية ، ثم نقل الى الحكومة المصرية مديراً فنياً لمكتب وزير المالية . فارتقى الى أن بلغ مرتبه ١٢٢٠ جنيها سنوياً وقد كان من موظفى الدرجة الأولى وأحيل على المعاش عام ١٩٣٦ . وهو أحد المصريين الاكفاء الذين كانوا مثلاً حياً فى تأدية الواجب ، لقد كان رياض بك فى مكتب المالية السودانية هو الكل فى الكل . وكان السير ادجار برنارد باشا الذى كان بصفته وزيرا للمالية السودانية يعتمد عليه كل الاعتماد ، كما كان سعيد باشا شقير يأخذ رأيه ويعمل بمشورته فى كل صغيرة وكبيرة .

(١) قديس افندى عبد السيد — لا يوجد فى السودان من يجهله ، أو يجهل خدماته لحكومة السودان . أحيل على المعاش عام ١٩٣٤ فكان آخر رجل من رجال كتشنر ترك الخدمة ، كما ترك صحيفة بيضاء يفخر بها المصريون . أنعم عليه بوسام النيل الخامس من جلالة ملك مصر كما أنعم عليه بنيشان شرف عضوية الامبراطورية البريطانية . لا يكل عن العمل ولا يمل ، ولا يقيم لجسده وزناً ولا حقاً ، وهو فى أحرج أوقات عمله لا تفارق فمه ابتسامته الخلابة وبعد أن أحيل الى المعاش اتسع أمامه ميدان العمل الحر فأنشأ سينما فى أم درمان ، يديرها بحسن ادارته ، ولباقته المعروفة ، وهو رجل عظيم لا يبرح اسمه الاذهان ، ولا تغيب صحيفته البيضاء عن العيون . كان مديراً لبريد العاصمة حتى غادر الخدمة

(٢) محمد افندى عبد المتعال — كان ملاحظاً لتلغرافات السودان وكان له الفضل الأول فى تنظيم مصلحة التلغرافات ، كان ملاحظاً ومعلماً ومربياً تعهد تلاميذ مدرسة التلغرافات زمنا ليس بالقليل فاعدهم رجالا أكفاء ، ترك السودان عام ١٩١٩ فالتحق بتلغرافات الحكومة المصرية فكان كبير مفتشيها ، وكما كان ثقة فى السودان كذلك كان فى مصر . كفاءة ممتازة ورأى سديد ، ووقار يدفعك لاحترامه ، فلما استبعد الموظفون عن السودان سعى لالحاق تلاميذه بالحكومة المصرية فوفق الى ذلك كل التوفيق

(٣) سلامه افندى ملطى . هو أيضا من عيون موظفى مصلحة البريد السودانية . قضى زهرة شبابه فى السودان وكان محل ثقة الرؤساء والمرؤوسين تحلى بكل ما يتحلى به الموظف الأمين . فاستحق ثناء جميع الذين عرفوه .



قديس افندى عبد السيد



محمد افندى عبد المتعال



سلامه افندى ملطى

(١) حبيب افندى سابا — هو مدير قلم مستخدمى مصلحة البوستة والتلغرافات سابقا وهو رجل همام ناضج الرأى ، استطاع مدة خدمته الطويلة أن يكتسب قلوب الناس حاكمين ومحكومين ، ساعده مركزه أن يرضى ضميره فقدم خدمة لكل من أعوزته المساعدة ، كذلك ساعده مركزه الأدبى أن يحتل قلوب جميع عارفيه . شخصية بارزة محترمة ، وجدارة يضرب بها المثل ، وأدب وذوق مستكملان .

(٢) سوريال افندى بولس — هو رئيس قلم مراجعة التلغرافات سابقا وقد استطاع بجده واجتهاده أن ينال هذا المركز وقد كان فى عداد موظفى التلغراف العاديين ، وهو شاب من خيرة شباب مصر أدبا وعلما وذوقا .

(٣) جرس افندى عبده — وكيل تلغراف وبريد الخرطوم سابقا. وهو من الذين ضربوا الرقم القياسى فى الكرم ورقة الشعور . يحتل من قلوب الناس مركزا ساميا فهو شخصية مرحة بسامة حتى فى أحرج الاوقات وهو من الذين أنعم عليهم بشرف عضوية الامبراطورية البريطانية

(٤) حنا افندى ابراهيم . هو وكيل تلغراف الخرطوم حالا وهو من خيرة الشباب الراقى . ضرب المثل الاعلى فى الكفاءة والاخلاق ، فنال مركزه الحالى وتخطى أقرانه اليه ، وهو موضع ثقة لاحد لها يرجع الى رأيه فى كثير من الامور ، محبوبا من مرؤوسيه وهو مع هذا العمر الصغير ينظر اليه الموظفون كوالدهم . وهو دواما عن حسن ظنهم . وهو مجموعة فضائل وخبرة ، وكفاءة وأدب .



حبيب افندي سابا



سوريال افندي بولس



جرس افندي عبده



حنا افندي ابراهيم

وهؤلاء نخبة من الذين يصح أن يقال أنهم بنوا مصلحة التلغرافات والبريد والجميع توفاهم الله الى رحمته .

(١) بطرس افندى ميخائيل كان وكيلا لتلغراف الخرطوم ، ولكنه كان فى نفوذه ومقدرته مديراً يتصرف كما يتراآى لمقدرته وكفاءته . اجهد نفسه إذ كان يعمل ليلا ونهاراً فمات وهو فى مكتبه يؤدى واجبه ، فضرب المثل الاعلى فى تأدية الواجب . ساعده مركزه الممتاز أن يكون عضداً لجميع بنى وطنه الذين لازالت عائلاتهم وابناؤهم يترحمون عليه ، وعلى عطفه بهم لبى نداء ربه وترك بعده أشبالا أحيوا اسمه وذكراه ، بحسن أخلاقهم ، وبمركزهم الادبى العظيم . أما هو فلا زال اسمه كأنه مات بالامس .

(٢) صموئيل افندى عبد الملك . كان مأموراً لبريد السودان . وكان انموذجا فى كرم الاخلاق ، والرزانة ، والمقدرة . له من الناحية العملية أبرز الاثر كما كان له من الناحية القومية أيضا أبرزه ، كان عضوا عاملا فى الجمعية الخيرية ، كما كان علما ظاهراً بين موظفى حكومة السودان .

(٣) سابا افندى بولس . كان ملاحظا لتلغرافات السودان واستبعد عام ١٩٢٥ بعد حوادث السودان . كان رحمه الله رحمة واسعه ، مثلا فى الكمال الادبى ، ومكارم الاخلاق ، وهدوء الطبع ، وسلامة الذوق .

(٤) غبرى افندى بشاى . كان من الذين يؤمنون أن تأدية الواجب هى كل شيء ، فظل فى مركزه (مأموراً لبريد السودان) إلى أن أحيل على



المرحوم بطرس ميخائيل



المرحوم غبري افندي بشاي



المرحوم سابا افندي بولس



المرحوم صموئيل افندي عبد الملك

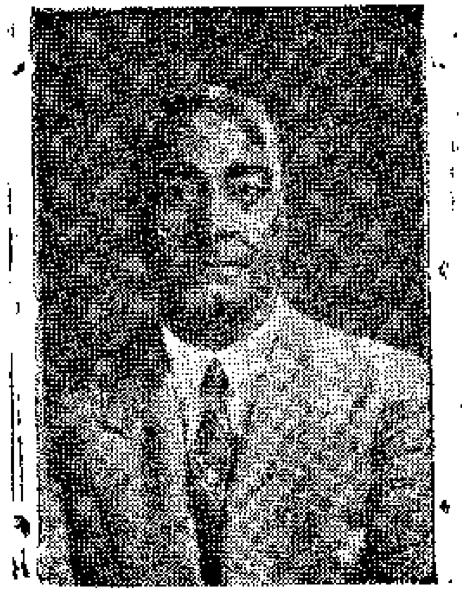
المعاش ، وهو محل ثقة جميع الناس . توفى رحمه الله فى ٧ مارس سنة ١٩٤٠ فبكاه السودان قبل مصر لأنه واحد من رجاله الاكفاء .

وفى السكة الحديد السودانية نخبة من ابناء مصر والسودان ، وجميعهم من الفئة الراقية المثقفة نذكر منهم على سبيل المثال :

(١) الاستاذ قلاده افندى ابرهيم . كان كبيراً لمفتشى مصلحة السكة الحديد السودانية . وكان بارزاً ، معروفا بسداد الرأى ، والكفاءة الممتازة ، جريئاً فى الحق ، صريحا فى آرائه وقد اعجب به البريطانيون حتى جاهروا باعجابهم به . يجيد الانجليزية كأحد ابنائها ، حازماً ، غيوراً على ابناء جلدته وقد أحيل على المعاش ولا زالت ذكراه فى السودان تتكلم عنه وتذكره ماذكر المصريون الاكفاء .

(٢) مجايلى افندى جرجس رئيس قلم مستخدمى مصلحة السكة الحديد شاب له شخصية بارزة فذة . لازال فى خدمة حكومة السودان ، يتعهد مركزه بكل همة ونشاط ، كما يتعهد المنشئات الدينية والقومية ، ففى الجمعية الخيرية له اليد الاولى ، وفى النادى المصرى له أبرز الاثر ، وبالاجمال فهو أحد الذين تفخر بهم مصر فى السودان .

(٣) قيصر افندى خير . موظف بارز ضرب المثل الاعلى فى تأدية الواجب ، كما ضربه فى مكارم الاخلاق وسداد الرأى . هو رئيس قلم إدارة السكة الحديد ، وسكرتير النادى المصرى ، وشخصية بارزة فى الكنيسة القبطية ، والجمعية الخيرية : لازال فى خدمة حكومة السودان يضرب كل يوم مثلا من الاجتهاد والامانة والاخلاص فى العمل .



قلاده افندى ابراهيم



عجايبى افندى جرجس



قيصر افندى خير



احمد افندى حسن خليفة

(٤) احمد افندى حسن خليفه . هو أحد أبناء الاسر العريقة وهو الذى كان مفتشاً فى سكة حديد السودان ، وهو على باب الاحالة على المعاش ، عرف كيف يقوم بواجبه فيكون انموذجا حسنا لجميع الذين يعملون تحت إدارته .

بنى افندى بطرس . هو كبير موظفى مصلحة السكة الحديد السودانية وهو على باب الاحالة على المعاش . عرفته شخصيا عام ١٩٠٧ ، حيث كان كان ناظراً لمحطة الزيداب بمديرية بربر ، فعرفت فيه الكمال بكل معنى الكمال . لا يترك فرصة إلا ليستفيد منها بالمطالعة سواء فى الكتب الدينية أو العلمية ؛ وهو غيور على قوميته إلى أقصى درجات الغيرة . وشيخ فى الكنيسة ، يسعى الى رقيها ورفع شأنها بكل ما أوتى من قوة . عدا ذلك فهو أحد المصريين المتمكنين من لغة أبناء التيمس .



الشيخ بنى بطرس

سديد الرأى . متزن فى كل حركة من حركاته . لا يخطو خطوة إلا وهو يذكر الله فى غدواته وروحاته . موفق فى كل أدوار حياته . عدا ذلك فهو باقة من الفضائل جمعت فى شخصه العظيم . تراه فتشعر بمجرد النظر اليه أنه رجل محترم والتحدث اليه فتدرك مقدار ما انطوت عليه تلك

الشخصية من إدراك ومعرفة . هذا هو الشيخ يني بطرس الذى أسأل الله مخلصا أن يكثر من أمثاله .

أمين افندى مسيحه . هو أول مصرى قاد المظاهرات فى عطبره، وقد كان يعمل جاهداً ليقضى على الفوارق. أسس جمعية سرية من زملائه، كان واجبها الأول توثيق الصلة بين المصرى والسودانى، فنجح نجاحاً باهراً، ولما اندلعت نار الثورة فى مصر أوعزت هذه الجمعية للعاملين تحت لوائها باظهار شعورهم وميولهم نحو مصر وملك مصر، فقامت مظاهرة اشترك فيها حوالى ٤٠٠٠ شخص، كان أمين افندى على رأسها، فخطب فى الجنود المتظاهرين هاتفا



أمين افندى مسيحه

بحياة مصر وملك مصر وزعيم مصر، عندئذ هاج هائج السلطة الحاكمة وعملت على تهدئة الخواطر بكل لين، لانها أدركت أن القوة لابد فاشلة أمام هذا التضامن والاستعداد للتضحية . وهو اليوم كاتبا فى النيابات المصرية بالمنيا ومع أنه قد جاوز الخامسة والاربعين فلا زال متحمسا للوطن و وطنية . يستغرق عمله الرسمى معظم ساعات النهار فاذا غادره سعى هنا وهناك لمساعدة الجمعية الخيرية . والتفتيش على المعوزين وذوى الحاجات .

وخلاصة القول أن أمين افندى مسيحه هو أحد رجالنا المخلصين وكفى.

بباوى افندى غالى — هو أحد المصريين الذين استطاعوا أن يكون لهم الأثر الخالد فى السودان . فهو كاتب كبير، ومترجم بارع ، ومؤلف لايجارى . كان مترجما بادارة السكرتير الادارى، ثم باشكاتبا لعدة مديريات فى السودان . وكان فى كل واحدة منها يفوق سابقتها مكانة فى نفوس الحاكمين والمحكومين . كان معروفا لدى الانجليز بتضلعه فى اللغة الانجليزية ، ولا عجب فهو مترجم عدة مؤلفات للكاتب الانجليزى الكبير (تولستوى) . ولما



بباوى افندى غالى

زار المغفور له ستاك باشا مديرية كسلا وكان هو باشكاتبها ، قدمه مدير كسلا لمعاليه باجمل عبارات الثناء والحمد فاهداه ستاك باشا ساعة ذهبية بديعة قائلا (أنت رجل حريص على الوقت وهذه الساعة تفيدك كثيراً)

لايمكنك أن تعرف الاستاذ بباوى على حقيقته ، إلا إذا زرت مكتبته ، عندئذ فقط ، تدرك مكانته من العلم والأدب ومقدار اهتمامه بما يرقى النفس ويهذبها . فهى مكتبة عامرة لاتقدر بمال ، والاستاذ يقضى نهاره فيها بكل غبطة وهناء ، يرتشف منها ماكل يتناسب مع ذوقه وأدبه وبالرغم عن احالته على المعاش ، فلا زال هو هو لايمل البحث ليفيد ويستفيد . وهو عدا ذلك قلب الانسانية وروحها ، ومعدن الذوق والأدب ، لا تفوته المجاملات

الصحيحة الممزوجة بمكارم الاخلاق ، ولما أذعت تصميمى على وضع هذا الكتاب أعانى بكثير من الرأى فى تراجم بعض الذين عرفهم ، وبالاجمال فهو أحد موظفينا المصريين البارزين الذين لا ينسوا السودان كما لا ينساهم السودان ولا ينسى جزيل خداماتهم ومكارم أخلاقهم .

لقد أحب بباوى افندى غالى السودان ، كما أحبه السودان ، ولا عجب فقد أنشأه رجلا كاملا من أنصار الانسانية ورافعى لوائها .

وفى حكومة السودان فى مختلف الادارات ، كثيرون ممن لا تستوعبهم الذاكرة أو من الذين سعيت لاثبات صورهم فأبوا ، ولا شك أن من نذكرهم هم قطرة من بحر ، غير أن مالا يدرك جله لا يترك كله .

١) رزق افندى عبيد . من كبار موظفى قسم الاشغال بحكومة السودان ، ومن الذين عاصروا محمد بك حسن ولبيب باشا الشاهد وعملوا معهم يداً بيد ومن الذين يذكرهم السودان ولا ينساهم .

٢) حبيب افندى حنين . هو مدير ادارة مصلحة الزراعة والغابات بالسودان سابقا ، وأحد الذين تركوا السودان فتركوا بعدهم تاريخا حافلا . تعين باشكاتبا لبربر عام ١٩٠٢ ، ووقع اختيار الحكومة عليه لانشاء مصلحة الزراعة فبذل مجهوداً جباراً فى تنظيمها وسن قوانينها . وظل بها حتى تعين مديراً لادارتها عام ١٩١٨ . وهو أحد الموظفين القلائل الذين منحتهم الحكومة الدرجة الرابعة . كاد أن ينافس البريطانيين فى مراكزهم لولا أنه استبعد عام ١٩٢٥ ، منح النيشان المجيدى (قبل الغائه) ثم النيل الرابع . عدا ذلك فقد كان يتمتع بشخصية بارزة

ومركز أدبي يحسده عليه الانجليز أنفسهم . حريصاً كل الحرص على القومية المصرية . ساهم في انشاء النادي المصري ، والمكتبة القبطية ، كما أشرف على الجمعية الخيرية فلا عجب إذا وصفه المغفور له السيرلى ستاك في خطاب خاص حيث قال : — (His character is Beyond reproach)

ومعناها (أن أخلاقه أبعد من أن تنتقد) . ولا شك أن شهادة كهذه من رجل خطير كستاك باشا تغنيه عن أى شهادة أخرى .

(٣) صبحى افندى لبيب : هو أحد الذين خدموا السودان بمنتهى الاخلاص الى أن أحيل على المعاش عام ١٩٣٣ . تعين بالمصلحة القضائية عام ١٩٠٦ وفى سنة ١٩١٠ تعين باشكاتبا لتسجيل الاراضى ، وفى سنة ١٩١٦ نقل لمديرية النيل الازرق وفى ١٩١٨ نقل لأم درمان وفى ١٩٢٤ رقى باشكاتبا لعموم تسجيل أراضى السودان ثم مساعدا لرئيس تسجيلات أراضى الجزيرة . وهو مثل أعلى فى سمو الاخلاق ومكارمها .

ولست لاقفل هذا الباب قبل أن آتى على نوع من أبناء السودان الذين تتمتع البلاد بالكثير من أمثالهم .

١) الاستاذ محمد صالح ضرغام . هو باشكاتب مديرية النيل الازرق سابقا ، اعتزل خدمة حكومة السودان لبلوغه السن القانونى . ففقدت به الحركة العملية فى حكومة السودان علماً من اعلامها الافذاذ ، كما فقد به الوسط العامل ذهناً خصيبا ، وآراء ناضجة ، نسجتها التجاريب . كان درة فى عقد الوسط فى البلاد ، بل كان مهبط الالهام السامى للكثيرين من ناشئة السودان ، كما كانت خدمته المثال الاعلى للموظف الكفؤ الامين .



رزق افندى عبيد



حبيب أفندى حنين



صبحى افندى لبيب

كان لعبقريته الفضل الاول فى تكوينه فهو لم يتقدم إلى الخدمة بسوى اتمام الدراسة الابتدائية ، فسمت بهجدارته إلى ماوصل اليه من مركز ومرتب ولاعجب أن يتخطى اقرانه فمن حقه أن يتخطى الناس والمراتب ، ويمشي على مناكب الايام والحوادث ، إلى أن يقم فى منزله ويخلص فى مكانه ؛ وهو اليوم يعيش فى بلدته عبرى ناعما مطمئنا .

(٢) الاستاذ على افندى محمد على . هو أحد أبناء السودان الذين يفخر بهم السودان ، وهو مهندس ممتاز ، يشغل وظيفة مدير أعمال بالرى المصرى. تخرج من كلية غردون عام ١٩١١ وتعين بمصلحة الرى . وقد ارتقى إلى منصبه الحالى بجدارة واستحقاق حتى نافس البريطانيين أنفسهم وطالب بالمساواة المطلقة بينه وبينهم ، فلما لم يجب إلى طلبه استقال وهرع إلى الاعمال الحرة فى مصر . وفى سنه ١٩٣٤ يوم تولى معالى عثمان محرم باشا وزارة الاشغال رأى أن لايحرم وزارته من كفاءة الاستاذ فاعاده إلى الخدمة . ساهم فى تحضير مشروع الجزيرة ، وخدم فى جنوب السودان حوالى عشرة سنوات كان محبوبا إلي أقصى درجات الحب أكثر الله من أمثاله .

(٣) الدكتور بخيت محمد عمر . ومن شباب السودان الراقى الدكتور بخيت وهو شاب فى المستوى الاول من شباب السودان الراقى . تخرج من كلية غردون ، ونال الكفاءة عام ١٩٢٩ والبكالوريا عام ١٩٣١ من مدرسة الامير فاروق الثانوية . ثم التحق بالجامعه المصرية للطب ، ثم جامعة ادنبره عام ١٩٣٣ ونال بكالوريوس الطب والجراحة عام ١٩٣٨ ، وهو مثل من

أمثال الشاب المهذب . حدثني صديق أن الدكتور عمر قد استلم أولوية فرقته فى كلية غوردون من السنة الاولى إلى الرابعة . كما كان ترتيبه فى الكفاءة السادس وفى البكالوريا الثالث . وهو نبوغ فطرى يتحدث عن الدكتور.

وفى السودان كثير من الاطباء من ابناء البلاد نذكر منهم الدكتور الحكيم والدكتور بدرى والدكتور الفاضل والدكتور المغربى والدكتور ارباب وغيرهم.



الاستاذ محمد صالح ضرغام



الاستاذ على افندى محمد على



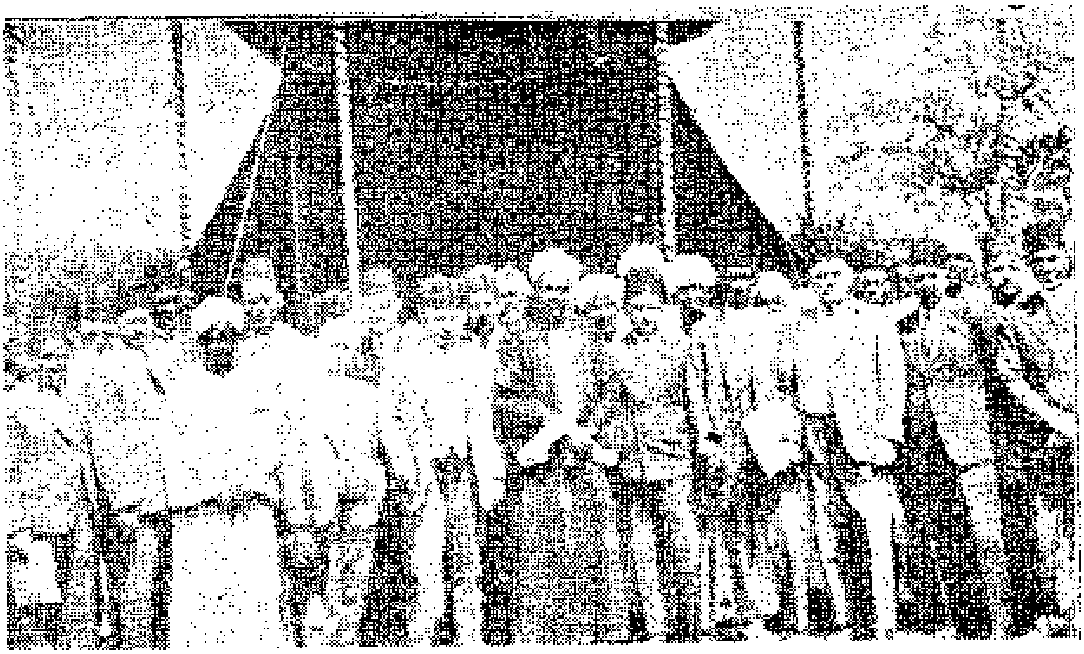
الدكتور بخيت محمد عمر

البعثة المصـــــرية
فى السودان

كانت البعثة المصرية التى سافرت إلى السودان عام ١٩٣٥ ، فاتحة خير لتوثيق عرى الصداقة بين القطرين الشقيقين بعد طول الجفاء منذ حوادث سنة ١٩٢٤ ، وقد برهن السودان من أقصاه إلى أقصاه بان هذا الجفاء لم يكن مقصوداً بل ان السودان كان يتجرعه على مضض ، وما برزت فكرة سفر البعثة المصرية إلى السودان حتى هتف السودان لمصر والمصريين وبرهن على أنه كان فى ظمأ لهذا اللقاء ، وهنا لا يسع المؤرخ الصادق الا أن يعرض لنصيب حضرة صاحب السمو الامير الجليل عمر طوسون فى الاهتمام بأمر هذه البعثة ، والمغزى الوطنى الذى رمى إليه سموه منها ، ففى ٩ أغسطس سنة ١٩٣٤ قرر مجلس إدارة الجمعية الزراعية الملكية برئاسة سموه ، تنظيم رحلة فى شهرى يناير وفبراير سنة ١٩٣٥ مكونة من أعضاء الغرف التجارية وكبار الزراع فى مصر .

سافرت البعثة المصرية الى السودان عن طريق السويس فى ٢٥ يناير سنة ١٩٣٥ على مركب شركة هندرسن . وقد ودعت البعثة أحر وداع بين اسمى التمنيات بسلامة الذهاب والمودة . ولست استطيع أن أثبت هنا كل ماقامت بة هذه البعثة من أعمال مشرفة فى السودان ، بل يكفي أن أثبت مقدار الحفاوة البالغة التى قام بها السودان والسودانيون ، والكرم الحاتمي

الذى قام به الزعماء الاجلاء ، ولست أدلل على ذلك بأكثر من اثبات صورة البعثة فى ضيافتهم وها هم أعضاء البعثة فى زيارة صاحب السيادة المظمى السير السيد عبد الرحمن المهدى باشا وذلك فى ٦ فبراير سنة ١٩٣٥ .



البعثة المصرية فى ضيافة السيد عبد الرحمن المهدى باشا

فقد لقيت البعثة من كرم سيادته ما أطلق ألسنة أهل مصر جميعا ، أجل فقد كان مقرراً أن تسافر البعثة الى جزيرة أبا فى سفينة بخارية ولكن صاحبها لم يتمكن من ارسالها ، فبادر سيادته فجمع ٥٠٠٠ رجل وكلفهم بعمل جسر على النيل الابيض لتمر عليه سيارات البعثة ، فاقاموه فى خمسة عشر ساعة ، وهو أقصى ما بلغ اليه الاحتفاء والهمة والشهامة .

وقد ألقى فؤاد باشا أباظه كلمة شكر أشار فيها إلى مناقب بيت المهدى الكرام وإلى الكرم الحاتمى والحفاوة المنقطعة النظير التى لقيها أعضاء البعثة المصرية . كما أن سمو الأمير الجليل عمر طوسون الذى لا تغفل عينه عن

السودان قد أرسل برقية رائعة الى السيد عبدالرحمن المهدى باشا ، يشكره على تلك الشهامة العربية ، فاجاب سيادته على تلك البرقية شاكراً لسموه هذا العطف ، مؤكدا لسموه أنه سيكون لهذه الزيارة الأثر الحميد ، فى إحياء الروابط بين القطرين .

وها هم فى ضيافة الزعيم الحسيب النسيب السيد على الميرغنى باشا



البعثة المصرية فى ضيافة السيد على الميرغنى باشا

الذى استقبلهم بما جبل عليه من البشر ومكارم الاخلاق ، وتحدث اليهم حديث المستبشر بهذه الزيارة المباركة .

ولئن فاتنى الحصول على صور جميع أعضاء البعثة منفردين فلم يفتنى اثبات صورهم مجتمعين كما ترى فى هذه الصورة ومع هذا ، فقد توفقت فى الحصول على صورة رئيس البعثة وبعض أعضائها البارزين وهاهى صورة حضرة صاحب السعادة رشوان محفوظ باشا رئيس البعثة .



سعادة رشوان محفوظ باشا

وهو رجل من رجالات مصر البارزين ، تقلب فى أرفع الوظائف ، وارتقى بجده واجتهاده إلى أسمى المناصب ، فقد بدأ معاون إدارة عام ١٩٠٣ ، فاستطاع أن يضرب المثل الأعلى فى النشاط والرقى إلى أن أصبح وزيراً للزراعة عام ١٩٣٨ . وقد كان اختياره لرئاسة البعثة المصرية اختياراً موفقاً كل التوفيق .

ثم صاحب السعادة فؤاد اباظة باشا مدير الجمعية الزراعية الذى لا يحتاج إلى تعريف ، فهو أحد أفراد الأسرة الاباظية ، وأحد رجال مصر الذين شرفوا مصر ، وأهل مصر ، ثم صفاته السامية، وشمائله الحسان ، عن طيب عنصره ، ومجد بيته ، فمذ كان فؤاد افندى أباظة تطلعت اليه أنظار اسمى الوظائف ، فنالها بجدارة واستحقاق ، إلى أن أصبح فؤاد باشا أباظة . تخرج من مدرسة الزراعة بالجيزة عام ١٩٠٩ والحق بخدمة الجمعية الزراعية الخديوية ، فتقلب فى وظائفها وتعين سكرتيراً بفرع الجمعية بمديرية الشرقية ، ثم سكرتيراً زراعيا لمديرية الجيزة عام ١٩١٠ ، ثم كبيراً للمفتشين عام ١٩١١ ؛ ثم رئيساً لقسم التجارة عام ١٩١٢ ، ثم سكرتيراً عاماً للجمعية الزراعية عام ١٩١٤ ، ثم مديراً عاماً سنة ١٩٣٥ ، وقد كان موضع ثقة سمو رئيس الجمعية الأمير حسين كامل (حضرة صاحب العظمة السلطان حسين كامل) فأنعم عليه

برتبة البكوية من الدرجة الثانية عام ١٩١٦ ، وأنعم عليه صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول رتبة البكوية من الدرجة الأولى فى مايو عام ١٩٢٦ ، ثم أنعم عليه بنيشان اسماعيل من الطبقة الثالثة عام ١٩٣١ ، ومنحته الجمهورية الفرنساوية نيشان اللاجيون دونير عام عام ١٩٢٩ ، ثم رتبة الباشوية



سعادة فؤاد اباظه باشا

لم يكن سفر فؤاد باشا أباظه مع البعثة المصرية إلى السودان لأول مرة : كلا : بل زار السودان مرتين قبل ذلك ، ففى سنة ١٩١١ زار عطبره والخرطوم وأم درمان ، وسافر للمرة الثانية عام ١٩٣٤ حيث شاهد أعمال بناء خزان جبل الاولياء ، وزار منطقة زراعة القطن بالجزيرة ، وهو دليل قاطع أن على سعادة الباشا خلق شغوفا بالاسفار ، ولم يقتصر على السودان ، بل سافر إلى كثير من الاقطار فقد زار مصوع ، واسمرا ، والارتريا ، والنرويج ، والسويد ، والشام ، واستامبول . كما حضر مؤتمرات كثيرة بالخارج ، وهو ديموقراطى ، صريح ، فاذا كلّ هذا القلم العاجز عن تسجيله

مزاياه النبيلة ، وفته حقه أعماله الذهبية التى بنى بها لنفسه نصباً خالداً فى قلوب جميع الذين عرفوه .

ولقد كان اختياره لمرافقة البعثة اختياراً عظيماً فهو عنوان جميل ونوع ممتاز من رجال مصر الاكفاء .

وقد عبر فؤاد باشا عن شكره للسودانيين ، أوجز وأحسن تعبير وفى ذلك يقول : —

« وقد توجت تلك الجهود برضاء الذات الملكية وكان لتلغراف معالى كبير الأمناء للبعثة المصرية ولسعادة حاكم عام السودان من قبل السدة العلية أبلغ الاثر فى العمل على تقوية العلاقات الاقتصادية بين القطرين وتنميتها» واثباتاً للرضاء الملكى السامى ، ولعناية حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون نثبت الاربعة تلغرافات التى تبودلت فى هذا المعنى ، أولهما البرقيتين الآتيتين : —

حضرة صاحب المعالى كبير الأمناء

سراى عابدين بمصر

أتشرف بابلاغ معاليكم بعودة البعثة المصرية من السودان ، بعد أن وفقت فى مباحثاتها لتنمية العلاقات الاقتصادية والتجارية بين البلدين ، وزادت صلة التعارف باهالى السودان ونزلائه على أحسن مايرام مما أنار الطريق الى تقوية وزيادة تلك الروابط فى المستقبل، وقد كان لمساعدة سعادة الحاكم العام ومعاونيه وما قدموه من المساعدات والمعلومات القيمة ، أحسن الاثر كما أن الحفاوة والارتياح الذى قابلنا به الشعب فى كل الجهات التى

حللنا بها ساعدت على أداء المهمة التي سعينا لتحقيقها ، وانى أتشرف بأن أرجو معاليكم أن ترفعوا لمسامع السدة العلية الملكية شعائر الولاء والاخلاص مع صادق التمنيات بكمال الصحة ودوام العافية .

٢٥ / ٢ / ١٩٣٥ فؤاد أباظه

(الرد)

حضرة صاحب العزة فؤاد أباظه بك

المدير العام للجمعية الزراعية . الجزيرة مصر

رفعت الى المسامع العلية الملكية ماتضمنته برقيتكم بمناسبة عودة البعثة المصرية من السودان ، فأمرني مولاى حفظه الله أن أبلغ عزتكم شكر جلالته السامى وارتياحه العالى الي ماوفقت الية البعثة فى مباحثاتها ، وقد كان لما ذكرتموه من المساعدات القيمة التى قدمها اليكم سعادة الحاكم العام ومعاونوه ، والحفاوة التى قابلكم بها الشعب فى كل الجهات التى حللتم بها الاثر لدى جلالته

٢٦ / ٢ / ١٩٣٥ كبير الامناء

ثم البرقيتين الآتيتين : —

حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء

أتشرف بابلاغ دولتكم بعودة البعثة المصرية من السودان بعد أن وفقت فى مباحثاتها لتنمية العلاقات الاقتصادية والتجارية بين البلدين ، وزادت صلة التعارف بأهالى السودان ونزلائه على أحسن ما يرام ، مما أنار الطريق لتقوية وزيادة تلك الروابط فى المستقبل وقد كان لمساعدة سعادة الحاكم العام ومعاونيه وما قدموه من المساعدات والمعلومات القيمة أحسن الاثر كما أن

الحفاوة والارتياح الذى قابلنا به الشعب فى كل الجهات التى حللناها ساعدت على أداء المهمة التي سعينا لتحقيقها والتى سنرفع لدولتكم بياناً عما وصلت اليه اللجنة من الابحاث .

وانى أتشرف بابلاغ دولتكم تحية أعضاء البعثة وحسن تمنياتها لما فيه خير البلاد
فؤاد أباظه

حضرة صاحب العزة فؤاد بك أباظه

جراند أوتيل الخرطوم

استبشاراً بالزيارة الاولى للبعثة الاقتصادية المصرية للسودان ، وما سيكون لها من الاثر النافع ، واظهاراً لابتهاج مصر بهذه الزيارة وما سيترتب عليها ان شاء الله من عودة الصلات الاقتصادية بينها وبين السودان الى ما كانت عليه ، قررت لجنة الاعانات برياستنا ارسال مبلغ خمسمائة جنيه اليكم لتوزعه البعثة فى الوجوه النافعة لاخواننا السودانيين بالطريقة التى تراها والمبلغ محول اليكم تلغرافيا على البنك الاهلى بالخرطوم وتحياتنا لاخواننا السودانيين وأعضاء البعثة .
عمر طوسون

ملحوظة :— وألحق ذلك بمبلغ ماية جنيه أخرى للاغراض نفسها .

ومن أعضاء البعثة البارزين عبد الحميد بك أباظة .

وهو المدير السابق للجمعية الزراعية الملكية ، وأحد رجال مصر المعروفين بالنزاهة والاخلاص للوطن . كريم بكل معنى الكرم ، يحب من كل قلبه عيشة الارياف على الفطرة ، شغوف بالاسفار . سجل فى البعثة



عبد الحميد بك أباظه

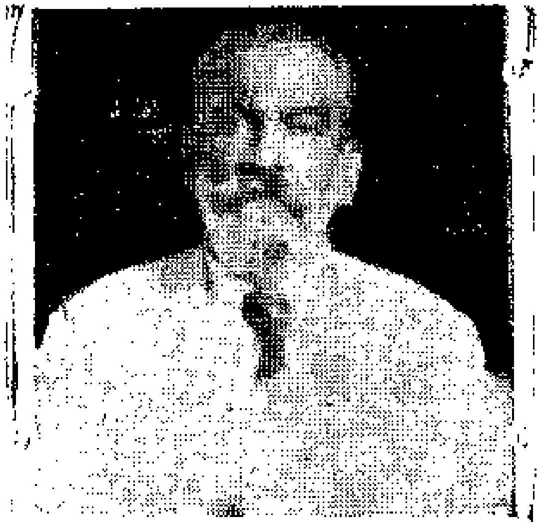
المصرية والمصرى من الرزانة والتعقل ، وما له من دراية بالواجبات واللياقة .

ثم الاستاذ عطا بك عفيفى الذى ضرب الرقم القياسى فى المجاملات ، فكان مركزه فى البعثة بارزاً . هو فى منتهى العقد الخامس ولكنك تراه فتظن نفسك امام شاب فى مقتبل العمر ، أنيق الملبس ، مولع بالصيد ، دقيق فى ملاحظاته . وهو أيضاً متعلم مثقف . فقد نال شهادتى الليسانس والدكتوراه من كلية الحقوق فى باريس والتحق بالحكومة المصرية ، فكان مثال الموظف الأمين الحريص على عمله حتى ارتقى الى وظيفة تشريفاتى ، ولكنه رأى أن مركزه فى الحكومة لا يحقق ماله من طموح فاستقال ، وكان يوما ما عضواً فى الوفد المصرى ، كما كان عضواً من أعضاء نادى الوفد السعدى . وبالاجمال فهو رجل عظيم من ذوى الحيثيات الملموسة والشخصيات البارزة التى تشرف البلاد .



عطا عفيفى بك

ثم الدكتور محجوب ثابت الذى كان فى البعثة المصرية بمثابة الملح من الطعام، ولا عجب فالدكتور سودانى ابن سودانى وقد أجمع السودان على اكرامه والاحتفاء به . حتى بلغ من كرمهم أن حمله شباب السودان على أعناقهم ، فحيا الله السودان وبياه، ان أهله أكرم من رأت العين



الدكتور محجوب ثابت

كان والد الدكتور محجوب قومندانا فى سنار ووكيلا لمديرية فازوغلى فتزوج هناك بكريمة أحد ضباط الجيش . وكان باسلاً مقداماً فساعده فى اطفاء الثورة المهدية تحت امرة عبد القادر حلمى باشا . ومع أن الدكتور محجوب قد بارح السودان طفلا فهو يحب السودان من كل قلبه ، وقد انتهز فرصة البعثة المصرية فاندمج فى سلك أعضائها ليرى بعينه مسقط رأسه الذى ملك عليه حسه فكان له ما أراد . والدكتور أنيس المجالس وحبيب جميع الناس على اختلاف طبقاتهم ، خفيف الروح ، أديب له آراء قيمة فى الطب كما له آراء قيمة فى الحياة الاجتماعية .

معاهدة عام ١٩٣٦

فى ظل حضرة صاحب الجلالة مولانا فاروق الاول ملك مصر والسودان . أبرمت معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا العظمى ، وتحت ارشاده السامى امضاها ثلاثة عشر رجلا من عظماء رجالات مصر الذين تتألف منهم الجبهة الوطنية، وهم بحسب ترتيب أسمائهم فى ذيل المعاهدة مصطفى النحاس — أحمد ماهر — محمد محمود — اسماعيل صدقي — عبد الفتاح يحيي — واصف بطرس غالى — عثمان محرم — مكرم عبيد — محمود فهمى النقراشي — احمد حمدي سيف النصر — على الشمسى — محمد حلمى عيسى — حافظ عفيفى .

وأن مما لا يجب اغفاله أن رفعة على ماهر باشا رئيس الحكومة اليوم ، كان له سعى مذكور لتأليف هذه الجبهة فى آخر عهد المغفور له الملك فؤاد الأول ، لا بل كان رئيسا للحكومة ابان تأليفها لمئة يوم . واتماما للفائدة نثبت هنا أهم ما جاء فى هذه المعاهدة خاصا بالسودان .

(١) مع الاحتفاظ بحرية عقد اتفاقات جديدة فى المستقبل لتعديل اتفاقيتى ١٩ يناير و ١٠ يوليو سنة ١٨٩٩ ، قد اتفق الطرفان المتعاقدان على أن إدارة السودان تستمر مستمدة من الاتفاقيتين المذكورتين . ويواصل الحاكم العام بالنيابة عن كلا الطرفين المتعاقدين مباشرة السلطات المخولة له بمقتضى هاتين الاتفاقيتين .

والطرفان المتعاقدان متفقان على أن الغاية الأولى لادارتهما فى السودان يجب أن تكون رفاهية السودانيين .

وليس فى نصوص هذه المادة أى مساس بمسألة السيادة على السودان .

(٢) وبناء على ذلك تبقى سلطة تعيين الموظفين فى السودان وترقيتهم مخولة للحاكم العام الذى يختار المرشحين الصالحين من بين البريطانيين والمصريين عند التعيين فى الوظائف الجديدة التى لا يتوافر لها سودانيون اكفاء .

(٣) يكون جنود بريطانيون وجنود مصريون تحت تصرف الحاكم العام للدفاع عن السودان فضلا عن الجنود السودانيون .

(٤) تكون الهجرة الى السودان خالية من كل قيد إلا فيما يتعلق بالصحة والنظام العام .

(٥) لا يكون هناك تمييز فى السودان بين الرعايا البريطانيين وبين الوطنيين المصريين فى شئون التجارة والهاجرة وفى الملكية .

(٦) اتفق الطرفان المتعاقدان على الاحكام الواردة فيما يتعلق بالطريقة التى تصير بها المعاهدات الدولية سارية فى السودان .

* * *

ولما كان رجوع الجيش المصرى إلى السودان هو اهم ماتطلع اليه الناس ، فقد نفذت وزارة النحاس باشا ذلك ، اذ ردته فى ديسمبر سنة ١٩٣٧ وكان الاحتفال بوداعه فى مصر تاريخيا قد غسل الاهانة التى لحقته كما لحقت مصر من مأساة خروجه من السودان عام ١٩٢٤ .

* * *

وقد أبدى الحاكم العام عقب ابرام هذه المعاهدة رغبته فى تعيين ضابط مصرى سكرتيراً حربيا له . كل هذه الميزات قد نالتها مصر وهى خطوة

لم تكن تحلم بها قبل ابرام المعاهدة ، وهى آخر ما وصل اليه المفاوضون المصريون.

ولا يخفى أننا اليوم ونحن فى مصر نعرف كل شيء عن السودان فلنا هناك جيش مصرى ، ولنا موظفون مصريون ، كلهم يقظة وذكاء يمثلون البلاد تمثيلا صحيحا .

كل ذلك تم فى ظل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق الاول وفى عهده السعيد أدام الله ملكه آمين .

عودة الجيش المصرى الى السودان

عاد الجيش المصرى الى السودان فى ديسمبر سنة ١٩٣٧ ، فغسل بذلك الاهانة التى لحقته من طرده من سودانه عام ١٩٢٤ . وقد شهدت مصر احتفالاً رائعا لم تر مثله من قبل ، إذ احتفلت الجمعية الزراعية بتكريم قائد القوة المسافرة الاميرالاى احمد عطيه بك (باشا) واركان حربه البكباشى عبد الوهاب حافظ . وهما من خيرة الضباط المصريين الذين ضربوا الرقم القياسى فى الوطنية ، والمحافظة على الشرف العسكرى . ولا يسعنى إلا أن أسجل هذا الاحتفال العظيم فهو تاريخى يجب أن لا تنساه مصر .

دعت الجمعية الزراعية الملكية لفيفا من العظماء والكبراء إلى الاشتراك فى تكريم ضباط الفرقة السابعة من الجيش المصرى المسافرة الى السودان

والاميرالاى احمد عطيه بك قائد القوة المصرية ، والبكباشى عبد الوهاب حافظ أركان حربها ، والبكباشى محمود فهمى على سكرتير حاكم السودان :



اللوا احمد عطيه باشا



البكباشى عبد الوهاب حافظ

وقد كانت الحفلة جميلة لطيفة بدا السرور على وجوه الذين شهدوها . فقد أعادت ذكرى قوة الجيش المصرى فى ماضيه المجيد ، وما كان له من فضل فى رفع اسم مصر فى مشارق الارض ومغاربها على مر الدهور فى كل العصور . وكان فى مقدمة الذين لبوا الدعوة الى الحفلة حضرة صاحب السمو الامير اسماعيل داود وحضرة صاحب المعالى احمد حمدى سيف النصر باشا وزير الحربية ، وحضرة صاحب السعادة الدكتور بهى الدين بركات بك ، واللوا ابراهيم خيرى باشا وكيل الحربية وأعضاء بعثة الجمعية الزراعية الى السودان برياسة صاحب السعادة رشوان محفوظ باشا ، وكثير من كبار

ضباط الجيش والوجوه والكبراء . وقد ضمت الموائد فى صالة احدى سرايات الجمعية الفخمة ، وجعلت موائد ضباط الفرقة الى يسار الصالة . وبعد تناول الشاى والحلوى والمرطبات تصدر المكان سمو الامير اسماعيل داود والى يمينه معالى وزير الحربية والاميرالاى احمد عطيه بك والى يساره سعادة الدكتور بهى الدين بركات بك ، والبكباشي محمود فهمى على فباقى المدعوين .

وبعد أن تبودلت الخطب الحماسية نهض الاميرالاى احمد عطيه بك قائد القوة فألقى كلمة بدأها بشكر سمو الامير الجليل عمر طوسون رئيس الجمعية الزراعية الملكية على اقامة حفلة تكريم الفرقة وثنى بشكر فؤاد أباظه باشا على تهيئة جو هذه الحفلة ، فقد أتاح لهم فرصة الحديث عن سلوك أفراد الفرقة فى السودان فقال ، أنه سيكون سلوكا يشرف سمعة مصر ويرفع من ذكرها . وانهم لا يتدخلون فى غير الامور العسكرية مبتعدين عن السياسة جهد الطاقة عملا بنصيحة قائدهم الاعلى حضرة صاحب الجلالة الملك التى تفضل باسدائها اليهم عندما تشرفوا بالافطار على مائدته الكريمة فى شهر رمضان الماضى . ثم شكر معالى وزير الحربية على توصيته حاكم السودان العام بأن يحتفل باستقبال القوة استقبالا يليق بمجد الجيش المصرى

وختم الاميرالاى كلمته بالاعراب عن سروره لسفره الى السودان حيث يستطيع مع زملائه خدمة الوطن أجل خدمة . ثم هتف بحياة جلالة الملك فاروق ثلاثا .

زيارة رئيس وزراء مصر وزميليه الى السـودان

ان أبرز الحوادث التى تلت المعاهدة ورجوع الجيش المصرى الى السودان ، هى زيارة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا كبير وزراء مصر (انظر صورة رفعته صفحة ٤٣) وزميليه صاحبا المعالى صالح حرب باشا وزير الدفاع (انظر صورة معاليه صفحة ٥٦) وعبد القوى احمد بك وزير الاشغال (انظر صورة معاليه صفحة ٥٧) ، فهى خير ما نختم به هذا الكتاب بالاخص لانه لم يحدث بعدها ما يستحق الذكر . ولسنا فى حاجة الى بيان ما تنطوى عليه رحلة رئيس الوزارة وزميليه ، من فائدة ومغزى . فان ما بين مصر والسودان من علاقات شتى ، جدير بأن يحمل ولاة الامور فيهما على تبادل المباحثات والزيارات اضف إلى ذلك أن حل مسألة السودان فى المعاهدة المصرية الانجليزية ، قد ضاعف تبعاتنا حيال هذا البلد الشقيق ثم انه كان من أثر قيام الحرب التى تدور رحاها الآن ، ان زاد التبادل التجارى بين مصر والسودان ، فمن ذلك اننا اصبحنا نعول فى استيراد الماشية على الاسواق السودانية ، بعد ان اصبح من المتعذر الحصول على الماشية من بلاد البلقان والشرق الادنى . كذلك زادت الصادرات المصرية الى السودان واشتد الاقبال على مصنوعاتنا فى اسواقه . فرحلة رئيس الوزراء ، والامر كما قدمنا ، تمت فى ظروف موفقة وستكون ، ان شاء الله ، تقليداً يجرى عليه فى المستقبل رؤساء الوزارات والوزراء .

على أنه بحسبنا ، فى الدلالة على أهمية هذه الرحلة ، انها جاءت بعد

المباحث التى جرت بين حاكم السودان العام ، وبين وزرائنا حين كان سعادته فى القاهرة خلال شهر ديسمبر الماضى . فقد تناولت هذه المباحثات ، كثيراً من المسائل المعلقة بين القطرين ، كالتعيين فى المناصب الكبيرة الادارية والفنية فى السودان ، وتنسيق الدفاع العسكرى ، والثكنات والمنشئات المصرية وتنظيم بعض شئون الرى ، وتوثيق روابط التعليم والثقافة ، والدعاء لجلالة الملك فى خطبة الجمعة فى مساجد السودان وبحث بعض الشئون الاقتصادية كرسوم الجمارك ، ووصل حلفا بالشلال بخط حديدى وانشاء طريق للسيارات وما إلى ذلك من شئون . ومهما يكن من شىء فان رئيس الوزراء وزميليه قد وفقوا فى رحلتهم على شئون كثيرة جديرة بالبحث والدراسة وخاصة أن معالى وزير الاشغال قد أقام طويلا فى السودان وألم بالكثير من أموره .

وليس ذلك فحسب فاننا نسجل مع الفخر ما لقيه صاحب المقام الرفيع وزميليه من الحفاوة والاكرام ومما استرعى الانظار أنه قد احتفل فى الخرطوم فى سراى الحاكم العام بعيد الميلاد الملكى فى اثناء هذه الزيارة واشتركت قوة الدفاع السودانيه والجيش المصرى فى هذه الحفلة الرائعة فكنت ترى الطرابيش المصرية والعمامات السودانية ، تحتشد جنباً الى جنب ، فكانت دليلا ناطقا على ما تكنه القلوب من عواطف الحب المتبادل وشعائر الولاء لجلالة ملك مصر . وقد زار رفعته وزميله كلية غوردون فاستقبلهم المستر روزفير مدير المعارف السودانية وعميد الكلية وبعد أن طافوا بالغرف التدريس زاروا كليات الهندسة والحقوق والزراعة ثم زاروا كليات الاقباط وهى قطعة من قلب الوطن المصرى الصميم

فاذا الاعلام المصرية مرفوعة فى جوانبها ، وصور المليك المحبوب تزين أركانها ، وهتافات أبنائها وبناتها تشع البهجة فى الصدور . ولم يكن شيء أروع ولا أكثر امتلاكا للنفس ، من دعوات الاب يوحنا سلامه ، وهو يبتهل فى صدق ايمان الى الله القدير أن يحفظ الملك ويطيل عمره وأن يبقى وزيره الامين ذخراً لوادى النيل . ولله ما أعذب تلك النغمات الحلوة التى كانت تنبعث من أفواه التلميذات الصغيرات وهن يغردن أنشودة توجهن بها الى مقام مليكهن ، وتحية ترحيب للقادم على الطائر الميمون .

ولما وصل رفعته الى دارها هتف الجميع بحياة الملك وعلا صوت الكشافة (ماهر يعيش) . وتقدم أحد الطلبة والقى كلمة أشار فيها أن اختيار صاحب الجلالة الملك لعلى ماهر باشا ليسير بسفينة البلاد كان اختياراً موفقاً كل التوفيق ، ثم تلاه الآب الموقر القمص يوحنا سلامه وكيل البطريركية القبطية ، ومدير الكلية فألقى كلمة طيبة نوه فيها بهذه المناسبة السعيدة التى أتاحت للسودان أن يسعد بزيارة رئيس الوزارة المصرية .

وزار رفعته مدارس الاقباط للبنات أيضاً والنادى المصرى ، وزار رفعته وزميليه ملاكال ومعظم البلاد السودانية فكان أثراً مصرياً صميماً لا يزول . وقبل أن نختتم هذا الفصل بل هذا الكتاب نسجل تبرعات السخاء التى جاد بها رفعة الرئيس فقد بلغت ٤٤٠٠ جنيها لفقراء الخرطوم والمعاهد الدينية والنوادى وطلبة المدارس . وملجأ العجزة .

هذا عدا الجوائز الثابتة والسندات التى تخصص ريعها للمدارس باسم جائزة الملك فاروق والملكة فريدة .

ألا فليحى جلالة ملك مصر والسودان

الخـــــاتمة

صدر هذا الكتاب فى مدينة المنيا ، فى عهد مديرها الحازم ، سليل بيت المجد والشرف ، صاحب السعادة الأستاذ محمد عزيز أباظه بك ، الذى ضرب المثل الأعلى فى الديموقراطية إلى أبعد حدودها .



صاحب السعادة محمد عزيز أباظه بك مدير المنيا

زرته فى مكتبه والتمست من سعادته هذه الصورة ، فمنحنى إياها مغتبطاً مشجعاً ، فخرجت من لدنه وأنا أتغنى بقول الشاعر :

إذا وزن الرجال عدلت ألفاً وآلافاً وما عدلوك وزنا

أجل ، فقد رأيت رجلا عظيما ، تتجلى فيه كل معانى العظمة ، وتحيط به هالة من الجاذبية ، ومن الهيبة فى آن واحد .

إن مديرية المنيا لم تتمتع بمدير مثله من قبل ، فأينما ذهبت ترى الناس يدعون الله مخلصين أن يحفظه لهم ، ويديمه عليهم ، فإن وجوده بينهم نعمة من نعم الله .

المؤلف

فهرست

ملحوظة .

وفى الكتاب ٣١٥ صورة نشرت فى سياق الفصول الخاصة بها .